كتاب ثمرات الاوراق في المحاضرات
لحجة العرب وترجمان الادب رحلة الطالبين
ومفيد الراغبين الشيخ تقي الدين أبي بكر
ابن علي المعروف بابن حجة الحموي
الحنفي تغمده الله برحمته
وأسكنه فراديس
جنته آمين

(الذيل الاول للثمرات)

وهو كتاب لا يستغني الاديب عن لطائفه ويرتع في رياض محاسنه وطرائفه

(الذيل الثاني للثمرات أيضا)

وهو كتاب تتزين به مجالس الادباء وتبتهج عند قراءته نفوس الالباء وتتحلى المسامع بحلاه وتطرب وهو للفاضل الكامل الشيخ ابراهيم الاحدب

ثم فاح مسك الختام ولاح بدر التمام بكتاب تأهيل الغريب الآتي من كل فن عجيب الجامع لانواع غريبة من أشعار العرب والمولدين الكامل في فصاحة الالفاظ وتمكن القوافي كمال العقد الثمين لقاضي قضاة البلاغة فيما جل وخفي تقي الدين أبي بكر بن حجة الحنفي سقى الله ثراه وجعل الجنة مأواه

www.dorat-ghawas.com

كتب خانه آصفيه سركار عالى حيدرآباد دكن

نمبر داخله ---------- [illegible]

تاريخ داخله از فروردى ۱۳۳۰ف لغايته آبان ۱۳۳۰ف ----------

نام كتاب ---------- ثمرات الاوراق

فن كتاب ----------

نمبر كتاب در فن مذكور ----------

www.dorat-ghawas.com

www.dorat-ghawas.com

فهرست ثمرات الاوراق للشيخ تقي الدين بن حجة الحموي

صحيفة

٣ خطبة الكتاب
٣ حكاية أبي عثمان المازني وسؤال بعض أهل الذمة له قرءة ك
٣ سؤال حامد بن العباس لعلي بن عيسى في ديوان الوزارة
٣ حكاية أخرى تضارعها
٤ وفود عروة بن أذينة على هشام بن عبد الملك في جماعة
٤ حكاية هدية بن خالد في حضوره مائدة المأمون
٥ لطائف تتعلق بزيادة واو عمرو
ترجمة المعتزلة
٧ سؤال الرشيد لجعفر عن جوارية
٧ حكاية تتعلق ببعض المغنين المطربين
٨ نوادر تتعلق بعبد الله بن المعتز وأمثاله في بلوغهم الكمال وغزارة الفضل مع خمولهم وسقوط حظهم
١٠ نكتة أدبية
١٣ لطيفة تتعلق بقاضي القضاة شمس الدين بن خلكان
١٣ لطيفة أخرى تناسبها
١٣ حكاية مجير الدين الخياط الدمشقي
١٤ حكاية أبي حنيفة رضي الله عنه مع جاره الاسكاف بالكوفة
١٤ لطيفة أحمد بن المعدل مع أخيه عبد الصمد
١٤ نوادر تتعلق بالاقتباس والتورية
٢١ حكاية الهيثم بن عدي ومحاشاته للامام أبي حنيفة رضي الله عنه
٢١ غريبة يحيى بن اسحق الطبيب وحذقه في صنعة الطب
٢١ نادرة لطيفة تتعلق بالمنصور بن أبي عامر الاندلسي
٢٢ عيادة الشيخ شهاب الدين لقاضي القضاة بن خلكان وما جرى بينهما
٢٢ نكتة لطيفة تتعلق بالشيخ شهاب الدين السهروردي
٢٣ الاجوبة الهاشمية وبلاغتها ونادرة تتعلق بذلك
٢٤ غريبة اسحق النديم عن أبيه ابراهيم وما يضارعها
٢٥ لطائف أبي بكر بن قريعة قاضي السندية وغيرها كان من عجائب الدنيا في سرعة البديهة بالاجوبة
٢٦ نادرة لطيفة تتعلق بابي جعفر المنصور العباسي
٢٧ نادرة منقولة من خط قاضي القضاة ابن خلكان تتعلق بابن الدقاق البلنسي

www.dorat-ghawas.com

صحيفة

٢٨ لطيفة تتعلق ببثينة وعزة حين دخلتا على عبد الملك بن مروان
٢٩ وفود الشعراء على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لما استخلف
٣١ من لطائف الظرف ما حدث ابراهيم بن المهدى عن جعفر
٣٢ حكاية أبى معشر المنجم مع بعض الملوك
٣٢ نادرة عن ابن خلكان تتعلق بفطن المتطببين
٣٣ نادرة لطيفة تتعلق بالامام الجنيد
٣٣ لطيفة لابى محمد الوزير المهلبى
٣٤ حكاية حماد الراوية مع هشام بن عبد الملك
٣٦ حديث أبى الحسن بن مقلة عن خالد الكاتب
٣٦ نادرة دخول أبى دلامة على المهدى
٣٦ حكاية هشام بن عبد الملك مع طاوس اليمانى
٣٧ نادرة الشعبى مع ملك الروم لما أرسله اليه عبد الملك بن مروان
٣٧ نادرة بديعة غريبة منقولة عن سديد الملك
٣٨ حكاية الصابئ عن رجل اتصلت عطلته
٣٩ حكاية الجاحظ مع الواثق
٤٠ نادرة لطيفة تتعلق بابى المسك كافور الاخشيدى
٤١ ورود أبى نصر الفارابى على سيف الدولة بن حمدان
٤٢ ردّ راشد الدين سنان على نور الدين الشهيد وهو جواب فى أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة
٤٤ نادرة غريبة تتعلق بفيلسوف الاسلام يعقوب بن اسحق الكندى
٤٥ نادرة لطيفة تتضمن المثل السائر فى قولهم عن الخائب رجع بخفى حنين
٤٦ قصة زكى الدين مع الملك المظفر
٤٨ المنقول عن القاسم المكنى بابى دلف وجمعه بين طرفى الكرم والشجاعة
٤٩ غضب المأمون على العكوك من اجل مدحه أبى دلف وقتله اياه
٤٩ حديث النضر بن شميل وسمره مع المأمون
٥١ رسالة أنشاها القاضى الفاضل ورسالة نظيرها للمؤلف
٥٣ نادرة لطيفة تتعلق بابى سفيان حين رجوعه من عند ابنه معاوية لما زاره فى الشام
٥٤ (استنجاز المواعيد)
٥٤ لطيف الاستمناح
٥٥ نادرة لطيفة تتعلق بابى جعفر المنصور مع أزهر السمان المحدث
٥٥ أجواد الجاهلية الذى انتهى اليهم الجود

www.dorat-ghawas.com

صحيفة

٥٦ حكايات تتعلق بجود عبيد الله بن العباس
٥٦ حكاية تتعلق بجود عبد الله بن جعفر
٥٨ وفود اروى بنت الحارث على معاوية رضي الله عنه ورحمه عليهما
٥٩ حكاية ابن الزبير لما تزوج امرأة من فزارة
٦٠ حكاية تتعلق بمعاوية بن أبي سفيان وورد الاحنف عليه
٦٢ حكاية تتعلق بالمنصور العباسي وذكائه
٦٢ حكاية رجل قدم الى بغداد وأودع عقدا عند رجل يدعى الصلاح
٦٣ سرد حكايات تتعلق بالاذكياء
٦٦ من لطائف هزليات الاذكياء أن الرشيد خرج متنزها الخ
٦٧ من الجد المفحم جواب الامام على لليهودي
٦٧ من المنقول عن أذكياء الاطباء ان جارية من جواري الرشيد الخ
٦٧ من المنقول عن اذكياء المتطفلين
٦٩ من المنقول عن أذكياء الصبيان
٦٩ من المنقول عن أذكياء النساء
٦٩ نبذة لطيفة من كتاب الحمقى والمغفلين
٧٢ ذكر جماعة من العقلاء صدر عنهم افعال الحمقى وأصروا على ذلك
٧٦ غريبة منقولة من سلوان المطاع تتعلق بالوليد بن يزيد
٧٩ حكاية تتعلق بسابور بن هرمز لما دخل بلاد الروم متنكرا وهي من لطائف هذا الكتاب
٨٥ قصة زينب بنت اسحق زوج عبد الله بن سلام
٨٨ غريبة تتعلق برجل من بلاد الصعيد
٨٩ لطيفة ابراهيم بن المهدي لما ادعى الخلافة بالري
٩٣ حكاية خزيمة بن بشر مع عكرمة الفياض
٩٥ حكاية الخيزران امرأة المهدي مع مزنة بنت مروان الاموي
٩٦ نادرة تتعلق بعشرة قد رموا بالزندقة فحملوا الى المأمون فتبعهم أحد الطفيلية
٩٨ غريبة تتعلق بفتى من ذوي النعم قعد به زمانه فاراد ان يبيع جاريته
٩٩ رجوع الحجاج الى عبد الملك بن مروان لما قتل عبد الله بن الزبير
٩٩ حكاية الاسكندر مع ملك الصين
١٠٣ رحلة الامام الشافعي الى الامام مالك ثم الى أبي يوسف ومحمد بن الحسن رضي الله عن الجميع
١٠٩ من لطائف المنقول عن صدق محبة أبي طالب لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

صحيفة

١١٣ من شهي المجتنى من ثمرات الاوراق ماروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه

١١٣ من مناقب الامام عمر بن الخطاب في فتح بيت المقدس

١١٦ حكاية الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر لما خرجوا حجاجا

١١٧ نادرة حج هشام بن عبد الملك وجهد أن يستلم الحجر فلم يقدر فاقبل على بن الحسين الخ

١١٧ ذهاب سيدنا عمر بن الخطاب الى الشام ولقي سيدنا معاوية له

١١٧ من لطائف معاوية مع ابن الزبير رضي الله عنهما

١١٨ نادرة تميم بن جبيل الخارجي وكان قد خرج على المعتصم

١١٩ ماوقع بين غسان بن عباد وبين على بن عيسى القمي

١١٩ حكاية الرجل الذي عمر ورأى الاعاجيب مع معاوية

١٢٢ نادرة الشيخ مدرك من أكابر علماء المغرب مع محبوبه عمرو بن يوحنا

١٢٤ نادرة مهذب الدين مع الشريف الموسوى نقيب الاشراف

١٢٧ حكاية تتعلق بدخول ابن الوردي دمشق المحروسة

١٢٨ نخبة من فوائد كتاب الانشاء

١٣٢ من انشاء القاضي الفاضل في وفاء النيل ورسالة عقبها للمؤلف تتعلق بوفاء النيل أيضا

١٣٤ رسالة بحرية كتب بها المؤلف الى علامة العصر الشيخ بدر الدين الدماميني

١٣٨ رسالة حظيرة الانس الى حضرة القدس من بديع انشاء ابن نباتة في رحلته الى القدس الشريف مع الصاحب أمين الدين

١٤٣ رسالة تتعلق برحلة المؤلف صحبة الركاب الشريف السلطاني المؤيدي

١٤٨ رحلة المؤلف من الديار المصرية الى دمشق المحمية

(تمت فهرست ثمرات الاوراق)

www.dorat-ghawas.com

(فهرست الذيل الاول)

صحيفة

١٦٦ ذكر سبب حج هرون الرشيد ماشيا
١٦٧ حكاية تتعلق بعداس أبى القاسم الطنبورى
١٧٠ حكاية عن ابن المبارك حين حج الى بيت الله الحرام
١٧٣ نوادر تتعلق بكرم معن بن زائدة الشيبانى
١٧٦ حكاية عبد الله بن معمر القيسى مع عتبة بن الحباب الانصارى
١٧٩ نادرة الجاحظ مع معلم كتاب
١٧٩ من غريب ما يحكى فى كتاب الفرج بعد الشدة عن منارة صاحب الخلفاء
١٨٣ نادرة لطيفة من أخبار المذاكرة ونشوان المحاضرة
١٩١ قصيدة على بن زريق البغدادى

﴿تمت فهرست الذيل الاول﴾

(فهرست الذيل الثانى)

صحيفة

١٩٥ حكاية تتعلق بأخ الصاحب بدر الدين وزير اليمن وكان بديعا فى الجمال
١٩٥ حكاية بديعة نقلت من تاريخ ابن خلكان
١٩٧ نادرة الشيخ ابن كثير مع جارله رث الثياب منتن الريح
١٩٨ لطيفة نقيب الاشراف البغدادى
١٩٨ حكاية من المستعذبات عن الفضل بن يحيى
٢٠٠ حكاية تتعلق ببعض الملوك حين نظر الى امرأة غلامه
٢٠١ سؤال الحجاج للغضبان بن القبعثرى ليمتحنه وارساله الى ابن الاشعث وافدا وما جرى له
٢٠٧ أخذ الحجاج يزيد بن المهلب بن أبى صفرة وتعذيبه وما يتبع ذلك من نوادر الكرماء
٢١٣ نبذة من أخبار البخلاء
٢١٨ من اللطائف والغرائب الدالة على الوفاء بالذمم ما حكاه بعض خدم أمير المؤمنين المأمون الخ
٢٢٤ نادرة عن العباس صاحب شرطة المأمون
٢٢٨ موعظة تتعلق بأبى عبد الله الاندلسى شيخ كل من بالعراق
٢٤٣ حكاية عروة بن الزبير وصبره على البلاء

صحيفة
٢٤٣ غريبة مسلم بن الوليد
٢٤٤ من اللطائف ما حكاه أبو الفرج فى كتاب النساء عن أبى العباس السفاح
٢٤٥ حكاية تتعلق بعمر بن الخطاب وطوافه بالليل فى سكك المدينة

﴿تمت فهرست الذيل الثانى﴾

(فهرست تأهيل الغريب لابن حجة الحموى)

صحيفة
٢٤٧ خطبة الكتاب
٢٤٨ الاغزال المحمسة
٣٠٣ نبذة من أشعار العرب فى المدائح الجيدة
٣٠٤ نبذة من أشعار المولدين فى المدائح
٢٦١ قصيدة بديعة غريبة للمؤلف سارت بحديث محاسنها الركبان ويليها اقصائد أخرى له
٢٧٤ اشعار تتعلق بالحماسة الخالصة بالمدح
٢٧٨ غريب أشعار تتعلق بمدح السيف
٢٧٩ غريب النظم فى الرمح
٢٨١ وصف الخيول المسومة بالمعانى الغريبة
٢٨٥ ماوقع من الغريب فى مدح الحمير الاهلية وذمها
٢٨٦ نبذة من غريب الهجو
٣٠٩ باب المراثى
٣١٧ باب الفخر
٣١٩ باب الغزل

﴿تمت الفهرست﴾

www.dorat-ghawas.com

www.dorat-ghawas.com

www.dorat-ghawas.com

كتاب ثمرات الاوراق في المحاضرات
لحجة العرب وترجمان الادب رحلة الطالبين
ومفيد الراغبين الشيخ تقي الدين أبي بكر
ابن علي المعروف بابن حجة الحموي
الحنفي تغمده الله برحمته
وأسكنه فراديس
جنته آمين

(الذيل الاول للثمرات)

وهو كتاب لا يستغني الاديب عن لطائفه ويرتع في رياض محاسنه وطرائفه

(الذيل الثاني للثمرات أيضا)

وهو كتاب تتزين به مجالس الادباء وتبتهج عند قراءته نفوس الالباء وتتحلى المسامع بحلاه
وتطريب وهو للفاضل الكامل الشيخ ابراهيم الاحدب

ثم فاح مسك الختام ولاح بدر التمام بكتاب تأهيل الغريب الآتي من كل فن عجيب
الجامع لانواع غريبة من أشعار العرب والمولدين الكامل في فصاحة الالفاظ وتمكن
القوافي كمال العقد الثمين لقاضي قضاة البلاغة فيما جل وخفي تقي الدين أبي بكر بن حجة
الحنفي سقى الله ثراه وجعل الجنة مأواه

www.dorat-ghawas.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام حجة العرب * وترجمان الادب * تقي الدين أبو بكر بن حجة الحنفي منشي دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية تغمده الله برحمته (أما بعد) حمدا لله الذي فكهنا بثمار اوراق العلماء * والصلاة والسلام على نبيه شجرة العلم التي أصلها ثابت وفرعها في السماء * وعلى آله وصحبه الذين هم فروع هذه الشجرة * واغصانها التي دنت لهذه الامة قطوفها المثمرة * فاني وريت بتسمية هذا الكتاب بثمرات الاوراق * عالما ان قطوفه لم تدن لغير ذوي الاذواق * فمن ذلك ما نقلته من درة الغواص لابي محمد القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات ان أبا العباس المبرد روى ان بعض أهل الذمة سأل أبا عثمان المازني في قراءة كتاب سيبويه عليه وبذل له مائة دينار في تدريسه اياه فامتنع أبو عثمان من ذلك فقال له المبرد جعلت فداك أترد هذه النفقة مع فاقتك واحتياجك اليها فقال أبو عثمان هذا الكتاب يشتمل على ثلثمائة حديث وكذا كذا آية من كتاب الله ولست أرى ان أمكن منها ذميا غيرة على كتاب الله تعالى وحمية له قال فاتفق ان غنت جارية بحضرة الواثق من شعر العرجي

اظلوم ان مصابكم رجلا * اهدى السلام تحية ظلم

فاختلف من بالحضرة في اعراب رجلا فمنهم من نصبه وجعله اسم ان ومنهم من رفعه على انه خبرها والجارية مصرة على ان شيخها أبا عثمان المازني لقنها اياه بالنصب فامر الواثق باشخاصه قال أبو عثمان فلما مثلت بين يديه قال ممن الرجل قلت من مازن يا أمير المؤمنين قال أي الموازن قلت من مازن ربيعة فكلمني بكلام قومي وقال باسمك لانهم يقلبون الميم باء والباء ميما اذا كانت في أول الاسماء فكرهت ان أجيبه على لغة قومي لئلا أواجهه بالمكر فقلت بكر يا أمير

www.dorat-ghawas.com

المؤمنين ففطن لما قصدته واعجبه مني ذلك ثم قال فما تقول في قول الشاعر

اظلوم ان مصابكم رجلا * اهدى السلام تحية ظلم

اترفع رجلا ام تنصبه فقلت الوجه النصب يا أمير المؤمنين قال ولم ذلك فقلت ان مصابكم مصدر بمعنى اصابتكم فاخذ اليزيدي في معارضتي فقلت هو بمنزلة قولك ان ضربك زيدا ظلم فالرجل مفعول مصابكم ومنصوب به والدليل عليه ان الكلام متعلق الى ان تقول ظلم فيتم فاستحسنه الواثق وأمر له بالف دينار قال أبو العباس المبرد فلما عاد أبو عثمان الى البصرة قال لي كيف رأيت رددنا لله مائة فعوضنا الفا (ونقلت من درة الغواص أيضا) ان حامد بن العباس سأل علي بن عيسى في ديوان الوزارة عن دواء الخمار وكان قد علق به فاعرض عن كلامه وقال ما انا وهذه المسئلة فخجل حامد منه والتفت الى قاضي القضاة ابي عمر فسأله عن ذلك فتنحنح لاصلاح صوته ثم قال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم استعينوا على كل صنعة بصالح أهلها والاعشى هو المشهور بهذه الصناعة في الجاهلية حيث قال

وكأس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها

ثم تلاه أبو نواس في الاسلام فقال

دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء

فاسفر حينئذ وجه حامد وقال لابن عيسى ما ضرك يا بارد ان تجيب ببعض ما أجاب به مولانا قاضي القضاة وقد استظهر في جواب المسئلة بقول الله تعالى أولا ثم بقول النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا وادى المعنى وخرج من العهدة فكان خجل ابن عيسى أكثر من خجل حامد لما ابتدأه بالمسئلة انتهى (و يضارع هذه الحكاية) في لبس بعض القضاة المتقشفين وادعائهم مع الزهد والتقشف للستة تين ما نقلته من درة الغواص للحريري أيضا قال اجتمع قوم على شراب فتغنى مغنيهم بشعر حسان

ان التي ناولتني فرددتها * قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

كلتاهما حلب العصير فعاطني * بزجاجة ارخاهما للمفصل

فقال بعضهم امرأتي طالق ان لم أسأل الليلة عبيد الله بن الحسن القاضي عن علة هذا الشعر كيف قال ان التي فوحد ثم قال كلتاهما فثنى فأشفقوا على صاحبهم وتركوا ما كانوا فيه ومضوا يتخبطون القبائل الى بني شقرة فوجدوا عبيد الله بن الحسن يصلي فلما فرغ من صلاته قالوا له قد جئناك في أمر دعتنا اليه الضرورة وشرحوا له الخبر وسألوه الجواب فقال مع زهده وتقشفه ان التي ناولتني فرددتها اعني بها الخمرة الممزوجة بالماء ثم قال كلتاهما حلب العصير يريد الخمرة المتحلبة من العنب والماء المتحلب من السحاب المكنى عنه بالمعصرات انتهى (قال الحريري) وقد بقي في الشعر ما يحتاج الى تفسيره اما قوله ان التي ناولتني فرددتها قتلت قتلت فانه خاطب به الساقي الذي ناوله كاسا ممزوجة لانه يقال قتلت الخمرة اذا مزجتها فاراد أن يعلمه انه فطن لما فعله ثم ما اقتنع بذلك منه حتى دعا عليه بالقتل في مقابلة المزج ثم انه عقب الدعاء عليه بان استعطى منه ما لم تقتل يعني الصرف التي لم تمزج وقوله ارخاهما للمفصل يعني به اللسان

www.dorat-ghawas.com

وسمي مفصلا بالكسر لانه يفصل بين الحق والباطل قال الحريري وليس على ما اعتمده القاضي عبيد الله من الاستماح وخفض الجناح ما يقدح في نزاهته ويغض من نبله ونباهته والله أعلم (ونقلت من درة الغواص) ان عروة بن اذينة الشاعر وفد على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء فلما دخلوا عليه عرف عروة فقال له ألست القائل

لقد علمت وما الاسراف من خلقي * ان الذي هو رزقي سوف يأتيني

اسعى له فيعنيني تطلبه * ولو قعدت اتاني لا يعنيني

واراك قد جئت من الحجاز الى الشام في طلب الرزق فقال له يا أمير المؤمنين زادك الله بسطة في العلم والجسم ولارد وافدك خائبا والله لقد بالغت في الوعظ واذ كرتني ما انسانيه الدهر وخرج من فوره الى راحلته فركبها وتوجه راجعا الى الحجاز فلما كان في الليل ذكره هشام وهو في فراشه فقال رجل من قريش قال حكمة ووفد الي فجبهته ورددته عن حاجته وهو مع ذلك شاعر لا آمن ما يقول فلما اصبح سأل عنه فاخبر بانصرافه فقال لا جرم ليعلم ان الرزق سيأتيه ثم دعا مولى له واعطاه الفي دينار وقال الحق بهذه ابن اذينة واعطه اياها قال فلم ادركه الا وقد دخل بيته فقرعت الباب عليه فخرج الي فاعطيته المال فقال ابلغ أمير المؤمنين قولي سعيت فاكديت ورجعت الى بيتي فاتاني رزقي (ويضارع هذه الحكاية) ما حكى عن هدية بن خالد رحمه الله تعالى قال حضرت مائدة المأمون فلما رفعت المائدة جعلت التقط ما في الارض فنظر الي المأمون فقال أما شبعت يا شيخ قلت بلى يا أمير المؤمنين ولكن حدثني حماد بن سلمة عن ثابت بن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التقط ما تحت مائدته أمن من الفقر فنظر المأمون الى خادم واقف بين يديه فأشار اليه فما شعرت ان جاءني ومعه منديل فيه الف دينار فناولني اياه فقلت يا أمير المؤمنين وهذا من ذلك انتهى (ومن لطائف ما جنيت من ثمرات الاوراق) ان رجلا من الحذاق كان يكتب كاتبا والى جانبه آخر فانتهى في كتابه الى اسم عمرو فكتبه بغير واو فقال باء مولانا تازدها او اللفرق بينها وبين عمر فقال له والله لقد تفضل مولانا بزيادة الواو بمعنى تفوضل (قلت) و بعضهم يرى ان الواو تزاد بعد لا النافية في الجواب اذا قيل هل فعلت كذا وكذا فيقول لا وعافاك الله قال أبو الفرج بن الجوزي روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لرجل عربي اكان كذا وكذا فقال لا اطال الله بقاك فقال الامام عمر رضي الله عنه قد علمتم فلم تتعلموا هلا قلت لا وعافاك الله (وحكى) عن الصاحب بن عباد انه قال هذه الواو هنا أحسن من واوات الاصداغ في وجنات الملاح (قلت) وهذه الواو اعني واو عمرو نظم فيها الشعراء كثيرا منهم أبو نواس قال يهجو أشجع السلمي

قل لمن يدعي سليمى سفاها * لست منها ولا قلامة ظفر

انما أنت من سليمى كواو * الحقت في الهجاء ظلما بعمرو

(وقال أبو سعيد الرستمي واجاد)

افي الحق ان يعطى ثلاثون شاعرا * ويحرم ما دون الرضا شاعر مثلي

كما سامحوا عمرا بواو مزيدة * وضويق بسم الله في الف الوصل

(ومن

(ومن لطائف المجتني) ما نقل عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قيل انه قال يوما للقاضي الفاضل لنا مدة لم نر فيها العماد الكاتب فلعله ضعيف امض اليه وتفقد أحواله فلما دخل الفاضل الى دار العماد وجد أشياء أنكرها في نفسه مثل آثار مجالس أنس ورائحة خمر وآلات طرب فأنشد

ما أصحبتك خبايا الود من رجل * مالم يبلك بمكروه من العذل
محبتي فيك تأبى عن مسامحتي * بأن أراك على شئ من الزلل

فلما قام من عنده نزع العماد عما كان فيه وأقلع ولم يعد الى شئ من ذلك البتة (ومن اللطائف) ما نقل عن الملك الظاهر رحمه الله تعالى قيل انه لما استعرض الامير بدر الدين بيلبك الخازندار ليشتريه قال له أنا آخر يا مولانا السلطان وأحسن الكتابة فأحضرت له دواة فكتب يقول

لولا الضرورة ما فارقتكم أبدا * ولا تنقلت من ناس الى ناس

فأعجبه الاستشهاد بهذا البيت ورغبه ذلك في مشتراه (ويضارعه ما حكي عن الصاحب كمال الدين بن العديم) قيل ان انسانا رفع قصة الى الصاحب المشار اليه فأعجبه خطها فأمسكها وقال لرافعها هذا خطك قال لا ولكن حضرت الى باب مولانا فوجدت بعض مماليكه فكتبها لي فقال علي به فلما حضر وجده مملوكه فقال هذا خطك قال نعم قال فهل مطر يقتي من هو الذي أطلعك عليها فقال يا مولانا كنت اذا وقعت لاحد على قصة اخذتها منه وسألته المهلة حتى أكتب عليها سطرين أو ثلاثة فأمره أن يكتب بين يديه ليراه فكتب

وما تنفع الآداب والعلم والحجى * وصاحبها عند الكمال يموت

فكان اعجاب الصاحب بالاستشهاد أكثر من الخط ورفع منزلته بعد ذلك (وأذكرني اتفاق التورية في الكمال هنا) ما حكي عن القاضي فخر الدين لقمان والقاضي تاج الدين أحمد بن الاثير رحمهما الله انهما كانا صحبة السلطان على تل العجول ولفخر الدين مملوك اسمه الطنبغا فاتفق أنه طلب مملوكه المذكور وناداه يا طنبغا فقال له نعم ولم يأته وكانت ليلة ممطرة مظلمة فأخرج فخر الدين بن لقمان رأسه من الخيمة فقال تقول نعم ولم أرك فقال القاضي تاج الدين

في ليلة من جمادى ذات أندية * لا يبصر الكلب في أرجائها الطنبا

(ومن اتفاق التورية أيضا) ما كتبه الشيخ شرف الدين بن عبد العزيز الانصاري شيخ شيوخ حماة ملغزا في باب الى والده

ما واقف في المخرج * يذهب طورا ويجي
لست أخاف شره * ما لم يكن بمرتج

فكتب اليه والده في الجواب ذهاب واياب وخوف وشره هذا باب خصومه والسلام (قيل ان الصاحب جمال الدين بن مطروح) كتب لبعض الرؤساء رقعة الى صديق له يشفع فيها عنده فكتب ذلك الرئيس هذا الامر علي فيه مشقة فكتب ابن مطروح في جوابه لولا المشقة فلما وقف عليها فهم الاشارة الى قول المتنبي

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال

www.dorat-ghawas.com

وقضى الشغل على الفور انتهى (قيل ان يوسف الصديق عليه السلام) كتب على باب السجن لما خرج منه هذا قبر الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء وقال الشاعر

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة * بل في الشدائد تعرف الاخوان

(ولله در يزيد بن المهلب) من ذى مروءة وسخاء وتصديق أمل فانه كان فى سجن الحجاج يعذب فدخل عليه يزيد بن الحكم وقد حل عليه نجم وكانت نجومه فى كل أسبوع ستة عشر ألف درهم فقال له

أصبح فى قيدك السماحة والـ * جود وفضل الصلاح والحسب

لا تصبرن ان تتابعت نعم * وصارف فى البلاء محتسب

برزت سبق الجياد فى مهل * وقصرت دون سعيك العرب

فالتفت يزيد الى مولى له وقال أعطه نجم هذا الاسبوع ونصبر على العذاب الى السبت الآخر (قال الاصمعى) حضرت مجلس الرشيد وفيه مسلم بن الوليد اذ دخل أبو نواس فقال له الرشيد ما أحدثت بعدنا يا أبا نواس فقال يا أمير المؤمنين ولو فى الخمر فقال قاتلك الله ولو فى الخمر فانشد

يا شقيق النفس من حكم * نمت عن ليلى ولم أنم

حتى انتهى الى آخرها فقال

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

فقال أحسنت والله يا غلام اعطه عشرة آلاف درهم وعشر خلع فأخذها وخرج قال الاصمعى فلما خرجنا من عنده قال لى مسلم بن الوليد ألم تر الى الحسن بن هانئ كيف سرق شعرى وأخذ به مالا وخلعا فقلت له وأى معنى سرق لك قال قوله فتمشت فى مفاصلهم البيت فقلت وأى شئ قلت فقال

كأن قلبى وشاحاه اذا خطرت * وقلبها قلبها فى الصمت والخرس

تجرى محبتها فى قلب وامقها * جرى السلافة فى أعضاء منتكس

(ترجمة المعتزلة) المعتزلة طائفة من المسلمين يرون ان أفعال الخير من الله وافعال الشر من الانسان وان القرآن مخلوق محدث ليس بقديم وان الله تعالى غير مرئى يوم القيامة وان المؤمن اذا ارتكب الذنب مثل الزنا وشرب الخمر كان فى منزلة بين منزلتين يعنون بذلك انه ليس بمؤمن ولا كافر وان اعجاز القرآن فى الصرفة لا أنه فى نفسه معجز ولو لم يصرف الله العرب عن معارضته لاتوا بما يعارضه وان من دخل النار لم يخرج منها وانما سموا معتزلة لان واصل بن عطاء كان يجلس الى الحسن البصرى رضى الله عنه فلما ظهر الخلاف وقالت الخوارج بكفر مرتكب الكبائر وقال الجماعة بانهم مؤمنون وان فسقوا بالكبائر خرج واصل عن الفريقين وقال ان الفاسق من هذه الامة لا مؤمن ولا كافر بل هو فى منزلة بين منزلتين فطرده الحسن رضى الله عنه عن مجلسه فاعتزل عنه فقيل لاتباعه معتزلة ولم يزل مذهب الاعتزال ينمو الى أيام الرشيد فظهر بشر المريسى واحضر الشافعى مكبلا فى الحديد فسأله بشر والسؤال ما تقول يا قرشى فى القرآن فقال ايای تعنى قال نعم قال مخلوق فخلى عنه وأحس الشافعى رضى الله عنه بالشر وان

الفتنة تشدد في اظهاراً لقول بخلق القرآن فهرب من بغداد الى مصر ولم يقل الرشيد رحمه الله بخلق القرآن فكان الامر بين أخذ وترك الى أن ولي المأمون فقال بخلق القرآن وبقي يقدم رجلاً ويؤخر أخرى في الدعوة الى ذلك الى ان قوي عزمه في السنة التي مات فيها وطلب الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فأخبر في الطريق انه توفي فبقي الامام محبوساً بالرقة حتى بويع المعتصم فاحضر الى بغداد وعقد له مجلس المناظرة وفيه عبد الرحمن بن اسحاق والقاضي أحمد ابن أبي دواد وغيرهما فناظروه ثلاثة أيام فلم يقطع في بحث وسفه أقوال الجميع فامر به فضرب بالسياط الى أن أغمي عليه ورمي على بارية وهو مغشي عليه ثم حمل وصار الى منزله ولم يقل بخلق القرآن ومكث في السجن ثمانية وعشرين شهراً ولم يزل يحضر الجمعة ويفتي ويحدث حتى مات المعتصم وولي الواثق فاظهر ما اظهر من المحنة وقال للامام أحمد لا تجمعن اليك أحداً ولا تساكني في بلد انا فيه فاختفى الامام أحمد لا يخرج الى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق وولي المتوكل فاحضره وأكرمه واطلق له مالاً فلم يقبله وفرقه وأجرى على أهله وولده في كل شهر أربعة آلاف درهم ولم تزل جارية الى أن مات المتوكل وفي أيامه ظهرت السنة وكتب الى الآفاق برفع ما وقع من المحنة واظهار السنة وتكلم في مجالسه بالسنة ولم يزالوا أعني المعتزلة في قوة الى أيام المتوكل ولم يكن في هذه الامة الاسلامية أهل بدعة أكثر منهم ومن مشاهيرهم على ما ذكروا من الفضلاء الاعيان الجاحظ وواصل بن عطاء والقاضي عبد الجبار والرماني النحوي وأبو علي الفارسي وأقضى القضاة الماوردي الشافعي وهذا غريب ومن المعتزلة أيضاً الصاحب بن عباد وصاحب الكشاف والفراء النحوي والسيرافي وابن جني والله أعلم (ومما جنيته من ثمرات الاوراق) ان الرشيد سأل جعفراً عن جواريه فقال يا أمير المؤمنين كنت في الليلة الماضية مضطجعاً وعندي جاريتان وهما يكبسانني فتناومت عنهما لانظر صنيعهما واحداهما مكية والأخرى مدنية فمدت المدنية يديها الى ذلك الشيء فلعبت به فانتصب قائماً فوثبت المكية وقعدت عليه فقالت المدنية انا أحق به لاني حدثت عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من أحيا أرضاً ميتة فهي له فقالت المكية وانا حدثت عن معمر عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس الصيد لمن أثاره انما الصيد لمن أخذه فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه وقال هل من سلوة عنهما فقال جعفر هما ومولاهما بحكم أمير المؤمنين وحملهما اليه (ومن ذلك ما حكي عن بعض المطربين انه غنى في جماعة عند بعض الامراء

اذا أنت أعطيت السعادة لم تبل * ولو نظرت شزراً اليك القبائل

وان فوق الاعداء نحوك أسهما * ثنتها على أعقابهن المناصل

فطرب الامير الى الغاية ولما زاد طربه قال لبعض مماليكه هات خلعة لهذا المغني ولم يفهم المغني ما يقوله الامير فقام لقلة حظه الى بيت الخلاء وفي غيبته جاء المملوك بالخلعة فوجد المغني غائباً وقد حصل في المجلس عربدة وأمر الامير باخراج الجميع فقيل للمغني بعد ما خرج ان الامير كان قد أمر لك بخلعة فلما كان بعد أيام حضر المغني عند ذلك الامير وغنى فقال

اذا أنت أعطيت السعادة لم تبل * ولو نظرت شزراً اليك القبائل

بفتح التاء وضم الباء فانكروا عليه ذلك فقال نعم لانى لما بلت فى ذلك اليوم فاتنى السعادة من الامير فاوضحوا له القصة فتحلت وأعجبه ذلك وأمر له بخلعة (ومن المنقول) ان عبد الله ابن المعتز من خلفاء بنى العباس مع كماله وغزارة فضله كان لم يزل منغصا فى مدة حياته بويع له بالخلافة وظن ان الحظ قد تنبه له فلم يتم الامر له الا يوما واحدا ثم قبض عليه وقتل رحمه الله تعالى على انه ما وافق على ولاية الامر حتى اشترط عليهم ان لا يسفكوا فى واقعته دما ومحله من الادب لا يخفى وشمعة فضله كالصبح لا تقط ولا تطفأ وقد قيل

لله درك من ملك بمضيعة * ناهيك فى العلم والعلياء والحسب
ما فيه لو ولا ليت تنقصه * وانما أدركته حرفة الادب

وقال ابن الساعاتى

عفت القريض فلا اسمو له أبدا * حتى لقد عفت ان أرويه فى الكتب
هجرت نظمى له لا من مهانته * لكنها خيفة من حرفة الادب

قلت ومابرح الزمان مولعا بخمول أهل الادب وخمود نارهم كان الملك الافضل نور الدين على بن صلاح الدين يوسف من كبار أهل الادب وكان حسن السيرة متدينا قل ان عاقب على ذنب وله المناقب الجميلة وكان أكبر اخوته ومع كمال صفاته وآدابه التى سارت بها الركبان ما صفا له الدهر ولا هنأه بالملك بعد أبيه السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى الا مدة يسيرة بدمشق المحروسة ثم حضر اليه عمه أبو بكر العادل وأخوه الملك العزيز عثمان فاخرجاه من ملكه بدمشق الى صرخد ثم جوزاه الى سميساط وفى ذلك كتب الى الامام الناصر ببغداد

مولاى ان أبا بكر وصاحبه * عثمان قد منعا بالسيف حق على
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقى * من الاواخر ما لاقى من الاول

فكتب الناصر الجواب ولكن الفرق مثل الصبح

وافى كتابك يا ابن يوسف معلنا * بالصدق يخبر ان أصلك طاهر
غصبوا عليا حقه اذ لم يكن * بعد النبى له بيثرب ناصر
فاصبر فان غدا عليه حسابهم * وابشر فناصرك الامام الناصر

ولم ينصره الامام الناصر بل توفى فجأة بسميساط رحمه الله تعالى ومن شعره ما ذكره ابن واصل فى مفرج الكروب

يا من يسود شعره بخضابه * فعساه من أهل الشبيبة يحصل
ها فاختضب بسواد حظى مرة * ولك الامان بانه لا ينصل

(قلت) ومثله الملك الناصر داود ابن الملك المعظم وكان داود صاحب الكرك مابرح مع كمال فضله منكدا مشتتا فى البلاد توجه الى بغداد ومعه نفر القضاة بن دقاقة والشيخ شمس الدين الخرشاهى وقد استصحب جواهر نفيسة والتجأ الى الامام الناصر وطلب الحضور بين يديه لشاهده فى الانشاد فقدر له ذلك ولا وافق الخليفة عليه حتى امتدحه بقصيدته البائية التى مطلعها

ودان ألمت بالكثيب ذوائبه * وجنح الدجى وحف تجول غياهبه

www.dorat-ghawas.com

تفهقه في تلك الربوع رهوده * وتبكى على تلك الطلول سحائبه
وقال منها في حكاية حاله مع الخليفة
أيحسن في شرع المعالى ودينها * وأنت الذى تعزى اليه مذاهبه
بانى أخوض الدو والدو مقفر * سباريته مقفرة وسباسبه
ويأتيك غيرى من بلاد قريبة * له الامن فيها صاحب لا يجانبه
فيلقى دنوا منك لم ألق مثله * ويحظى ولا احظى بما انا طالبه
وينظر في لألاء قدسك نظرة * فيرجع والنور الامامى صاحبه
ولو كان يعلونى بنفس ورتبة * وصدق ولاء لست فيه أصاقبه
لكنت أسلى النفس عما ارومه * وكنت اذود العين عما تراقبه
ولكنه مثلى ولو قلت اننى * أزيد عليه لم يعب ذاك عائبه
الناصر يشير الى مظفر الدين كوكبورى ابن كوجك فانه قدم الى الديوان فطلب الحضور فاذن له وبرز له الخليفة وشاهد وجهه ولما وقف الخليفة على هذه القصيدة أعجبته غاية الاعجاب وهى من النظم البديع فى غاية لا تدرك فاستدعاه بعد شطر من الليل واجتمع به خلوة وما تم له ماظفر به مظفر الدين المذكور وسبب ذلك ان الخليفة راعى عمه المذكور والذى ثبت عند أهل التاريخ ان عمه العادل ما فعل ذلك الا حسدا له على كمال أدواته وبلاغة آدابه وقيل انه كتب خطا منسوبا ازرى بالحدائق المدبجة (وحكى صاحب الريحان والريعان) قال حضر شاب ذكى بعض مجالس الادب فقال بعضهم ما تصحيف نصحت فخنتنى قال تصحيف حسن فاستغرب اسراعه وكان بالمجلس شاعر من أهل بلنسية فاتهم الشاب وقال مختبرا له ما تصحيف بلنسية فاطرق ساعة ثم قال أربعة أشهر فخجل البلنسى بقول صدق ظنى انك تدعى وتنتحل ماتقول والفتى يضحك ثم قال له أشعرت أنت يا شاعر فقال له وأى نسبة بين أربعة أشهر وبين بلنسية فقال له ان لم يكن فى اللفظ فهو فى المعنى ثم قام وهو يقول ذلك فتنبه بعض الحاضرين ونظر فاذا أربعة أشهر ثلث سنة وهو تصحيف بلنسية فخجل الشاعر المنازع ومضى الى الشاب معترفا ومعتذرا انتهى وهذا المعنى فى بلنسية نظمه الشيخ بدر الدين الدمامينى أحجية فقال
يا واحد العصر ما بلدة * محاسنها فى الورى تذكر
يجى ما يرادف تصحيفها * وحقك أربعة أشهر
ومن الغريب ما نقل عن الفقيه عمارة اليمنى الشاعر انه مر بمصلوب فقال
ومد على صليب الصلب منه * يمينا لا تطول الى الشمال
ونكس رأسه لعتاب قلب * دعاه الى الغواية والضلال
فلم يمض ثلاثة أيام حتى صلب بين القصرين مع الجماعة الغرماء وكان الفقيه نجم الدين عمارة أديبا ماهرا فقيها شافعى المذهب من أهل السنة قدم فى دولة الفاطميين الى الديار المصرية وصاحبها يومئذ الفائز بن الظافر ووزيره الصالح بن رزيك فكان عنده فى أكرم محل وأعز جانب واتحد به على ما كان بينهما من الاختلاف فى العقيدة ثم رحل الى اليمن وعاد الى مصر وأقام بها

الى أن زالت دولة الفاطميين على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ورثى أهل القصر بقصيدته التي أولها

رميت يا دهر كف المجد بالشلل * وجيده بعد حسن الحلى بالعطل

ومنها

قدمت مصر فأولتني خلائفها * من المكارم ما أربى على الأمل
قوم عرفت بهم كسب الألوف ومن * تمامها أنها جاءت ولم أسل
بالأمس في هوى أبناء فاطمة * لك الملامة ان قصرت في عذل
بالله زر ساحة القصرين وابك معي * عليهما لا على صفين والجمل
ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة * بنسل آل أمير المؤمنين على

وهي طويلة في غاية الحسن فلما بلغت السلطان صلاح الدين تغير عليه (وقيل) انه استفتى عليه في قوله من قصيدته الميمية

وكان مبدأ هذا الامر من رجل * سعى فأصبح يدعى سيد الأمم

فأفتى الفقهاء بقتله وقالوا ان هذا الكلام رأى الفلاسفة في النبوات وانها بالتكسب وهي احدى المسائل التي كفروا بها والصحيح انه يجتبي من رسله من يشاء ولم يكن أحد من الانبياء عنده شعور بانه يكون نبيا بعد نبيا والذي يظهر ان هذا مفتعل على الفقيه عمارة نظمه بعض أعدائه على لسانه ودسه في تلك القصيدة ومما يبعد ان القاضي الفاضل رحمه الله كان له ميل الى هلاكه لانه لما استشاره السلطان صلاح الدين في ضربه قال الكلب يسكت ثم ينبح قال فيسجن قال يرجى له الخلاص قال فيقتل قال كذا الملوك اذا أرادوا شيئا فعلوه ونهض فأمر بصلبه مع الغرماء فلما أمسكوه مروا به على باب الفاضل فلما رآه مقبلا قام ودخل الى بيته وأغلق الباب فقال الفقيه عمارة

عبد الرحيم قد احتجب * ان الخلاص من العجب

(نكتة أدبية) قال ابن سناء الملك من ابيات

سلبني وهذا الحسن باق فربما * يعزل بيت الحسن منه ويكنس

فوقف القاضي الفاضل رحمه الله على هذه القصيدة وكتب الى ابن سناء الملك من جملة فصل وما قلت هذه الغاية الا وتعلقي انها البداية ولا قلت هذا البيت آية القصيدة الا وتلا ما بعده وما ثم من آية أفسحر هذا أم انتم لا تبصرون ولا عيب في هذه المحاسن الا قصور الافهام وتقصير الانام والا فقد لهج الناس بما تحتها ودونوا ما دونها والقصيدة فائقة في حسنها بديعة في فنها ولكن بيت يعزل ويكنس اردت ان اكنسه من القصيدة فان لفظة الكنس غير لائقة بمكانها انتهى فأجاب ابن سناء الملك قائلا قد علم المملوك ما نبه عليه مولانا من أمر البيت الذي أراد ان يكنسه من القصيدة وقد كان المملوك مشغوفا بهذا البيت مستحليا له معجبا به معتقدا ان قافية بيته أميرة ذلك الشعر وسيدة قوافيه وما اوقعه في الكنس الا ابن المعتز حيث يقول

وقوامي مثل القناة من الخط * وخدي من لحيتي مكنوس

والمولى يعلم ان المملوك لم يزل يجري خلف هذا الرجل ويتعثر ويطلب مطالبه فتتعسر عليه

وتعذر وما مال المملوك الا الى طريق من سلكه الطبع ولا سار الا الى من له عليه سمعة
ورأى المملوك اباعبادة قد قال

ويا عاذلي في عبرة قد سفحتها * لبين واخرى قبلها للتجنب
تحاول مني شيمة غير شيمتي * وتطلب مني مذهبا غير مذهبي

وقال

وما زارني الاولهت صبابة * اليه والاقلت أهلا ومرحبا

فعلم المملوك ان هذه طريقة لا تسلك وعقبة لا تملك وغاية لا تدرك ووجد المملوك اباتمام قد قال

* سلم على الربع من سلمى بذي سلم * ووجدته أيضا قد قال

* خشنت عليه اخت بني خشين * فاشمأز من هذا اللفظ طبعه واقشعر منه فهمه ونبا عنه ذوقه وكان سمعه يمجه ولا يكاد يسيغه ووجد هذا المبدع السيد عبد الله بن المعتز قد قال

وقفت بالربع أشكو فقد مشبهه * حتى بكت بدموعي اعين الزهر
لو لم اعرها دموع العين تسفحها * لرحمتي لاستعارتها من المطر

وقد قال

قدك غصن لا شك فيه كما * وجهك شمس نهاره جسدك

فوجد المملوك طبعه الى هذا الامر مائلا وخاطره في بعض الاحيان عليه سائلا فنسج على هذا الاسلوب وغلب على خاطره مع علمه انه المغلوب وحبك الشئ يعمي ويصم فقصد أعماه حبه وأصمه الى ان نظم تلك اللفظة في تلك الابيات تقليدا لابن المعتز قائلها وحمل أثقالها وهي زلة تغتفر في جنب حسناته وأما المملوك فهي عورة ظهرت من ابياته (فأجابه الفاضل بقوله) ولا حجة فيما احتجه بابن المعتز عن المكنس في بيته فانه غير معصوم من الغلط ولا يقلد الا في الصواب فقط وقد علم ما ذكره ابن رشيق في العمدة من تهافت طبعه وتباين صنعه ومخالفة وضعه فذكر من محاسنه ما لا يعلق معه كاب ومن بارده وغثه ما لا تلبس عليه الثياب وقد تعصب القاضي السعيد على أبي تمام فنقصه حظه وأما البحتري فأعطاه اكثر من حقه وقال

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى * فؤادي ولكن للعتاب مواضع

(قال الشيخ صلاح الدين الصفدي) لما وقف على هذا الفصل رأيت ابن سناء الملك استعمل هذه اللفظة في غير هذا الموضع ولم يتعظ بنهي الفاضل ولا ارعوى ولا ازدجر عما قبحه بل غلب عليه الهوى فقال

وخلصني من يدي عشقه * ظلام على خده حندسة
كنست فؤادي من حبه * ولحيته كانت المكنسه

(قلت) ما برح الشيخ صلاح الدين غفر الله له يذوق تقليدا كقوله عن ابن سناء الملك لما استعمل في هذه الصيغة المشتملة على الهجو بشاعة المكنسة ولم يتعظ بنهي الفاضل ولا ارعوى ولا ازدجر عما قبحه بل غلب عليه الهوى (أما نقد الفاضل) على ابن سناء الملك بوضع المكنسة على وجنة معشوقته التي ليس للعذار بوجنتها شعور فنقد صحيح (وأما) وضع مكنسة اللحية على وجنة من طلعت لحيته وكان جائرا على عاشقه وسبكها هنا في قالب الهجو فهو نوع من المرقص

والمطرب ولو وقف الفاضل على هذه المكنسة لاعدها الاساءة انتهى (ومن لطائف المنقول) ماحكى عن الشيخ مجد الدين بن دقيق العيد والد قاضى القضاة تقى الدين تغمدهما الله برحمته ورضوانه وهو ان الشيخ مجد الدين المشار اليه كان كثير الاحسان الى اصحابه يسعى لهم على قدر استحقاقهم فيمن يصلح للحكم وفيمن يصلح للعدالة فجاءه بعض طلبته وشكا اليه رقة الحال وكثرة الضرورة فقال له اكتب قصتك وانا أتحدث مع الولد فكتب ذلك الطالب المملوك فلان يقبل الارض وينهى انه فقير ومظرور بالظاء القائمة وقليل الحظ بالضاد وناولها للشيخ فلما قرأها تبسم وقال يا فقير سبحان الله ضرك قائم وحظك ساقط انتهى (ومن لطائف المنقول عن قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان رحمه الله) أنه كان يهوى بعض أولاد الملوك وله فيه الاشعار الرائقة يقال ان أول يوم زاره بسط له الطرحة وقال ماعندى اعز من هذه طأ عليها ولما فشا امرهما وعلم به اهله منعوه من الركوب فكتب اليه

يا سادتى انى قنعت وحقكم * فى حبكم منكم بأيسر مطلب
ان لم تجودوا بالوصال تعطفا * ورأيتم هجرى وفرط تجنبى
لا تمنعوا عينى القريحة ان ترى * يوم الخميس جمالكم فى الموكب
لو كنت تعلم يا حبيبى ما الذى * ألقاه من كمد اذا لم تركب
لرحمتنى ورثيت لى من حالة * لولاك لم يك حملها من مذهبى
قسما بوجهك وهو بدر طالع * وبليل طرتك التى كالغيهب
وبقامة لك كالقضيب ركبت من * أخطارها فى الحب أصعب مركب
لولم اكن فى رتبة ارعى لها الـ * عهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت سترى فى هواك ولذلى * خلع العذار ولج فيك مؤنبى
لكن خشيت بأن تقول عواذلى * قد جن هذا الشيخ فى هذا الصبى
فارحم فديتك حرقة قد قاربت * كشف القناع بحق ذيالك النبى

قال الشيخ جمال الدين بن عبد القادر التبريزى الذى يهواه القاضى شمس الدين بن خلكان رحمه الله الملك المسعود بن الملك الظاهر وكان قد تيمه حبه وكنت أنام عنده بالعادلية فتحدثنا فى بعض الليالى الى ان ذهب الناس فقال لى نم أنت ههنا وألقى على فروة قرظ وقام يدور حول بركة العادلية ويقول فى دوارنه

أنا والله هالك * آيس من سلامتى
أو أرى القامة التى * قد أقامت قيامتى

(وقيل) ان قاضى القضاة شمس الدين المشار اليه رحمه الله سأل بعض أهل دمشق المحروسة وكان المسؤل من خواص أصحابه عن ترجمته عند أهل دمشق واستعفاه من ذلك فألح عليه (فقال) أما العلم والفضل فهم مجمعون عليه وأما النسب فيدعون فيه الادعاء ويقولون ان مولانا يأكل الحشيش ويحب الغلمان (فقال) أما النسب والكذب فيه فهذا نوع من الهذيان ولو أردت ان انتسب الى العباس أو الى على بن طالب أو الى أحد من الصحابة لاجازوا ذلك وأما

www.dorat-ghawas.com

النسب الى قوم لم يبق منهم بقية وأصلهم فرس مجوس ففا فيه فائدة وأما الحشيشة فالكل ارتكاب محرم واذا كان ولا بد فكنت أشرب الخمر فانه الذ واما محبة الغلمان فانى غدا أجيبك عن المسئلة انتهى (ومما يناسب لطيفة قاضي القضاة شمس الدين ما نقلته من روض الجليس ونزهة الانيس) حكي عن سليمان بن محمد المهدى الصقلي (قال) كان بافريقية رجل نبيه شاعر وكان يهوي غلاما جميلا من غلمانها فاشتد كلفه به وكان الغلام يتجنى عليه ويعرض عنه كثيرا فبينما هو ذات ليلة وقد انفرد بنفسه ليشرب الخمر اذ ذكر محبوبه فجرى بخاطره ما يفعله به من التجني فزاد سكره وقام من الفور وقد غلب عليه سكر الغرام وسكر المدام فأخذ قبس نار وجعله عند باب الغلام ليحرق عليه داره فلما ادارت النار بالباب بادر الناس باطفائها واعتقلوه فلما أصبحوا اتوا به الى القاضي فاعلموه بفعله فقال له القاضي لاى شئ أحرقت باب هذا الغلام فأنشد على الفور

لما تمادى على بعادى * وأضرم النار فى فؤادى
ولم أجد من هواه بدا * ولا معينا على السهاد
حملت نفسي على وقوفى * ببابه وقفة الجواد
فطار من بعض نار قلبي * أقل فى الوصف من زناد
فاحرق الباب دون علمي * ولم يكن ذاك من مرادى

(قال) فاستظرف القاضي واقعته واستملح شعره ورق لحكايته حاله وتحمل عنه ما أفسده من باب الغلام وأطلقه (ومما يناسب هذه اللطائف) قيل انه رفع الى المأمون ان خائكا يعمل السنة كلها لا يتعطل فى عيد ولا جمعة فاذا ظهر الورد طوى عمله وغرد بصوت عال

طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحوا * مادام للورد ازهار ونوار

فاذا شرب مع ندمائه على الورد غنى

اشرب على الورد من حمراء صافية * شهرا وعشرا وخمسا بعدها عددا

ولا يزالون فى صبوح وغبوق ما بقيت وردة فاذا انقضى الورد عاد الى عمله وغرد بصوت عال

فان يبقني ربي الى الورد أصطبح * وان مت والهفي على الورد والخمر
سألت اله العرش جل جلاله * يواصل قلبي فى غبوق الى الحشر

(فقال) المأمون لقد نظر هذا الرجل الى الورد بعين جليلة فينبغي ان نعينه على هذه المروءة فامر ان يدفع له فى كل سنة عشرة آلاف درهم فى زمن الورد (ومن اللطائف ما حكى عن مجير الدين الخياط الدمشقي) قيل انه كان يهوى غلاما من أولاد الجند فشرب مجير الدين فى بعض الليالى وسكر فوقع فى الطريق فمر الغلام عليه بشمعة وهو راكب فرآه فى الليل مطروحا على الطريق فوقع عليه بالشمعة ونزل فاقعده ومسح وجهه فسقط من الشمعة نقطة على وجهه ففتح عينيه فرأى محبوبه على رأسه فاستيقظ وأنشد

يا محرقا بالنار وجه محبه * مهلا فان مدامعي تطفيه
أحرق بها جسدى وكل جوارحى * واحذر على قلبي فانك فيه

(ومن اللطائف ما حكاه الاصمعي) قال مررت بكناس يكنس كنيفا وهو يغني ويقول

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فقلت له اما سداد الثغر فلا علم لنا كيف أنت فيه وأما سداد الكنيف فمعلوم قال الاصمعي وكنت حديث السن فاردت العبث به فاعرض عني مليا ثم أقبل علي وأنشد

واكرم نفسي انني ان أهنتها * وحقك لم تكرم على أحد بعدي

فقلت وأي كرامة حصلت لها منك وما يكون من الهوان أكثر مما أهنتها به فقال بل لا والله من الهوان ما هو اكثر وأعظم مما أنا فيه فقلت له وما هو فقال الحاجة اليك والى أمثالك فقال فانصرفت وأنا أخزى الناس ذكرت بقول الكناس غريم الاصمعي ما يضارع ذلك أعني قوله

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

(قيل) انه كان لابي حنيفة رضي الله عنه جار اسكاف بالكوفة يعمل نهاره أجمع فاذا جنه الليل رجع الى منزله بلحم وسمك فيطبخ اللحم ويشوي السمك فاذا دب فيه السكر أنشد

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

ولا يزال يشرب ويردد البيت الى أن يغلبه السكر وينام وكان الامام أبو حنيفة يصلي الليل كله ويسمع حديثه وانشاده ففقد صوته بعض الليالي فسأل عنه فقيل أخذه العسس منذ ثلاثة أيام وهو محبوس فصلى الامام الفجر وركب بغلته ومشى واستأذن على الامير فقال ائذنوا له واقبلوا به راكبا حتى يطأ البساط فلما دخل على الامير أجلسه مكانه وقال ما حاجة الامام فقال لي جار اسكاف أخذه العسس منذ ثلاثة أيام فتأمر بتخليته فقال نعم وكل من أخذ تلك الليلة الى يومنا هذا ثم أمر بتخليته وتخليتهم أجمعين فركب الامام وتبعه جاره الاسكاف فلما وصل الى داره قال له الامام أبو حنيفة أترانا أضعناك قال لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا عن صحبة الجوار ورعايته ولله علي أن لا أشرب بعدها خمرا فتاب من يومه ولم يعد الى ما كان عليه انتهى

(ومما يناسب هذه اللطائف) ما ذكره الحريري في كتابه الموسوم بتوشيح البيان نقل أن أحمد ابن المعدل كان يجد بأخيه عبد الصمد وجدا عظيما على تباين طريقيهما لان أحمد كان صواما قواما وكان عبد الصمد سكيرا خمريا وكانا يسكنان دارا واحدة ينزل أحمد في غرفة أعلاها وعبد الصمد في أسفلها فدعا عبد الصمد ليلة جماعة من ندمائه وأخذ في القصف والعزف حتى منعوا أحمد الورد ونغصوا عليه التهجد فاطلع عليهم وقال أفأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض فرفع عبد الصمد رأسه وقال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (وذكرت بهذا الاقتباس الذي خلب القلوب هنا بحسن موقعه اقتباسا خلب قلوب الناس لعظم موقعه وما ذاك الا أن الحاكم الفاطمي على ما ذكر لما بنى المسجد الجامع بالقاهرة المعزية المجاور لباب الفتوح قيل انه فسد حاله في آخر أمره وادعى الالهية وكتب بسم الحاكم الرحمن الرحيم وجمع الناس الى الايمان به وبذل لهم نفائس وكان ذلك في فصل الصيف والذباب يتراكم على الحاكم والخدام تدفعه ولا يندفع فقرأ في ذلك الوقت بعض القراء وكان حسن الصوت يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان

يسلبهم

يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ماقدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز فاضطربت الامة لعظم وقوع هذه الآية الشريفة في حكاية الحال حتى كان الله أنزلها تكذيبا لها كم فيما ادعاه وسقط الحاكم من فوق سريره خوفا من أن يقتل وولى هاربا وأخذ في استجلاب ذلك الرجل الى أن اطمأن اليه فجهزه رسولا الى بعض الجزائر وأمر باغراقه وروى بعد ذلك في المنام فقيل له ما وجدت فقال ما قصر معي صاحب السفينة أرسي بي على باب الجنة (ومن الاقتباسات التي وقعت للمتأخرين في أحسن المواقع المتعلقة بحكاية الحال) ما سمعت وشهدت حكاية حاله بالجامع الاموي وما ذاك الا أن قاضي القضاة علاء الدين أبي البقاء الشافعي رحمه الله تعالى كان قد عزل من وظيفته قضاء القضاة بدمشق المحروسة فعاد الى وظيفته وألبس التشريف من قلعة دمشق وحضر الى الجامع على العادة ومعه أخوه قاضي القضاة بدر الدين الشافعي بالديار المصرية فاستفتح الشيخ معين الدين الضرير المقرى وقرأ قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا الى آخر الآية فحصل بالجامع الاموي ترنم صفق له النسر بجناحيه (وروى المرزبان) باسناده أن المجنون خرج مع أصحاب له يمتار من وادي القرى فمر بجبلي نعمان فقالوا ان هذين جبلا نعمان وقد كانت ليلى تنزلهما قال فاى ريح تهب من نحو ارضها الى هذا المكان فقالوا الصبا فقال والله لا أبرح حتى تهب الصبا فأقام في ناحية من الجبل ومضوا فامتاروا والمولهم ثم أتوا فحبسهم حتى هبت الصبا ورحل معهم وفي ذلك يقول

أيا جبلي نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيمها
أجد بردها أو تشف مني حرارة * على كبد لم يبق الا صميمها
فان الصبا ريح اذا ما تنسمت * على نفس مهموم تجلت همومها

وضمن البيت الاول الشيخ صفي الدين الحلي في مليح اسمه نعمان فقال

أقول وقد عانقت نعمان ليلة * بنور محياه انا رأديمها
وقد أرسلت الباه نحوي فسوة * بروح كرب المستهام شميمها
أيا جبلي نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيمها

وكان لابن الجوزي رحمه الله تعالى زوجة اسمها نسيم الصبا فاتفق انه طلقها فحصل له عند ذلك ندم وهيام أشرف منه على التلف فحضرت في بعض الايام مجلس وعظه فحين رآها عرفها فاتفق انه جاء امرأتان وجلستا امامه فحجبتاها عنه فانشد في الحال

أيا جبلي نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيمها

قلت وعلى ذكر نعمان والكناية عنه فما ألطف ما ذكره الشيخ بدر الدين حسن بن زفر الطبيب الاربلي في كتابه روضة الجليس ونزهة الانيس وهو أن بعض الرؤساء قال أخبرني بعض الاصحاب قال كنت يوما جالسا عند صديق لي بالموصل اذ جاءه كتاب من بغداد من صديق له وفيه تشوق وفيه عتاب بهذا البيت

تناسيتم العهد القديم كأننا * على جبلي نعمان لن نتجمعا

فأحذ يستحسن هذا البيت ويهتز له فقلت بالله عليك أسألك شيأ لا تخفه قال سل قلت هذه معشوقتك صاحبة هذا الكتاب هل كنت تأتيها من وراء الدار فقال اى والله ومن أين علمت ذلك فقلت من البيت لانه اذكر نك فيه بجبلى نعمان وهما كناية عند الظرفاء من أهل الادب عن جانبى الكفل للمليح والمليحة فقال والله ما أدركت ما أدركت (ونقلت من اللطائف المسبوكة فى قالب التورية) ان بعض الكتاب دخل يسلم على بعض فضلاء النحاة وكان من أصحابه فوجده قائما ملوطا بأحد الغلمان الملاح من طلبته فى قراءة النحو ولم يره الغلام فجلس النحوى فى مكانه وبقى الغلام واقفا مبهوتا فقال الكاتب للنحوى مالى أرى هذا الغلام واقفا فقال النحوى وقع عليه الفعل فانتصب (ومثل ذلك قصة ابن عنين مع الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل) لما كتب اليه فى مرضه

انظر الى بعين مولى لم يزل * يولى الندى وتلاف قبل تلاقى
أنا كالذى احتاج ما تحتاجه * فاغنم دعائى والثناء الواقى

فحضر اليه المعظم بنفسه ومعه ثلثمائة دينار وقال له أنت الذى وأنا العائد وهذه الصلة وظرف من قال

وذى أدب بارع نكته * وأوجلت فيه قد اعنف
فقلت فديتك أعصر عليه * ففيه اللذاذة لو تعترف
فقال أجدت ولكن لحنت * لقولك أعصر بفتح الالف
فقلت لك الويل من أحمق * فقال وأحمق لا ينصرف

(وأظرف منه قول الحسين بن الريان)

أتيت حانة خمار وصاحبها * مماجن متقن للنحو ذو لسن
وحوله كل هيفاء منعمة * وكل علق رشيق أهيف حسن
فقال لى اذ رأى عينى قد انصرفت * الى النساء كلام الحاذق الفطن
أنث وركب وصف واعدل بمعرفة * واجمع وزد واسترح من عجمة وزن

(ومثله) ما حكى أن بعض الفقراء وقف على باب نحوى فقرعه فقال النحوى من بالباب فقال سائل فقال ينصرف فقال اسمى أحمد فقال النحوى لغلامه اعط سيبويه كسرة (ومثله قول ابن عنين)

شكا ابن المؤيد من عزله * وذم الزمان وأبدى السفه
فقلت له لا تذم الزمان * فتظلم أيامه المنصفة
ولا تعجبن اذا ما صرفت * فلا عدل فيك ولا معرفه

(وألطف منه قول القائل)

ورفيع أراد أن يعرف النحو بزى العيار لا المستفتى
قال لى لست تعرف النحو مثلى * قلت سلنى عنه أجب فى الوقت
قال ما المبتدا وما الخبر المجرور أوجز فقلت دقنك فى استى

(وأحسن منه وأبدع قول الشيخ زين الدين بن الوردى)

وشادن يسألنى * ما المبتدا والخبر

مثله مالي مسرعا * فقلت أنت القمر

(ومن النكت المسبوكة في قالب التورية أيضا) ما قيل ان شهاب الدين القوصي حضر عند الملك الاشرف وقد دخل اليه سعد الدين الحكيم فقال الملك الاشرف لشهاب الدين ما تقول في سعد الدين الحكيم فقال يا مولانا السلطان اذا كان بين يديك فهو سعد الدين وعلى السماط سعد بلع وفي الخباء عن الضيوف سعد الاخبية وعند مرض المسلمين سعد الذابح قال فضحك الملك الاشرف واستحسن اتفاقه البديعي (وأبدع منه في هذا الباب ما نقل عن الشيخ نظام الدين قيس) قيل انه اتى الصاحب عز الدين عبد العزيز بن منصور فسأله الصاحب عن حاله فقال

حال متى علم ابن منصور بها * جاء الزمان الي منها تائبا

(قلت) ان نظام الدين أحق من أبي الطيب بهذا البيت (ومن النكت بالتورية أيضا) قيل ان بعض الماجنات أرادت السفر فلقيها بعض المجان فقال لها خذي معك هذا الكتاب وأشار الى ذكره فقالت له على الفور ان لم ألق أملك أعطه أختك (ومثل ذلك) ان الشيخ بدر الدين بن الصاحب لقي شخصا ومعه ماجنان فقال ما اسمك فقال عبد الواحد فقال اخرج منهما فاناه بعد الاثنين (ومثله) ان ابن نقيلة المغني مرض وأشرف على الموت فجاء اليه ابن الصاحب يعوده فقال له كيف حال النقيلية فقال ما أخوفني أن أصير مدفونة (ومثله) ان بعض المجان رأى امرأة حاملة سرموجة فقال لها مني زوجك حملك تركاشه فقالت له رح لا أرميك منه بفردة (ومثله) ان بعضهم رأى امرأة حاملة فردة سقمان لتخيطه فقال لها اعتقي هذا الغراب فقالت له رح لا أسيبه ينقرك (ومثله) ان الشيخ بدر الدين المذكور أولا حضر الى مجلس قاضي القضاة ناصر الدين المالكي فذكروا محاسن القاضي محب الدين ناظر الجيشين وحسن اخلاقه ثم ذكروا محاسن الشعر فانشد قاضي القضاة

فكم أب قد علا بابن ذرى شرف * كما علت برسول الله عدنان

فكل من الجماعة أثنى على هذا البيت فقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب والقاضي محب الدين محب هذا البيت نظر بواله (ومما وقع له بذلك المجلس) انه لما قدم المشروب على العادة كان قد تولى السقيا مملوك له اسمه بكتمر فلما شرب الشيخ بدر الدين قال له قاضي القضاة ما تقول يا شيخ قال رأيت ملك العلماء بكتمر الساقي (ومثله) ان الصاحب بن سكر ارادقارتا بقرأ بالمدرسة التي انشأها بالقاهرة فاختار والهورجلين أحدهما اسمه زيادة والآخر مرتضي فوقع في ظهر القصة مرتضي زيادة وزيادة مرتضي (ومثله) ان ابا الحسن الجزار جاء الى باب الصاحب زين الدين بن الزبير فاذن للناس في الدخول ولم يؤذن له فكتب في ورقة

الناس كلهم كالابر قد دخلوا * والعبد مثل الخصي ما بقي على الباب

فلما قرأها ابن الزبير قال لحاجبه اخرج الى الباب وقل يا خصي ادخل فدخل ابو الحسين وهو يقول هذا دليل على السعة (ومن التنكيت والحشمة بالتورية) ان الشيخ صلاح الدين الصفدي قال أخبرني الشيخ فتح الدين بن سيد الناس بالقاهرة قال قلت للشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ان بهاء الدين بن النحاس يرجح ابا تمام على المتنبي لما رأيك انت فسكت فقلت ثانيا فقال

www.dorat-ghawas.com

كنت كذا في الاول قال الشيخ صلاح الدين ولما حكيت للشيخ جمال الدين بن نباتة قال انا على رأى ابن دقيق العيد قال الشيخ صلاح الدين وممن رأيته يعظم ابا تمام شيخنا اثير الدين ويوجه على المتنبي فعذلناه في ذلك فقال أنا ما أسمع عذلا في حبيب اه (ونقلت) من خط الصاحب فخر الدين بن مكانس رحمه الله قال سافرت سنة احدى وستين وسبعمائة مع الصاحب فخر الدين ابن قزوينة الى دمشق المحروسة وقد ولي نظر مملكتها ووالدي رحمه الله اقتاءها وكان له دوادار يسمى صبيحا وهو من عتقاء جده الوزير أمين الدين بن الغنام وكان لطيفا كثير النوادر فاتفق ان جمال الدين بن الرهاوي موقع دست الوزارة ركب يوما فتقنطر به الفرس وداس على رأس احليله فحمل الى داره وأقام أياما الى ان عوفي وحضر مجلس الوزارة وهو غاص بالناس فقال الصاحب ماسبب تأخرك فقال تقنطر بي الفرس وداس رأس احليلي فكدت أموت والآن فقد لطف الله تعالى وحصل البرء والشفاء فقال له صبيح الحمد لله على سلامة الخصى فانقلب المجلس ضحكا وخجل ابن الرهاوي وانصرف (وحكى) ان بعض الرؤساء كان له خادم وعبد فدخل يوما فوجد العبد فوق الخادم فضربه وخرج فرأى بعض أصدقائه فسأله عن غيظه فقال هذا العبد النحس فعل بالخويدم الصغير فقال بل مولانا السيد الكبير فخجل منه وابرزها في قالب المجون (وأنشد ابن الجوزي في بعض مجالس وعظه)

أصبحت ألطف من مر النسيم على * زهر الرياض يكاد الوهم يؤلمني
من كل معنى لطيف اجتلي قدحا * وكل ناطقة في الكون تطربني

فقام اليه انسان فقال ياسيدي الشيخ فان كان الناطق حمارا فقال أقول له ياحمار اسكت (ويعجبني قول برهان الدين القيراطي)

صاح هذي قباب طيبة لاحت * وفؤادي على اللقاء حريص
وتبدت نخيلها للمطايا * فعيون المطى للنخل خوص

(ويطربني ما حكاه أبو الفوارس بن اسرائيل الدمشقي) قال كنت يوما عند السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فحضر رسول صاحب المدينة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ومعه قود وهدايا فلما جلس اخرج من كمه مروحة بيضاء عليها سطران بالسعف الاحمر وقال الشريف يخدم مولانا السلطان ويقول هذه المروحة مارأى مولانا السلطان ولا أحد من بني أيوب مثلها فاستشاط السلطان صلاح الدين غضبا فقال الرسول يامولانا السلطان لا تعجل قبل تأملها وكان السلطان صلاح الدين ملكا حليما فتأملها فاذا عليها مكتوب

انا من نخلة تجاور قبرا * ساد من فيه سائر الناس طرا
شملتني عناية القبر حتى * صرت في راحة ابن أيوب أقرى

واذا هي من خوص النخل الذي في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فقبلها السلطان صلاح الدين ووضعها على رأسه وقال لرسول صاحب المدينة النبوية صدقت فيما قلته من تعظيم هذه المروحة (وأحسن ما سمع فيها) قول عرقلة الدمشقي

ومحبوبة في القيظ لم تخل من يد * وفي القرّ تسلوها أكف الحبائب

اذا ما الهوى المقصور هيج عاشقا * أتى بالهوى الممدود من كل جانب

وقال غيره وأجاد

ومروحة أهدت الى النفس روحها * لدى القيظ مبثوثا باهداء ريحها

روينا عن الريح الشمال حديثها * على ضعفه مستخرجا من صحيحها

(نقل الحافظ اليغمرى) ان أبا نصر المنازى واسمه أحمد بن يوسف دخل على أبى العلاء المعرى فى جماعة من أهل الادب فانشد كل واحد منهم من شعره ما تيسر فانشده أبو نصر

وقانا لفحة الرمضاء واد * سقاه مضاعف الغيث العميم

نزلنا دوحه فحنا علينا * حنو الوالدات على الفطيم

وأرشفنا على ظمأ زلالا * الذمن المدامة للنديم

يصد الشمس انى واجهتنا * فيحجبها و يأذن للنسيم

تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

فقال أبو العلاء أنت أشعر من بالشأم ثم رحل أبو العلاء الى بغداد فدخل المنازى عليه فى جماعة من أهل الادب ببغداد وأبو العلاء لا يعرف منهم أحدا فانشد كل واحد ما حضره من شعره حتى جاءت نوبة المنازى فأنشد

لقد عرض الحمام لنا بسجع * اذا أصغى له ركب تلاحى

شجى قلب الخلى فقيل غنى * وبرح بالشجى فقيل ناحا

وكم للشوق فى أحشاء صب * اذا اندملت أجدلها جراحا

ضعيف الصبر عنك وان تقاوى * وسكران الفؤاد وان تصاحى

بذاك بنو الهوى سكرى صحاة * كاحداق المها مرضى صحاحا

(فقال أبو العلاء) ومن بالعراق عطفا على قوله ومن بالشأم انتهى (نادرة) مشى البيدق اليزيدى مع شاب موسوم بالجمال فقال له شمس الدين بن المنجم الشاعر أراك يا بيدق تفرزنت حول هذه النفس فقال واذا كان فقال أخشى عليك من ذلك الرخ لا يقطعك من الحاشية ويرميك عن الفرس و يقطع عليك الرقعة ولو كان فى كفك الفيل (ومثله فى الظرف) ان بعض الاجناد كان كثير اللعب بالشطرنج وكان الجندى حليعا ظريفا فأعطاه الامير فى بعض الايام فرسا وقال له لا تفرط فيها فقال نعم و بعد ذلك التقاه الامير وهو لابس جوخة فقال و يلك أين الفرس فقال يا خوند ضربنى الشتاء شاه مات فتسترت بالفرس (و يعجبنى قول الشيخ بدر الدين ابن الصاحب)

تأمل ترى الشطرنج كالدهر دولة * نهارا وليلا ثم بؤسا وانعما

محركها باق وتفنى جميعها * ويعد الفناحيى وتبعث أعظما

قلت ويشبه هذا قول الفاضل وقد أخرج له السلطان الملك الناصر صلاح الدين من القصر من معانى الخيال أعنى خيال الظل ليفرجه عليه فقام الفاضل عند الشروع فى عمله فقال له الناصر ان كان حراما فما نحضره وكان حديث العهد بخدمته قبل ان يلى السلطنة فما أراد أن

يكذر عليه فقعد الى آخره فلما انقضى ذلك قال له الملك الناصر كيف رأيت ذلك قال رأيت موعظة عظيمة رأيت دولا تمضي ودولا تاتي ولما طوى الازار اذا المحرك واحد فاخرج به لاغنه هذا الجد في هذا الهزل انتهى (وللشيخ بدر الدين بن الصاحب مضمنا في الشطرنج)

أهمل لشطرنج أهل النهى * وأسلوه من ناقل الباطل
وكم رمت تهذيب لعابها * وتأبى الطباع على الناقل

(ويعجبني قول الشيخ عز الدين الموصلي حيث قال)

جاهل شطرنج ينادي وقد * أمات نفس اللعب من عكسه
ماتفعل الافعال في جاهل * مايفعل الجاهل في نفسه

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة)

أه به لاعب شطرنج قد اجتمعت * في شكله من معاني الحسن أشتات
عيناه منصوبة للقلب غالية * والخد فيه لقتل النفس شامات

﴿نادرة لطيفة﴾

حكي ان السراج الوراق جوزغ الاماله يوما ليبتاع له زيتا طيبا ليأكل به لفتا فاحضره وقلبه على اللفت فوجده زيتا حارا فانكر على الغلام ذلك وأخذه وجاء الى البياع وقال له لم تفعل مثل هذا فقال له والله ياسيدي مالي ذنب لانه قال أعطني زيتا للسراج انتهى (ومثله) ماحكاه الصاحب فخر الدين بن مكانس عن صاحبه سراج الدين القوصي انه كان حصل له طلوع في جسده فتردد اليه المزين وصنع له فتائل على العادة فقلت له يوما كيف الحال ياسراج الدين فقال كيف حال سراج فيه سبع فتائل (ورأيت له في ديوانه يداعب سراج الدين المذكور بقوله)

ياذا السراج اشتري ايرى فانت به * أولى وذلك للامر الذي وجبا
سكندري وتدعى بالسراج وذا * مثل المنار اذا ماقام وانتصبا

﴿نادرة لطيفة﴾

اجتمع محدث ونصراني في سفينة فصب النصراني من ركوة كانت معه في مشربة وشرب وصب وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة فقال النصراني جعلت فداك هذا خمر فقال من أين علمت أنها خمر قال اشتراها غلامي من خمار يهودي وحلف انها خمر عتيق فشربها بالعجلة وقال للنصراني أنت أحمق نحن أصحاب الحديث نروي عن الصحابة والتابعين افنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودي والله ماشربتها الا لضعف الاسناد

﴿نادرة لطيفة﴾

نظر طفيلي الى قوم ذاهبين فلم يشك انهم في دعوة ذاهبون الى وليمة فقام وتبعهم فاذاهم شعراء قد قصدوا السلطان بمدائح لهم فلما أنشد كل واحد شعره وأخذ جائزته لم يبق الا الطفيلي وهو جالس ساكت فقال له انشد شعرك فقال لست بشاعر قيل فمن أنت قال من الغاوين الذين قال الله تعالى في حقهم والشعراء يتبعهم الغاوون فضحك السلطان وأمر له بجائزة الشعراء

www.dorat-ghawas.com

﴿حكى الهيثم بن عدى﴾

قال ماشيت الامام أبا حنيفة رضي الله عنه في نفر من أصحابه الى عيادة مريض من أهل الكوفة وكان المريض بخيلا وتواصينا على أن نعرض بالغداء فلما دخلنا وقضينا حق العيادة قال بعضنا آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال فتمطى المريض وقال ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج فغمز أبو حنيفة أصحابه وقال قوموا فما لكم هنا من فرج انتهى

﴿ومن غرائب المنقول﴾

ان يحيى بن اسحق كان طبيبا حاذقا صانعا بيده وكان في صدر دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله واستوزره (نقل عنه) من حذقه انه أتى اليه بدوى على حمار وهو يصيح على باب داره أدركونى وكلموا الوزير بخبرى فلما دخل عليه قال ما بالك قال ورم باحليلى منعنى النوم منذ أيام وأنا في الموت فقال له اكشف عنه فاذا هو وارم فقال لرجل جاء معه احضر لى حجرا أملس فطلبه فوجده فقال له ضع عليه الاحليل فلما تمكن احليل الرجل على الحجر جمع الوزير يده وضرب الاحليل ضربة غشى على الرجل منها ثم اندفع الصديد يجرى فلما انقطع جريان الصديد فتح الرجل عينيه ثم بال في أثر ذلك فقال له اذهب فقد برأت علتك وأنت رجل عابث وافعت بهيمة في دبرها فصادفت شعيرة من علفها الحبت في عين الاحليل فورم لها وقد خرجت في الصديد فقال له الرجل قد فعلت ذلك وهذا يدل على الحذق المفرط (ومثله) ان ابن جميع الاسرائيلى كان من الاطباء المشهورين والعلماء المذكورين نخدم سلطان مصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وحظى في أيامه وكان رفيع المنزلة نافذ الامر (ومما نقل) عنه من حذقه انه كان جالسا في دكان وقد مرت عليه جنازة فلما نظر اليها صاح يا أهل الميت ان صاحبكم لم يمت ولا يحل ان تدفنوه حيا فقال بعضهم لبعض هذا الذى يقوله لا يضرنا وبتعين أن نمتحنه فان كان حيا فهو المراد وان لم يكن حيا فما يتغير علينا شئ فاستدعوه اليهم وقالوا بين لنا ما قلت فأمرهم بالعود الى البيت وان ينزعوا أكفانه فلما فرغوا من ذلك أدخله الحمام وسكب عليه الماء الحار وأحمى بدنه ونطله فظهر فيه أدنى حس وتحرك حركة خفيفة فقال ابشروا بعافيته ثم تمم علاجه الى أن أفاق وصاح فكان ذلك مبدأ اشتهاره بشدة الحذق والعلم ثم انه سئل بعد ذلك ومن أين علمت ان في ذلك الميت بقية روح وهو في الاكفان محمول فقال نظرت الى قدميه فوجدتهما قائمتين وأقدام الموتى منبسطة فحدست انه حى وكان حدسى صائبا

﴿نادرة لطيفة﴾

قيل ان المنصور بن أبى عامر الاندلسى كان اذا قصد غزاة عقد لواءه بجامع قرطبة ولم يسر الى الغزاة الا من الجامع فاتفق انه في بعض حركاته للغزاة توجه الى الجامع لعقد اللواء فاجتمع عنده القضاة والعلماء وأرباب الدولة فرفع حامل اللواء اللواء فصادف ثريا من قناديل الجامع فانكسرت على اللواء وتبدد عليه الزيت فتطير الحاضرون من ذلك وتغير وجه المنصور فقال رجل ابشر يا أمير المؤمنين بغزاة هينة وغنيمة سارة فقد بلغت اعلامك الثريا وسقاها الله من

شجرة مباركة فاستحسن المنصور ذلك واستبشر به وكانت الغزوة من أبرك الغزوات (ومثل هذا) لما خرج المنصور العباسي الى قتال أبي يزيد الخارجي في جماعة من الاولياء وواجه الحصن سقط الرمح من يده فاخذه بعض الاولياء فمسحه وقال

فالقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

قال فضحك المنصور وقال لم لا قلت فألقى موسى عصاه فقال يا أمير المؤمنين العبد تكلم بما عنده من اشارات المتأدبين وتكلم أمير المؤمنين بما أنزل على النبي من كلام رب العالمين فكان الامر على ما ذكره وأخذ الحصن وحصل الظفر بأبي يزيد (حكى أن الشيخ شهاب الدين بن محمود) قال عدت قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في دمشق بالمدرسة النجيبية سنة احدى وثمانين وستمائة فأنشدني لبعض أهل الادب في نقيب الاشراف بالمدائن رثاء خلب قلبي وهو يقول

قد قلت للرجل المولى غسله * هلا أطاع وكنت من نصحائه
جنبه ماءك ثم غسله بما * اذرت عيون المجد عند بكائه
وأزل أناوية الحنوط ونحها * عنه وحنطه بطيب ثنائه
ومر الملائكة الكرام بنقله * شرفا ألست تراهم بازائه
لا توه اعناق الرجال بحمله * يكفي الذي حملوه من نعمائه

قال الشيخ شهاب الدين فوقع في نفسي انه أحق الناس بهذا الرثاء وانه نعي نفسه فمات في ذلك الاسبوع برد الله مضجعه (نكتة لطيفة) قيل انه لما رجع الشيخ شهاب الدين السهروردي رحمه الله من الشام الى بغداد وجلس على عادته أخذ يقلل أحوال الناس ويهضم جانب الرجال ويقول انه ما بقي من يجاري وقد خلت الدنيا وأنشد

ما في الصحاب أخو وجد نطارحه * حديث نجد ولا خل نجاريه

فصاح من أطراف المجلس رجل عليه قباء وكاوتة فقال يا شيخ كم تنتقص بالقوم والله ان فيهم من لم يرض أن يجاريك وقصارك أن تفهم ما يقول هلا قلت

ما في الصحاب وقد سارت حمولهم * الا محب له في الركب محبوب
كانما يوسف في كل راحلة * والحي في كل بيت منه يعقوب

فصاح السهروردي ونزل عن الكرسي وطلب الشاب فلم يجده (حكى) عن ابن المطرزي الشاعر انه مر وفي رجله نعل بالية بالشريف الرضي فأمر باحضاره وقال انشدني أبياتك التي تقول فيها

اذا لم تبلغني اليك ركائبي * فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فانشده اياها فلما انتهى الى هذا البيت أشار الى نعله البالية وقال هذه كانت ركائبك فاطرق ابن المطرزي ساعة ثم قال لما عادت هبات مولانا الشريف الى مثل قوله

وخذ النوم من جفوني فاني * قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبي الى مثل ما ترى لانك خلعت ما لا تملك على من لا يقبل فخجل الشريف وقابله بما

يليق من الاكرام (قلت) وأما الاجوبة الهاشمية وبلاغتها فهي في المحل الارفع (فمن ذلك)
انه اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وعقبة بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة
فقالوا يا أمير المؤمنين ابعث لنا الى الحسن بن علي فقال لهم فيم فقالوا كي نوبخه ونعرفه ان أباه
قتل عثمان فقال لهم انكم لا تنتصفون منه ولا تقولون شيأ الا كذبكم الناس ولا يقول لكم
شيأ ببلاغته الا صدقه الناس فقالوا أرسل اليه فانا سنكفيك أمره فارسل اليه معاوية فلما
حضر قال يا حسن اني لم أرسل اليك ولكن هؤلاء ارسلوا اليك فاسمع مقالتهم واجب ولا
تخترمني فقال الحسن عليه السلام فليتكلموا ونسمع فقام عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى
عليه ثم قال هل تعلم يا حسن ان اباك أول من أثار الفتنة وطلب الملك فكيف رأيت صنع الله
به ثم قام الوليد بن عقبة بن أبي معيط فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا بني هاشم كنتم أصهار عثمان
ابن عفان فنعم الصهر كان يفضلكم ويقربكم ثم بغيتم عليه فقتلتموه ولقد أردنا يا حسن قتل
أبيك فانقذنا الله منه ولو قتلناه بعثمان ما كان علينا من الله ذنب ثم قام عقبة فقال تعلم يا حسن
ان أباك بغى على عثمان فقتله حسدا على الملك والدنيا فسلبهما ولقد أردنا قتل أبيك حتى قتله
الله تعالى ثم قام المغيرة بن شعبة فكان كلامه كله سبا لعلي وتعظيما لعثمان (فقام الحسن
عليه السلام) فحمد الله وأثنى عليه وقال بك ابدأ يا معاوية لم يشتمني هؤلاء ولكن أنت
تشتمني بغضا وعداوة وخلافا لجدي صلى الله عليه وسلم ثم التفت الى الناس وقال أنشدكم الله
أتعلمون ان الرجل الذي شتمه هؤلاء كان أول من آمن بالله وصلى للقبلتين وأنت يا معاوية
يومئذ كافر تشرك بالله وكان معه لواء النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ومع معاوية وأبيه لواء
المشركين ثم قال أنشدكم الله والاسلام أتعلمون ان معاوية كان يكتب الرسائل لجدي
صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه يوما فرجع الرسول وقال هو يأكل فرد الرسول اليه ثلاث مرات
كل ذلك وهو يقول هو يأكل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا اشبع الله بطنه اما تعرف ذلك في
بطنك يا معاوية ثم قال وأنشدكم الله أتعلمون ان معاوية كان يقود بأبيه على جمل
وأخوه هذا يسوقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الجمل وقائده وراكبه وسائقه
هذا كله لك يا معاوية وأما أنت يا عمرو فتنازع فيك خمسة من قريش فغلب عليك شبه ألأمهم
حسبا وشرهم منصبا ثم قمت وسط قريش فقلت اني شانئ محمدا فأنزل الله على نبيه ان شانئك هو
الابتر ثم هجوت محمدا صلى الله عليه وسلم بثلاثين بيتا من الشعر فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اني لا أحسن الشعر ولكن العن عمرو بن العاص بكل بيت لعنة ثم انطلقت الى
النجاشي بما علمت وعملت فاكذبك الله وردك خائبا فانت عدو بني هاشم في الجاهلية والاسلام
فلم نلمك على بغضك وأما أنت يا ابن أبي معيط فكيف الومك على سبك لعلي وقد جلد ظهرك في
الخمر ثمانين سوطا وقتل أباك صبرا بأمر جدي وقتله جدي بأمر ربي ولما قدمه للقتل قال من
للصبية يا محمد فقال لهم النار فلم يكن لكم عند النبي الا النار ولم يكن لكم عند علي غير السيف
والسوط وأما أنت يا عتبة فكيف تعد أحدا بالقتل لم لا قتلت الذي وجدته في فراشك مضاجعا
لزوجتك ثم امسكتها بعد أن بغت وأما أنت يا أعور ثقيف ففي أي ثلاث تسب عليا أفي بعده من

www.dorat-ghawas.com

رسول الله صلى الله عليه وسلم أم في حكم جائر أم في رغبة في الدنيا فان قلت شيأ من ذلك فقد كذبت وأكذبك الناس وان زعمت ان عليا قتل عثمان فقد كذبت وأكذبك الناس وأما وعيدك فانما مثلك كمثل بعوضة وقفت على نخلة فقالت لها استمسكي فاني أريد أن أطير فقالت لها النخلة ما علمت بوقوفك فكيف يشق على طيرانك وأنت فما شعرنا بعداوتك فكيف يشق علينا سبك ثم نفض ثيابه وقام فقال لهم معاوية ألم أقل لكم انكم لا تنتصفون منه فوالله لقد أظلم علي البيت حتى قام فليس فيكم بعد اليوم خير انتهى

(ومن غريب النقل)

ان شريك بن الاعور دخل على معاوية وهو يختال في مشيته فقال له معاوية والله انك لشريك وليس لله من شريك وانك ابن الاعور والصحيح خير من الاعور وانك لدميم والوسيم خير من الدميم فبم سودك قومك فقال له شريك والله انك لمعاوية وما معاوية الا كلبة عوت فاستعوت فسميت معاوية وانك ابن حرب والسلم خير من الحرب وانك ابن صخر والسهل خير من الصخر وانك ابن أمية وما أمية الا امة صغرت فسميت أمية فكيف صرت أمير المؤمنين فقال له معاوية أقسمت عليك الا ما خرجت عني (نكتة لطيفة) اتفق ان الملك المعظم عزم على الصيد فقال له بعض جماعته يا مولانا ان القمر في العقرب والسفر فيه مذموم والمصلحة أن تصبر الى أن ينزل القمر القوس فعزم على الصبر فبينما هو مفكر اذ دخل عليه مملوك له من أحسن الناس وجها فوقف أمامه وقد توشح بقوس فقال له بعض الحاضرين بالله يا مولانا اركب في هذه الساعة فهذا القمر قد حل في القوس حقيقة فقام لوقته وركب استبشارا بالقول فلم ير أطيب من تلك السفرة ولا أكثر من صيدها (ومن غرائب المنقول) ما حكى اسحق النديم عن أبيه قال استأذنت الرشيد أن يهب لي يوما من الجمعة لا نبعث فيه بجواري واخواني فاذن لي في يوم السبت وقال هو يوم استثقله فالهه فيه بما شئت قال فاقمت يوم السبت بمنزلي وتقدمت لاصلاح طعامي وشرابي وأمرت بوابي باغلاق الباب وأن لا يأذن لأحد من الناس فبينما أنا في مجلسي والحرم قد حففن بي اذا أنا بشيخ عليه هيبة وجمال وعلى رأسه قلنسوة وبيده عكازة مقمعة بالفضة وروائح الطيب تفوح منه فداخلني لدخوله علي مع ما قدمت من الوصية غيظ عظيم وهممت بطرد بوابي ومن يحجبني لاجله فسلم علي احسن سلام فرددت عليه وأمرته بالجلوس فجلس وأخذ في حديث الناس وأيام العرب وأشعارها حتى سكن ما بي فظننت أن غلماني قصدوا مسرتي بادخاله علي لظرفه وأدبه فقلت له هل لك في الطعام فقال لا حاجة لي به فقلت هل لك في الشراب فقال ذاك اليك قال فشربت رطلا وسقيته مثله فقال يا أبا اسحق هل لك في ان تغني ونسمع منك ما فقت به على العام والخاص قال فغاظني منه ذلك ثم سهلت الامر على نفسي وأخذت العود وضربت وغنيت فقال أحسنت يا ابراهيم فازددت غيظا وقلت ما رضي بما فعله حتى سماني باسمي ولم يحسن مخاطبتي ثم قال هل لك في ان تزيدنا ونكافئك قال فتذممت وأخذت العود فغنيت وتحفظت وقمت بما غنيته قياما تاما فطرب وقال أحسنت يا سيدي ثم قال أتأذن لعبدك في الغناء فقلت شأنك واستضعفت عقله كيف سولت له

نفسه

www.dorat-ghawas.com

نفسه ان يغني بحضرتي بعد ما سمعه مني فأخذ العود وجسه فوالله لقد خلته ينطق بلسان عربي واندفع يغني

ولي كبد مقروحة من يبيعني * بها كبدا ليست بذات قروح
أباها علي الناس لا يشترونها * ومن يشتري ذا علة بصحيح

قال ابراهيم فوالله لقد ظننت أن الحيطان والابواب وكل ما في البيت يجيبه ويغني معه وبقيت مبهوتا لا أستطيع الكلام ولا الحركة لما خالط قلبي ثم غني ألا يا حمامات اللوى الابيات فكاد يذهب عقلي طربا ثم قال يا ابراهيم خذ هذا الغناء وانح نحوه في غنائك وعلمه جواريك فسألته أن يعيد ما غناه فقال لم تحتج الى شيء من ذلك ثم غاب من بين عيني فارتعت وقمت الى السيف فجردته ثم غدوت نحو الابواب وقلت للجواري أي شيء سمعتن فقلن سمعنا أحسن غناء فخرجت متحيرا الى باب الدار فوجدته مغلقا فسألت البواب عن الشيخ فقال أي شيخ والله ما دخل اليك اليوم أحد من الناس فرجعت لا تأمل أمري فاذا به قد هتف من بعض جوانب الدار فقال لا بأس عليك يا أبا اسحق أنا ابليس وقد اخترت منادمتك في هذا اليوم فلا ترتاع فركبت على الفور الى الرشيد واتحفته بهذه الطرفة فقال ويحك اعتبر الاصوات التي أخذتها عنه فأخذت العود فاذا هي راسخة في صدري فطرب الرشيد وأمر لي بصلة وقال ليته امتعنا يوما واحدا كما أمتعك قال أبو الفرج الاصبهاني هكذا حدثنا ابن أبي الازهر وما أدري ما أقول فيه (ويضارع هذا ما اورده ابن خلكان في ترجمة ابن دريد) قال أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد سقطت من منزلي فانكسر بعض اعضائي فسهرت ليلتي فلما كان آخر الليل غمضت عيني فرأيت رجلا طويلا أصفر الوجه كوسجا دخل علي واخذ بعضادتي الباب وقال انشدني احسن ما قلت في الخمر فقلت ما ترك أبو نواس لاحد شيئا في هذا الباب فقال أنا اشعر منه فقلت ومن انت قال أبو ناجية من أهل الشام وانشدني

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * بدت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

فقلت له اسأت قال ولم قلت لانك قلت وحمراء فقدمت الحمرة ثم قلت نرجس وشقائق فقدمت الصفرة فقال ما هذا الاستقصاء في هذا الوقت يا بغيض وأبو ناجية من كنى ابليس قال قاضي القضاة شمس الدين محمد بن خلكان في تاريخه وفي رواية اخرى ان الشيخ أبا علي الفارسي قال انشدني ابن دريد هذين البيتين وقال جاءني ابليس في المنام ثم ذكر بقية الكلام الخ (ونقل ابن خلكان وغيره) ان ابا بكر بن قريعة قاضي السندية وغيرها من اعمال بغداد كان من عجائب الدنيا في سرعة البديهة بالاجوبة عن جميع ما يسئل عنه في أفصح لفظ وأملح سجع وكان مختصا بحضرة الوزير ابي محمد المهلبي ومنقطعا اليه وله مسائل واجوبة مدونة في ايدي الناس وكان رؤساء ذلك العصر والعلماء والفضلاء يداعبونه ويكتبون له المسائل الغريبة المضحكة فيكتب الاجوبة من غير توقف ولا يكتب الا مطابقا لما سألوه وكان الوزير المذكور يغري به جماعة يصنعون له المسائل الهزلية من معان شتى من النوادر (فمن ذلك) ما كتب اليه بعض الفضلاء على سبيل الامتحان ما يقول القاضي أيده الله تعالى في رجل سمى ولده مداما وكناه أبا الندامى

www.dorat-ghawas.com

وسمي ابنته الراح وكناها ام الافراح وسمي عبده الشراب وكناه أبا الاطراب وسمي وليدته
القهوة وكناها أم النشوة أينهى عن بطالته أم يؤدب على خلاعته (فكتب تحت السؤال) لو
نعت هذا لابي حنيفه لاقعده خليفه وعقد له رايه وقاتل تحتها من خالف رايه ولو علمنا مكانه لقبلنا
اركانه فان اتبع هذه الاسماء افعالا وهذه الكنى استعمالا علمنا انه احيا دولة المجون واقام
لواء ابنة الزرجون فبايعناه وشايعناه وان تكن اسماء سماها ماله بها من سلطان خلعنا طاعته
وفرقنا جماعته فنحن الى امام فعال احوج منا الى امام قوال (وكتب اليه العباس الكاتب)
مايقول القاضي وفقه الله تعالى في يهودي زنى بنصرانية فولدت له ولدا جسمه للبشر ووجهه للبقر
وقد قبض عليهما فما يرى القاضي فيهما (فكتب تحت سؤاله بديها) هذا من اكبر الشهود على
الملاعين اليهود فانهم أشربوا حب العجل في صدورهم حتى خرج من أيورهم وأرى ان يناط رأس
اليهودي برأس العجل ويصلب على عنق النصرانية الساق مع الرجل ويسحبان على الارض
وينادى عليهما ظلمات بعضها فوق بعض والسلام (نادرة لطيفة) لما خرج أبو جعفر المنصور
يريد الحج بالناس قال لعيسى بن موسى الهادي أنت تعلم ان الخلافة صائرة اليك واريد ان أسلم لك
عمي وعمك عبد الله بن علي فخذه واقتله واياك أن تخور في أمره ثم مضى المنصور الى الحج وكتب
اليه من الطريق يستحثه على ذلك فكتب اليه قد انفذت أمر أمير المؤمنين وكان الامر بخلاف
ذلك فلم يشك أبو جعفر انه قتله ودعا عيسى بن موسى كاتبه يونس فقال له ان المنصور دفع الي عمه
وأمرني بقتله فقال له يريد ان يقتلك به فانه أمرك بذلك سرا ويدعي به عليك علانية والرأى ان
تستره في منزلك ولا تطلع عليه أحدا فان طلبه منك علانية دفعته اليه علانية ولا تدفعه اليه
سرا ابدا ففعل ذلك وقدم المنصور فدس على عمومته من يحركهم ان يسألوا المنصور أن يهب
لهم أخاهم عبد الله ففعلوا ذلك وكلموه فأجاب وقال نعم علي بعيسى بن موسى فاتاه فقال يا عيسى
كنت دفعت اليك عمي وعمك عبد الله قبل خروجي الى الحج وأمرتك ان يكون في منزلك مكرما
قال قد فعلت ذلك قال قد كلمني فيه عمومتك فرأيت الصفح عنه فأتني به قال يا امير المؤمنين ألم
تأمرني بقتله قال لا بل أمرتك بحبسه عندك ثم قال المنصور لعمومته ان هذا قد اقر لكم بقتل
أخيكم وادعى اني أمرته بذلك وقد كذب قالوا فادفعه الينا نقتله قال شأنكم فاخرجوه الى صحن
الدار واجتمع الناس واشتهر الامر فقام احدهم وشهر سيفه وتقدم الى عيسى ليضربه فقال
عيسى لا تعجلوا فان عمي حي ردوني الى أمير المؤمنين فردوه اليه فقال يا أمير المؤمنين انما أردت
بقتله قتلي هذا عمك حي ان أمرتني بدفعه اليوم دفعته قال ائتنا به فأتى به فجعله في بيت فسقط
عليه فمات وكان المنصور قد وضع في اساس البيت ملحا فلما شرع في عمارته واعده لهذا المعنى
ولما جلس فيه عمه اجرى الماء في اساس البيت سرا بحيث لا يشعر به أحد فذاب الملح وسقط
البيت وركب المنصور بعد موت عمه وفي خدمته عباس بن المتوفي وكان يباسطه في كل وقت
فقال له المنصور وهو يحادثه هل تعرف ثلاثة في أول أسمائهم عين قتلوا ثلاثة في أول أسمائهم
عين قال لا اعرف الا ما تقول العامة يا أمير المؤمنين ان عليا قتل عثمان وكذبوا والله وعبد الملك بن
مروان قتل عبد الله بن الزبير وسقط البيت على عم أمير المؤمنين قال فضحك المنصور وقال اذا

سقط البيت على عمى لماذنبي قال قلت مالك ذنب يا أمير المؤمنين وقتل عبد الله كان بسبب البيعة التى تقدمت له مع السفاح وشرحها يطول انتهى (ونقلت من خط قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان ما صورته) نقلت من خط القاضي كال الدين بن العديم من مسودة تاريخه ان ابن الدقاق البلنسي الشاعر المشهور كان يسهر الليل ويشتغل بالادب وكان أبوه حدادا فقيرا فلامه وقال يا ولدى نحن فقراء ولا طاقة لنا بالزيت الذى تسهر عليه فاتفق انه برع فى العلم والادب وقال الشعر وعمل فى أبى بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة مطربة أولها

يا شمس خدرما لها مغرب * ويا بدر تم قط لا يحجب

وقال منها

ناشدتك الله نسيم الصبا * أين استقرت بعدنا زينب

لم تسر الا بشذا عرفها * أولا فماذا النفس الطيب

فأطلق له ثلثمائة دينار فجاء الى أبيه وهو جالس فى حانوته منكب على صنعته فوضعها فى حجره وقال خذ هذه واشتر بها زيتا انتهى (حكى عن عبد العزيز بن الفضل) قال خرج القاضى أبو العباس أحمد بن عمر بن شريح وأبو بكر بن داود وأبو عبد الله نفطويه الى وليمة فافضى بهم الطريق الى مكان ضيق فأراد كل منهم تقديم صاحبه عليه فقال ابن شريح ضيق الطريق يورث سوء الادب فقال ابن داود لكنه تعرف به مقادير الرجال فقال نفطويه اذا استحكمت المودة بطلت التكاليف (وحكى عن شريح جد أبى العباس المشهور بالصلاح الوافر) انه كان أعجميا لا يعرف بلسان العرب شيئا فاتفق له انه رأى البارئ عز وجل فى النوم فخاطبه وقال يا شريح طلبكن فقال يا خداى سار بسار وهذا اللفظ اعجمى معناه بالعربى يا شريح اطلب فقال يارب رأسا برأس كما يقال رضيت ان أخلص رأسا برأس (ومن لطائف المنقول) انه كان بالعقبة ظاهر دمشق المحروسة خان تجمع فيه اسباب الملاذ ويتفق فيه من الفسوق والفجور مالا يحد ولا يوصف فرفع ذلك الى أبى الفتح موسى بن أبى بكر العادل بن أيوب الملقب بالاشرف فهدمه وعمره جامعا وسماه الناس جامع التوبة كأنه تاب الى الله وأناب مما كان فيه (وجرت فى خطابته نكتة لطيفة) وهى انه كان بمدرسة الشام التى خارج البلد امام يعرف بالجمال قيل انه كان فى زمان صباه يلعب بشئ من الملاهى وهى التى تسمى الجفانة ولما كبر حسنت طريقته وعاشر العلماء وأهل الصلاح حتى صار معدودا فى الاخيار فلما احتاج الجامع المذكور الى خطيب رشح جانبه للخطابة لكثرة الثناء عليه فتولاها فلما توفى تولى بعده العماد الواسطى الواعظ وكان متهما باستعمال الشراب وكان صاحب دمشق يومئذ الملك الصالح عماد الدين اسمعيل بن العادل أيوب فكتب اليه الجمال عبد الرحيم المعروف بابن رونينه أبياتا وهى هذه

يا مليكا أوضح الحق لدينا وأبانه

جامع التوبة قد حملنى منه أمانه

قال قل للملك الصا * لح أعلى الله شانه

يا عماد الدين يا من * حمد الناس زمانه

www.dorat-ghawas.com

كم الى كم أنا فى بؤ * س وضر واهانه
لى خطيب واسطى * يعشق الشرب بدايانه
والذى قد كان من قبـ * ـل يغنى بجفانه
فبكا نحسن ومارك * نا ولا أبرح حانه
ردنى للنمط الاول واستبق زمانه

(ومن اللطائف المنقول) أن بثينة وعزة دخلتا على عبد الملك بن مروان فانحرف الى عزة وقال أنت عزة كثير قالت لست لكثير بعزة لكننى أم بكر قال أتروين قول كثير

وقد زعمت أنى تغيرت بعدها * ومن ذا الذى يا عز لا يتغير

قالت لست أروى هذا ولكننى أروى قوله

كأنى أنادى أو أكلم صخرة * من الصم لو تمشى بها العصم زلت

ثم انحرف الى بثينة فقال أنت بثينة جميل قالت نعم يا أمير المؤمنين قال ما الذى رأى فيك جميل حتى لهج بذكرك من بين نساء العالمين قالت الذى رأى الناس فيك فجعلوك خليفتهم قال فضحك حتى بدا له ضرس أسود ولم ير قبل ذلك وفضل بثينة على عزة فى الجائزة ثم أمرهما ان يدخلا على عاتكة فدخلتا عليها فقالت لعزة أخبرينى عن قول كثير

قضى كل ذى دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

ما كان دينه وما كنت وعدتيه قالت كنت وعدته قبلة ثم تأثمت منها قالت عاتكة وددت انك فعلت وأنا كنت تحملت اثمها عنك ثم ندمت عاتكة واستغفرت الله تعالى واعتقت عن هذه الكلمة أربعين رقبة انتهى (ويعجبنى قول اسامة بن منقذ فى ابن طليب المصرى وقد احترقت داره)

انظر الى الايام كيف تسوقنا * قسرا الى الاقرار بالاقدار
ما أوقد ابن طليب قط بداره * نارا وكان حريقها بالنار

(قلت ومما يناسب هذه الواقعة) ان الوجيه بن صورة المصرى دلال الكتب بمصر كان له دار موصوفة بالحسن فاحترقت فعمل فيها نشو الملك المعروف بابن المنجم

أقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها مارج يتضرم
كذا كل مال أصله من نهاوش * فعما قليل فى نهابر يعدم
وما هو الا كافر طال عمره * فجاءته لما استبطأته جهنم

(قلت) وهذه اللطائف تضارع قصة أبى الحسين الجزار مع بعض أهل الادب بمصر وكان شيخا قد ظهر عليه جرب فالتطخ بالكبريت فلما سمع أبو الحسين الجزار بذلك كتب اليه

أيها السيد الاديب دعاء * من محب خال عن التنكيت
أنت شيخ وقد قربت من النا * ر فكيف ادهنت بالكبريت

(قيل) ان أبا القاسم الزعفرانى مدح الصاحب بن عباد بقصيدة نونية وانتهى الى قوله منها

وحاشية الدار يمشون فى * صنوف من الخز الا أنا

www.dorat-ghawas.com

فقال الصاحب قرأت في أخبار معن بن زائدة الشيباني ان رجلا قال له احملني أيها الامير فامر له بناقة وفرس و بغل وحمار وجارية ثم قال لو علمت ان الله سبحانه وتعالى خلق مركوبا غير هذا لحملتك عليه وقد أمرنا لك من الخز بجبة وقميص وعمامة ودراعة وسراويل ومنديل ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس ولو علمنا لباسا من الخز لاعطيناكه (و بلغ) حديث معن المذكور للعلاء بن أيوب فقال رحم الله ابن زائدة لو كان يعلم ان الغلام يركب لامر له به ولكنه كان عربيا خالصا لم يدنس بقاذورات الاعاجم انتهى (قيل) ان بيوت الشعر أربعة فخر ومديح وهجاء ونسيب وكان جرير اغلب شعراء الاسلام في الاربعة فالفخر قوله

اذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا

(والمديح قوله)

ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح

(والهجاء قوله)

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

(والنسيب قوله)

ان العيون التي في طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق الله انسانا

(وقال أبو عبيدة) التقى جرير والفرزدق بمنى وهما حاجان فقال الفرزدق لجرير

فانك لاق بالمنازل من منى * فخارا فخبرني بما أنت فاخر

فقال له جرير بلبيك اللهم لبيك قال أبو عبيدة أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويعجبون منه (قيل) لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وفد الشعراء اليه وأقاموا ببابه أياما لا يؤذن لهم فبينما هم كذلك اذ مر بهم رجاء بن حياة وكان جليس عمر فلما رآه جرير داخلا قام اليه وأنشده

يا أيها الرجل المرخي عمامته * هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا

فدخل عليه ولم يذكر له شيئا من أمرهم ثم مر بهم عدي بن ارطاة فقال جرير ابياتا آخرها قوله

لا تنس حاجتنا لقيت مغفرة * قد طال مكثي عن أهلي وأوطاني

قال فدخل عدي على عمر فقال يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة وأقوالهم نافذة قال ويحك يا عدي مالي وللشعراء قال أعز الله أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح وأعطى ولك في رسول الله عليه الصلاة والسلام اسوة حسنة قال كيف قال امتدحه العباس بن مرداس السلمي فاعطاه حلة قطع بها لسانه قال أوتروي من قوله شيئا قال نعم قوله

رأيتك يا خير البرية كلها * نشرت كتابا جاء بالحق معلما

شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا * عن الحق لما أصبح الحق مظلما

www.dorat-ghawas.com

ونورت بالبرهان أمرا مدلسا * واطفأت بالاسلام نارا تضرما
فمن مبلغ عني النبي محمدا * وكل امرئ يجزي بما كان قدما
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه * وكان قديما ركنه قد تهدما

فقال عمر ويلك يا عدي من بالباب منهم قال عمر بن أبي ربيعة قال أليس هو الذي يقول

ثم نبهتها فمدت كعابا * طفلة ما تبين رجع الكلام
ساعة ثم انها بعد قالت * ويلتا قد عجلت يا ابن الكرام

فلو كان عدو الله اذ فجر كتم على نفسه لكان استر له لا يدخل والله علي أبدا فمن بالباب سواه قال الفرزدق قال أوليس الذي يقول

هما دلياني من ثمانين قامة * كما انقض باز أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الارض قالتا * أحي فيرجى أم قتيل نحاذره

لا يدخل علي والله فمن بالباب سواه قال الاخطل قال يا عدي هو الذي يقول

ولست بصائم رمضان طوعا * ولست بآكل لحم الاضاحي
ولست بزاجر عيسا بكورا * الى بطحاء مكة للنجاح
ولست بزائر بيتا عتيقا * بمكة أبتغي فيه صلاحي
ولست بقائم بالليل أدعو * قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني سأشربها شمولا * وأسجد عند منبلج الصباح

والله لا يدخل علي وهو كافر أبدا فمن بالباب سوى من ذكرت قال الاحوص قال أليس الذي يقول

الله بيني وبين سيدها * يفر مني بها واتبعه

فما هو بدون من ذكرت فمن ههنا أيضا قال جميل بن معمر قال أليس هو الذي يقول

الا ليتنا نحيا جميعا وان أمت * يوافق في الموتى ضريحي ضريحها

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحا لكان أصلح والله لا يدخل علي أبدا فهل سوى من ذكرت أحد قال جرير قال أما هو الذي يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعي بسلام

فان كان ولا بد فهو الذي يدخل فلما مثل بين يديه قال يا جرير اتق الله ولا تقل الا حقا فانشده قصيدته الرائية المشهورة التي منها

وانا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا * من الخليفة ما نرجو من المطر
نال الخلافة أو كانت له قدرا * كما أتى ربه موسى على قدر
هذه الارامل قد قضيت حاجتها * فمن لحاجة هذا الارمل الذكر
الخير ما دمت حيا لا يفارقنا * بوركت يا عمر الخيرات من عمر

فقال يا جرير ما أرى لك فيما ههنا حقا قال بلى يا أمير المؤمنين اني ابن سبيل ومنقطع فقال له ويحك يا جرير فقد ولينا هذا الامر ولا نملك الا ثلثمائة درهم فمائة أخذها عبد الله ومائة أخذتها أم

عبد الله يا غلام اعطه المائة الباقية قال فاخذها جرير وقال والله لهي أحب الى مما اكتسبته ثم خرج فقال له الشعراء ماوراءك فقال مايسوءكم خرجت من عند خليفة يعطي الفقراء ويمنع الشعراء واني عليه لراض وأنشد

رأيت رقى الشيطان لاتستفزه * وقد كان شيطاني من الجن راقيا

(ومن لطائف الظرف) ما حدث ابراهيم بن المهدى قال قال لى جعفر يوما انى استأذنت أمير المؤمنين فى الخلوة غدا فهل أنت مساعدى فقلت جعلت فداءك أنا أسعد بمساعدتك وأسر بمحادثتك قال فبكر الى بكور الغراب قال فاتيته عند الفجر فوجدت الشمعة بين يديه وهو ينتظرني للميعاد فصلينا ثم افضينا الى الحديث وقدم الطعام فأكلنا فلما غسلنا أيدينا خلعت علينا ثياب المنادمة ثم ضمخنا بالخلوق ومدت الستارة ثم انه ذكر حاجة فدعا الحاجب فقال اذا أتى عبد الملك فائذن له يعني قهرمانا له فاتفق ان جاء عبد الملك بن صالح الهاشمي شيخ الرشيد وهو من جلالة القدر والورع والامتناع من منادمة أمير المؤمنين على أمر جليل وكان الرشيد قد اجتهد أن يشرب معه قدحا واحدا فلم يقدر عليه ترفعا لنفسه فلما رفع الستر وطلع علينا سقط فى أيدينا وعلمنا أن الحاجب قد غلط بينه و بين عبد الملك القهرمان فأعظم جعفر ذلك وارتاع له ثم قام اجلالا له فلما نظر الى تلك الحال دعا غلامه فدفع اليه سيفه وعمامته ثم قال اصنعوا بنا ماصنعتم بأنفسكم قال فجاء اليه الغلمان فطرحوا عليه الثياب الحرير وضمخوه ودعى بالطعام فطعم وشرب ثلاثا ثم قال ليخفف عنى فانه شئ ماشربته والله فتهلل وجه جعفر وفرح ثم التفت اليه فقال جعلت فداءك بالغت فى الخير والفضل فهل من حاجة تبلغ اليها قدرتي وتحيط بها نعمتي فاقضيها مكافاة لما صنعت قال بلى ان فى قلب أمير المؤمنين على غضبا فتسأله الرضا عني فقال له جعفر قد رضي أمير المؤمنين عنك ثم قال وعلى عشرة آلاف دينار فقال هى لك حاضرة من مالي ومن مال أمير المؤمنين مثلها ثم قال وابني ابراهيم أحب ان أشد ظهره بصهر من أمير المؤمنين قال قد زوجه أمير المؤمنين ابنته العالية قال وأحب ان تخفق على رأسه الالوية قال قد ولاه أمير المؤمنين مصر فانصرف عبد الملك بن صالح قال ابراهيم بن المهدى فبقيت متحيرا متعجبا من اقدام جعفر على أمير المؤمنين من غير استئذان وقلت عسى أن يجيبه فيما سأل من الرضا والمال والولاية ولكن من اطلق لجعفر أو لغيره تزويج بنات الرشيد فلما كان من الغد بكرت الى باب الرشيد لارى مايكون فدخل جعفر فلم يلبث حتى دعا بأبي يوسف القاضي وابراهيم بن عبد الملك بن صالح فخرج ابراهيم وقد عقد نكاحه بالعالية بنت الرشيد وعقد له على مصر والرايات والالوية بين يديه وحملت البدر الى منزل عبد الملك وخرج جعفر فاشار الينا فقال تعلقت قلوبكم بحديث عبد الملك فاحببتم علم آخره لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال كيف كان يومك ياجعفر فقصصت عليه القصة حتى بلغت الى دخول عبد الملك وكان متكئا فاستوى جالسا وقال انه ولله أبوك فقلت سألني فى رضا أمير المؤمنين قال فبم أجبت قلت قد رضي أمير المؤمنين عنك قال قد رضيت ثم ماذا قلت وذكر ان عليه عشرة آلاف دينار قال فبم أجبته قلت قد قضاها أمير المؤمنين عنك قال قد قضيت قلت وذكر

أنه راغب في أن يشد ظهر ولده ابراهيم بصهر منك قال نعم أجبته قلت قد زوجه أمير المؤمنين ابنته العالية قال قد أمضيت ذلك ثم ماذا قلت أبولك وذكر انه يشتهي أن تخفق على رأس ولده ابراهيم الالوية قال فنعم أجبته قلت قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال قد وليته فأحضر ابراهيم والقضاة والفقهاء وأتم له جميع ذلك من ساعته قال ابراهيم بن المهدي فوالله ما أدري أيهم أكرم وأعجب ما ابتداه عبد الملك من الموافقة وشرب الخمر ولم يكن شربها قط والباسه ما لبس من لبسه من ثياب المنادمة أم اقدام جعفر على الرشيد بما أقدم أم امضاء الرشيد جميع ما حكم به جعفر عليه (ومن لطائف المنقول) ما حكي عن أبي معشر البلخي المنجم الامام المصنف صاحب التصانيف المفيدة في علم النجوم قيل انه كان متصلا بخدمة بعض الملوك وان ذلك الملك طلب رجلا من أتباعه وأكابر دولته ليعاقبه بسبب جريمة صدرت منه فاستخفى وعلم أن أبا معشر يدل عليه بالطريقة التي يستخرج بها الخبايا والاشياء الكامنة فاراد أن يعمل شيأ حتى لا يهتدي اليه ويبعد عنه حديثه فأخذ طستا وجعل فيه دما وجعل في الدم هاون ذهب وقعد على الهاون أياما وتطلبه الملك وبالغ في الطلب فلما عجز عنه أحضر أبا معشر وطلب اظهاره فعمل المسئلة التي يستخرج بها وسكت زمانا حائرا فقال له الملك ما سبب سكوتك وحيرتك فقال أرى شيأ عجيبا فقال وما هو قال أرى الرجل المطلوب على جبل من ذهب والجبل في بحر من دم ولا أعلم في العالم موضعا على هذه الصفة فقال له اعد نظرك ففعل ثم قال ما أرى الا ماذكرت وهذا شئ ما وقع لي مثله فلما أيس الملك من تحصيله نادى في البلد بالامان للرجل ولمن أخفاه فلما اطمأن الرجل ظهر وحضر بين يدي الملك فسأله عن الموضع الذي كان فيه فأخبره بما اعتمد عليه فأعجبه حسن احتياله في اخفاء نفسه ولطافة أبي معشر المنجم في استخراجه وله غير ذلك من الاصابات (قال قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان) ومما يناسب هذا من فطن المتطببين مارواه الحسين بن ادريس الحلواني قال سمعت الامام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه يقول ما أفلح سمين قط الا أن يكون محمد بن الحسن قيل له ولم ذلك قال لانه لا يعدو العاقل احدى خلتين اما أن يهتم لآخرته ومعاده أو لدنياه ومعاشه والشحم مع الهم لا ينعقد ثم قال وكان بعض ملوك الارض قديما كثير الشحم لا ينتفع بنفسه فجمع الحكماء وقال احتالوا لي بحيلة يخف عني لحمي هذا قليلا قال فما قدروا له على شئ فجاءه رجل عاقل لبيب متطبب فقال عالجني ولك الغنى قال اصلح الله الملك انا طبيب منجم دعني حتى انظر الليلة في طالعك لارى أي دواء يوافقه فلما أصبح قال أيها الملك الامان فلما امنه قال رأيت طالعك يدل على أنه لم يبق من عمرك غير شهر واحد فان اخترت عالجتك وان أردت بيان ذلك فاحبسني عندك فان كان لقولي حقيقة فخل عني والا فاقتص مني قال فحبسه ثم رفع الملك الملاهي واحتجب عن الناس وخلا وحده مغتما فكلما انسلخ يوم ازداد هما وغما حتى هزل وخف لحمه ومضى لذلك ثمان وعشرون يوما فبعث اليه واخرجه فقال ما ترى فقال أعز الله الملك أنا أهون على الله من أن أعلم الغيب والله اني لم أعلم عمري فكيف اعلم عمرك ولكن لم يكن عندي دواء الا الغم فلم أقدر أجلب اليك الغم الا بهذه الحيلة فان الغم يذيب الشحم فاجازه على ذلك واحسن اليه غاية الاحسان وذاق حلاوة

www.dorat-ghawas.com

الفرج بعد مرارة الغم (قلت ويعجبني قول جعفر بن شمس الخلافة في هذا المعنى)

هي شدة يأتي الرخاء عقيبها * وأسى يبشر بالسرور العاجل
واذا نظرت فان بؤساً عاجلا * للمرء خير من نعيم زائل

(ويعجبني قوله وان كان في غير ما نحن فيه)

مدحتك ألسنة الانام مخافة * وتشاهدت لك بالثناء الاحسن
أترى الزمان مؤخرا في مدتي * حتى أعيش الى انطلاق الالسن

(نادرة لطيفة) نقل عن قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في تاريخه ان الجنيد قال ما انتفعت بشيء كانتفاعي بأبيات سمعتها قيل له وما هي قال مررت بدرب القراطيس فسمعت جارية تتغنى من دار وتقول هذه الابيات

اذا قلت أهدى الهجر لي حلل الاسى * تقولين لولا الهجر لم يطب الحب
وان قلت ما أذنبت قالت مجيبة * حياتك ذنب لا يقاس به ذنب

فصعقت وصحت فبينما انا كذلك اذ خرج صاحب الدار فقال ماهذا ياسيدي فقلت له مما سمعت فقال انها هبة مني اليك فقلت قد قبلت وهي حرة لوجه الله تعالى ثم دفعها لبعض أصحابنا بالرباط فولدت منه ولدا نبيلا حج على قدميه ثلاثين حجة (وذكر قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في ترجمة أبي علي الفارسي) أنه كان يوما يساير عضد الدولة بن بويه في ميدان شيراز فقال له لم انتصب المستثنى في قولنا قام القوم الا زيدا فقال الشيخ بفعل مقدر تقديره استثنى زيدا فقال له عضد الدولة هلا رفعته وقدرت الفعل امتنع زيد فانقطع وقال هذا الجواب ميداني ثم انه لما رجع الى منزله وضع في ذلك كلاما حسنا وحمله اليه فاستحسنه (وحكى أبو القاسم أحمد الاندلسي) قال جرى ذكر الشعر بحضرة أبي علي الفارسي وأنا حاضر فقال اني لاغبطكم على قول الشعر فان خاطري لا يوافقني الى ذلك مع تحقيق العلوم التي هي من معاده فقال له رجل فما قلت قط شيأ منه قال ما أعلم ان لي شعرا غير ثلاثة أبيات في الشيب وهي قولي

خضبت الشيب لما كان عيبا * وخضب الشيب أولى أن يعابا
ولم أخضب مخافة هجر خل * ولا عيبا خشيت ولا عتابا
ولكن المشيب بدا ذميما * فصيرت الخضاب له عقابا

(ومن لطائف المنقول ان أبا محمد الوزير المهلبي) كان في غاية من الادب والمحبة لاهله وكان قبل اتصاله بمعز الدولة بن بويه في شدة عظيمة من الضرورة والمضايقة وسافر وهو على تلك الحالة ولقي في سفره شدة عظيمة فاشتهى اللحم فلم يقدر عليه فقال ارتجالا

ألا موت يباع فاشتريه * فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا موت لذيذ الطعم يأتي * يخلصني من العيش الكريه
اذا أبصرت قبرا من بعيد * وددت لو انني فيما يليه
الارحم المهيمن نفس حر * تصدق بالوفاة على أخيه

وكان له رفيق يقال له أبو عبد الله الصوفي وقيل أبو الحسن العسقلاني فلما سمع الابيات اشترى له

لحما بدرهم وطبخه وأطعمه وتفارقا وتنقلت الاحوال وولى الوزارة ببغداد لمعز الدولة المذكور وضاق الحال برفيقه الذى اشترى له اللحم فى السفر وبلغه وزارة المهلبى فقصده وكتب اليه

ألا قل للوزير فدته نفسى * مقال مذكر ما قد نسيه
أتذكر اذ تقول لضيق عيش * ألا موت يباع فاشتريه

(فلما) وقف عليها تذكر الحال وهزته أريحية الكرم فامر له بسبعمائة درهم ووقع له فى رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ثم دعا به فخلع عليه وقلده عملا يرتفق منه انتهى (وذكر الحريرى صاحب المقامات فى كتابه المسمى بدرة الغواص) ما مثاله قال حماد الراوية كان انقطاعى الى يزيد بن عبد الملك بن مروان فى خلافته وكان أخوه هشام يجفونى لذلك فلما مات يزيد وافضت الخلافة الى هشام خفته ومكثت فى بيتى سنة لا أخرج الا لمن اثق به من اخوانى سرا فلما لم أسمع أحدا ذكرنى فى السنة أمنت وخرجت وصليت الجمعة فى الرصافة فاذا شرطيان قد وقفا على وقالا يا حماد اجب الامير يوسف بن عمر الثقفى وكان واليا على العراق فقلت فى نفسى من هذا كنت أخاف ثم قلت لهما تدعانى حتى آتى أهلى وأودعهم ثم أسير معكما فقالا ما الى ذلك من سبيل فاستسلمت فى أيديهما ثم صرت الى يوسف بن عمر وهو فى الايوان الاحمر فسلمت عليه فرد على السلام ورمى الى بكتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هشام أمير المؤمنين الى يوسف بن عمر اما بعد فاذا قرأت كتابى هذا فابعث الى حماد الراوية من يأتيك به من غير ترويع وادفع له خمسمائة دينار وجملا مهريا يسير عليه ثنتى عشرة ليلة الى دمشق فاخذت الدنانير ونظرت فاذا جمل مرحول فركبت وسرت حتى وافيت دمشق فى ثنتى عشرة ليلة فنزلت على باب هشام واستأذنت فأذن لى فدخلت عليه وهو جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب من حرير أحمر وقد ضمخ بالمسك فسلمت عليه فرد على السلام واستدنانى فدنوت منه حتى قبلت رجله فاذا جاريتان لم أر أحسن منهما قط فقال كيف أنت وكيف حالك فقلت بخير يا أمير المؤمنين فقال أتدرى فيم بعثت اليك فقلت لا قال بعثت اليك بسبب بيت خطر ببالى لا أعرف قائله قلت وما هو يا أمير المؤمنين قال

ودعوا للصبوح يوما فجاءت * قينة فى يمينها ابريق

فقلت يقوله عدى بن زيد العبادى فى قصيدة قال انشدنيها فانشدته

بكر العاذلون فى وضح الصبح يقولون لى اما تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موثوق
لست أدرى اذا كثر العذل فيها * أعذول يلومنى أم صديق

(قال حماد فانتهيت فيها الى قوله)

ودعوا للصبوح يوما فجاءت * قينة فى يمينها ابريق
قدمته على عقار كعين الديك صفى سلافها الراووق
مرة قبل مزجها فاذا ما * مزجت لذ طعمها من يذوق

قال فطرب هشام ثم قال أحسنت يا حماد سل حاجتك قلت احدى الجاريتين قال هما جميعا

لك

www.dorat-ghawas.com

للتبـاعليهماومالهما فأقام عنده مدة ثم وصله بمائة ألف درهم قلت انظر أيها المتأمل الى نفاق رخيص الادب فى ذلك العصر وكساد غاليه فى هذا العصر وبشهادة الله ان البيت الذى طلب حماد الراوية بسببه من بغداد الى دمشق فى اثنى عشرة ليلة وأجيز عليه بالجارتين والمائة ألف درهم تأنف نفسى ان أضعه فى قصيدة من قصائدى لرخصه وسفالته وهو

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت * قينة فى يمينها ابريق

(وكنت أود) أن أكون فى ذلك العصر ويسمع هشام بن عبد الملك قولى فى هذا الباب من قصيدة قلتها

فى ليلة رقم البدر المنير لها * طرازه لعصا الجوزاء نقرات
وبات لى من لماه اذ تبسم لى * تحت الضفائر صبحات وغبقات
والراح دق على فهمى تصورها * لكن لها شاع فى الكاسات نفحات
كانت علامة تحقيق وقال فى * هى المنازل لى فيها علامات
هذا نشأتنا جمعا فى محاسنها * مغردين وللانشاء سجعات
هذا وأفواه كاساتى قد ابتسمت * ومزجتها ثغور لؤلؤيات
ومن يقل حركات الهم ماسكنت * فللحباب على التسكين جزمات

(قال ثعلب) ما أحد من الشعراء تكلم فى الليل الطويل الا قارب ولكن خالد الكاتب أبدع فيه فقال

رقدت فلم ترث للساهر * وليل المحب بلا آخر
ولم تدر بعد ذهاب الرقا * د ماصنع الدمع بالناظر

وقال بعض من كان يحضر مجلس المبرد كنا نختلف اليه فاذا كان آخر المجلس املى علينا من طرف الاخبار وملح الاشعار ماترتاح الى حفظه فأنشدنا يوما مرثية زياد الاعجم فى المغيرة ابن المهلب التى منها

فاذا مررت بقبره فاعقر له * كوم الهجان وكل طرف سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها * فلقد يكون أخادم وذبائح

قال فخرجت من عنده وأنا أديرها فى لسانى لاحفظها فاذا بشيخ قد خرج من خربة وفى يده حجر فهم أن يرمينى به فتترست بالمحبرة والدفتر فقال ماذا تقول اتشتمنى فقلت اللهم لا ولكنى كنت عند استاذنا أبى العباس المبرد فأنشدنا مرثية زياد الاعجم فى المغيرة بن المهلب فقال ابه ابه أنشدنى ما أنشدكم بارد كم لا مبردكم فأنشدته فقال والله ما جود الراثى ولا أنصف المرثى ولا أحسن الراوى قلت فما عساه أن يقول قال كان يقول

احملانى ان لم يكن لكما عقـر الى جنب قبره فاعقرانى
وانضحا من دمى عليه فقد كا * ن دمى من نداه لو تعلمان

(قال) فقلت هل رأيت أحدا واسى أحدا بنفسه فقال نعم هذا الفتى الفتح بن خاقان طرح نفسه على المتوكل حتى خلط لحمه بلحمه ودمه بدمه ثم تركنى وتولى فلما عدت الى المبرد قصصت عليه

القصة فقال أتعرفه قلت لا قال ذلك خالد الكاتب تأخذه السوداء أيام الباذنجان انتهى قيل كبر خالد الكاتب حتى دق عظمه ورق جلده وقوى به الوسواس ورؤى ببغداد والصبيان يتبعونه فأسند ظهره الى قصر المعتصم والصبيان يصيحون به يا بارد فقال كيف أكون باردا وأنا الذى أقول

بكى عاذلى من رحمتى فرحمته * وكم مثله من مسعد ومعين

ورقت دموع العين حتى كأنها * دموع دموعى لا دموع جفونى

(وحدث أبو الحسن على بن مقلة) قال حدثنى أبى عن عمه قال اجتاز بى خالد الكاتب وأنا على باب دارى بسر من رأى والصبيان حوله يلعبون به فجاء فى المارّ فى وسألنى صرفهم عنه فصرفتهم وأدخلته دارى وقلت له ما تشتهى تأكل قال الهريسة فتقدمت باصلاحها له فلما أكل قلت أى شئ تحب بعد هذا قال رطب فأمرت باحضاره فأكل فلما فرغ من أكله قلت له أنشدنى من شعرك فأنشدنى

تناسيت ما أوعيت سمعك ياسمعى * كأنك بعد الضر خال من النفع

فان كنت مطبوعا على الصد والجفا * فمن أين لى صبر فاجعله طبعى

لئن كان أضحى فوق خدك روضة * فان على خدى غديرا من الدمع

فقلت زدنى فقال لا يساوى تهريسك ورطبك غير هذا (ومن المروى عنه) قال بعض طلبة المبرد خرجت من مجلس المبرد فلقيت خالدا الكاتب فقال من أين قلت من مجلس المبرد قال بل البارد ثم قال ما الذى أنشدكم اليوم قلت انشدنى

أعار الغيث نائله * اذا ما ماؤه نفدا

وان اسد شكا جبنا * أعار فؤاده الاسدا

(فقال) اخطأ قائل هذا الشعر قلت كيف قال ألا تعلم انه اذا أعار الغيث نائله بقى بلا نائل واذا أعار الاسد فؤاده بقى بلا فؤاد قلت فكيف كان يقول فانشد

علم الغيث الندى من يده * مذ دعاه علم البأس الاسد

فاذا الغيث مقر بالندى * واذا الليث مقر بالجلد

قال فكتبتهما وانصرفت (نادرة لطيفة) دخل أبو دلامة على المهدى فانشده قصيدة فقال سل حاجتك فقال يا أمير المؤمنين هب لى كلبا قال فغضب وقال أقول لك سل حاجتك تقول هب لى كلبا فقال يا أمير المؤمنين الحاجة لى أو لك فقال بل لك فقال انى أسألك أن تهب لى كلب صيد فامر له بكلب فقال يا أمير المؤمنين هبنى خرجت للصيد أأعدو على رجلى فامر له بدابة فقال يا أمير المؤمنين فمن يقوم عليها فامر له بغلام فقال يا أمير المؤمنين هبنى صدت صيدا وأتيت به المنزل فمن يطبخه فامر له بجارية فقال يا أمير المؤمنين فهؤلاء اين يبيتون فامر له بدار فقال يا أمير المؤمنين قد صيرت فى عنقى عيالا فمن أين لى ما يقوت هؤلاء قال المهدى أعطوه جريب نخل ثم قال هل بقيت لك حاجة قال نعم تأذن لى ان أقبل يدك انتهى (وحكى) ان هشام ابن عبد الملك قدم حاجا الى بيت الله الحرام فلما دخل الحرم قال ائتونى برجل من الصحابة فقيل

يا امير

يا أمير المؤمنين قد تفانوا قال فمن التابعين فأتي بطاوس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بأمير المؤمنين ولم يكنه وجلس الى جانبه بغير اذنه وقال كيف أنت يا هشام نغضب من ذلك غضبا شديدا حتى هم بقتله فقيل له أنت يا أمير المؤمنين في حرم الله وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون ذلك فقال يا طاوس ما حملك على ما صنعت قال وما صنعت قال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تسلم يا أمير المؤمنين ولم تكنني وجلست بازائي بغير اذني وقلت يا هشام كيف أنت فقال له طاوس أما خلع نعلي بحاشية بساطك فاني أخلعهما بين يدي رب العزة في كل يوم خمس مرات ولا يعاتبني ولا يغضب علي وأما قولك لم تسلم علي بامرة المؤمنين فليس كل المؤمنين راضيا بامرتك فخفت أن أكون كاذبا وأما قولك لم تكنني فان الله عز وجل سمى أنبياءه فقال يا داود يا يحيى يا عيسى وكنى أعداءه فقال تبت يدا أبي لهب وأما قولك جلست بازائي فاني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول اذا أردت أن تنظر الى رجل من أهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له عظني فقال له اني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول ان في جهنم حيات وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته ثم قام فخرج انتهى (نادرة لطيفة) مروية عن أبي عمر عامر الشعبي ولكن يتعين ان نبدأ بشئ من ترجمته أولا قال الزهري العلماء أربعة ابن المسيب بالمدينة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام والشعبي بالكوفة وقال انه أدرك خمسمائة من الصحابة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (والنادرة الموعود بذكرها) هي ما حكى الشعبي قال أنفذني عبد الملك بن مروان الى ملك الروم فلما وصلت اليه جعل لا يسألني عن شئ الا أجبته وكانت الرسل لا تطيل الاقامة فحبسني عنده أياما كثيرة فلما أردت الانصراف قال أمن بيت المملكة أنت فقلت لا ولكني من العرب فدفع الي رقعة وقال اذا أديت الرسائل الى صاحبك أوصل اليه هذه الرقعة قال فأديت الرسائل عند وصولي الى عبد الملك وأنسيت الرقعة فلما وصلت الباب أريد الخروج تذكرت الرقعة فرجعت فأوصلتها اليه فقال لي هل قال لك شيأ قبل أن يدفعها اليك قلت نعم قال لي أنت من أهل بيت المملكة قلت لا ولكني رجل من العرب في الجملة ثم خرجت من عند عبد الملك فلما بلغت الباب طلبني فرددت فلما مثلت بين يديه قال أتدري ما في الرقعة قلت لا قال اقرأها فقرأتها فاذا فيها عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره قلت يا أمير المؤمنين لو علمت ما فيها ما حملتها وانما قال هذا لانه لم يرك قال أتدري لم كتبها قلت لا قال حسدني عليك فأراد ان يغريني بقتلك انتهى (وقيل) كان الشعبي ضئيلا نحيلا فقيل له في ذلك فقال زوحمت في الرحم وكان قد ولد هو وأخ آخر وأقام في البطن سنتين ذكره صاحب كتاب المعارف (ويقال) ان الحجاج قال له يوما كم عطاءك في السنة فقال ألفين فقال له ويحك كم عطاؤك قال ألفان فقال ويحك كيف لحنت أولا فقال لحن الامير فلحنت فلما أعرب أعربت وما يحسن أن يلحن الامير وأعرب فاستحسن ذلك منه وأجازه (نادرة بديعة غريبة) منقولة عن سديد الملك

أبي الحسن علي بن منقذ صاحب قلعة شيزر وكان سديد الملك مذكوراً مقصوداً من البلاد ممدوحاً مدحه جماعة من الشعراء كابن الخياط الخفاجي وغيرهما وله شعر جيد أيضاً ومنه قوله وقد غضب على مملوك فضربه

اسطو عليه وقلبي لو تمكن من * كفي غلهما غيظاً الى عنق
واستعين اذا عاقبته حنقاً * واين ذل الهوى من عزة الحنق

(وكان موصوفاً بقوة الفطنة) ويحكى عنه في ذلك حكاية عجيبة وهي انه كان يتردد على حلب قبل تملكه قلعة شيزر وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك محمود بن صالح بن مرداس فجرى أمر خاف سديد الملك منه على نفسه فخرج من حلب الى طرابلس الشام وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمار فأقام عنده فتقدم محمود صاحب حلب الى كاتبه أبي نصر محمد بن الحسين بن علي النحاس الحلبي ان يكتب الى سديد الملك كتاباً يتشوقه فيه ويستعطفه ويستدعيه الى حلب ففهم الكاتب انه يقصد له شراً اذا جاء اليه وكان الكاتب صديقاً الى سديد الملك فكتب الكتاب كما أمره مخدومه الى أن بلغ الى آخره وهو ان شاء الله فشدد النون وفتحها فلما وصل الكتاب الى سديد الملك فعرضه على ابن عمار صاحب طرابلس ومن بمجلسه من خواصه استحسنوا عبارة الكتاب واستعظموا ما فيه من رغبة محمود فيه وايثاره لقربه فقال سديد الملك اني أرى ما لا ترون في الكتاب ثم أجاب عن الكتاب بما اقتضاه الحال وكتب في جملة فصول الكتاب أنا الخادم المقر بالانعام وكسر الهمزة من أنا وشدد النون فلما وصل الكتاب الى محمود ووقف عليه سر بما فيه وقال لاصدقائه قد علمت ان الذي كتبته لا يخفى على مثله وقد أجاب بما طيب قلبي عليه وكان الكاتب قد قصد قوله تعالى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فأجاب سديد الملك بقوله انا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها وكانت هذه الحكاية معدودة من شدة تيقظه وفهمه انتهى (وحكى الصابي في كتاب الاعيان والامثال) ان رجلاً اتصلت عطلته وانقطعت مادته فزور كتاباً من الوزير أبي الحسن علي بن الفرات وزير المقتدر بالله العباسي الى ابن زيتون المارداني عامل مصر يتضمن المبالغة في الوصايا وزيادة الاكرام وعمل المصالح فلما دخل مصر اجتمع بابن زيتون ودفع اليه الكتاب فلما قرأ ابن زيتون الكتاب ارتاب في أمره لتغير لفظ الخطاب عما جرت به العادة وكون الدعاء أكثر مما يقتضيه محله فراعاه مراعاة قريبة ووصله صلة قليلة وحبسه عنده على وعد وعده به ثم كتب الى أبي الحسن بن الفرات يذكر الكتاب الذي ورد عليه وأنفذه بعينه فلما وقف عليه ابن الفرات عرف الرجل وذكر ما كان عليه من الحرمة وماله من الحقوق القديمة عليه فعرضه على كتابه وعرفهم الصورة وعجب اليهم منها وقال اهم ما الرأي في مثل هذا الرجل فقال بعضهم تأديبه وقال بعضهم قطع ابهامه وقال أجملهم محضراً يكشف لابن زيتون أمره ويرسم له بطرده وحرمانه فقال ابن الفرات ما أبعدكم من الخير رجل توسل بنا وحمل المشقة الى مصر وأمل الخير بجاهنا والانتساب الينا يكون حاله عند أحسنكم نظراً تكذيب ظنه وتخييب سعيه والله لا كان هذا أبداً ثم أخذ القلم ووقع على الكتاب المزور هذا كتابي ولست أعلم

أنكرت

أنكرت أمره واعترضتك فيه شبهة وليس كل من يخدمنا نعرفه وهذا رجل خدمني أيام نكبتي فأحسن تفقده ورفده وصرفه فيما يعود نفعه عليه ثم رد الكتاب الى ابن زيتون من يومه ومضت على ذلك مدة طويلة اذ دخل على ابن الفرات رجل ذو هيئة مقبولة وبزة جميلة فاقبل يدعوله ويثني عليه ويبكي ويقبل يديه والارض فقال له ابن الفرات من أنت بارك الله فيك قال صاحب الكتاب المزور الى ابن زيتون الذي صححه كرم الوزير بفضله فضحك ابن الفرات وقال كم وصل اليك منه قال اوصل الي من ماله ومن قسط قسطه على عماله عشرين ألف دينار فقال الحمد لله على صلاح حالك ثم اختبره فوجده كاتبا سديدا فاستخدمه انتهى والحمد لله على ذلك (ذكر الحصري في كتابه المسمى بالدر المصون في سر الهوى المكنون) ان الجاحظ ذكر للواثق لتأديب بعض أولاده فلما رآه استبشع منظره فامر له بعشرة آلاف درهم وصرفه قال الجاحظ فخرجت من عنده فرأيت محمد بن ابراهيم وهو يريد الانحدار الى مدينة السلام فعرض على الانحدار معه فانحدرت ونصبت ستارة وأمر بالغناء فاندفعت عوادة تغني

كل يوم قطيعة وعتاب * ينقضي دهرنا ونحن غضاب
ليت شعري أنا خصصت بهذا * دون ذا الخلق ام كذا الاحباب

ثم سكتت فامر طنبورية فغنت

وارحمتا للعاشقينا * ما ان أرى لهم معينا
كم يهجرون ويصرمو * ن ويقطعون فيصبرونا

فقالت لها العوادة فيصنعون ماذا فقالت يصنعون هكذا وضربت بيدها على الستارة وبدت كأنها فلقة بدر ثم رمت بنفسها في الماء قال وكان على رأس محمد غلام يضاهيها في الجمال وفي يده مذبة فالقى المذبة من يده لما رأى ما صنعت الجارية ثم أتى الى الموضع ونظر اليها وأنشد

أنت التي غرقتني * بعد القضا لو تعلمينا

ورمى بنفسه في أثرها فادار الملاح الحراقة فاذا بهما متعانقين ثم غاصا فهال ذلك محمدا واستعظمه وقال يا عمرو ان لم تحدثني حديثا يسليني عنهما الحقتك بهما قال الجاحظ فحضرني خبر سليمان بن عبد الملك وقد قعد يوما للمظالم وعرضت عليه القصص فمرت قصة فيها مكتوب ان رأى أمير المؤمنين أعزه الله ان يخرج الي جاريته فلانة حتى تغنيني ثلاثة اصوات فعل ان شاء الله تعالى فاغتاظ سليمان لذلك وأمر من يأتيه برأسه ثم أردفه رسولا آخر ان يدخل به اليه فلما دخل قال ما حملك على ما صنعت قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك فامره بالقعود حتى لم يبق أحد من بني امية الا خرج ثم أمر بالجارية فاخرجت ومعها عود فقال لها غني ما يقول لك فقال الفتى غني

تألق البرق نجديا فقلت له * يا أيها البرق اني عنك مشغول

فغنته فقال لسليمان أتأمر لي برطل فاتي به فشربه ثم قال لها غني

حيذار جعها البنان دائها * في يدي درعها تحل الازارا

فغنته فقال لسليمان أتأمر لي برطل فاتي به فشربه ثم قال غني

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

فغنته فقال لسليمان تأمر لي برطل فلما استتم شربه حتى صعد على القور على قبة لسليمان فرمى بنفسه على دماغه فمات فقال سليمان انا لله وانا اليه راجعون أتراه الاحمق ظن اني أخرج اليه جاريتي وأردها الى ملكي يا غلمان خذوا بيد هذه الجارية وانطلقوا بها الى أهله ان كان له أهل والا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عليه فلما انطلقوا بها نظرت الى حفيرة في دار سليمان اتخذت للمطر فجذبت نفسها من أيديهم ثم قالت

من مات عشقا فليمت هكذا * لاخير في عشق بلا موت

فزجت بنفسها في الحفيرة فماتت فسرى عن محمد واحسن صلتي انتهى (وكتب) أبو منصور أفتكين التركي متولي دمشق الى عضد الدولة بن بويه كتابا مضمونه ان الشأم قد صفا وصار في يدي وزال عنه حكم صاحب مصر وان قويتني بالاموال والرجال والعدد حاربت القوم في مستقرهم فكتب اليه عضد الدولة في جوابه هذه الكلمات وهي متشابهة في الخط لا تعرف الا بعد النقط والضبط وهي غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك فاخش فاحش فعلك فعلك تهدا بهذا قال القاضي شمس الدين بن خلكان تغمده الله برحمته لقد أبدع غاية الابداع (قلت) وأبدع منه قول السلامي فيه من قصيدته التي منها

اليك طوى عرض البسيطة جاعل * قصار المطايا ان يلوح لها القصر

فكنت وعزمي في الظلام وصارمي * ثلاثة أشياء كما اجتمع النسر

وبشرت آمالي بملك هو الورى * ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

قال ابن خلكان هذا على الحقيقة هو السحر الحلال كما يقال وقد أخذ هذا المعنى القاضي أبو بكر الارجاني فقال

ياسائلي عنه لما جئت امدحه * هذا هو الرجل العاري من العار

لقيته فرأيت الناس في رجل * والدهر في ساعة والارض في دار

ولكن أين الثريا من الثرى والم أبو الطيب المتنبي أيضا بهذا المعنى لكنه ما استوفى بقوله

هو الغرض الاقصى ورؤيتك المنى * ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق

ولكن ليس لاحد منهما الطلاوة بيت السلامي انتهى (نادرة لطيفة) كان أبو بكر المحلي يتولى نفقات أبي المسك كافور الاخشيدي وكان له في كل عيد اضحى عادة وهو ان يسلم الى أبي بكر المذكور بغلا محملا ذهبا وجريدة تتضمن أسماء قوم من حد القرافة الى الجبانة وما بينهما قال أبو بكر المذكور وكان يمشي معي صاحب الشرطة ونقيب يعرف المنازل وأطوف من بعد العشاء الاخيرة الى آخر الليل حتى أسلم ذلك الى من تضمنت اسمها الجريدة فاطرق منزل كل انسان ما بين رجل وامرأة وأقول الاستاذ أبو المسك كافور الاخشيدي يهنئك بالعيد ويقول لك اصرف هذا في منفعتك فادفع اليه ماجعل له وفي آخر وقت زاد في الجريدة الشيخ أبا عبد الله بن جابار وجعل له في ذلك العيد مائة دينار نطفت في تلك الليلة وأنفقت المال في أربابه ولم يبق الا الصرة فجعلتها في كمي وسرت مع النقيب حتى أتينا منزله بظاهر القرافة فطرقت

الباب فنزل الينا الشيخ وعليه أثر السهر فسلمت عليه فلم يرد علي وقال ما حاجتك قلت الاستاذ أبو المسك كافور يخص الشيخ بالسلام فقال والي بلدنا قلت نعم قال حفظه الله الله يعلم اني أدعو له في الخلوات وادبار الصلوات بما الله سامعه ومستجيبه قلت وقد أنفذ معي نفقة وهي هذه الصرة ويسألك قبولها لتصرف في مؤنة هذا العيد المبارك فقال نحن رعيته ونحبه في الله تعالى وما نفسد هذه المحبة بعلة فراجعته القول فتبين لي الضجر في وجهه والقلق واستحييت من الله أن أقطعه عما هو عليه فتركته وانصرفت قال فجئت فوجدت الامير قد تهيأ للركوب وهو ينتظرني فلما رآني قال ايه يا أبا بكر قلت أرجو الله أن يستجيب فيك كل دعوة صالحة دعيت لك في هذه الليلة وفي هذا اليوم الشريف فقال الحمد لله الذي جعلني لا يصال الراحة الى عباده ثم اخبرته بامتناع ابن جابار فقال نعم هو جدير لم نجرب بيننا وبينه معاملة قبل هذا اليوم ثم قال لي عد اليه واركب دابة من دواب النوبة واطرق بابه فاذا نزل اليك فانه سيقول لك ألم تكن عندنا فلا ترد عليه جوابا ثم استفتح واقرأ بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى يا ابن جابار الاستاذ كافور يقول لك ومن كافور العبد الاسود ومن هو ومولاه ومن الخلق ليس لاحد مع الله ملك ولا شركة لا شي الناس كلهم ههنا أتدري من هو معطيك وعلى من رددت أنت ما سألت وانما هو أرسل لك يا ابن جابار أنت ما تفرق بين السبب والمسبب (قال أبو بكر) فركبت وسرت فطرقت منزله فنزل الي فقال لي مثل لفظ كافور فاضربت عن الجواب وقرأت طه ثم قلت له ما قال لي كافور فبكى وقال لي أين ما حملت فأخرجت الصرة فأخذها وقال علمنا الاستاذ كيف التصوف قلت له احسن الله جزاءك ثم عدت اليه فاخبرته بذلك فسر وسجد شكرا لله تعالى وقال الحمد لله على ذلك (ونقل ابن خلكان في تاريخه) ان أبا عبد الله محمد بن الاعرابي كان يزعم ان الاصمعي وأبا عبيدة لا يحسنان شيأ وكان يقول جائز في كلام العرب أن يعاقب بين الضاد والظاء فلا يخطئ من يجعل هذا في موضع هذا وينشد

الى الله أشكو من خليل أوده * ثلاث خصال كلها لي غائض

ويقول هكذا اسمعته بالضاد (ومن النوادر اللطيفة) ورد أبو نصر الفارابي الى دمشق على سيف الدولة بن حمدان وهو اذ ذاك سلطانها فقيل انه لما دخل عليه وهو بزي الاتراك وكان ذلك زيه دائما وقف فقال له سيف الدولة اجلس فقال حيث أنا أو حيث أنت فقال حيث أنت فتخطى رقاب الناس حتى انتهى الى مسند سيف الدولة وزاحمه فيه حتى أخرجه عنه وكان على رأس سيف الدولة مماليك وله معهم لسان خاص يسارهم به فقال لهم بذلك اللسان ان هذا الشيخ قد اساء الأدب واني سائله عن اشياء ان لم يعرفها اخرجوا به فقال له أبو نصر بذلك اللسان أيها الامير اصبر فان الامور بعواقبها فعجب سيف الدولة منه وعظم عنده ثم أخذ يتكلم مع العلماء الحاضرين في كل فن فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل حتى صمت الكل وبقي يتكلم وحده ثم أخذوا يكتبون ما يقوله فصرفهم سيف الدولة وخلا به فقال له هل لك في ان تأكل قال لا قال

فهل لك أن تشرب قال لا قال هل تسمع قال نعم فأمر سيف الدولة باحضار القيان فحضر كل ماهر
في الصنعة بانواع الملاهي فخطأ الجميع فقال له سيف الدولة هل تحسن هذه الصنعة قال نعم
ثم أخرج من وسطه خريطة ففتحها فاخرج منها عيدانا وركبها ثم لعب بها فضحك منها كل من في
المجلس ثم فكها وركبها تركيبا آخر فبكى كل من في المجلس ثم فكها وغير تركيبها وحركها فنام
كل من في المجلس حتى البواب فتركهم نياما وخرج وهو الذي وضع القانون وكان منفرد
بنفسه لا يجالس الناس وكان مدة اقامته بدمشق لا يكون غالبا الا عند مجتمع المياه أو مشتبك
الرياض وهناك يؤلف كتبه وكان ازهد الناس في الدنيا لا يحتفل بامر مسكن ولا مكسب
وسأله سيف الدولة في مرتب من بيت المال فقال يكفيني أربعة دراهم ولم يزل على ذلك الى ان
توفي سنة تسع وثلاثين وثلثمائة بدمشق وصلى عليه سيف الدولة وأربعة من خواصه وقد
ناهز ثمانين سنة ودفن ظاهر دمشق خارج الباب الصغير (ومن المنقول من خط القاضي
الفاضل) ان نور الدين الشهيد كتب الى راشد الدين سنان صاحب القلاع الاسماعيلية كتابا
يهدده فيه فشق ذلك على سنان فكتب اليه بما هو فوق الوصف بحكاية الحال وهو

ياذا الذي بقراع السيف هددنا * لا قام مصرع قلب كنت تصرعه
قام الحمام الى البازي يهدده * واستصرخت باسود الغاب أضبعه
أضحى يسد فم الافعى باصبعه * يكفيه ماذا تلاقي منه أصبعه

وقفنا على تفصيله وجمله وعلمنا ماهددنا به من قوله وعمله فيا لله العجب من ذبابة تطن في أذن
الفيل وبعوضة تعد في التماثيل ولقد قالها من قبلك قوم آخرون فدمرنا عليهم فما كان لهم
من ناصرين أو للحق تدحضون وللباطل تنصرون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون
واما ماصدر من قولك فتلك أماني كاذبة وخيالات غير صائبة فان الجواهر لا تزول بالاعراض
كما أن الارواح لا تضمحل بالامراض فان عدنا الى الظواهر والمحسوسات وعدلنا عن
البواطن والمعقولات فلنا أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ما أوذي نبي ما أوذيت
ولقد علمتم ماجرى على عترته وأهل بيته وشيعته والحال ماحال والامر مازال ولله الحمد
في الآخرة والاولى اذ نحن مظلومون لا ظالمون ومغصوبون لا غاصبون وقل جاء الحق وزهق
الباطل ان الباطل كان زهوقا وقد علمتم ظاهر حالنا وكيفية رجالنا وما يتمنونه من الفوت
ويتقربون به الى حياض الموت قل فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وفي أمثال العامة أو للبط
تهددون بالشط فهيئ للبلاء جلبابا وتدرع للرزايا أثوابا وانك لكالباحث على حتفه بظلفه
أو الجادع انفه بكفه وما ذلك على الله بعزيز (ومن غرائب الظرف ماحكاه ابن خلكان في
تاريخه) قال حدثني من اثق به ان شخصا قال له رأيت في تاليف أبي العلاء المعري ماصورته
أصلحك الله وابقاك لقد كان من الواجب أن تأتينا اليوم الى منزلنا الخالي لكي يحدث لي انس
بازين الاخلاء فما مثلك من غير عهدا أو غفل وسأله من أي الابحر وهل هو بيت واحد أم أكثر
فان كان أكثر فهل ابياته على روي واحد او مختلفة الروي قال فافكر فيه ثم أجابه بجواب حسن
قال ابن خلكان فقلت للقائل اصبر حتى انظر فيه ولا تقل ماقاله فاجاب القاضي شمس الدين بـ

خلكان

www.dorat-ghawas.com

خلكان بعد حسن النظر بما أجاب به عنه الرجل وهذه الكلمات تخرج من بحر الرجز وتشتمل على أربعة أبيات في روى اللام وهي على صورة يسوغ استعمالها عند العروضيين ومن لا يكون له بهذا الفن معرفة ينكرها لاجل قطع الموصول منها ولا بد من الاتيان بها لتظهر صورة ذلك وهي

أصلحك الله وأبـ * قاك لقد كان من الـ
واجب ان تأتينا اليـ * ـوم الى منزلنا الـ
خالى لكي نحدث لي * أنسك يا زين الاخـ
لاء فما مثلك من * غير عهدا أو غفل

قلت وعلى ذكر أبي العلاء الضرير يعجبني قول مظفر بن جماعة الضرير

قالوا عشقت وأنت أعمى * ظبيا كحيل الطرف ألمى
وحلاه ما عاينتها * وتقول قد شغفتك وهما
وخياله بك في المنا * م فما أطاف ولا ألما
من أين أرسل للفؤا * د وأنت لم تنظره سهما
ومتى رأيت جماله * حتى كساك هواه سقما
وباى جارحة وصلـ * ـت لوصفه نثرا ونظما
فأجبت اني موسوى الـ * ـعشق انصاتا وفهما
أهوى بجارحة السما * ع ولا أرى ذات المسمى

(ويعجبني أيضا قول ضرير آخر)

وغادة قالت لاترابها * يا قوم ما أعجب هذا الضرير
أيعشق الانسان مالا يرى * فقلت والدمع بعيني غزير
ان لم تكن عيني رأت شخصها * فانها قد مثلت في الضمير

ومثل هذا قول المهذب عمر بن الشحنة

واني امرؤ أحببتكم لمحاسن * سمعت بها والأذن كالعين تعشق

وتقدمه بشار بقوله

يا قوم اذني لبعض القوم عاشقة * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

ونقل الشيخ جمال الدين بن نباتة في كتابه المسمى بشرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون عن علي ابن أبي طالب أنه قال سبحان الله ما أزهد كثيرا من الناس في الخير عجبا لرجل يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه أهلا للخير ولا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا ولو كان ينبغي له أن يسارع الى مكارم الاخلاق فانها تدل على سبيل النجاح فقام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أسمعته من النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم لما أتي بسبايا طيئ وقعت جارية منهم اجميلة لما رأيتها أعجبت بها فلما تكلمت نسيت جمالها بفصاحتها فقالت يا محمد ان رأيت أن تخلي سبيلي ولا تشمت بي أحياء العرب فاني ابنة سيد قومي وان أبي كان يفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويفشي

السلام ولا يرد طالب حاجة قط أنا بنت حاتم الطائي فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذه صفات المؤمنين خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق والمنقول عن حاتم في زيادة الكرم كثير (من ذلك) ماحكاه المدائني قال أقبل ركب من بني أسد وبني قيس يريدون النعمان فلقوا حاتما فقالوا تركنا قومنا يثنون عليك وقد أرسلوا اليك رسالة قال وماهي فأنشده الاسديون شعر النابغة فيه فلما انشدوه قالوا انا نستحي ان نسألك شيئا وان لنا حاجة قال وماهي قالوا صاحب لنا قد ارجل يعني فقدت راحلته فقال حاتم خذوا فرسي هذه فاحملوه عليها فاخذوها وربطت الجارية فلوها بثوبها فافلت يتبع امه فتبعته الجارية لترده فصاح حاتم ماتبعكم فهو لكم فذهبوا بالفرس والفلو والجارية وقيل أجود العرب في الجاهلية ثلاثة حاتم الطائي وهرم ابن سنان وكعب بن مامة وحاتم كان اشهرهم بالكرم ذكر انه ادرك مولد النبي صلى الله عليه وسلم وحكى الهيثم بن عدي قال تمارى ثلاثة في اجواد الاسلام فقال رجل اسخى الناس في عصرنا هذا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وقال آخر اسخى الناس عرابة الاوسي وقال آخر بل هو قيس بن سعد بن عبادة وأكثروا الجدال في ذلك وكثر ضجيجهم وهم بفناء الكعبة فقال لهم رجل قد أكثرتم الجدال في ذلك فما عليكم أن يمضي كل واحد منكم الى صاحبه يسأله حتى ننظر مايعطيه ونحكم على العيان فقام صاحب عبد الله اليه فصادفه قد وضع رجله في غرز ناقته يريد ضيعة له فقال يا ابن عم رسول الله قال قل ماتشاء قال ابن سبيل ومنقطع به قال فاخرج رجله من غرز الناقة وقال له ضع رجلك واستو على الراحلة وخذ مافي الحقيبة واحتفظ بسيفك فانه من سيوف علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال فجاء بالناقة والحقيبة فيها مطارف خز واربعة آلاف دينار وأعظمها وأجلها السيف ومضى صاحب قيس بن عبادة فصادفه نائما فقالت الجارية هو نائم فما حاجتك اليه قال ابن سبيل ومنقطع به قالت حاجتك اهون من ايقاظه هذا كيس فيه سبعمائة دينار والله يعلم ان مافي دار قيس غيره خذه وامض الى معاطن الابل الى أموال لنا بعلامتنا فخذ راحلة من رواحله ومايصلحها وعبدا وامض لشأنك فقيل ان قيسا لما انتبه من رقدته اخبرته بما صنعت فاعتقها ومضى صاحب عرابة الاوسي اليه فالفاه قد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يمشي على عبدين وقد كف بصره فقال يا عرابة ابن سبيل ومنقطع به قال فخلى العبدين وصفق بيمناه على يسراه وقال أواه أواه ماتركت الحقوق لعرابة مالا ولكن خذهما يعني العبدين قال ما كنت الذي اقص جناحيك قال ان لم تاخذهما فهما حران فان شئت تاخذ وان شئت تعتق واقبل يلتمس الحائط بيده راجعا الى منزله قال فاخذهما وجاء بهما فثبت انهم اجود عصرهم الا انهم حكموا لعرابة لانه أعطى جهده

نادرة غريبة حضر يعقوب بن اسحق الكندي المسمى بوقته فيلسوف الاسلام مجلس أحمد بن المعتصم وقد دخل عليه أبو تمام فانشد قصيدته السينية المشهورة فلما بلغ الى قوله

اقدام عمرو في سماحة حاتم * في حلم احنف في ذكاء اياس

قال له الكندي ماصنعت شيئا فقال كيف قال مازدت على ان شبهت ابن أمير المؤمنين بصعاليك العرب وأيضا فان شعراء دهرنا تجاوزوا بالممدوح من كان قبله الاترى الى قول العكوك في

ابى

www.dorat-ghawas.com

أبي دلف

رجل أبرعلى شجاعة عامر * بأسا وغبر فى محيا حاتم

فاطرق أبو تمام ثم أنشأ يقول

لا تنكروا ضربى له من دونه * مثلا شرودا فى الندى والباس

فالله قد ضرب الاقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس

ولم يكن هذا فى القصيدة فتزايد العجب منه ثم طلب ان تكون الجائزة ولاية عمل فاستصغر عن ذلك فقال الكندى وليه لانه قصير العمر لان ذهنه ينحت من قلبه فكان كما قال وقد تكون ظهرت له دلائل من شخصه فى ذلك الوقت على قرب أجله انتهى وسمع الكندى انسانا ينشد

وفى أربع منى حلت منك أربع * فما انا ادرى ايها هاج لى كربى

خيالك فى عينى أم الذكر فى فمى * أم النطق فى سمعى أم الحب فى قلبى

فقال لقد قسمها تقسيما فلسفيا انتهى ونقل الشيخ جلال الدين بن نباتة فى كتابه المسمى بسرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون ان واضع العود بعض حكماء الفرس ولما فرغ منه سماه البربط وتفسيره باب النجاة ومعناه انه مأخوذ من صرير باب الجنة وجعلت اوتاره أربعة بازاء الطبائع الاربع فالزير بازاء السوداء والبم بازاء الصفراء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم فاذا اعتدلت أوتاره المرتبة على ما يجب جانست الطبائع وأنتجت الطرب وهو رجوع النفس الى الحالة الطبيعية دفعة واحدة وبدئ هذا العلم ببطليموس وختم باسحق بن ابراهيم الموصلى وحكى ابن حمدون فى تذكرته ان الحسن بن حماد قال كنت بالمدينة فخلا لى الطريق نصف النهار فجعلت أتغنى بشعر ذى يزن وهو

ما بال قومك يا رباب * خزرا كأنهم غضاب

فاذا كوة قد فتحت واذا وجه قد بدا منها تتبعه لحية حمراء فقال يا فاسق أسأت التادية ومنعت القائلة وأذعت الفاحشة ثم اندفع يغنى فغنى الصوت غناء لم أسمع بمثله فقلت أصلحك الله من اين لك هذا الغناء قال نشأت وأنا غلام يعجبنى الاخذ عن المغنين فقالت أمى يا بنى ان المغنى اذا كان قبيح الوجه لم يلتفت الى غنائه فدع الغناء واطلب الفقه فتركته وتبعت الفقهاء فبلغ بى الى ماترى فقلت أعد لى الصوت جعلت فداك فقال لا ولا كرامة أتريد ان تقول أخذته عن مالك ابن أنس (فائدة غريبة) روى عن سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا رواه ابن ماجه (نادرة لطيفة) قال عبد الله بن أبى يزيد مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فاذا رجل رث الهيئة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس منا من لم يتغن بالقرآن قال فقلت لابن أبى مليكة يا أبا محمد ارأيت ان لم يكن حسن الصوت قال يحسنه ما استطاع رواه أبو داود (نادرة لطيفة) تتضمن المثل السائر فى قولهم عن الخائب (رجع بخفى حنين) المنقول عن حنين انه كان اسكافا من أهل الحيرة ساومه اعرابى بخفين ولم يشتر منه شيئا وغاظه ذلك فخرج الى الطريق التى لابد للاعرابى من

المرور منها فعلق الفردة الواحدة منهما في شجرة على طريقه وتقدم قليلا فطرح الفردة الثانية واختفى فجاء الاعرابي فرأى احد الخفين فوق الشجرة فقال ما أشبه هذا بخف حنين لو كان معه آخر لتكلفت اخذه وتقدم فرأى الخف الآخر مطروحا فنزل وعقل بعيره وأخذه ورجع ليأخذ الاول فخرج حنين من الكمين فاخذ بعيره وذهب ورجع الاعرابي الى ناحية بعيره فلم يجده فرجع بخفي حنين فصارت مثلا ﴿نادرة لطيفة﴾ قيل ان بعض وفود العرب قدموا على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وكان فيهم شاب فقام وتقدم وقال يا أمير المؤمنين اصابتنا سنون سنة اذابت الشحم وسنة اكلت اللحم وسنة أذابت العظم وفي أيديكم فضول اموال فان كانت لنا فعلام تمنعونها عنا وان كانت لله ففرقوها على عباد الله وان كانت لكم فتصدقوا بها علينا ان الله يجزي المتصدقين فقال عمر بن عبد العزيز ما ترك الاعرابي لنا عذرا في واحدة (ووقف اعرابي على حلقة الحسن البصري) فقال رحم الله من تصدق من فضل أو واسى من كفاف أو آثر من قوت فقال الحسن البصري ما ترك الاعرابي أحدا منكم حتى عمه بالسؤال قلت هذا النوع سماه البديعيون بالتقسيم ﴿نادرة أدبية بديعة﴾ حكى ضياء الدين بن الاثير في المثل السائر بعد ما أورد لغزا في الخلخال

ومضروب بلا جرم ✽ مليح اللون معشوق
له شكل الهلال على ✽ رشيق القد ممشوق
واكثر ما يرى أبدا ✽ على الامشاط في السوق

قال بلغني ان بعض الناس سمع هذه الابيات فقال دخلت السوق فلم أر على الامشاط شيئا (ومن نوادر الادب أيضا) اشارة الحاجب الى قول ابن نباتة السعدي في فرس أغر محجل

غضبت صباح وقد رأتني قابضا ✽ ابري فقلت لها مقالة فاجر
بالله الا ما لطمت جبينه ✽ حتى يحقق فيك قول الشاعر

يريد بذلك قوله

وكأنما لطم الصباح جبينه ✽ فاقتص منه فخاض في أحشائه

(ومن المنقول المشهور) ان الادب واهله كانا عند اصحاب حماة في الذروة العالية ولكن قصة زكي الدين بن عبد الرحمن العوفي مع الملك المظفر محمود بن الملك المنصور محمد بن الملك تقي الدين عمر بن شهنشاه كانت على غير المعهود منه ومن سلفه الطاهر وماذاك الا ان زكي الدين المذكور أنشد الملك المظفر محمودا قبل ان يتملك حماة

متى أراك ومن تهوى وأنت كما ✽ تهوى على رغمهم روحين في بدن
هناك أنشد والآمال حاضرة ✽ هنئت بالملك والاحباب والوطن

فوعده ان تملك حماة ان يعطيه ألف دينار فلما ملكها أنشده

مولاي هذا الملك قد نلته ✽ برغم مخلوق من الخالق
والدهر منقاد لما شئته ✽ فدا أوان الوعد الصادق

فدفع له ألف دينار وأقام معه مدة ولزمته اسفار أنفق فيها المال الذي اعطاه ولم يحصل بيده

زيادة عليه فقال

ان الذي اعطوه لي جملة * قد استردوه قليلا قليل
فليت لم يعطوا ولم يأخذوا * وحسبنا الله ونعم الوكيل

فبلغ ذلك الملك المظفر فاخرجه من دار كان قد انزله بها فقال

أتخرجني من كسر بيت مهدم * ولي فيك من حسن الثناء بيوت
فان عشت لم أعدم مكانا يضمني * وأنت فتدري ذكر من سيموت

فحبسه المظفر فقال ماذنبي اليك فقال حسبنا الله ونعم الوكيل وامر بخنقه فلما احس بذلك قال

أعطيتني الالف تعظيما وتكرمة * ياليت شعري أم اعطيتني ديتي

قلت كان والد الملك المظفر أليق بهذا المقام الذي لم يقصد به زكي الدين العوفي غير ترويج الادب في اختلاف المعاني والداعبة به والتوصل بذلك الى بسط الملك المظفر ولكن حال الزكي كقول الشاعر

وكنت كالمتمني ان يرى فلقا * من الصباح فلما ان رآه عمي

(قلت) وكان والد السلطان الملك المظفر المنصور من كبار أهل الادب وكان أحب الناس لاهله وله كتاب طبقات الشعراء عشر مجلدات وسمع الحديث من الحافظ السلفي بالاسكندرية وكان مغرما بحب الادباء والعلماء وجمع تاريخا على السنين في عشر مجلدات ومن مصنفاته كتابه المسمى بمضامير الحقائق وسر الخلائق وهو كبير نفيس يدل على فضله وجمع عنده من الكتب مالا مزيد عليه وكان في خدمته ما يناهز مائتي معمم من الفقهاء والادباء والنحاة والمشتغلين بالحكمة والمنجمين والكتاب وأقامت دولته ثلاثين سنة وتوفي سنة عشر وستمائة ومن شعره

أربي راح وريحا * ن ومحبوب وشادي
والذي ساق لي الملـ * ـك له دفع الاعادي

قلت وقد تقدم القول وتقرر ان جميع ملوك حماة المحروسة من بني أيوب وكان لهم المام بالادب وأهله وقد تعين ان نذكر هنا ترجمة مؤيدهم فانه كان بدر كمالهم ومسك ختامهم وهو الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء اسماعيل ابن الملك الافضل ابن الملك المظفر ابن الملك المنصور ابن الملك المظفر صاحب حماة المحروسة كان أميرا بدمشق المحروسة فخدم الملك الناصر لما كان بالكرك وبالغ في خدمته فوعده بحماة ووفى له بذلك وجعله بها سلطانا يفعل فيها ما يشاء من اقطاع وغيره ليس لاحد من الدولة المصرية معه حديث واركبه في القاهرة بشعار المملكة وأبهة السلطنة ومشى الامراء في خدمته حتى الامير سيف الدين بن أرغون النائب وقام له القاضي كريم الدين بكل ما يحتاج اليه في ذلك المهم من التشاريف والانعامات على وجوه الدولة ولقبوه بالملك الصالح ثم بعد ذلك بقليل لقب بالمؤيد وتقدم أمر السلطان الملك الناصر الى نوابه ان يكتبوا اليه يقبل الارض والمقام الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي المؤيدي العمادي وفي العنوان صاحب حماة وكان الملك الناصر يكتب اليه أخوه محمد بن قلاوون أعز الله المقام الشريف العالي السلطاني الملكي المؤيدي العمادي المولوي (وكان) الملك المؤيد

www.dorat-ghawas.com

من علماء الفقه والادب والطب والحكمة والهيئة ونظم الحاوى وله تاريخ بديع وكتاب الكناش وكتاب تقويم البلدان هذبه وجدوله واجاد فيه ماشاء وله كتاب الموازين (وكان) قد رتب للشيخ جمال الدين بن نباتة فى كل شهر ألف درهم غير ما يتحفه به وهو مقيم بدمشق وتوجه الملك المؤيد فى بعض السنين الى الديار المصرية ومعه ابنه الملك الافضل محمد فمرض ولده فجهز اليه السلطان الحكيم جمال الدين ابن المغربى رئيس الاطباء فكان يجىء اليه بكرة وعشيا فبراه و يبحث معه فى مرضه ويقدر له الادوية ويطبخ له الشراب بيده فى دست فضة فقال له ابن المغربى يا مولانا السلطان أنت والله ما تحتاج الى الملوك وما جىء الا امتثالا للاوامر الشريفة ولما عوفى أعطاه بغلة بسرج ذهب ولجام وكنبوش مزركش وعشرة آلاف درهم والدست الفضة وقال يا رئيس اعذرنى فانى لما خرجت من حماة ما حسبت مرض هذا الولد ومدحه شعراء زمانه وأجازهم و بنى بظاهر حماة المحروسة جامعا حسنا وسماه جامع الدهيشة ووقف عليه كتبا قيل انها ما اجتمعت لغيره من سائر الفنون فانه اجتهد فى جمعها من سائر البلاد شرقا وغربا وتوفى رحمه الله سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة ومن شعره

كم من دم حللت وما ندمت * تفعل ما تشتهى فلا عدمت
سمعت فلو تبلغ الشموس الى * لثم مواطى أقدامها لثمت

(والمنقول عن القاسم المكنى بابى دلف) انه جمع بين طرفى الكرم والشجاعة وولى دمشق فى خلافة المعتصم فاما شجاعته فانه لحق قوما من الاكراد قطعوا الطريق فطعن فارسا طعنة فنفذت الطعنة الى فارس آخر رديفه فقتلهما فقال بكر بن النطاح

قالوا و ينظم فارسين بطعنة * يوم الهياج ولا تراه كليلا
لا تعجبوا فلو ان طول قناته * ميل اذا نظم الفوارس ميلا

وفيه يقول ابن عنين

تمشى المنايا الى غيرى فاكرهها * فكيف امشى اليها بارز الكتف
ظننت ان نزال القرن من خلقى * وان قلبى من جنبى أبى دلف

وأما شهرته فى الكرم فهو الذى قال فيه أبو تمام

يا طالبا للكيمياء وعلمها * مدح ابن عيسى الكيمياء الاعظم
لو لم يكن فى الارض الا درهم * ومدحته لاتاك ذاك الدرهم

ودخل عليه بعض الشعراء فانشده

أبو دلف ان المكارم لم تزل * مغلغلة تشكو الى الله حلها
فبشرها منه بميلاد قاسم * فارسل جبريلا اليها فحلها

فامر له بمال فقال الخازن لم يكن هذا القدر بيت المال فامر له بضعفه فقال هذا غير ممكن فامر له بضعفه فلما حمل اليه المال قال أبو دلف

أتعجب ان رأيت على دينا * وان ذهب الطريف مع التلاد
وما وجبت على زكاة مال * وهل تجب الزكاة على جواد

وقال آخر

ان سار سار المجد أو حل وقف * انظر بعينيك الى اسنى الشرف

هل ناله بقدرة أو بكاف * خلق من الناس سوى أبي دلف

فاعطاه خمسين ألف درهم وفيه يقول العكوك بن علي بن أبي جبلة

انما الدنيا أبو دلف * بين باديه ومحتضره

فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

كل من في الارض من عرب * بين باديه الى حضره

مستعير منك مكرمة * يكتسيها يوم مفتخره

فاعطاه أبو دلف مائة ألف درهم ولما بلغت المأمون غضب غضبا شديدا على العكوك فطلب فهرب فاجتهدوا الى أن جاؤا به مقيدا فلما صار بين يديه قال له يا ابن اللخناء أنت القائل في مدحك لابي دلف كل من في الارض من عرب البيتين جعلتنا ممن يستعير المكارم منه ويفتخر بها فقال يا أمير المومنين أنتم أهل بيت لا يقاس بكم لان الله تعالى اختصكم لنفسه على عباده وآتاكم الكتاب والحكم وانما ذهبت في شعري لاقران واشكال أبي دلف فقال والله ما أبقيت من أحد ولقد أدخلتنا في الكل وما أستحل دمك بهذا ولكن بكفرك حيث قلت في عبد ذليل مهين

أنت الذي تنزل الايام منزلها * وتنقل الدهر من حال الى حال

وما نظرت مدى طرف الى أحد * الا قضيت بارزاق وآجال

ذاك هو الله يا كافر أخرجوا لسانه من قفاه ففعلوا به ذلك فمات ومن مصنفاته كتاب البزاة والصيد وكتاب السلاح وكتاب النزه وكتاب سياسة الملوك وكانت له اليد الطولى في الغناء وهو مترجم بذلك في كتاب الاغاني وذكر أبو عبيدة في كتاب مثالب أهل البصرة ان النضر بن شميل النحوي البصري كان عالما بفنون من العلم صاحب غريب وفقه وشعر ومعرفة بايام العرب ورواية الحديث وهو من أصحاب الخليل بن أحمد فاتفق ان ضاقت به المعيشة ورق حاله فخرج يريد خراسان فشيعه من أهل البصرة ثلاثة آلاف رجل ما فيهم الا محدث أو نحوي أو عروضي أو لغوي أو اخباري أو فقيه فلما بعدوا عن المدينة جلس فقال يا أهل البصرة يعز علي فراقكم والله لو وجدت كل يوم أكلة باقلاء ما فارقتكم قال فلم يكن أحد فيهم يتكلف له ذلك القدر اليسير وسار حتى وصل الى خراسان فاستفاد بها مالا عظيما من ذلك انه أخذ على حرف ثمانين ألف درهم وهذه القصة نقلها الحريري صاحب المقامات في كتابه المسمى بدرة الغواص في أوهام الخواص قال حكى عن محمد بن ناصح الاهوازي قال حدثني النضر بن شميل المازني قال كنت أدخل على المأمون في سمره فدخلت ذات ليلة وعلي قميص مرقوع فقال يا نضر ما هذا التقشف حتى تدخل على أمير المؤمنين في هذه الخلقان قلت يا أمير المؤمنين انا رجل كبير وضعيف وحر مرو شديد فاتبرد بهذه الخلقان قال لا ولكنك قشف ثم اجرينا الحديث فاجرى ذكر النساء فقال حدثني هشام عن مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المرأة لجمالها ودينها كانت سدادا من عوز بفتح

www.dorat-ghawas.com

السين من سداد فقلت صدق يا أمير المؤمنين هشام حدثنا عوف عن ابن أبي جميلة عن الحسن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كانت سدادا من عوز بكسر السين قال وكان أمير المؤمنين متكئا فاستوى جالسا وقال يا نضر كيف قلت سدادا قلت نعم يا أمير المؤمنين لان سدادا بالفتح هنا لحن قال أو تلحنني قلت انما لحن هشام وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه قال فما الفرق بينهما قلت السداد بالفتح القصد في الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيئا فهو سداد قال أو تعرف العرب بذلك قلت نعم هذا العرجي يقول

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال المأمون قبح الله من لا أدب له والحرق مليا ثم قال ما مالك يا نضر قلت أريضة لي بمرو قال أفلا نفيد لك معها مالا قلت اني الى ذلك لمحتاج قال فاخذ القرطاس وأنا لا أدري ما يكتب ثم قال كيف تقول اذا أمرت ان يترب قلت أتربه قال فهو ماذا قلت مترب قال فمن الطين قلت أطمه قال فهو ماذا قلت مطين قال هذه أحسن من الاولى ثم قال يا غلام اتربه ثم صلى بنا العشاء ثم قال لغلامه تبلغ النضر الى الفضل بن سهل قال فلما قرأ الفضل الكتاب قال يا نضر ان أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم فما كان السبب فاخبرته ولم أكذبه شيأ فقال ألحنت أمير المؤمنين قلت كلا انما لحن هشام وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه وقد تتبع الفاظ الفقهاء ورواة الآثار ثم أمر لي الفضل بثلاثين ألف درهم فاخذت ثمانين ألف درهم بحرف واحد انتهى ويحكى ان النضر بن شميل مرض فدخل عليه قوم يعودونه فقال له رجل منهم يكنى أبا صالح مسح الله ما بك فقال لا تقل مسح بالسين ولكن قل مصح الله بالصاد أي اذهبه وفرقه اوما سمعت قول الاعشى

واذا ما الخمر فيها أزبدت * أفل الازباد فيها ومصح

فقال له الرجل ان السين قد تبدل بالصاد كما يقال الصراط والسراط وصقر وسقر فقال له النضر فانت اذا أبو سالح (قلت ويشبه هذه النادرة) ما حكى ان بعض الادباء جوز بحضرة الوزير ابي الحسن بن الفراة ان تقام السين مقام الصاد في كل موضع فقال الوزير اتقول جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم أم سلح فخجل الرجل وانقطع والذي ذكره أرباب اللغة في جواز ابدال الصاد من السين انه في كل كلمة كان فيها سين وجاء بعدها أحد الحروف الاربعة وهي الطاء والخاء والغين والقاف فتقول الصراط والسراط وفي سخر لكم صخر لكم وفي مسغبة مصغبة وفي سيقل صيقل وقس على هذا (ونقل قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في تاريخه) ان أبا جعفر احمد بن عيسى البلاذري المؤرخ قال كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء فقال لست اقبل الامن يقول مثل قول البحتري في المتوكل

فلو ان مشتاقا تكلف فوق ما * في وسعه لسعى اليك المنبر

(قال البلاذري) فرجعت الى داري وأتيته وقلت قد قلت فيك أحسن مما قاله البحتري قال هاته (فانشدته)

ولو ان برد المصطفى اذ لبسته * يظن لظن البرد انك صاحبه

وقال

www.dorat-ghawas.com

وقال وقدا عطيته وابسته * نعم هذه اعطافه ومناكبه

فقال ارجع الى منزلك وافعل ما آمرك به فرجعت فبعث الى سبعة آلاف دينار وقال ادخر هذه للحوادث من بعدى ولك الجراية والكفاية مادمت حيا (ويعجبني من المدائح الرائقة في حال الحشمة) قول عبد الله الاسطرلابي

أهدى لمجلسه الكريم وانما * أهدى له ماحزت من نعمائه

كالبحر يمطره السحاب وماله * فضل عليه لانه من مائه

ومثله قول القاضي الفاضل وقد كتب به الى وزير بغداد

ياأيها المولى الوزير ومن له * منن حلان من الزمان وثاقى

من شاكرى بذلك فانني * من عظم ماأوليت ضاق نطاقى

منن تخف على يديك وانما * ثقلت مؤنتها على الاعناق

قلت كان نظم القاضي الفاضل رحمه الله ونثره كفرسى رهان ولكن نثره أكثر مما نظم واجمع الناس انه اتى مع الاكثار بالعجائب (وذكر قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان فى تاريخه) ان مسودات رسائله اذا جمعت ماتقصر عن مائة مجلد وهو مجيد فى أكثرها ولعمرى ان الانشاء الذى صدر فى الايام الاموية والايام العباسية نسى والغى بانشاء الفاضل وما اخترعه من النكت الادبية والمعانى المخترعة والانواع البديعة والذى يؤيد قولى قول العماد الكاتب فى الخريدة انه فى صناعة الانشاء كالشريعة المحمدية نسخت الشرائع (ومن غرر نثره) هذه الرسالة التى أنشأها فى حمائم الرسائل وسحب فيها ذيل البلاغة والفصاحة على سحبان وائل (وهى) سرحة لاتحمل تحمل من البطائق أجنحة وتجهز جيوش المقاصد والاقلام اسلحه وتحمل من الاخبار ماتحمله الضمائر وتطوى الارض اذا نشرت الجناح الطائر وتزوى لها الارض حتى ترى ماسيبلغه ملك هذه الامه وتقرب منها السماء حتى ترى مالا يبلغه وهم ولا همه وتكون مراكب الاغراض والاجنحة قلوعا وتركب الجو بحرا يصفق فيه هبوب الرياح موجا مرفوعا وتعلق الحاجات على اعجازها ولاتعوق الارادات عن انجازها ومن بلاغات البطائق استفادت ماهى مشهورة به من السجع ومن رياض كتبها الفت الرياض فهى اليها دائمة الرجع وقد سكنت النجوم فهى انجم واعدت فى كأنها فهى للحاجات اسهم وكادت تكون ملائكة لانها رسل واذا أنيطت بالرقاع صارت أولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع وقد باعد الله بين اسفارها وقربها وجعلها طيف خيال اليقظة الذى صدق العين وما كذبها وقد أخذت عهود أداء الامانة فى رقابها اطواقا وأدنت من اذنابها اوراقا وصارت خوافى من وراء الخوافى واعطت سرها المودع بكتمان سحبت عليه ذيول ريشها الضوافى ترغم أنف النوى بتقريب العهود وتكاد العيون بملاحظتها تلاحظ نجم السعود وهى انبياء الطيور لكثرة ماتأتى به من الانباء وخطباؤها لانها تقوم على منابر الاغصان مقام الخطباء (ومن غريب المنقول) انني حضرت فى بعض الليالى على جانب النيل المبارك فى خدمة مولانا المقر الاشرف المرحومى القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين

الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة كان تغمده الله تعالى بالرحمة والرضوان وبيده
الكريمة جزء من تذكرة الشيخ صلاح الدين الصفدي بخطه وهذه الرسالة أول الجزء فشرع
في قراءتها وكرر مرارا وهو يترنم في بديعها وغريبها ورسم في اثناء ذلك لي بمعارضتها فلم أجد بدا
من الشروع لالتزام الواجب واوترت قوس العزم مطمئنا بهذا الرأي الصائب وقد أوصلت
هنا شمل القطعتين ليتأمل المتأمل في جنى الجنتين ويتنزه نظره في حدائق الروضتين
ويطرب لسجع حمائم الدوحتين (قلت) شرح فما سرح العيون الا دون رسالته المقبوله
وطالب السبق فلم يرض معرق البرق سرجا ولا استطلى صفحته المصقوله وهمز جواد
التسليم فقصر وأمست اذياله بعرق السحب مبلوله وأرسل فاقر الناس برسالته وكتابه المصدق
وانقطع كوكب الصبح خلفه فقال عند التقصير كنت نجابا وعلى يدي مخالق يؤدي ما جاء
على يده من الترسل فيهيج الاشواق ومابرحت الحمائم تحسن الاداء في الاوراق وصحبناه
على الهدى فقال ماضل صاحبكم وماغوى ومن روى عنه حديث الفضل المسند فعن
عكرمة قد روى يطير مع الهواء لفرط صلاحه ولم يبق على السر المصون جناح اذا دخل تحت
جناحه ان برز من مقفصه لم يبق للبرد فيه بل تتغزل بتدبيج أوراقه وتعلق عليه من العين
التميمه ماسجن الاصبر على السجن وضيق الاطواق ولهذا احدث عواقبه على الاطلاق
ولا غنى على عود الا اسال الدموع الندى من حدائق الرياض ولا أطلق من كبد الجو الا كان
سهما صريشا تبلغ به الاغراض كم علا فصار بريش القوادم كالاهداب لعين الشمس وأمسى
عند الهبوط لعين الهلال كالطمس فهو الطائر الميمون والغاية السباقه والامير الذي اذا
أودع أسرار الملوك حملها بطاقه فهو من الطيور الذي خلالها الجو فنقرت ماشاءت من
حبات النجوم والعجماء التي من أخذ عنها شرح المعلقات فقد أعرب عن دقائق الفهوم
والمقدمة والنتيجة لكتاب الجلى في منطق الطير وهي من جملة الكتاب الذي اذا وصل
القارئ منه الى الفتح تهلل بفاتحة الخير وان تصدر البارزي بغير علم فكم جمعت بين طرفي
كلب وان سألت العقبان عن بديع السجع احجمت عن رد الجواب شعر

رعت النجوم بقوة حيف الفلا * ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

ماقدمت الاوراق تنا من شمائلها الطيفة ذم القادمه وأظهرت لما من خوافيها ما كانت له
خبر كاتمه كم اهدت من مخالبها وهي غادية رائحة وكم حنت اليها الجوارح وهي أدام الله
الطافها غير جارحه وكم أدارت من كؤس السجع ماهو أرق من قهوة الانشا وابهج على
زهر المنثور من صبيح الاعشا وكم عامت بحور الفضا ولم تحفل بموج الجبال وكم جاءت ببشارة
وخضبت الكف ورمت من تلك الانملة قلامة الهلال وكم زاحمت النجوم بالمناكب حتى
ظفرت بكف الخضيب وانحدرت كانها دمعة سقطت على خد الشفق لامر مريب وكم لمع
في أصيل الشمس خضاب كفها الوضاح فصارت بسموها وفرط البهجة كمشكاة فيها
مصباح والله تعالى يديم بافنان أبوابه العالية الحان السواجع ولا برح تغريدها مطربا
بين البادي والراجع انتهى (وذكر ضياء الدين أبو الفتح نصر الله المعروف بابن الاثير

الجزري

الجزري في كتابه المسمى بالوشي المرقوم في حل المنظوم) قال حدثني الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني بمدينة دمشق (سنة ٥٨٨) ثمان وثمانين وخمسمائة وكان اذ ذاك كاتب الدولة الصلاحية ان فن الانشاء لا تخلو منه رأس مكانا أو بانا وكل من أنشأ أقام لسلطانه بانشائه سلطانا (وكان) من العادة ان كلا من ارباب البيوت اذا نشأ له ولد أحضره الى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويسمع فارسلني والدي وكان اذ ذاك قاضيا بثغر عسقلان الى الديار المصرية في أيام الحافظ العبيدي وهو أحد خلفائها فدخلت ديوان المكاتبات وكان الذي يرأس به في تلك الايام وهو صاحب الانشاء بمصر موفق الدين أبا الحجاج يوسف المعروف بابن الخلال فلما مثلت بين يديه وعرفته من أنا وما طلبي رحب بي ثم قال ما الذي أعددت لفن الانشاء وكتابته فقلت ليس عندي سوى اني احفظ القرآن الكريم وكتاب الحماسة فقال في هذا بلاغ ثم أمرني بملازمته فلما ترددت اليه وتدربت عليه وطال تدربي بين يديه أمرني ان أحل عليه ديوان الحماسة فحللته من أوله الى آخره ثم أمرني أن أحله مرة أخرى فحللته انتهى ما ذكره ابن الاثير قلت وقال عماد الدين الكاتب في كتاب الخريدة في حق موفق الدين بن الخلال كان فن الترسل والانشاء آل اليه وكان في ذلك ناظر مصره وانسان ناظره وقبلة جامع مفاخره (قلت) الذي ثبت عند المؤرخين وعلماء هذا الفن ان القاضي الفاضل رحمه الله تعالى أخذ علم الانشاء وحكمه عن موفق الدين بن الخلال منشئ الخليفة الحافظ العلوي ورتبته في الانشاء معلومة ولكن جنحت الى الوقوف على شيء من نظمه لانظر في الرتبتين كما قررت ذلك في نظم القاضي الفاضل ونثره فوجدت قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان رحمه الله قد أورد له في تاريخه نظما ونثرا دل لي على ان نظمه ونثره رضيعا لبان وفرسا رهان (فن ذلك قوله في الشمعة ولله دره حيث اجاد)

وبحة بيضاء تطلع في الدجا * صبحا وتشفي الناظرين بدائها
شابت ذوائبها اوان شبابها * واسود مفرقها اوان فنائها
كالعين في طبقاتها ودموعها * وسوادها وبياضها وضيائها

وله

وأغن سيف لحاظه * يغري الحسام بجده
عجب الورى لما جنت * وقد فنيت بحده
وبقاء جسمي ناحلا * يصلى بوقدة صده

(نادرة) كتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة ان اجمع بين اياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة فول القضاء افقههما فجمع بينهما فقال له اياس أيها الرجل سل عني وعنه فقيهي المصر الحسن وابن سيرين وكان القاسم يأتيهما واياس لا يأتيهما ففهم القاسم انه ان سألهما عنه أشارا به فقال له لا تسل عني ولا عنه فوالله الذي لا اله الا هو ان اياس بن معاوية افقه مني واعلم مني بالقضاء فان كنت كاذبا فما عليك ان توليني وأنا كاذب وان كنت صادقا فينبغي ان تقبل قولي فقال له اياس انك جئت برجل وقفته على شفير جهنم فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله تعالى منها وينجو مما يخاف فقال له عدي اما اذ فهمتها فانت لها أهل فاستقضاه (نادرة لطيفة)

نقل ابن عبد ربه في العقد ان أبا سفيان زار معاوية في الشام فلما رجع من عنده دخل على الامام عمر رضي الله عنه فقال له الامام اجدنا قال ما أصبنا شيأ فنجديك فاخذ الامام عمر خاتمه فبعث به الى هند وقال للرسول قل لها يقول لك أبو سفيان انظرى الخرجين اللذين جئت بهما من عند معاوية فاحضريهما فلم يلبث عمر ان اتى بالخرجين فيهما عشرة آلاف درهم فالقاها عمر في بيت المال فلما ولى عثمان بن عفان رضي الله عنه أرادردها اليه فقال ما كنت لآخذ مالا عابه عمر على والله ان لنا اليه حاجة ولكن لا ترد على من قبلك فيرد عليك من بعدك

(استنجاز المواعيد) قلت وماظنك بشئ قد جعله الله في كتابه العزيز مدحة وفخرا لانبيائه فقال واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد ولم يكن في خلف الوعد الا قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون لكن قال عمر بن الحارث كانوا يقولون ويفعلون فصاروا يقولون ولا يفعلون ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون فهم ضنوا بالكذب فضلا عن الصدق (ويعجبنى قول العباس بن الاحنف)

ماضر من شغل الفؤاد بحبه * لو كان عللنى بوعد كاذب
صبرا عليك فما أرى لى حيلة * الا التمسك بالرجاء الخائب
سأموت من مطل وتبقى حاجتى * فيما لديك وما لها من طالب

(وذكر حيان بن سليمان عامر بن الطفيل فقال) والله كان اذا وعد الخير وفى واذا وعد الشر أخلف وهو القائل

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتى * ويأمن منى صولة المتهدد
وانى وان أوعدته أووعدته * لمخلف ايعادى ومنجز وعدى

(وقال ابن حازم)

اذا قلت عن شئ نعم فاتمه * فان نعم دين على الحر واجب
والا فقل لا تسترح وترح بها * لئلا يظن الناس انك كاذب

(ويعجبنى قول عبد الصمد الرقاشى في خالد بن ديسم عامل الرى وقد ابطأ عليه بوعد)

أخالد ان الرى قد اجحفت بنا * وضاق علينا رحبها ومعاشها
وقد اطمعتنا منك يوما سحابة * اضاءت لنا برقا وابطا رشاشها
فلا غيمها يصحو فيرجع طامعا * ولا ودقها يهمى فتروى عطاشها

(قلت) ومن البلاغة المرقصة في هذا الباب خطاب كوثر بن زفر وقد وعده يزيد بن المهلب وأبطأ بوعده وهو أصلح الله الامير أنت أعظم من أن يستعان بك أو يستعان عليك ولست تفعل من الخير شيأ الا وهو يصغر عنك وانت تكبر عنه وليس العجب ان تفعل ولكن العجب ان لا تفعل (قيل) ان يزيد بن المهلب لما سمع هذا الخطاب البليغ مال سكرا وطربا وقال له سل حاجتك قال حملت من عشيرة عشر ديات قال قد أمرت لك بها وشفعتها بمثلها (ويعجبنى قول بعضهم) أما بعد فان شجرة وعدك قد أورقت فليكن وعدها سالما من جوائح المطل والسلام

(لطيف الاستمناح) قال الحكماء لطيف الاستمناح سبب النجاح والنفس ربما انطلقت

وانشرحت لطيف السؤال وامتنعت وانقبضت بجفاء السائل (ولله در القائل)

ان الكريم أخا المودة والنهى * من ليس في حاجاته بمثقل

(دخل عبد الملك بن صالح على الرشيد) فقال له اسأل بالقرابة والخاصة أم بالخلافة والعامة فقال بالخلافة والعامة فقال يا أمير المؤمنين يداك بالعطية أطلق من لساني فاجزل عطيته (وقفت امرأة) على قيس بن سعد بن عبادة فقالت أشكو اليك قلة الجرذان فقال ما احسن هذه الكناية املؤا لها بيتها لحما وخبزا وسمنا (نادرة لطيفة) كان أبو جعفر المنصور أيام بني أمية اذا دخل البصرة دخل متنكرا وكان يجلس في حلقة ازهر السمان المحدث فلما افضت اليه الخلافة قدم ازهر عليه فرحب به وقربه وقال ما حاجتك يا أزهر فقال يا أمير المؤمنين داري متهدمة وعلى اربعة آلاف درهم وأريد ازوج ابني محمدا فوصله باثني عشر ألف درهم وقال قد قضينا حاجتك يا أزهر فلا تأتنا بعد هذا طالبا فاخذها وارتحل فلما كان بعد سنة أتاه فقال له ابو جعفر ما حاجتك يا أزهر قال جئت مسلما فقال لا والله بل جئت طالبا وقد أمرنا لك باثني عشر الفا فلا تأتنا طالبا ولا مسلما فاخذها ومضى فلما كان بعد سنة أتاه فقال ما حاجتك يا أزهر قال أتيت عائدا فقال لا والله بل جئت طالبا وقد أمرنا لك باثني عشر الفا فاذهب ولا تأتنا بعد طالبا ولا مسلما ولا عائدا فاخذها وانصرف فلما مضت السنة أقبل فقال له ما حاجتك يا أزهر قال يا أمير المؤمنين دعاء كنت اسمعك تدعو به جئت لأكتبه فضحك أبو جعفر وقال الدعاء الذي تطلبه غير مستجاب فاني دعوت الله به ان لا اراك فلم يستجب لي وقد أمرنا لك باثني عشر الفا وتعال اذا شئت فقد اعيتنا الحيلة فيك ودخل رجل من الشعراء على يحيى بن خالد بن برمك فانشده

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكنني عبد ليحيى بن خالد

فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثني من والد بعد والد

فامر له بعشرة آلاف درهم (اجواد الجاهلية الذي انتهى اليهم الجود ثلاثة نفر) حاتم بن عدي الطائي وهرم بن سنان المزني وكعب بن مامة الايادي ولكن المضروب به المثل حاتم وحده وكان اذا اشتد البرد وكلب الشتاء اوقد نارا في بقاع الارض لينظر اليها المار ليلا فيبادر اليها وهو القائل لغلامه يسار

أوقد فان الليل ليل قر * والريح يا موقد ريح صر

حتى يرى نارك من يمر * ان جلبت ضيفا فانت حر

(وأما) هرم بن سنان فهو صاحب زهير الذي يقول فيه

تراه اذا ما جئته متهللا * كانك تعطيه الذي أنت سائله

وأما كعب بن مامة الايادي فلم يات له الا ما ذكر عنه من ايثاره رفيقه السعدي بالماء حتى مات عطشا ونجا السعدي وناهيك بهذا الكرم الذي ما سبق اليه (وأما اجواد الحجاز) فثلاثة في عصر واحد وهم عبيد الله بن العباس وعبد الله بن جعفر وسعيد بن العاص (واجواد أهل البصرة خمسة في عصر واحد) وهم عبد الله بن عامر وعبد الله بن أبي بكر مولى رسول الله صلى

الله عليه وسلم وسالم بن زياد وعبد الله بن معمر القرشي التيمي وطلحة الطلحات وهو طلحة بن خالد الخزاعي (واجواد اهل الكوفة ثلاثة في عصر واحد) وهم عتاب بن ورقاء الرياحي واسماء بن خارجة وعكرمة الفياض (فمن جود عبيد الله) انه أوّل من فطر جيرانه وأوّل من وضع الموائد على الطريق ومن جوده ان أتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه وقال يا ابن عباس ان لي عندك يدا وقد احتجت اليها فصعد فيه بصره وصوبه فلم يعرفه فقال له ماىدك عندنا قال له رأيتك واقفا بزمزم وغلامك يملأ من مائها والشمس قد صهرتك فظللتك بطرف كسائي حتى شربت فقال أجل اني لاذكرك ذلك ثم قال لغلامه ما عندك قال مائتا دينار وعشرة آلاف درهم قال ادفعها اليه وما أراها تفي بحق يده عندنا فقال له الرجل والله لو لم يكن لاسماعيل ولد غيرك لكان فيك كفاية فكيف وقد ولد سيد المرسلين ثم شفع بك وبابيك (ومن جوده أيضا) ان معاوية حبس عن الحسين بن علي رضي الله عنه صلاته حتى ضاقت عليه الحال فقيل له لو وجهت الى عمك عبيد الله بن العباس لكفاك وقد قدم بالف ألف قال الحسين فا مقدارها عنده والله انه لاجود من الريح اذا عصفت واسخى من البحر اذا زخر ثم وجه اليه رسوله بكتاب ذكر فيه حبس معاوية عنه صلاته وضيق حاله وانه يحتاج الى مائة ألف فلما قرأ عبيد الله كتابه وكان ارق الناس قلبا والينهم عطفا انهملت عيناه ثم قال ويلك يا معاوية تكون لين المهاد رفيع العماد والحسين يشكو ضعف الحال وكثرة العيال ثم قال لقهرمانه احمل الى الحسين نصف ما املكه من ذهب وفضة ودابة واخبره اني شاطرته فان اقنعه ذلك والا فارجع واحمل اليه النصف الآخر قال فلما وصل الرسول الى الحسين قال انا لله ثقلت والله على عمي وما ظننت انه يتسع بهذا كله فاخذ الشطر من ماله وهو أول من فعل هذا في الاسلام (ومن جوده أيضا) ان معاوية أهدى اليه وهو عنده في شهر من هدايا النوروز حللا كثيرة ومسكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها اليه مع حاجبه فلما وضعها بين يديه نظر الى الحاجب وهو يطيل النظر فيها فقال هل في نفسك منها شئ قال نعم والله ان في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسف فضحك عبيد الله فقال فشأنك بها فهي لك قال جعلت فداءك أنا أخاف ان يبلغ ذلك معاوية فيغضب لذلك قال فاختمها بخاتمك وادفعها الى الخازن وهو يحملها اليك ليلا فقال الحاجب والله ان هذه الحيلة في الكرم اكثر من الكرم ولوددت ان لا أموت حتى أراك مكانه يعني معاوية فظن عبيد الله انها مكيدة منه فقال دع هذا الكلام انا من قوم نفي بما عقدنا ولا ننقض ما اكدنا وقال له رجل من الانصار جعلت فداءك والله لو سبقت حاتما يوم ما ذكرته العرب وأنا أشهد ان عفو جودك اكثر من مجهوده وطل صوبك أكثر من وابله (ومن جود عبد الله بن جعفر) ان عبد الله بن أبي عمارة دخل على نخاس يعرض قيانا للبيع فشغفه حب واحدة منهن ولم يكن له جدة يتوصل بها الى المشترى فشبب بذكرها حتى مشى اليه عطاء وطاوس ومجاهد يعذلونه في ذلك فكان جوابه ان قال

يلومني فيك أقوام أجالسهم * فما ابالي أطار اللوم أم وقعا

فانتهى خبره الى عبد الله بن جعفر فلم يكن له هم غيره فحج وبعث الى مولى الجارية فاشتراها منه

بار بعين

www.dorat-ghawas.com

بأربعين ألف درهم وأمر قيمة جواريه ان تزينها وتحليها ففعلت وبلغ الناس قدومه فدخلوا عليه فقال مالي لا أرى ابن عمارة زائرا فأخبر بذلك فأتى مسلما فلما أراد أن ينهض استجلسه ثم قال ما فعل بك حب فلانة قال حبها في اللحم والدم والمخ والعصب قال أتعرفها ان رأيتها قال لو ادخلت الجنة لم أنكرها فأمرها عبد الله ان تخرج اليه وقال له انما اشتريتها لك ووالله ما دنوت منها فشأنك بها بارك الله لك فيها فلما ولى قال يا غلام احمل اليه مائة ألف درهم قال فبكى عبد الله وقال يا أهل البيت لقد خصكم الله بشرف ما خص به أحدا من صلب آدم فهنأكم الله بهذه النعمة وبارك لكم فيها (ولقد تقرر) ان اجواد الاسلام احد عشر جوادا ذكرت من جود بعضهم ما تيسر وقال صاحب العقد انه جاء بعدهم طبقة أخرى وهي الطبقة الثانية (فمنهم) الحكم ابن أحطب قيل سأله اعرابي فأعطاه خمسمائة دينار فبكى الاعرابي فقال له لعلك استقللت ما اعطيناك فقال لا والله ولكني ابكي لما تأكل الارض منك ثم أنشد

فكأن آدم حين حان وفاته ❊ اوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه ان ترعاهم فرعيتهم ❊ وكفيت آدم عيلة الابناء

(وحكى) عن العتبي انه قال حدثني رجل قال قدم علينا الحكم بن احطب وهو مملق فأغنانا فقلت وكيف اغنانا وهو مملق فقال علمنا المكارم فعاد غنينا على فقيرنا (ومنهم) معن بن زائدة يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وحدث عن معن ولا حرج وأتاه رجل يستحمله فقال يا غلام اعطه فرسا وبرذونا وبغلا وعيرا وبعيرا وجارية ولو عرفت مركوبا غير هذا لاعطيتك (ومنهم) يزيد بن المهلب قيل كان هشام بن حسان اذا ذكره قال كانت السفن تجري في بحر جوده (حكى) الاصمعي انه قدم على يزيد قوم من قضاعة فقال رجل منهم

والله ما ندري اذا ما فاتنا ❊ طلب اليك من الذي نتطلب
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد ❊ أحدا سواك الى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التي عودتنا ❊ أولا فارشدنا الى من نذهب

فأمر له بالف دينار (ومنهم) يزيد بن حاتم قيل ان ربيعة الرأي قدم مصر فأتى يزيد السلمي فلم يعطه شيأ ثم عطف على يزيد بن حاتم فشغل عنه لامر ضروري فخرج وهو يقول

اراني ولا كفران لله راجعا ❊ بخفي حنين من نوال ابن حاتم

فلما فرغ يزيد من ضرورته سأل عنه فأخبر انه خرج وهو يقول كذا وأنشد البيت فأرسل من يجد في طلبه فأتى به فقال كيف قلت فأنشد البيت فقال شغلنا عنك وعجلت علينا ثم أمر بخفيه فخلعا من رجليه وملئا مالا وقال ارجع بهما بدلا من خفي حنين (ومنهم) أبو دلف واسمه القاسم وفيه يقول ابن أبي جبلة

انما الدنيا أبو دلف ❊ بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف ❊ ولت الدنيا على أثره

وقال

ان سار سار المجد أو حل وقف ❊ انظر بعينيك الى أعلى الشرف
هل ناله بقدرة أو بكلف ❊ خلق من الناس سوى أبي دلف

فاعطاه خمسين ألف درهم (ومنهم) خالد بن عبد الله القسري قيل انه كان جالسا في مظلة اذ نظر
الى اعرابي يخب على بعيره مقبلا نحوه فقال لحاجبه اذا قدم لا تحجبه فلما قدم ادخله فسلم فقال

اصلحك الله قل ما بيدي * فما أطيق العيال اذ كثروا
اناخ دهر رمى بكلكله * فارسلوني اليك وانتظروا

(فقال) خالد اذ أرسلوك الي وانتظروا والله لتعودن اليهم بما يسرهم فامر له بجائزة عظيمة
وكسوة شريفة (ومنهم) عدي بن حاتم حكى صاحب العقد قال دخل أبو دارة على عدي بن حاتم
فقال اني مدحتك قال امسك حتى آتيك بمالي فاني اكره ان اعطيك ثمن ما تقول هذه ألف شاة
وألف درهم وثلاثة اعبد وثلاث اماء وفرسي هذا حبيس في سبيل الله فامدحني على حسب
ما اخبرتك (قيل) ان أروى بنت الحرث بن عبد المطلب كانت أغلظ الوافدات على معاوية خطابا
وكان حلم معاوية أعظم من خطابها دخلت عليه وهي عجوز كبيرة فلما رآها معاوية قال
مرحبا بك يا خالة كيف كنت بعدنا قالت بخير يا امير المؤمنين لقد كفرت النعمة واسأت بابن
عمك الصحبة وتسميت بغير اسمك واخذت غير حقك من غير دين كان منك ولا من آبائك
ولا سابقة في الاسلام بعد ان كفرتم برسول الله فاتعس الله منكم الجدود واضرع منكم الخدود
ورد الحق الى أهله ولو كره المشركون وكانت كلمتنا هي العليا ونبينا هو المنصور فوليتم علينا بعد
فاصبحتم تحتجون على سائر العرب بقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أقرب
اليه منكم وأولى بهذا الامر منكم فكنا فيكم بمنزلة بني اسرائيل في آل فرعون وكان علي رضي الله
عنه عند نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بمنزلة هارون من موسى فغايتنا الجنة وغايتكم النار
فقال لها عمرو بن العاص كفي ايتها العجوز الضالة واقصري عن قولك مع ذهاب عقلك
اذ لا تجوز شهادتك وحدك فقالت له وأنت يا ابن الباغية تتكلم وأمك كانت أشهر بغي بمكة
وأرخصهن اجرة وادعاك خمسة نفر كلهم يزعم انك ابنه فسئلت أمك عن ذلك فقالت كلهم
أتاني فانظروا أشبههم به فالحقوه به فغلب عليك شبه العاص بن وائل فلحقت به فقال مروان
كفي ايتها العجوز واقصدي ما جئت له فقالت وأنت أيضا يا ابن الزرقاء تتكلم ثم التفتت الى
معاوية فقالت والله ما جرأ هؤلاء غيرك وأمك القائلة في قتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم

نحن جزيناكم بيوم بدر * والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان لي عن عتبة من صبر * ولا أخي وعمه وبكر
سكنت وحشيا غليل صدري * فشكر وحشي على دهري
* حتى ترم اعظمي في قبري *

فاجابتها ابنة عمي بقولها

خزيت في بدر وغير بدر * يا بنت جبار عظيم الكفر

فقال معاوية عفا الله عما سلف يا خالة هات حاجتك فقالت ما لي اليك حاجة وخرجت عنه
وهذه العبارة بنصها منقولة من العقد لابن عبد ربه رحمه الله تعالى (وحكى صاحب العقد
أيضا) قال قدم عقيل بن أبي طالب على معاوية فاكرمه وقربه وقضى عنه دينه ثم قال له في بعض

الايام

الايام يا عقيل أنا خير لك من أخيك علي قال صدقت أخي آثر دينه على دنياه وأنت آثرت دنياك
على دينك فانت خير لي من أخي وأخي خير لنفسه منك لنفسك (ودخل عقيل أيضا) على معاوية
وقد كف بصره فاقعده على سريره معه ثم قال له أنتم معاشر بني هاشم تصابون في ابصاركم فقال
عقيل وأنتم معشر بني أمية تصابون في بصائركم (ودخل عليه يوما) فقال معاوية لاصحابه هذا
عقيل عمه أبو لهب فقال عقيل وهذا معاوية عمته حمالة الحطب ثم قال يا معاوية اذا دخلت
النار فاعدل ذات اليسار فانك ستجد عمي أبا لهب مفترشا عمتك حمالة الحطب فانظر ايهما
خير الفاعل أم المفعول به (وقال له يوما) ما أبين الشبق في رجالكم يا بني هاشم قال لكنه
في نسائكم ابين يا بني أمية (وقال الجاحظ) اجتمعت يوما بنو هاشم عند معاوية فاقبل عليهم
فقال يا بني هاشم والله ان خيري لممنوح وان بابي لكم لمفتوح وقد نظرت في أمري وأمركم
فرأيت أمرا مختلفا انكم ترون انكم أحق مني مما في يدي فاذا اعطيتكم عطية فيها قضاء
حقوقكم قلتم اعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا ذا مع انصاف قائلكم واسعاف سائلكم
فاقبل عليه ابن عباس رضي الله عنه وكان جريئا عليه فقال والله ما منحتنا شيئا حتى سألناه
ولا فتحت لنا بابا حتى قرعناه وأما هذا المال فما لك منه الا مال رجل واحد من المسلمين ولولا حقك
في هذا المال لم يأتك منا زائر يحمله خف ولا حافر وأما حربنا اياك بصفين فعلى تركك الحق
وادعائك الباطل اكفاك أم أزيدك قال كفاني (وقال الشعبي) قال ابن الزبير يوما لابن عباس
قاتلت أم المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما أم المؤمنين فانت اخرجتها
أنت وأبوك وخالك وبنا سميت أم المؤمنين وكنا لها خير بنين وقاتلت أنت وأبوك عليا فان كان
مؤمنا ضللتم بقتال المؤمنين وان كان علي كافرا فقد بؤتم بسخط من الله بفراركم من الزحف
(وذكر صاحب العقد) ان عبد الله بن الزبير تزوج امرأة من فزارة يقال لها أم عمرو فلما دخل
بها قال هل تدرين من معك قالت نعم عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد قال ليس هذا قالت
فأي شئ تريد قال معك من أصبح في قريش بمنزلة الرأس من الجسد لا بل العينين من الرأس قالت
اما والله لو ان بعض الهاشميين حضرك قال حلا فالقول لك قال فالطعام والشراب علي حرام حتى
احضر الهاشميين وغيرهم ولا يستطيعون لذلك انكارا قالت ان اطعتني لم تفعل فانت اعلم
بشأنك فخرج من المجلس فاذا بحلقة فيها جماعة من قريش وفيهم من بني هاشم عبد الله بن عباس
رضي الله عنه وعبد الله بن الحارث بن عبد المطلب فقال لهم ابن الزبير اني أحب ان تنطلقوا
معي الى منزلي فقام القوم باجمعهم حتى وقفوا على باب بيته فقال ابن الزبير يا هذه اطرحي عليك
سترك ثم أذن للقوم فلما أخذوا مجالسهم دعا ابن الزبير بالمائدة فتغدى القوم فلما فرغوا قال
ابن الزبير انما جمعتكم لحديث ردته علي صاحبة هذا الستر وزعمت انه لو كان بعض بني هاشم
حاضرا ما اقر لي بما قلت وقد حضرتم جميعا والحديث الذي ردته علي قلت لها ليلة الدخول بها
وأنا معها في خدرها ان معك من أصبح في قريش بمنزلة الرأس من الجسد لا بل العينين من الرأس
فردت علي مقالي فقال ابن عباس ان شئت أقول وان شئت اكف قال لا بل قل وما عسيت ان
تقول ألست تعلم ان الزبير حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أمي أسماء بنت أبي بكر

www.dorat-ghawas.com

الصديق ذات النطاقين وان خديجة سيدة نساء أهل الجنة عمتي وان صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم جدتي وان عائشة أم المؤمنين خالتي فهل تستطيع لهذا انكارا يا ابن عباس قال ابن عباس لا ولكن ذكرت شرفا شريفا وفخرا عظيما غير انك نلت ذلك كله وأنت تفاخر من بفخره فخرت وتسامي من بفضله سموت قال ابن الزبير وكيف ذلك قال لم تذكر مفخرا الا برسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أهل بيته وأقرب اليه وأولى بالفخر به قال ابن الزبير فانا أفاخرك بما كان قبل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس لقد انصفت اسائلكم أيها الحضور أعبد المطلب كان اشرف في قريش ام خويلد قالوا عبد المطلب قال اسائلكم أهاشم كان اشرف في قريش ام أمية قالوا بل هاشم قال فاسألكم بالله أعبد مناف كان أشرف أم عبد العزى قالوا اللهم عبد مناف فأنشد ابن عباس يقول

تفاخرني يا ابن الزبير وقد مضى ＊ عليك لنا رسول الله لا قول هازل

فلو غيرنا يا ابن الزبير فخرته ＊ ولكن بنا ساميت شمس الاصائل

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما افترقت فرقتان الا وكنت في خيرهما فقد فارقتك من لدن قصي بن كلاب فنحن في فرقة الخير أولا ونحن في فرقة الخير آخرا ان قلت نعم خصمت وان قلت لا كفرت قال فضحك بعض القوم وقالت المرأة من خلف الستر أما والله لقد نهيته عن هذا المجلس فأبى الا ماترى فقال ابن عباس مه ايتها المرأة اقنعي ببعلك وأخذ القوم بيد ابن عباس فقالوا انهض أيها الرجل فقد افحمته في منزله غير مرة فنهض ابن عباس وهو يقول

الا ياقومنا ارتحلوا وسيروا ＊ فلو ترك القطا ليلا لناما

(وحكى) صاحب العقد قال بينما معاوية جالس وعنده وجوه الناس اذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيبا وقال لعن الله عليا ما طرق الناس وفيهم الاحنف فقال الاحنف يا أمير المؤمنين ان هذا القائل ان علم أن رضاك في لعن المرسلين لعنهم فاتق الله ودع عنك عليا فقد لقي ربه وأفرد بقبره وخلا بعمله وكان والله مبرزا في سبقه طاهر الثوب ميمون النقيبة عظيم المصيبة فقال له معاوية يا احنف لقد أغضيت العين على القذى أما والله لتصعدن المنبر ولتلعن عليا طوعا أو كرها فقال أبي ان تعفني خير لك وان تجبرني على ذلك فوالله لا تجرى شفتاي به أبدا قال وما أنت قائل يا احنف قال أحمد الله وأصلى على نبيه ثم أقول ان أمير المؤمنين أمرني ان العن عليا ومعاوية وعلى اقتتلا واختلفا وادعى كل واحد منهما انه مبغي عليه فاذا دعوت فأمنوا رحمكم الله اللهم العن أنت وملائكتك وانبياؤك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه والعن الفئة الباغية أمنوا رحمكم الله يا معاوية لا أزيد على ذلك ولا أنقص ولو كان فيه ذهاب نفسي فقال معاوية اذا نعفيك انتهى (وقال معاوية لعقيل) ان عليا قطعك ووصلتك ولا يرضيني منك الا أن تلعنه على المنبر قال أفعل فصعد المنبر وحمد الله واثنى عليه ثم قال ان أمير المؤمنين أمرني ان العن عليا فالعنوه عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ثم نزل فقال له معاوية يا عقيل انك لم تبين من المراد منا قال والله لا زدت حرفا والكلام راجع الى نية المتكلم (ومن غريب المنقول) ما ذكر عن المنصور وهو أنه وعد الهذلي بجائزة ونسي فحجا معا ومرا في

المدينة النبوية بيت عاتكة فقال الهذلي يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الاحوص * يا دار عاتكة التي اتغزل * فأنكر عليه أمير المؤمنين المنصور ذلك لانه تكلم من غير أن يسئل فلما رجع الخليفة نظر في القصيدة الى آخرها ليعلم ما أراد الهذلي بانشاد ذلك البيت من غير استدعاء فاذا فيها

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق اللسان يقول ما لا يفعل

فعلم المنصور أنه أشار الى هذا البيت فتذكر ما وعده به وانجزه له واعتذر اليه من النسيان (ومثله) ما حكى ان أبا العلاء المعري كان يتعصب لابي الطيب المتنبي فحضر يوما مجلس المرتضى فجرى ذكر أبي الطيب فهضم من جانبه المرتضى فقال أبو العلاء لو لم يكن لابي الطيب من الشعر الا قوله * لك يا منازل في القلوب منازل * لكفاه فغضب المرتضى وأمر به فسحب وأخرج وبعد اخراجه قال المرتضى هل تعلمون ما أراد بذكر البيت قالوا لا قال عنى به قول أبي الطيب في القصيدة

واذا أتتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي باني كامل

(ومثله) قصة السري الرفاء مع سيف الدولة بسبب المتنبي أيضا فان السري الرفاء كان من مداح سيف الدولة وجرى في مجلسه يوما ذكر أبي الطيب فبالغ سيف الدولة في الثناء عليه فقال له السري اشتهي ان الامير ينتخب لي قصيدة من غرر قصائده لاعارضها ويتحقق الامير بذلك انه أركب المتنبي في غير سرجه فقال له سيف الدولة على الفور عارض لنا قصيدته التي مطلعها

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي * وللحب ما لم يبق مني وما بقي

(قال) السري فكتبت القصيدة واعتبرتها في تلك الليلة فلم أجدها من مختارات أبي الطيب لكن رأيته يقول في آخرها عن ممدوحه

اذا شاء ان يلهو بلحية أحمق * أراه غباري ثم قال له الحق

(قلت) والله ما أشار سيف الدولة الا الى هذا البيت (ومثله) ما حكاه ابن الجوزي في كتاب الاذكياء وهو من الغرائب في هذا الباب ان رجلا من طلبة العلم قعد على جسر بغداد يتنزه فاقبلت امرأة بارعة في الجمال من جهة الرصافة الى الجانب الغربي فاستقبلها شاب فقال لها رحم الله علي بن الجهم فقالت المرأة رحم الله أبا العلاء المعري وما وقفا بل سارا مشرقا ومغربا قال الرجل فتبعت المرأة وقلت والله ان لم تقولي لي ما أراد بابن الجهم فضحتك قالت أراد به قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وعنيت أنا بأبي العلاء قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

(ومثله) ما هو منقول عن الامام الحافظ فتح الدين أبي الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري ان الشيخ بهاء الدين بن النحاس رحمه الله دخل الى الجامع الازهر فوجد أبا الحسين الجزار جالسا والى جانبه مليح ففرق بينهما وصلى ركعتين ولما فرغ قال لابي الحسين ما أردت الا قول ابن سناء الملك فقال أبو الحسين الجزار وأنا تفاءلت بقول صاحبنا السراج

الوراق أما مراد الشيخ بهاء الدين فهو اشارة الى قول ابن سناء الملك

أنا في مقعد صدق * بين قواد وعلق

وأما مراد أبي الحسين من ذلك راج الورق فهو

ومهفهف رشق الابي * فقاده سلس القياد

لما توسط بيننا * جرت الامور على السداد

فبلغ كل منهما ما أراد من صاحبه ولم يشعر أحد بمراد الاثنين غيرهما قلت وبالنسبة الى هذا الذكاء المفرط الصادر من هؤلاء القوم يتعين أن نورد هنا نبذة من كتاب الاذكياء لابن الجوزى (فمن ذلك) ماروى عن منصور بني العباس وهو انه جلس يوما في أحد قباب المدينة فرأى رجلا ملهوفا يجول في الطرقات فارسل اليه من أتاه به فسأله عن حاله فأخبره انه خرج في تجارة فأفاد فيها مالا كثيرا وانه رجع بها الى زوجته ودفع المال اليها فذكرت المرأة ان المال سرق من المنزل ولم ير نقبا ولا مسلقا فقال له المنصور منذ كم تزوجتها قال منذ سنة قال تزوجتها بكرا أم ثيبا قال ثيبا قال شابة أم مسنة قال شابة فدعا المنصور بقارورة طيب وقال تطيب بهذا فانه يذهب همك فاخذها وانقلب الى أهله فقال المنصور لجماعة من نقبائه اقعدوا على أبواب المدينة فمن مر بكم وشممتم فيه روائح الطيب فأتونى به ومضى الرجل بالطيب الى بيته فدفعه الى المرأة وقال هذا من طيب أمير المؤمنين فلما شمته اعجبها الى الغاية فبعثت به الى رجل كانت تحبه وهو الذى دفعت المال اليه فقالت له تطيب بهذا الطيب فتطيب به ومر مجتازا ببعض الابواب ففاحت منه روائح الطيب فاخذوه واتوا به الى المنصور فقال له من أين استفدت هذا الطيب فتلجلج في كلامه فسلمه الى صاحب شرطته وقال له ان احضر كذا وكذا من الدنانير فخذ منه والا فاضربه ألف سوط فما هو الا ان جرد وهدد حتى اذعن برد الدنانير وأحضرها كهيئتها ثم اعلم المنصور بذلك فدعا صاحب الدنانير وقال له أرأيتك ان رددت اليك الدنانير اتحكمني في امرأتك قال نعم يا أمير المؤمنين قال هاهى دنانيرك وقد طلقت امرأتك وقص عليه الخبر (ومن ذلك) ماروى عن المهدى وهو ان شريك بن عبد الله القاضي دخل عليه يوما فاراد المهدى أن يبخره فقال للخادم احضر للقاضي عودا فذهب الخادم فجاء بالعود الذى يلهى به فوضعه في حجر شريك فاضطرب شريك من ذلك وقال ما هذا يا أمير المؤمنين قال عود أخذه صاحب العسس البارحة فاحببنا ان يكون كسره على يد القاضي فقال شريك جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين ثم أفاضوا في الحديث حتى نسي الامر فقال المهدى لشريك ما تقول في رجل امر وكيلا له أن يأتى بشىء بعينه فجاء بغيره فتلف ذلك الشىء فقال يضمن يا أمير المؤمنين فقال للخادم اضمن ما تلفت (ومن ذلك) انه حكى انه قدم رجل الى بغداد ومعه عقد يساوى ألف دينار فاراد بيعه فلم يتفق فجاء الى عطار موصوف بالخير والديانة فاودع العقد عنده وحج وأتى بهدية للعطار وسلم عليه فقال من أنت ومن يعرفك فقال أنا صاحب العقد فلما كلمه رفسه والقاه عن دكانه فاجتمع الناس وقالوا ويلك هذا رجل صالح فما وجدت من تكذب عليه الا هذا فتحير الحاج وتردد اليه فما زاده الا شتما وضربا فقيل له لو ذهبت الى عضد الدولة لحصل لك من فراسته

www.dorat-ghawas.com

خبر فكتب قصته وجعلها على قصبة وعرضها عليه فقال ما شأنك فقص عليه القصة فقال
اذهب غدا واجلس في دكان العطار ثلاثة أيام حتى أمر عليك في اليوم الرابع فاقف وأسلم
عليك فلا ترد علي الا السلام فاذا انصرفت أعد عليه ذكر العقد ثم أعلمني بما يقول لك ففعل
الحاج ذلك فلما كان في اليوم الرابع جاء عضد الدولة في موكبه العظيم فلما رأى الحاج وقف وقال
سلام عليكم فقال الحاج وعليكم السلام ولم يتحرك فقال يا أخي تقدم من العراق ولا تأتينا
ولا تعرض علينا حوائجك فقال له ما اتفق هذا ولم يزده على ذلك شيئا هذا والعسكر واقف
بكماله فانذهل العطار وأيقن بالموت فلما انصرف عضد الدولة التفت العطار الى الحاج وقال له
يا أخي متى أودعتني هذا العقد وفي أي شيء هو ملفوف فذكرني لعلي اتذكر فقال من صفته
كذا وكذا فقام وفتش ثم فتح جرابا وأخرج منه العقد وقال الله أعلم انني كنت ناسيا ولو لم تذكرني
ما تذكرت فأخذ الحاج العقد ومضى الى عضد الدولة فأعلمه فعلقه في عنق العطار وصلبه على باب
دكانه ونودي عليه هذا جزاء من استودع ثم جحد ثم أخذ الحاج العقد ومضى الى بلاده (ومثله)
ما نقل عن ذكاء اياس الذي سارت به الركبان (قيل) ان رجلا استودع أمينا لاياس مالا
وخرج المودع الى الحجاز فلما رجع طلبه فجحده فأتى اياسا فأخبره فقال له اياس أعلمه أنك
اتيتني قال لا قال أفنازعته عند غيري قال لا قال فانصرف واكتم سرك ثم عد الي بعد يومين
فمضى الرجل ودعا اياس امينه فقال قد حضر عندنا مال كثير أريد أن أسلمه اليك أفحصين منزلك
قال نعم قال فاعدد موضعا للمال وقوما يحملونه وعاد الرجل الى اياس فقال انطلق الى صاحبك
فان أعطاك المال فذاك وان جحد فقل له اني أخبر القاضي بالقصة فأتى الرجل صاحبه فقال
تعطيني الوديعة أو اشكوك الى القاضي واخبره بالحال فدفع اليه المال فرجع الرجل وأخبر
اياسا وقال اعطاني الوديعة وجاء الامين الى اياس ليأخذ المال الموعود به فزجره وقال له
لا تقربني بعد هذا يا خائن (ومثله) انه ولي القضاء بواسط رجل مشهور بالدين والذكاء المفرط
فجاءه رجل استودع بعض الشهود كيسا مختوما وذكر أن فيه ألف دينار فلما حصل الكيس
عند الشاهد وطالت غيبة المودع ظن أنه قد مات فهم بانفاق المال وخشي من مجيء صاحبه ففتق
الكيس من أسفله وأخذ الدنانير وجعل مكانها دراهم وأعاد الخياطة كما كانت فقدر ان
الرجل حضر الى واسط وطلب الشاهد بوديعته فأعطاه الكيس بختمه فلما حصل في منزله
فض ختمه فاذا في الكيس دراهم فرجع الى الشاهد وقال له اردد علي مالي فاني أودعتك دنانير
والذي وجدت دراهم فأنكر فاستعدى عليه الى القاضي المتقدم ذكره فلما حضرا بين يديه قال
الحاكم للمستودع منذ كم أودعك الكيس قال منذ خمس عشرة سنة فقال القاضي لصاحب
الكيس أحضر لي الدراهم فاحضرها فقال القاضي للشهود اعتبروا تواريخ الدراهم فقرؤا
سككها فاذا منها ما له سنتان وثلاث سنين ونحو ذلك فأمره أن يدفع له الدنانير فدفعها وعزله
القاضي وأطاف به البلد واسقطه (ومثله بل اغرب منه) ان رجلا استودع رجلا مالا ثم طلبه
فجحده فخاصمه الى اياس وقال المدعي اني طالبه بمال أودعته اياه وقدره كذا وكذا فقال له
اياس ومن حضرك قال كان رب العزة ثم قال دفعته اليه في أي مكان قال في موضع كذا قال

www.dorat-ghawas.com

فأى شئ تعهده من ذلك الموضع قال شجرة عظيمة قال فانطلق الى الموضع وانظر الى الشجرة لعل الله يظهر لك علامة يتبين بها حقك أولعلك دفنت مالك تحت الشجرة فنسيت فتذكره اذا رأيت الشجرة فمضى الرجل مسرعا فقال اياس للرجل المدعى عليه اقعد حتى يرجع خصمك فجلس واياس يقضى بين الناس وتنظر اليه بعد ذلك ثم قال له ياهذا أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة التى ذكرها قال لا فقال له والله ياعدو الله انك لخائن فقال أقلنى أقالك الله ياأمير المؤمنين فأمر من يحتفظ به حتى جاء الرجل فقال اياس قد اقر بحقك فخذه (ومن لطائف المنقول من كتاب الاذكياء) ان يحيى بن اكثم القاضى ولى القضاء بالبصرة وسنه عشرون سنة فاستصغره أهل البصرة فقال أحدهم كم سن القاضى فعلم يحيى انه استصغره فقال انا اكبر من عتاب بن أسيد حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على اهل مكة يوم الفتح وأنا اكبر من معاذ بن جبل حين وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل اليمن وأنا اكبر من كعب بن سور حين ولاه عمر بن الخطاب قاضيا على أهل البصرة قال فعظم فى أعين أهل البصرة وهابوه (ومن المنقول من كتاب الاذكياء) ان بعض اللصوص دخل بيتا ومعه جماعة تحت أمره ونهيه فى القتل والسرقة فظفروا بصاحب البيت وأوقفوه للقتل فتدخل عليهم فى ابقاء مهجته وأخذ مافى البيت بكماله فقال كبيرهم حلفوه بالطلاق الثلاث وعلى المصحف انه لا يعلم بهم أحدا فاصبح الرجل يرى اللصوص يبيعون متاعه ولا يقدر أن يتكلم لاجل اليمين فجاء الى أبى حنيفة او أعلمه بحاله فقال له احضرأ كابر حيك وأذين جيرانك وامام جماعتك فلما حضروا قال لهم أبو حنيفة هل تحبون أن يرد الله على هذا الرجل متاعه قالوا نعم فقال اجمعوا دعاريكم فادخلوهم الجامع ثم اخرجوهم واحدا واحدا وكلما خرج منهم واحد قولوا هذا لصك فان كان ليس بلصه قال لا وان كان لصه فليسكت فاذا اسكت فاقبضوا عليه ففعلوا ذلك فرد الله عليه ماسرق له (ومنه) ان الربيع صاحب المنصور كان يعادى أبا حنيفة فحضر يوما عند أمير المؤمنين فقال الربيع ياأمير المؤمنين ان أبا حنيفة يخالف جدك ابن عباس وكان جدك يقول اذا حلف الرجل على شئ ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو بيومين كان ذلك جائزا وأبو حنيفة لا يجوز ذلك الا متصلا باليمين فقال أبو حنيفة ياأمير المؤمنين ان الربيع يزعم ان ليس لك فى رقاب جندك عهد قال كيف ذلك قال يحلفون لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون فتبطل ايمانهم فضحك المنصور وقال ياربيع لا تتعرض لابى حنيفة (ومنه) ان الامام أبا حنيفة رضى الله عنه قال دخلت البادية فاحتجت الى الماء فجاءنى اعرابى ومعه قربة ملآنة فابى أن يبيعها الا بخمسة دراهم ندفعتها له ثم أخذت القربة فقلت ما رأيك يااعرابى فى السويق فقال هات فاعطيته سويقا ملتوتا بزيت فجعل يأكل حتى امتلأ ثم عطش فقال على بشربة فقلت بخمسة دراهم على قدح من ماء فاستردت الخمسة وبقى الماء (ومنه) انه استودع رجل بالكوفة رجلا مالا وحج ورجع فطلبه فجحده وجعل يحلف له فانطلق الرجل الى أبى حنيفة فخلا به وأخبره بذلك فقال له الامام لا تكلم أحدا بجحوده وكان الرجل يجالس أبا حنيفة فقال له وقد خلا لهم المكان ان هؤلاء بعثوا يستشيرونني فى رجل يصلح للقضاء وقد اخترتك فانصرف من عند الامام

فجاء

فجاء صاحب الوديعة فقال له الامام ارجع الى صاحبك وذكره لاحتمال ان يكون ناسيا
فذهب اليه وسأله فلم يحتج معه الى علامة بل دفع اليه متاعه وتوجه بعد ذلك الى أبي حنيفة
فقال له أبو حنيفة انى نظرت فى أمرك فاردت أن ارفع قدرك ولا اسميك حتى يحضر ما هو
انفس من هذا (ومنه) انه كان بجوار أبي حنيفة شاب يغشى مجلسه فقال له يوما من الايام
يا امام أريد التزويج الى فلانة من أهل الكوفة وقد خطبتها من وليها فطلب مني من المهر
فوق وسعي وطاقتي فقال أبو حنيفة فاستخر الله تعالى وأعطهم ما طلبوه فلما عقدوا النكاح
جاء الى أبي حنيفة فقال انى سألتهم أن يأخذوا مني البعض ويدعوا البعض عند الدخول فابوا
فما ترى قال احتل واقترض حتى تدخل باهلك فان الامر يكون أسهل عليك من تعقيدهم ففعل
ذلك فلما زفت اليه ودخل بها قال له أبو حنيفة ما عليك أن تظهر الخروج باهلك عن هذا البلد
الى موضع بعيد فاكترى الرجل جملين واحضر آلة السفر وما يحتاج اليه واظهر أنه يريد
الخروج من البلد فى طلب المعاش وان يصحب أهله معه فاشتد ذلك على أهل المرأة وجاؤا الى
أبي حنيفة يستشيرونه فقال لهم أبو حنيفة له أن يخرجها الى حيث شاء فقالوا لم نصبر على ذلك
فقال ارضوه بان تردوا عليه ما أخذتم منه فاجابوه الى ذلك فقال أبو حنيفة للفتى ان القوم قد
سمعوا وأجابوا الى أن يردوا عليك ما أخذوا منك من المهر ويبرؤك فقال الفتى لابد من زيادة
آخذها منهم فقال أبو حنيفة ايما أحب اليك أن ترضى بما بذلوا لك والا أقرت المرأة لرجل بدين
عليها ولا يمكنك حملها ولا السفر بها حتى يقضى ما عليها من الدين قال فقال الفتى الله الله يا أمام
لا يسمع أحد منهم بذلك ثم أجاب وأخذ ما بذلوه من المهر. (ومنه) ان رجلا جاء الى أبي حنيفة
وقال يا امام دفنت مالا من مدة طويلة ونسيت الموضع الذى دفنته فيه فقال الامام ليس فى هذا
فقه فاحتال لك ولكن اذهب فصل الليلة الى الغداة فانك ستذكره ان شاء الله تعالى ففعل فلم
يمض الا أقل من ربع الليل حتى ذكر الموضع الذى دفن فيه فجاء الى أبي حنيفة فاخبره فقال
قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلى الليل كله فهلا اتممت ليلتك كلها شكرا لله تعالى (ومنه)
أن بعضهم كانت له زوجة جميلة وكان يحبها حبا شديدا وتبغضه بغضا شديدا ولم تزل المنافرة
بينهما البتة فاضجره ذلك وطالت مدة تجرئها عليه فى الكلام فقال لها يوما أنت طالق ثلاثا
بتاتا ان خاطبتني بشيء ولم أخاطبك بشيء مثله فقالت له فى الحال أنت طالق ثلاثا بتاتا فابلس
الرجل ولم يدر ما يجيب وخاف فى جوابها من وقوع الطلاق وارشد الى أبي جعفر الطبري
فاخبره بما جرى فقال له اذا طالبتك بالجواب فقل لها انت طالق ثلاثا بتاتا ان انا طلقتك
فتكون قد خاطبتها ووفيت بيمينك (ومنه) قيل ان ذا النون المصري كان يعرف الاسم الاعظم
قال يوسف بن الحسن لما تحققت منه ذلك قصدت مصر وخدمته سنة ثم قلت له يرحمك الله انى قد
خدمتك ووجب حقى عليك واشتهى ان تعلمني اسم الله الاعظم فلا تجد له موضعا مثلى قال
فسكت ولم يجبني ستة أشهر واومأ الى انه يعلمني ثم أخرج من بيته طبقا ومكبة وقد شدا بمنديل
وكان ذو النون يسكن الجيزة فقال تعرف فلانا صديقنا من الفسطاط قلت نعم قال فاحب ان
تؤدى هذا اليه قال فاخذت الطبق وهو مشدود وجعلت أمشي طول الطريق وافول مثل ذى

النون يوجه الى فلان بهدية ترى اى شئ هى فلم أصبر ان بلغت الجسر فحلت المنديل ورفعت المكبة فاذا فأرة نفرت من الطبق وفرت فاغتظت غيظا شديدا وقلت ذوالنون المصرى يسخر بى ويوجه مع مثلى فأرة فرجعت على ذلك الغيظ فلما رآنى علم ما فى وجهى فقال يا أحمق ائتمنتك على فأرة فخنتنى فكيف أئتمنك على اسم الله الاعظم مر عنى فلا أراك بعدها (ومن ذلك ما هو منقول عن الافراط فى ذكاء العرب) قيل سار مضر وربيعة واياد وانمار اولاد نزار بن معد الى أرض نجران فبينما هم يسيرون اذ رأى مضر كلأ قد رعى فقال البعير الذى رعى هذا أعور فقال ربيعة وهو أزور وقال اياد وهو أبتر وقال انمار وهو شرود فلم يسيروا الا قليلا حتى لقيهم رجل على راحلة فسألهم عن البعير فقال مضر أهو أعور قال نعم قال ربيعة أهو ازور قال نعم قال اياد أهو أبتر قال نعم قال انمار أهو شرود قال نعم والله هذه صفات بعيرى دلونى عليه فحلفوا انهم ما رأوه فلزمهم وقال كيف أصدقكم وانتم تصفون بعيرى بصفته فساروا حتى قربوا نجران فنزلوا بالافعى الجرهمى فنادى صاحب البعير هؤلاء القوم وصفوا الى بعيرى بصفته ثم أنكروه فقال الجرهمى كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر رأيته يرعى جانبا ويترك جانبا فعلمت انه أعور وقال ربيعة رأيت احدى يديه ثابتة الاثر والاخرى فاسدة الاثر فعلمت انه أفسدها بشدة وطئه لازوراره وقال اياد عرفت بتره باجتماع بعره ولو كان ذيالا لتفرق وقال انمار انما عرفت انه شرود لانه كان يرعى فى المكان الملتف نبته ثم يجوزه الى مكان ارق منه وأخبث فقال الافعى ليسو بأصحاب بعيرك فاطلبه ثم سألهم من هم فاخبروه فرحب بهم واضافهم وبالغ فى اكرامهم (ومنه) ان عقبة الازدى كان مشهورا بمعالجة الجن وصدق العزائم فاتوه بجارية قد جنت فى ليلة عرسها فعزم عليها فاذا هى قد سقطت فقال لاهلها اخلونى بها فاجابوه فلما خلا بها قال لها اصدقينى عن نفسك وعلى خلاصك فقالت انه كان لى صديق وأتانى بيت أهلى وانهم أرادوا أن يدخلونى على زوجى ولست ببكر فخفت الفضيحة فهل عندك حيلة فى أمرى فقال نعم ثم خرج الى أهلها فقال ان الجنى قد اجابنى الى الخروج منها فاختاروا من أى عضو واعلموا أن العضو الذى يخرج منه الجنى لا بد أن يهلك ويفسد فان خرج من عينها عميت وان خرج من اذنها صمت وان خرج من يدها شلت وان خرج من رجلها زمنت وان خرج من فرجها ذهبت بكارتها فقال أهلها انا لم نجد شيأ أهون من ذهاب عذرتها فاخرج الشيطان منه فأوهمهم أنه فعل ذلك وأدخلت المرأة على زوجها (ومن ذلك) ان الامام عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل رجلا على عمل فبلغه عنه أنه قال

اسقنى شربة الذعليها * واسق بالله مثلها ابن هشام

قال فاشخصه وعلم الرجل بالحال فضم اليه بيتا آخر فلما قدم على الامام قال ألست القائل

اسقنى شربة الذعليها * واسق بالله مثلها ابن هشام

قال نعم يا أمير المؤمنين ان لهذا البيت ثانيا وهو

عسلا باردا بماء سحاب * اننى لا أحب شرب المدام

فقال الامام الله الله ارجع الى عملك (ومن لطائف هزليات الاذكياء) ان الرشيد خرج متنزها

فانفرد

www.dorat-ghawas.com

فانفرد عن العسكر ومعه الفضل بن الربيع فاذا هو بشيخ قد ركب حمارا ضعيفا وهو رطب العينين فغمز الفضل عليه فقال له الفضل اين تريد ياشيخ فقال حائطا لى قال هل أدلك على شئ تداوى به عينيك فتذهب هذه الرطوبة فقال ما أحوجنى الى ذلك قال تأخذ عيدان الهواء وغبار الماء وورق الكمأة فصير الجميع فى قشر جوزة واكتحل من القشر فانه يذهب رطوبة عينيك فاتكأ الشيخ على ظهر حماره وضرط ضرطة طويلة ثم قال خذ هذه الضرطة أجرة وصفتك فان نفعتنا زدناك فضحك الرشيد حتى كاد يسقط عن ظهر دابته (ومن الجد المفحم) ان رجلا من اليهود قال للامام على رضى الله عنه مادفنتم نبيكم حتى قالت الانصار منا أمير ومنكم أمير فقال له الامام أنتم ما جفت اقدامكم من ماء البحر حتى قلتم ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة (ومنه) ان المتوكل قال يوما لجلسائه انه نعم المسلمون لهم على عثمان أشياء منها ان الامام أبا بكر رضى الله عنه لما تسنم المنبر هبط عن مقام النبى صلى الله عليه وسلم بمرقاة ثم قام عمر دون مقام أبى بكر وصعد عثمان ذروة المنبر فقال عباده ما أحد أعظم منة عليك من عثمان ياأمير المؤمنين قال وكيف ويلك قال لانه صعد ذروة المنبر ولو أنه كلما قام خليفة نزل مرقاة ونزل عثمان لمن تقدمه كنت أنت تخطبنا من بئر فضحك المتوكل ومن حوله (ومن المنقول عن اذكياء الاطباء) ان جارية من جوارى الرشيد تمطت فلما أرادت ان تمد يدها لم تطق وحصل فيها الورم فصاحت وآلمها فشق على الرشيد وعجز الاطباء عن علاجها فقال له طبيب حاذق ياأمير المؤمنين لادواء لها الا أن يدخل اليها رجل اجنبى غريب فيخلو بها ويمرخها بدهن يعرفه فأجابه الخليفة الى ذلك رغبة فى عافيتها فاحضر الطبيب الرجل والدهن وقال أريد ان أمير المؤمنين يأمر بتعريتها حتى يمرخ جميع أعضائها بهذا الدهن فشق ذلك على الخليفة وأمره أن يفعل وأضمر فى نفسه قتل الرجل وقال للخادم خذه وأدخله عليها بعد أن تعريها فعريت الجارية وأقيمت فلما دخل عليها وقرب منها وسعى اليها وأومأ بيده الى فرجها لمسه غطت الجارية فرجها بيدها التى قد كانت عطلت حركتها واشتد ما داخلها من الحياء والجزع حمى جسمها بانتشار الحرارة الغريزية فأعانها على ما أرادت من تغطية فرجها واستعمال يدها فى فرجها فلما غطت فرجها قال لها الرجل الحمد لله على العافية فأخذه الخادم وجاء به الى الرشيد واعلمه بالحال وما اتفق فقال الرشيد للرجل فكيف نعمل فى رجل نظر الى حرمنا فمد الطبيب يده الى لحية الرجل فانتزعها فاذا هى ملصقة واذا الشخص جارية وقال ياأمير المؤمنين ما كنت لابذل حرمك للرجال ولكن خشيت ان اكشف لك الخبر فيتصل بالجارية فتبطل الحيلة ولا يفيد العلاج لانى أردت أن ادخل على قلبها فزعا شديدا يحمى طبعها ويقودها الى تحريك يدها وتمشى الحرارة الغريزية فى سائر أعضائها بهذه الواسطة فسرى عن الرشيد ما كان وقر فى صدره من الرجل وأجزل عطيته (ومن المنقول عن أذكياء المتطفلين) قال أبو عمرو الجهضمى كان لى جار طفيلى وكان من أحسن الناس منظرا وأعذبهم منطقا وأطيبهم رائحة فكان من شأنه اذا دعيت الى وليمة يتبعنى فيكرمه الناس من أجلى ويظنون صحبتى له (فاتفق) ان جعفر بن القاسم الهاشمى أمير البصرة أراد أن يختن أولاده فقلت فى نفسى كانى برسول الامير قد جاءنى وكانى

يا طفيلي قد تبعني والله لئن فعل لافضحنه فانا على ذلك اذ جاءني رسول الامير يدعوني فما زدت على أن لبست ثيابي وخرجت فاذا أنا بالطفيلي واقف على باب داره وقد سبقني بالتأهب فتقدمت وتبعني فلما حضرت الموائد كان معي على المائدة فلما مد يده ليأكل قلت حدثني درسة بن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل دار قوم بغير أذنهم فأكل طعامهم دخل سارقا وخرج مغيرا فلما سمع الطفيلي ذلك قال أنفت لك والله يا أبا عمرو من هذا الكلام على مائدة سيد من أطعم الطعام فانه ما من أحد من الجماعة الا وهو يظن أنك تعرض به دون صاحبه وقد بخلت بطعام غيرك على من سواك ثم ما استحييت حتى حدثت عن درسة بن زياد وهو ضعيف وعن أبان بن طارق وهو متروك الحديث والمسلمون على خلاف ما ذكرت فان حكم السارق القطع وحكم المغير ان يعزر على ما يراه الامام (وأين أنت) من حديث حدثناه أبو عاصم عن ابن جريج عن الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة وطعام الاربعة يكفي الثمانية وهو اسناد صحيح ومتن صحيح متفق عليه قال أبو عمرو والله لقد افحمني ولم يحضرني جواب فلما خرجنا فارقني من جانب الطريق الى الجانب الآخر بعد ان كان يمشي ورائي وسمعته يقول

ومن ظن ممن يلاقي الحروب * بان لا يصاب فقد ظن عجزا

(ومن المنقول عن أذكياء المتلصصين) أن بعض التجار قال احتال على رجل بحوالة فكان يأتيني كل يوم ويأخذ قدر نفقته الى أن نفدت وصار بيننا معرفة وألف الجلوس عندي وكان يراني اخرج من صندوق لي فاعطيه منه فقال لي يوما ان قفل الرجل صاحبه في سفره وأمينه في عصره وخليفته على حفظ ماله وان لم يكن وثيقا تطرقت الحيل اليه وأرى قفلك هذا وثيقا فقل لي ممن ابتعته لابتاع مثله لنفسي فقلت من فلان الاقفالي قال فما شعرت يوما وقد جئت الى دكاني وتقدمت الى الصندوق لاخرج منه شيأ من الدراهم ففتحته فاذا ليس فيه شئ فقلت لغلامي وهو عندي أمين غير متهم هل انكرت شيأ من أحوال الدكان قال لا قلت ففتش هل ترى نقبا أم في السقف حيلة قال لا قلت فاعلم ان الذي كان في الصندوق قد ذهب وقلق الغلام فاسكنته وبقيت متحيرا وتأخر الرجل عني فتيقظت له وذكرت سؤاله عن القفل وقلت للغلام اخبرني كيف تفتح دكاني وتقفله فقال احمل الدراريب دفعتين وثلاثة حتى أضعها في محلها وهكذا أصنع في غلقها قلت فمن تدع عند الدكان اذا نقلت الدراريب قال اتركه خاليا قلت فمن هاهنا ذهبت فمضيت الى الصانع الذي ابتعت منه القفل فقلت جاءك انسان منذ أيام اشترى منك مثل هذا القفل فقال نعم رجل من صفته كذا وكذا واعطاني صفة صاحبي فعلمت انه احتال على الغلام وقت المساء ودخل الدكان واختبأ فيها ومعه مفتاح القفل وأخذ المال ومكث طول الليل الى الصباح فلما فتح الغلام وحمل الدراريب ليضعها في محلها خرج وانه ما فعل ذلك الا وقد خرج من المدينة فخرجت من البصرة ومعي قفلي ومفتاحي فقلت ابتدئ بواسط فلما صعدت طلبت خانا أنزله فلما دخلت الخان وجدت قفلا مثل قفلي على باب بيت فقلت

لقيم الخان هذا البيت من ينزله قال رجل قدم امس من البصرة فقلت ماصفته فوصف لى
صاحبي فما شككت انه هو وان الدراهم في بيته فاكتريت بيتا الى جانبه ورصدته حتى انصرف
قيم الخان ففتحت القفل ودخلت البيت فوجدت كيسي بعينه فاخذته وخرجت ووضعت قفله
على بابه ونزلت على الفور في السفينة وانحدرت الى البصرة ولم أقم بواسط غير ساعة من نهار
فرجعت الى منزلى بمالى كله (ومن المنقول عن أذكياء الصبيان) انه وقف اياس بن معاوية
وهو صبي على قاضي دمشق ومعه شيخ فقال اصلح الله القاضي هذا الشيخ ظلمني وأكل مالى فقال
القاضي ارفق بالشيخ ولا تستقبله بمثل هذا الكلام فقال اياس ان الحق أكبر مني ومنه ومنك
قال اسكت قال ان سكت فمن يقوم بحجتي قال فتكلم فوالله لا تتكلم بخير فقال لا اله الا الله
وحده لا شريك له فبلغ ذلك الخليفة فعزل القاضي وولى اياسا مكانه (ومن المنقول عن اذكياء
النساء) حكى المدائني قال خرج ابن زياد في فوارس فلقوا رجلا ومعه جارية لم ير مثلها في الحسن
فصاحوا به خل عنها وكان معه قوس فرمى أحدهم فهابوا الاقدام عليه فعاد ليرمي فانقطع
الوتر فهجموا عليه وأخذوا الجارية فهرب واشتغلوا عنه بالجارية ومد بعضهم يده الى اذنها
وفيها قرط وفي القرط درة يتيمة لها قيمة عظيمة فقالت وماقدر هذه الدرة انكم لو رأيتم ما في
قلنسوته من الدر لاستحقرتم هذه فتركوها واتبعوه وقالوا الق ما في قلنسوتك وكان فيها وتر قد
أعده فنسيه من الدهش فلما ذكره ركبه في القوس ورجع الى القوم فولى القوم هاربين وخلوا
الجارية (وحكى ابن الجوزي في كتاب الاذكياء) نبذة عن الحيوان الذي كان بذكائه يشبه ذكاء
الآدميين فمن ذلك ان بعض الكتاب مر بمقبرة فاذا قبر عليه قبة مكتوب عليها هذا قبر الكلب
فمن أحب ان يعلم خبره فليمض الى قرية كذا وكذا فان فيها من يخبره فسأل الرجل عن القرية
فدلوه عليها فقصدها فقيل له ما يعلم ذلك الا شيخ هنا قد جاوز المائة فسأله فقال كان هنا ملك
عظيم الشأن وكان يحب التنزه والصيد وكان له كلب قد رباه لا يفارقه فخرج يوما الى بعض
منتزهاته وقال لبعض غلمانه قل للطباخ يصلح لنا ثريدة بلبن فجاؤا باللبن الى الطباخ ونسي ان
يغطيه بشيء واشتغل بالطبخ فخرجت من بعض الشقوق افعى فكرعت في ذلك اللبن ومجته
في الثريدة والكلب رابض يرى ذلك ولم يجد له حيلة يصل بها الى الافعى وكان هناك جارية زمنة
خرساء قد رأت ماصنعت الافعى ووافى الملك من الصيد في آخر النهار فقال يا غلمان ادركوني
بالثريدة فلما وضعت بين يديه اومأت الخرساء فلم يفهم ما تقول ونبح الكلب وصاح فلم يلتفت اليه
ولج في الصياح فلم يعلم مراده فقال للغلمان نحوه عني ومد يده الى اللبن بعد ما رمى الى الكلب
ما كان يرمي اليه فلم يلتفت الكلب الى شيء من ذلك ولم يلتفت الى غير الملك فلما رآه يريد أن يضع
اللقمة من اللبن في فيه وثب الى وسط المائدة وأدخل فمه وكرع في اللبن فسقط ميتا وتناثر لحمه
وبقي الملك متعجبا من الكلب وفعله فاومأت الخرساء اليهم فعرفوا امرها وما صنع الكلب
فقال الملك لحاشيته هذا الكلب فداني بنفسه وقد وجب ان اكافئه وما يحمله ويدفنه غيري
فدفنه وبنى عليه القبة التي رأيتها قلت قد أوردنا نبذة لطيفة من كتاب الاذكياء لابن الجوزي
مختلفة الانواع وقد تعين ان نورد له هنا نبذة لطيفة من كتاب الحمقى والمغفلين لانه قال في كتاب

www.dorat-ghawas.com

الحمق ماوضعت ذلك الا لان النفس قد تمل من ملازمة الجد وترتاح الى بعض المباح من اللهو كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لحنظلة ساعة وساعة (وعن على) رضى الله عنه انه قال روحوا القلوب بطرائف الحكم فانها تمل كما تمل الابدان (وكان) رجل يجالس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدثهم فاذا أكثروا وثقل عليهم الحديث قال ان الاذن مجاجة وان القلوب حمضة هاتوا من أشعاركم وحديثكم (وقال) أبو الدرداء رضى الله عنه انى لاستجم نفسى بشئ من الباطل كراهة ان أحملها من الحق ما يملها وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان يحدث أصحابه ساعة ثم يقول حمضونا فيأخذ فى أحاديث العرب وأشعارهم ومثله عن الزهرى ومالك بن دينار (وكان) شعبة يحدث فاذا رأى أباز يد قال له ايه أبا زيد

استعجمت دار نعم ما تكلمنا * والدار لو كلمتنا ذات أخبار

(ووصف) رجل عند ابن عائشة فقيل هو جد كله فقال ابن عائشة لقد اعان على نفسه وقصر لها طول المدى ولو فكهها بالانتقال من حال الى حال نفس عنها ضيق العقد ورجع الى الجد بنشاط (وقال الرشيد) النوادر تشحذ الاذهان وتفتق الآذان (وقال آخر) لا يحب الملح الا ذكران الرجال ولا يكرهها الا مؤنثوهم وقال الشاعر

أروح القلب ببعض الهزل * تجاهلا منى بغير جهل

أمزح فيه مزح أهل الفضل * والمزح احيانا جلاء العقل

(قال ابن الجوزى فى كتاب الحمق) ان الاحنف بن قيس قال اذا رأيتم الرجل طويل القامة عظيم اللحية فاحكموا عليه بالحمق وقال معاوية لرجل كفى ان تشهد عليك بالحمق مارأه من طول لحيتك (وقال آخر) وتلطف ماشاء من طالت لحيته تكوسج عقله وقال أصحاب الفراسة من طالت قامته وطالت لحيته وجبت تعزيته فى عقله وقالوا اذا كان الرجل طويلا طويل اللحية وأضيف الى ذلك ان يكون صغير الرأس فاحكم عليه بالحمق (وقال زياد) ما زادت لحية الرجل على قبضة الا كان ذلك نقصانا من عقله وقال الشاعر

اذا عرضت للفتى لحية * وطالت وصارت الى سرته

فقد ضاق عقل الفتى عندنا * بمقدار مازاد من لحيته

وقال ابن الرومى

ان تطل لحية عليك وتعرض * فالمخالى مخلوقة للحمير

علق الله فى عذاريك مخلا * ة ولكنها بغير شعير

وقال بعضهم صارم الاحمق فليس له خير من الهجران وقيل مكتوب فى التوراة من اصطنع الى أحمق معروفا فهى خطيئة مكتوبة عليه (وقال) سفيان الثورى هجران الاحمق قربة الى الله تعالى (ممن ضرب المثل بحمقه وتغفله) هبنقة واسمه يزيد وكان قد جعل فى عنقه قلادة من عظام وودع وقال اخشى ان اضيع من نفسى ففعلت ذلك لاعرفها فحولت أمه القلادة الى عنق أخيه فلما اصبح ورآها قال يا أخى انا أنت وأنت أنا وضل له بعير فجعل يقول من وجده فهو له فقيل له فلم تنشده قال حلاوة الظفر واختصمت بنوطفاوة وبنوراسب فى رجل ادعى كل

www.dorat-ghawas.com

من الفريقين انه منهم فقال هبنقة حكمه ان يلقى فى الماء فان طفا فهو من طفاوة وان رسب فهو من راسب فقال الرجل ان كان الحكم هكذا فقد زهدت فى الطائفتين (ومنهم أبو غبشان) رجل من خزاعة كان يلى سدانة البيت فاجتمع مع قصى بن كلاب بالطائف على الشراب فلما سكر اشترى منه قصى ولاية سدانة البيت بزق من خمر وأخذ منه مفاتيحه وسار بها الى مكة وقال يا قريش هذه مفاتيح أبيكم ابراهيم ردها الله عليكم من غير غدر ولا ظلم وافاق أبو غبشان فندم غاية الندم فقيل أحمق من أبى غبشان (وقال شاعرهم)

باعت خزاعة بيت الله اذ سكرت * بزق خمر فبئست صفقة البادى

باعت سدانتها بالخمر وانقرضت * عن المقام وظل البيت والنادى

(ومنهم ربيعة البكاء) سمى البكاء لانه دخل على أمه وهى تحت زوجها فبكى وصاح أتقتل أمى فقالوا أهون مقتول ام تحت زوج فذهبت مثلا (ومنهم حمزة بن بيض) قال يوما لغلامه أى يوم صلينا الجمعة بالرصافة فافتكر الغلام ساعة ثم قال يوم الثلاثاء (ومنهم جحى) قال بعضهم كان من أذكياء الناس وانما كان بينه وبين قوم عداوة فوضعوا عليه حكايات سارت بها الركبان وقيل كان من كبار الحمقى والمغفلين (قيل) انه دخل الحمام وخرج منه فضربته ريح باردة فلمس خصيتيه فاذا احداهما قد تقلصت فرجع الى الحمام وجعل يفتش الناس فقالوا له مالك فقال سرقت احدى بيضتى ثم انه دخل فى الحمام وحمى فرجعت البيضة فلما وجدها سجد شكرا لله وقال كل شئ لا تسرقه اليد لا يفقد (واشترى يوما) دقيقا وحمله على حمال فلما دخل الحمال فى الزحام هرب فرآه جحى بعد أيام فاستتر منه فقيل له لم فعلت ذلك قال أخشى ان يطالبنى بالاجرة وكان لهم جارية تسمى عميرة فضربتها ذات يوم أمه فصاحت الجارية فاجتمع الناس على الباب فخرج اليهم فقال مالكم عافاكم الله انما هى أمى تجلد عميرة (ومنهم ابن الجصاص) قيل انه كان يقصد التباله خيفة من الوزير ابن الفرات (لحن المنقول من حمقه) أنه كان يوما مع الوزير فى مركب ومعه بطيخة فاراد أن يعطيها للوزير ويبصق فى البحر فبصق فى وجه الوزير ورمى البطيخة فى البحر هذا من المنقول عن ماظهر عنه من التباله (والاقصد) روى عنه أنه قال لما ولى ابن الفرات الوزارة قصدنى قصدا قبيحا وانفذ العمال الى ضياعى وبسط لسانه بثلبى ونقصى فى مجلسه فدخلت يوما داره فسمعت حاجبه وقد وليت يقول هذا بيت مال يمشى على وجه الارض ليس له من ياخذه فقلت هذا من كلام صاحبه وقد كان عندى فى ذلك الوقت سبعة آلاف ألف دينار عينا سوى الجواهر والذخائر وغير ذلك فسهرت فى ليلتى افكر فى أمرى معه فوقع فى نفسى الثلث الاخير من الليل ان ركبت الى داره على الفور فوجدت الابواب مغلقة فطرقتها فقال البواب من هذا قلت ابن الجصاص فقال ليس هذا وقت وصول والوزير نائم فقلت عرف الحجاب انى حضرت فى مهم فعرفهم فخرج الى احدهم وقال انه فى هذا الوقت لا ينتبه فقلت الامر أهم من ذلك فايقظه وعرفه عنى ماقلت لك فدخل وابطأ ساعة ثم خرج وأدخلنى فارتاع لدخولى وظن انى جئته برسالة من الخليفة أو حدثت حادثة وهو متوقع لما أورده عليه فنظر الى وقال ما الذى جاء بك فى هذا الوقت قلت خير ما حدثت حادثة ولا معى رسالة ولا جئت الا فى أمر يخصنى ويخص الوزير

www.dorat-ghawas.com

www.dorat-ghawas.com

فقالوا الا فافضيت الى الخدم فسألتهم فقالوا مثل مقالة الحجاب فصرت الى الموضع الذى هو فيه فقال لى ادخل ليس عندى احد قد خلت فوجدته على فراشه فقال اعلم انى سهرت الليلة مفكرا فى أمرى الى ساعتى هذه فقلت وماهو الامر أصلح الله الامير قال اشتهيت ان يصيرنى الله حورية فى الجنة ويجعل زوجى يوسف الصديق فطال لذلك فكرى فقلت له هلا اشتهيت محمدا صلى الله عليه وسلم ان يكون زوجك فانه سيد الانبياء عليهم السلام فقال لا تظن انى لم أفكر فى هذا قد فكرت فيه ولكنى كرهت أن اغيظ عائشة رضى الله عنها (ومن لطائف المقول عن المغفلين من الاعراب قيل صلى اعرابى خلف بعض الائمة فى الصف الاول وكان اسم الاعرابى مجرما فقرأ الامام والمرسلات عرفا فلما بلغ الى قوله تعالى ألم نهلك الاولين تاخر الاعرابى الى الصف الاخير فقال ثم نتبعهم الآخرين فرجع الى الصف الاوسط فقال كذلك نفعل بالمجرمين فولى هاربا وهو يقول والله ما المطلوب غيرى (ومثله) صلى اعرابى خلف امام صلاة الصبح فقرأ الامام سورة البقرة وكان الاعرابى مستعجلا ففاته مقصوده فلما كان من الغد بكر الى المسجد فابتدأ الامام فقرأ سورة الفيل فقطع الاعربى الصلاة وولى هاربا وهو يقول أمس قرأت سورة البقرة فلم تفرغ منها الى نصف النهار واليوم تقرأ سورة الفيل ما اظنك تفرغ منها الى الليل (ومنه) كان اعرابى قائما يصلى فأخذ قوم يصفونه بالصلاح وهو يسمع فقطع الصلاة وقال وأنا مع هذا صائم (ومنه) دخل خالد بن صفوان الحمام وفى الحمام رجل ومعه ابنه فأراد الرجل أن يعرف خالدا ما عنده من البيان والنحو فقال يابنى ابدأ بيدالك ورجلاك ثم التفت الى خالد فقال له يا أبى صفوان هذا كلام قد ذهب أهله فقال خالد هذا كلام ما خلق الله له أهلا (ومن لطائف المنقول عن المغفلين من الشعراء) ان بعضهم دخل مسجد الكوفة يوم الجمعة وقد نما خبر المهدى انه مات وهم يتوقعون قراءة الكتاب عليهم بذلك فقال لى رافعا صوته * مات الخليفة أيها الثقلان * فقالوا هذا أشعر الناس فانه نعى الخليفة الى الانس والجن فى نصف بيت ومدت الناس أبصارهم وأسماعهم اليه فقال

* فكأننى افطرت فى رمضان * قال فضحك الناس وصار شهرة فى الحمق (ومثله) ان سيف الدولة بن حمدان انصرف من حرب وقد نصر على عدوه فدخل عليه الشعراء فانشدوه فدخل معهم رجل شامى فانشده *

وكانوا كفأر وسوسوا خلف حائط * وكنت كسنور عليهم تسقفا

فأمر باخراجه فقام على الباب يبكى فأخبر سيف الدولة بمكانه فرق له وأمر برده وقال له مالك تبكى قال قصدت مولانا بكل ما قدر عليه الطلب منه بعض ما يقدر عليه فلما خاب أملى بكيت فقال له سيف الدولة وبلك من يكون له مثل هذا النثر يكون له ذلك النظم وكم كنت أملت قال خمسمائة درهم فامر له بالف درهم فاخذها وانصرف (ومن المنقول عن المغفلين على الاطلاق) قال بعضهم دخلت مسجد دمشق فاذا أنا بجماعة عليهم سمة العلم فجلست اليهم وهم يتقصون من على بن أبى طالب رضى الله عنه فقمت من عندهم مغضبا فرأيت شيخا جالسا يصلى فظننت به الخير فجلست اليه فقلت له يا عبد الله أما ترى هؤلاء القوم يشتمون على بن أبى طالب

www.dorat-ghawas.com

و ينقصونه وهو زوج فاطمة الزهراء وابن عم محمد صلى الله عليه وسلم فقال لي يا عبد الله لو نجا أحد من الناس لنجا منهم أبو محمد رحمه الله تعالى قال فقلت ومن أبو محمد قال الحجاج بن يوسف وجعل يبكي فقمت من عنده وحلفت لا اقيم به (ومن ذلك) ان رجلا سأل بعضهم وكان من الحمق على جانب عظيم فقال ايما افضل عندك معاوية أو عيسى بن مريم فقال ما رأيت سائلا اجهل منك ولا سمعت بمن قاس كاتب الوحي الى نبي النصارى (ومن ذلك) ان لصا تسور روزنة بيت وكان اللص مغفلا فنظر من خلال الروزنة فوجد رجلا وزوجته وهي تقول له يا رجل من اين اكتسبت هذا المال العظيم فقال لها كنت لصا وكنت اذا تسورت روزنة بيت صبرت الى أن يطلع القمر فاذا طلع اعتنقت الضوء الذي في الروزنة وتدليت بلا حبل وقلت شولم شولم ونزلت فآخذ جميع ما في البيت ولا تبقى ذخيرة من ذخائر البيت الا ظهرت لي ثم أقول شولم شولم وأصعد في الضوء ولا ينتبه أحد من أهل البيت واذهب بلا تعب ولا كلفة فسمع اللص ذلك فصبر الى أن طلع القمر ونام أهل البيت فتعلق في ضوء الروزنة فوقع وتكسرت أضلاعه فقام اليه صاحب البيت وقبض عليه وأسلمه الى صاحب الشرطة (ومنهم) من كان يسوق عشرة حمير فركب واحدا منها وعدها فاذا هي تسعة حمير فنزل وعدها فاذا هي عشرة فقال امشي واربح حمارا لخير من ان اركب واخسر حمارا فمشى حتى كاد يتلف الى ان بلغ قريته (ومنهم) من مات بعض اقاربه فقيل له لم لا تبعت جنازته فقال هذا الكلام ما يقوله عاقل أكون منفسا لهاذكر بنفسي (ومن ذلك) ان بعض المغفلين سمع رجلا ينشد

وكان بنو عمي يقولون مرحبا * فلما رأوني معدما مات مرحب

فقال كذب الشاعر مرحب قتله علي بن أبي طالب ولم يمت الا قتيلا (ومنهم) من باع دارا وكان يؤذن بباب مسجد بالقرب منها فاذن انه باعها فصلى ورجع اليها ودخل من الباب فصاحت النسوة وقلن له يا رجل اتق الله فينا فقال اعذروني فاني ولدت في هذه الدار ولم أذكر البيع (ومنهم) من رأى جاريته تحت رجل يجامعها فقال لها يا جارية ما حملك على هذا فقالت له يا مولاي حلفني بحياة رأسك وأنت تعلم صدق محبتي لك فسكت (ومنهم) من سمع ان صوم يوم عرفة يعدل صوم سنة فصام الى الظهر وقال يكفيني ستة أشهر (ومنهم) من جاء الى الجب ونظر فيه فرأى خيال وجهه فذهب الى أمه وقال يا أمي في الجب لص فجاءت الام فتطلعت فيه فرأت خيال وجهها فقالت صدقت ومعه قحبة (ومنهم) من دعا فقال اللهم اغفر لي ولامي ولاختي ولامرأتي فقيل لم تركت ذكر أبيك قال لانه مات وأنا صبي لم أدركه (وقال رجل لرجل) كم في هذا الشهر يوم فنظر وقال والله لست من أهل هذه المدينة (ومن ذلك) ان هشام بن عبد الملك عرض الجند فتقدم رجل حمصي بفرس كلما قدمه يتأخر فقال له هشام ما هذا قال يا سيدي فاره ولكنه شبهك ببيطار كان يعالجه فنفر (ومنهم) من قيل له عندك مال جزيل وليس لك الا والدة عجوز وان مت ورثتك فافسدت مالك فقال انها لا ترثني قيل وكيف قال لان أبي طلقها قبل ان يموت (ومنهم) من جاء اليه جماعة يسألونه في كفن لجار له مات فقال ما عندي الآن شئ ولكن عاودوني في وقت آخر قالوا افنملحه الى ان يتيسر عندك شئ (ومنهم) من

تقدم يصلي المغرب بجماعة فأطال القيام فلما فرغ من الصلاة سجد سجدتي السهو ولم يكن سها فقيل نحن أنكرنا عليك طول القراءة فما الجواب عن سجدتي السهو ولم تكن سهوت فقال ذكرت اني صليت بكم على غير وضوء فسجدت للسهو (ومن ذلك) ان عبدا كان بين اثنين في الشركة فجعل أحدهما يضربه فلامه شريكه فقال انما اضرب بحصتي (ومنهم) من قيل له كيف صنعتم في رمضان فقال اجتمعنا ثلاثين فانفذناه في يوم واحد واسترحنا منه (قال الاصمعي) خرج جماعة من بني غفار ومعهم رجل مغفل فاصابتهم ريح في البحر ايسوا معها من الحياة فاعتق كل واحد منهم مملوكا أو مملوكة فقال ذلك الرجل اللهم انك تعلم اني ليس لي مملوك ولا مملوكة ولكن امرأتي طالق طلقة واحدة لوجهك الكريم (قال ابن الجوزي) في آخر كتاب الحمقى والمغفلين ان المعلمين للصبيان صناعتهم تكاد أن تكون اكسير القلة العقل وابراز الحماقة (وقال) عدل عقل امرأة سبعين حائكا وعدل عقل حائك سبعين معلما وسبب قلة عقل المعلم انه مع الصبيان بالنهار ومع النساء بالليل وكان يحيى بن اكثم لا يقبل شهادة المعلم (وقيل) لصبي مالنا نراك كثير الحمق فقال لولم أكن كذلك لكنت ولد ربانا وقيل لمعلم مالك تضرب هذا الصبي ولم يذنب قال انما اضربه قبل أن يذنب لئلا يذنب (وقال) الجاحظ مررت بمعلم وهو يقرئ صبيا واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا أو كيد كيدا فقلت له ويحك قد أدخلت سورة في سورة فقال نعم عافاك الله اذا كان أبوه يدخل شهرا في شهر فانا أيضا أدخل سورة في سورة ولا آخذ شيئا ولا ابنه يتعلم شيئا انتهى ما تخيرته من كتاب الاذكياء والحمقى والمغفلين (ومما تخيرته من سلوان المطاع لابن ظفر) ان الوليد بن يزيد لما بلغه ان ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك قد شرد عنه القلوب واستجاش عليه أهل اليمن ونازعه في ملكه احتجب عن سماره ودعا في بعض الليالي خادما فقال له انطلق متنكرا حتى تقف ببعض الطرق وتأمل من يمر بك من الناس فاذا رأيت كهلا رث الهيئة يمشي مشيا هو بيا وهو مطرق فسلم عليه وقل له في أذنه أمير المؤمنين يدعوك فان أسرع في الاجابة فائتني به وان استراب فدعه واطلب غيره حتى تجد رجلا على الشرط الذي ذكرت لك فانطلق الخادم فاتاه برجل على الشرط فلما دخل الرجل على الوليد حياه بتحية الخلافة فامره الوليد بالجلوس والدنو منه وصبر الى ان ذهب روعه وسكن جأشه ثم أقبل عليه فقال له أتحسن المسامرة للخلفاء فقال نعم يا أمير المؤمنين فقال الوليد ان كنت تحسنها فاخبرنا ماهي فقال يا أمير المؤمنين المسامرة اخبار لنعمت وانصات لخبر ومفاوضة فيما يجب ويليق فقال له الوليد أحسنت لا أزيدك امتحانا فقل اسمع لقولك فقال الكهل نعم يا أمير المؤمنين ولكن المسامرة صنفان لا ثالث لهما أحدهما الاخبار بما يوافق خبرا مسموعا والثاني الاخبار بما يوافق غرضا من اغراض صاحب المجلس واني لم أسمع بحضرة أمير المؤمنين طريقة فانحو نحوها والزم أسلوبها فقال الوليد صدقت وها نحن نقترح لك ما تقتفيه قد بلغنا ان رجلا من رعيتنا ساعي في ضرر ملكنا فأثر سعيه وشق ذلك علينا فهل سمعت بذلك فقال الكهل نعم يا أمير المؤمنين فقال له الوليد قل الآن على حسب ما سمعت

www.dorat-ghawas.com

وعلى ماترى من التدبير فقال يا أمير المؤمنين بلغني عن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان انه لما
ندب الناس لقتال ابن الزبير وخرج بهم متوجها الى مكة حرسها الله تعالى استصحب عمرو بن
سعيد بن العاص وكان عمرو قد انطوى على فساد نية وخبث طوية وطماعية في نيل الخلافة
وكان أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قد فطن لذلك الا انه كان يحترمه ولما أبعد أمير المؤمنين
عن دمشق تمارض عمرو بن سعيد فاستأذن أمير المؤمنين في العود الى دمشق فاذن له فلما دخل
عمرو دمشق صعد المنبر فخطب الناس خطبة نال فيها من الخليفة واستولى على دمشق ودعا
الناس الى خلع عبد الملك فاجابوه الى ذلك وبايعوه وحصن بعد ذلك سور دمشق وحمى حوزتها
فبلغ ذلك عبد الملك وهو متوجه الى ابن الزبير وبلغه مع ذلك ان والى حمص قد نزع يده من
الطاعة وان أهل الثغور قد تشوفوا الخلاف فاحضر وزراءه فاطلعهم على ما بلغه وقال لهم
دمشق ملكنا قد استولى عليها عمرو بن سعيد وهذا عبد الله بن الزبير قد استولى على الحجاز
والعراق واليمن ومصر وخرسان وهذا النعمان بن بشير أمير حمص وزفر بن الحرث أمير
فلسطين قد خرجا عن الطاعة وبايعا الناس لابن الزبير وهذه المضربة بسيوفها قطا لبنا
بقتلى المرج فلما سمع وزراؤه مقالته ذهلت عقولهم فقال لهم عبد الملك مالكم لا تنطقون
هذا وقت الحاجة اليكم فقال أفضلهم وددت أن أكون طيرا على عود من أعوادتهامة حتى
تنقضي هذه الفتن فلما سمع عبد الملك مقالة صاحبه قام وأمرهم بلزوم مواضعهم وركب منفردا
وأمر جماعة من شجعانه أن يتبعوه متباعدين ففعلوا وسار عبد الملك حتى انتهى الى شيخ
ضعيف البدن سيئ الحال وهو يجمع سماقا فسلم عليه عبد الملك وآنسه بحديثه ثم قال له أيها
الشيخ الك علم بنزول هذا العسكر فقال الشيخ وما سؤالك عنه فقال عبد الملك انى أردت
الانتظام في سلكه فقال له انى أرى عليك سمة الرياسة فينبغي لك ان تصرف نفسك عن هذا
الرأى فان الامير الذى أنت قاصده قد انحلت عرا ملكه والسلطان في اضطراب أموره كالبحر
اذا هاج فقال عبد الملك أيها الشيخ قد قوى على جذب نفسي الى محبة هذا الامير فهل لك ان
ترشدنى الى رأى انفق به عنده فلعله يكون سبب قربي منه فقال الشيخ ان هذه النازلة التى
نزلت بهذا الامير من النوازل التى لا تنفذ فيها العقول وانى لاكره ان اردك بالخيبة فقال له عبد الملك قل جزاك الله خيرا فقال الشيخ ان هذا الخليفة خرج الى قتال عدوه
والارادة غير قابلة لمراده والدليل على ذلك ان الله تعالى لم يرد ما قصده من محاربة ابن الزبير
ووثوب عمرو بن سعيد على منبره واستيلائه على بيوت أمواله وسريرخلافته فاذا قصدت هذا
الامير وانتظمت في سلكه فانظر في أمره فان رأيته قد أصر على قصده ابن الزبير فاعلم انه مخذول
فاجتنبه وان رأيته قد رجع من حيث جاء وترك قصده الاول فارج له النصر والسلامة فقال
عبد الملك يا شيخ وهل رجوعه الى دمشق الا كمسيره الى ابن الزبير فقال الشيخ ان الذى اشكل
عليك لواضح وها أنا أزيل عنك اللبس وهو ان عبد الملك اذا قصد ابن الزبير كان في صورة ظالم
لان ابن الزبير لم يعطه طاعة قط ولا وثب له على مملكة فاذا قصد ابن سعيد كان في صورة مظلوم
لانه نكث بيعته وخان أمانته ووثب على دار ملك لم يكن له ولا لابيه من قبله بل كانت لعبد الملك

www.dorat-ghawas.com

ولابيه من قبله وعمرو عليهما متعد ومن الامثال سمين الغصب مهزول ووالى الغدر معزول
وسأضرب لك مثلا يشفي النفس ويزيل اللبس زعموا ان ثعلبا كان يسمى ظالما وكان له جحر
يأوي اليه وكان معتبطا به فخرج يوما يبتغي ما يأكل ثم رجع فوجد فيه حية فانتظر خروجها
فلم تخرج فعلم انها استوطنته وذلك ان الحية لا تتخذ جحرا بل اذا أعجبها جحر اغتصبته وطردت
من به من الحيوان * ولهذا قيل فلان أظلم من حية فهذا ظلمها ولما رأى ظالم ان الحية قد
استوطنت جحره ولم يمكنه السكون معها ذهب يطلب لنفسه مأوى فانتهى به السير الى جحر
حسن الظاهر حصين في أرض منيعة ذات أشجار ملتفة وماء معين فأعجبه وسأل عنه فقالوا
هذا الجحر يملكه ثعلب اسمه مفوض وانه ورثه عن أبيه فناداه ظالم فخرج اليه ورحب به
وادخله الى جحره وسأله عن حاله فقص عليه خبره مع الحية فرق له مفوض وقال له الموت في طلب
الثار خير من الحياة في العار والرأي عندي ان تنطلق معي الى مأواك الذي أخذ منك غصبا
حتى انظر اليه فلعلي اهتدي الى مكيدة تخلص بها مأواك فانطلقا معا الى ذلك الجحر فتأمله
مفوض وقال لظالم ادخل معي وبت الليلة عندي لانظر ليلتي هذه فيما يسنح من الرأي والمكيدة
ففعلا ذلك وبات مفوض مفكرا وجعل ظالم يتأمل مسكن مفوض فرأى من سعته وطيب
هوائه وحصانته ما اشتد به حرصه عليه وطفق يدبر الحيلة في اغتصابه ونفي مفوض عنه فلما
أصبحا قال مفوض لظالم اني رأيت ذلك الجحر بعيدا من الشجر والماء فاصرف نفسك
عنه وهلم اعينك على احتفار جحر في هذا المكان المشتهى فقال ظالم هذا غير ممكن لان لي نفسا
تهلك لبعد الوطن حنينا فلما سمع مفوض مقالة ظالم وما تظاهر به من الرغبة في وطنه قال له اني
أرى أن نذهب يومنا هذا فنحتطب حطبا ونربط منه حزمتين فاذا جاء الليل انطلقنا الى بعض
هذه الخيام فأخذنا قبس نار واحتملنا الحطب والقبس الى مسكنك فنجعل الحزمتين في بابه
ونضرم النار فان خرجت الحية احترقت وان لزمت الجحر قتلها الدخان فقال له ظالم هذا نعم
الرأي فذهبا واحتطبا حزمتين ولما جاء الليل انطلق مفوض الى ظاهر تلك الخيام فأخذ
قبسا فعمد ظالم الى احدى الحزمتين فأزالها الى موضع غيبها فيه ثم جر الحزمة الأخرى الى باب
مسكن مفوض فسده بها سدا محكما وقدر في نفسه ان مفوضا اذا أتى الجحر لم يمكنه الدخول اليه
لحصانته فاذا يئس منه ذهب فنظر لنفسه مأوى وكان ظالم قد رأى في منزل مفوض طعاما ادخره
لنفسه فعول ظالم على أنه يقتات به ان حصره مفوض وهو من داخل وأذهله الشره والحرص
عن فساد هذا الرأي ثم ان مفوضا جاء بالقبس فلم يجد ظالما ولا وجد الحطب فظن ان ظالما
قد حمل الحزمتين تخفيفا عنه وانه سبقه الى مسكنه الذي فيه الحية اشفاقا على مفوض فشق
ذلك عليه وظهر له من الرأي ان يبادر اليه ويلحقه ليحمل معه الحطب فوضع القبس بالقرب
من الحطب ولم يشعر ان الباب مسدود به لشدة الظلمة فلما أبعد عن الباب الا وضوء النار
وشدة الدخان قد لحقا به فعاد وتأمل الباب فرأى الحطب قد صار نارا فعلم مكيدة ظالم ورآه قد
احترق من داخل الجحر وحاق به مكره فقال هذا الباحث على حتفه بظلفه ثم ان مفوضا صبر
حتى انطفأت النار فدخل جحره فأخرج جثة ظالم فألقاها واستوطن جحره آمنا فهذا المثل
ضربته لك لانه ملائم لفعل عمرو بن سعيد في بغيه ومخادعته عبد الملك وحيلته في أخذ ملكه

وتحصينها

www.dorat-ghawas.com

وتخفيها منه وهذا فعل ظالم مع مفوض والله أعلم فلما سمع عبد الملك حكمة الشيخ في ضرب أمثاله سر بذلك سرورا عظيما ثم أقبل عليه فقال جزيت عني خيرا واني أريد أن تجعل بيني وبينك موعدا وتعرفني مكانك لالقاك به بعد يومي هذا فقال الشيخ وما تريد بذلك فقال له عبد الملك اني أريد مكافأتك على ما كان منك فقال له الشيخ اني أعطيت الله عهدا أن لا أقبل منة لبخيل فقال عبد الملك ومن أين علمت اني بخيل فقال لانك اخرت صلتي مع القدرة لما عليك لو وصلتني ببعض ما عليك فقال عبد الملك أقسم بالله لقد ذهلت ثم نزع سيفه وقال له اقبل مني هذا واحترص عليه فقيمته عشرون ألف درهم فقال الشيخ اني لا اقبل صلة ذاهل فدعني وربي الذي لا يذهل ولا يبخل فهو حسبي فلما سمع عبد الملك كلام الشيخ عظم في عينه وعلم فضله في دينه فقال له انا عبد الملك فارفع حوائجك الي فقال الشيخ وأنا أيضا عبد الملك فهلم نرفع حوائجنا الى من أنا وانت له عبدان فانطلق عبد الملك وعمل برأي الشيخ فانجح الله قصده وانتصر على اعدائه فلما سمع الوليد ما اخبره به الكهل استرجح عقله واستظرف أدبه واستحسن محاضرته وسأله عن نفسه فتسمى له وانتسب فلم يعرفه الوليد فاستحى منه وقال له من جهل مثلك في رعيته ضاع فقال له الكهل يا أمير المؤمنين ان الملوك لا تعرف الا من تعرف اليها ولزم أبوابها فقال له الوليد صدقت ثم أمر له بصدقة معجلة وعهد اليه في ملازمته فكان يتمتع بأدبه وحكمته الى ان كان من أمر الوليد ما هو مشهور والله أعلم (ومما تخيرته من عجائب سلوان المطاع) قيل لما عزم سابور بن هرمز على الدخول الى بلاد الروم متنكرا نهاه نصحاؤه وعقلاء وزرائه وحذروه من ذلك فعصاهم وكان يقال ازر الناس وزراء الاحداث من الملوك وعشاق القينات من المشايخ فان سابور توجه نحو بلاد الروم واستصحب وزيرا كان له ولابيه من قبله وكان من ادهى الناس في الحزم وسداد الرأي واختلاف الاديان ولغاتها وكان من المتبحرين في العلوم والمبرزين بالمكائد فسلم اليه سابور جميع ما يحتاج اليه في سفره وأمره أن لا يتجاوز في السير ولا يبعد عنه بحيث يراعي جميع أحواله في ليله ونهاره فتوجها نحو الشام ولبس ذلك الوزير زي الرهبان وتكلم بلسانهم وتحرف بصناعة الطب الجرائحي وكان معه الدهن الصيني الذي اذا دهنت به الجراحات ختمت بسرعة واندملت فكان ذلك الوزير في مسيره نحو بلاد الروم يداوي الجراحات بادوية يضيف اليها يسيرا من ذلك الدهن فتبرأ بسرعة واذا عني باحد من ذوي الاقدار داواه بذلك الدهن صرفا فيبرأ على الفور ولا يأخذ على ذلك أجرة فانتشر ذكره في بلاد الروم وعقدت عليه الخناصر واقبل عليه الناس وكان مع انفراده مع سابور يراعي جميع أحواله فلم يزالا كذلك حتى طافا جميع الشام وقصدا القسطنطينية فقدماها فذهب الوزير الى البطرك وتفسير هذا الاسم أبو الآباء فاستأذن عليه فاذن له وسأله عن قصده فاخبره انه هاجر اليه ليتشرف بخدمته ويدخل في اتباعه ثم اهدى اليه هدية نفيسة حسن موقعها من البطرك فقربه واكرمه واحسن نزله وألحقه ببطانته واختبره فوجده عالما بدينهم بل مبرزا فاعجب به غاية الاعجاب وجعل الوزير يتأمل أحوال البطرك ليعجبه بما يلائمه وينفق عنده ويسده ما يلائم الفكاهات ومجاذبة نوادر الاخبار وكان الوزير في ذلك غاية فاخذ يتحفه بكل نادرة غريبة عجيبة فصار البطرك

لم يعط عن الوزير صبرا الا انه جلا عينيه وحل بقلبه وجعل الوزير مع ذلك يعالج الجراحات ولا يأخذ على ذلك عوضا فعظم قدره فى الناس هذا وهو يتعاهد احوال سابور فى كل وقت الى ان صنع قيصر وليمة وحضر الناس اليها على طبقاتهم فاراد سابور حضورها ليطلع على أحوال قيصر وعلى رتبته فى قصره وعظم وليمته فنهاه وزيره عن ذلك فعصاه وتزيا بزى ظن انه يستتر به ودخل دار قيصر مع من حضر الوليمة وكان قيصر من شدة احتراسه من سابور وخيفته من ان يطرق بلاده وتحسن له همته العالية وحدة الشبيبة ذلك صور سابور فى مجلسه وعلى ستور بيته وعلى فرشه وفى الآنية كله وشربه ولما دخل سابور يوم الوليمة واستقر فى مجلسه واكل مع من حضر أتوا بالشراب فى كؤس البلور والذهب والفضة والزجاج المحكم وكان فى المجلس رجل من حكماء الروم ودهاتهم فلما وقعت عينه على سابور أنكره وجعل يتأمل شخصه فرأى عليه مخايل الرياسة ولما زاد فى تأمله وصل اليه دور الكاس فتامل الصورة التى على الكاس وراجع النظر فى سابور فما شك ان الصورة التى على الكاس وضعت على مثاله وغلب على ظنه انه سابور فامسك الكاس فى يده امساكا طويلا ثم قال رافعا صوته ان هذه الصورة التى على هذا الكاس تخبرنى اخبارا عجيبا فقيل له وما الذى تخبرك فقال تخبرنى ان الذى هى مثال له معنا فى مجلسنا هذا ثم نظر الى سابور وقد تغير لونه حين سمع مقالته فحقق ظنه فبلغ ذلك قيصر فادناه وقربه وساله فاخبره ان سابور معه فى مجلسه واشار اليه فامر قيصر بالقبض عليه وقرب من قيصر فساله عن نفسه فتعلل بضروب من العلل لم تقبل فقال ذلك المتفرس أيها الملك لا تقبل قوله فانه سابور لا محالة فهدده قيصر بالقتل فاعترف انه سابور فحبسه قيصر مكرما وأمر ان يعمل له من جلود البقر صورة بقرة وتطبق عليها الجلود سبع طبقات ويتخذ لها باب وتجعل لها كوة لاجل المال ويستقر سابور بها وتجمع يداه الى عنقه بجامعة من الذهب ذات سلسلة تمكنه معها تناول ما يعمل له من طعام وشراب وغير ذلك فلما دخل سابور جوف تلك الصورة جمع قيصر جنوده واستعد الغزو لبلاد فارس ووكل بسابور وهو داخل البقرة مائة رجل من ذوى البأس والشدة يحملونها وصرف أمره الى المطران وهو خليفة البطرك فكانت تلك الصورة تحمل بين يديه فاذا نزل العسكر تركت الصورة التى فيها سابور وسط العسكر وضربت عليها قبة وتضرب للمطران قبة مجاورة لقبة سابور وسار قيصر محتفلا بجنوده وعساكره وقد عزم على خراب بلاد فارس ولما جد السير قال وزير سابور للبطرك أيها الأب انما استفدت بخدمتك الرغبة فى مصالح الاعمال ولا عمل أصلح من تنفيس كربة عن مجهود وجرّ منفعة الى مضطر وقد علمت اجتهادى فى مداواة الجرحى وان نفسى تنازعنى الى صحبة الملك قيصر فى سفره هذا الاغر فلعل الله تعالى يستنقذ بى نفسا صالحة أو يسوقنى الى مداواة جريح من العسكر ليتقدس قلبى بهذه المثوبات فشكره البطرك ذلك وقال له قد علمت اننى لا استطيع فراقك فكيف تطالبنى بالسفر البعيد قال فلم يزل وزير سابور يتضرع الى البطرك الى ان استحى منه وسمح له بذلك وزوده وكتب معه الى المطران يخبره برتبته عنده وانه يحله فى أعلى المراتب ويستضىء برأيه اذا أشكل عليه أمر فقدم وزير سابور على المطران فعرف له حقه وأنزله فى قبته وجعل زمام أمره ونهيه بيده وصار الوزير يستميله بما يميل اليه ويطرفه فى كل ليلة بطرف الاخبار رافعا بها صوته ليسمع

www.dorat-ghawas.com

سابور حديثه فيتسلى بذلك ويدس فى أحاديثه ما يريد أن يعلمه به ويبطنه من الاسرار فكان سابور يجد بذلك راحة عظيمة وكان الوزير قد أعد لخلاص سابور أنواعا من المكايد رتبها عند ما قدم على المطران منها انه امتنع عن مؤاكلة المطران وأخبروا انه لا يخالط بطعام البطرك غيره لاجل بركته فكان اذا حضر طعام المطران أخرج هو ذلك الزاد الذى معه وانفرد بالاكل وحده فلم يزل قيصر سائرا بجنوده حتى بلغ أرض فارس فاكثر فيها القتل والسبي وتغوير المياه وقطع الاشجار وخراب القرى والحصون وهو مع ذلك يواصل السير ليستولى على دار ملك سابور قبل ان يشعروا فيملكوا عليهم رجلا منهم ولم يكن للفرس همم الا الفرار من بين يديه والاعتصام بالمعاقل والحصون فلم يزل قيصر على تلك الحال حتى بلغ مدينة سابور وقرار ملكه فأحاط بها ونصب عليها آلات الحصار ولم يكن عندها قوة ولا منعة فى دفعه أكثر من ضبط الاسوار والقتال عليها وكل ذلك فهمه سابور من كنايات الوزير فى محاضراته للمطران ولكن لم يسمع له كلمة من حين سجنه قيصر فى تلك الصورة فلما علم سابور ان قيصر قد ثقلت وطأته وأشرف على فتح البلد عيل صبره وساء ظنه ويئس من الحياة فلما جاءه الموكل بطعامه قال له ان هذه الجامعة قد نالت مني منالا اضعفت قوتى عن احتماله فان كنتم تريدون بقاء نفسي فنفسوا عني منها واجعلوا بينها وبين يدى وعنقي خرقا من الحرير فجاء الموكل بالطعام الى المطران واعلمه بالذى قاله سابور فسمعه الوزير وعلم ان سابور قد جزع وساء ظنه وفطن لما أراد سابور فلما جن الليل وجلس لمسامرة المطران قال له قد ذكرت الليلة حديثا عجيبا ما ذكرته منذ كذا وكذا وودت انى كنت حدثت به البطرك قبل سفرى فقال له المطران انى أرغب اليك ان تحدثنى الليلة أيها الراهب الحكيم فقال الوزير مرحبا وكرامة ثم اندفع يحدث ثم رافعا صوته ليسمع سابور ويفهم الغرض ويستأنس فقال اعلم أيها المطران انه كان ببلادنا فتى وفتاة ليس فى زمانهما احسن منهما اسم الفتى عين أهله واسم الفتاة سيدة الناس وكانا زوجين مؤتلفين لا يبتغى أحدهما بالآخر بدلا ثم ان عين أهله جلس يوما مع أصحابه فتذاكروا النساء الى أن ذكر أحدهم امرأة أطنب فى وصفها وبالغ وذكر ان اسمها سيدة الذهب فوقع فى قلب عين أهله حبها فسأل الواصف عن منزلها فذكر انها ببلد بالقرب من بلده ففكر عين أهله فى أمرها وخامره حبها فانطلق الى البلد التى هى ساكنة بها وسأل عن منزلها فعرفه ولم يزل يتردد الى بابها حتى رآها فرأى منظرا حسنا ولكن لم تكن بأحسن من امرأته بل ضرورات النفس حب التنقل فى الاحوال ولازم عين أهله المعاودة الى منزل سيدة الذهب حتى فطن له بعلها وكان جافيا غليظ الطبع شديد البطش يسمى الذئب فرصد عين أهله حتى مر به فلما رآه وثب عليه وقتل فرسه ومزق ثيابه واستعان بجماعته عليه فاحتملوه الى داخل دار الذئب وربطوه الى سارية فى الدار ووكل به عجوزا مقطوعة اليد جدعاء عوراء شوهاء فلما جن عليه الليل وقدت تلك العجوز النار بالقرب منه وجعلت تصطلى فذكر عين أهله ما كان فيه من السلامة والعافية والرفاهية والعز فبكى بكاء شديدا فاقبلت عليه العجوز وقالت له ما ذنبك الذى أوجب هذا فقال عين أهله ما عملت لى ذنبا فقالت العجوز هكذا قال الفرس للخنزير وكذب فقال عين أهله للعجوز وما الذى كذب

www.dorat-ghawas.com

www.dorat-ghawas.com

وقصدت به المدينة فلما بلغت هذا الموضع ظهر لى انى مخطئ فى ادخال هذا الظبي الى المدينة حيا
لعلمي انه اذا رآنى حيا طولبت بما كان عليه من الحلى فرأيت ان أذبحه وادخل به لحما فهذا
خبري فقال له التاجر لقد جنى عليك طمعك الخبيث لماذا عليك لو أطلقته وحصلت ما كان
عليه من الحلي ثم ان التاجر أرسل الغزال الى ولده مع أحد عبيده وقال للصياد ارجع معي فارنى
الجهة التي رأيت الخشف سعى نحوها فرجع به الى تلك الجهة فسمع من قريب صوته فصاح به
التاجر فعرف الخشف صوته فصوت فسمع التاجر الصوت فادركه فاذا هو فى ذلك الاخدود ملقى
فاخذوه ووهب التاجر للصياد مارضى به وصرفه ورجع التاجر بالخشف الى ولده فكملت
مسرة الغلام وجعل الخشف يتجنب الغزال الكبير اذا رآه ولا يألفه فتنغصت مسرة الغلام
لذلك وجهد أهله بكل حيلة ان يجمعوا بين الخشف والغزال فلم يقدروا على ذلك فبينما الخشف
نائم فى كناسه اذ دخل عليه الغزال فايقظه وعاتبه على نفاره منه فقال الخشف اما أنت الذى
غدرت وقد علمت احتياجي فى غربتي الى معاونتك فقال له والله ما اخرني عن ذلك الا وقوعي فى
شرك الصياد وقص عليه القصة فقبل عذره وعادا الى الالفة كما كانا فلما سمع عين أهله خطاب
العجوز وبهم كنايتها عن عجزها فى تخليصه امسك عن خطابها قيل فلما انتهى وزير سابور من
حديثه الى هذا الحديث سكت فقال له المطران ايها الحكيم الراهب ما هذا السكوت فقال
الوزير قد عاودنى ذلك الفتور الذى اجده فى أعضائى فقال المطران لا تفعل فان ذلك يشق على
فقال الوزير نعم افعل ذلك طلبا لمرضاتك ثم اندفع يحدثه قال وبات عين أهله تلك الليلة فى اضيق
الاحوال ولما أصبح دخل عليه الذئب فنال منه وهدده بالقتل وخرج من عنده فجعل يعلل
نفسه بقية نهاره ويمنيها بالفرج فلما أقبل عليه الليل استوحش وانتظر ان تجلس اليه العجوز
وتحادثه فلم تفعل فايقن بقتله فى تلك الليلة فاقبل على البكاء حتى مضى جانب من الليل ثم قال
للعجوز لم احظ فى هذه الليلة بمؤانستك فقالت له قد جرحت قلبي بقولك لى هان على الطليق مالقى
الاسير ولو اعتبرت باطن حالى لعلمت أن اسرى اشد من اسرك فاستمع لى احدثك (اعلم ايها
الفتى) انى كنت زوجة لبعض الفرسان وكان لى محبا فكنت معه فى أرغد عيش وولدت له أولادا
كثيرة فغضب الملك على زوجي لامر كان منه فقتله وقتل أولادى الذكور وباعني انا وبناتى
فاشترانى هذا الفارس الذى عدا عليك واحملنى الى هذه البلدة وأساء الى وكلفنى من العمل
مالا أطيق ولى معه على هذه الحالة سبع سنين ثم فررت منه فظفر بى فقطع يدى وعاود عسفى
ومضرتى وقد عزمت على تخليصك الليلة وما أشك انه يقتلنى وجل قصدى ذلك لاجل الراحة مما
أنا فيه ولاجل ذلك انا اكثر الدخول والخروج اليك وأنا فى غاية الحيرة من الفزع والجزع ثم انها
فتحت قيود عين أهله وقطعت وثاقه وتناولت سكينا لتقتل نفسها فقال لها عين أهله ان تركتك
تقتلين نفسك فقد شاركتك فى دمك وانتزع السكين من يدها وقال لها قومى اذهبى معى لكى ننجو
معا أو نعطب معا فقالت ان كبر سنى وضعف بصرى يمنعانى من اتباعك فقال لها عين أهله ان
الليل متسع والموضع الذى أنا فيه قريب ولى قوة على حملك فقالت له العجوز اذ عزمت على هذ
فانى لا احوجك الى حملى وخرجا معا فلم ينقض الليل حتى بلغا حيث أمنا فجزاها عين اهله خيرا

على ماصنعت واتخذها امافهذا ما بلغني من ذلك فقال المطران ما أعجب احاديثك أيها الحكيم ولقد وددت انى لا افارقك أبدا ونهض كل واحد منهما الى مضجعه وبات سابور يتصفح حديث وزيره و يتأمل أمثاله ففهم أن الخشف مثل لسابور وأن الغزال الكبير مثل للوزير وأن خروج الخشف مع الغزال الى الصحراء وحصول الخشف فى الاخدود مثل لصحبة سابور وزيره حتى حصل سابور فى حبس قيصر وأن نفار الخشف عن الغزال لسوء ظن سابور بوزيره لتأخره عن استنقاذه وتحقق أن الوزير قد عزم على خلاصه والخروج به الى المدينة ليلا وأن المدينة قريبة منهما وأنه يحمله ان عجز عن المشي فأيقن سابور بالفرج ولما كانت الليلة القابلة تلطف وزير سابور حتى دخل الخيمة التى يطبخ بها الطعام للمطران و بها الموكلون بقبة سابور يأخذون ينتظرون الطعام فتحيل الى أن ألقى فى الطعام مرقدا قوى الفعل ولما حضر طعام المطران انفرد الوزير بأكل زاده على ماجرت به العادة فلم تكن الا ساعة حتى صرع القوم فبادر الوزير الى فتح باب البقرة واستخراج سيده وأزال الجامعة عن عنقه ويديه وتلطف حتى أخرجه من عسكر قيصر وقصد به المدينة فانتهيا معا الى سورها فصرخ بهم الموكلون فتقدم الوزير اليهم وأمرهم بخفض أصواتهم وأعلمهم بسلامة الملك ثم عرفهم نفسه فابتدروا اليهما وأدخلوهما المدينة فقويت نفوس أهلها وأمرهم سابور بالاجتماع وفرق فيهم السلاح وأمرهم أن يأخذوا أهبتهم فاذا ضربت نواقيس النصارى الضرب الاول يخرجون من المدينة ويفترقون على عسكر الروم فاذا ضربت النواقيس الضرب الثانى يحملون بأجمعهم فامتثلوا أمره ثم ان سابور انتخب كتيبة عظيمة فيها شجعان أساورته ووقف معهم مما يلى الجهة التى فيها أخبية قيصر فلما ضربت النواقيس الضرب الثانى حملوا من كل جهة وقصد سابور أخبية قيصر ولم يكن الروم متأهبين لعلمهم بضعف الفرس عن مقاومتهم وسد أبوابهم فما شعروا حتى دهموهم وأخذ سابور قيصر أسيرا وغنم جميع مافى عسكره واحتوى على جميع خزائنه ولم ينج من جنوده الا اليسير ثم عاد سابور الى مدينته ودار مملكته فقسم تلك الغنائم بين أهل عسكره وأحسن الى حفظة ملكه وفوض جميع أموره الى الوزير ثم انه أحضر قيصر فلاطفه وأكرمه وقال له انى مبق عليك كما أبقيت على وغير مجازيك على التضييق ولكن آخذك باصلاح ماأفسدت من جميع ملكى فتبنى ماهدمت وتغرس جميع ماقلعت وتطلق كل ماعندك من أسارى الفرس فضمن له جميع ذلك ووفى به فلما تم لسابور ماأراد من ذلك كله أحسن الى قيصر وأطلقه وجهزه الى دار ملكه واستمر قيصر على مهادنته والانقياد الى طاعته انتهى

(ومن لطائف المنقول قصة أرينب بنت اسحق زوج عبد الله بن سلام) كان عبد الله ابن سلام واليا بالعراق من قبل معاوية وكانت أرينب بنت اسحق زوجاله وهى من اجل نساء عصرها وأحسنهن ادبا وأكثرهن مالا وكان يزيد بن معاوية قد هام بجمالها وادبها على السماع وبما بلغه عنها من حسن الخلق والخلق وفتن بها فلما عيل صبره خص بسره خصيصا بمعاوية اسمه رفيف فذكر ذلك رفيف لمعاوية وذكر شدة شغف يزيد بها فبعث معاوية الى يزيد فاستفسره عن أمره فبث له شأنه فقال معاوية مهلا يايزيد فقال علام تأمرنى بالمهل وقد انقطع

منها الامل فقال معاوية وأين جمالك ومروءتك فقال له يزيد قد عيل الحجى ونفد الصبر قال له يا بني ساعدني على أمرك بالكتمان والله بالغ أمره وكانت ارينب بنت اسحق قد سارت بذكر جمالها الركبان وضربت بها الامثال فاخذ معاوية في الحيلة حتى يبلغ يزيد رضاه وينال غرضه ومناه فكتب الى عبد الله بن سلام يستحثه على الحضور لمصلحة بينها له وكان عند معاوية يومئذ بالشأم أبو هريرة وأبو الدرداء صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عليه عبد الله بن سلام الشأم أعد له معاوية منزلا حسنا ونقله اليه وبالغ في اكرامه ثم قال لابي هريرة وأبي الدرداء ان ابنتي قد بلغت وأريد نكاحها وقد رضيت عبد الله بن سلام لدينه وشرفه وفضله وادبه وقد كنت جعلت لها في نفسها شورى ولكن ارجو ان لا تخرج عن رأيي ان شاء الله تعالى فخرجا من عنده متوجهين الى منزل عبد الله بن سلام بالذي قال لهما معاوية ثم دخل معاوية على ابنته فقال لها اذا دخل عليك أبو الدرداء وأبو هريرة فعرضا عليك عبد الله بن سلام وانكاحا بالتمنه وحضا لك على المسارعة الى رضاي فقولي لهما عبد الله بن سلام كفء كريم غير ان تحته أرينب بنت اسحق وأنا خائفة ان يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنساء ولست بفاعلة حتى يفارقها وأما أبو الدرداء وأبو هريرة فانهما لما وصلا الى عبد الله بن سلام اعلماه بما قال لهما معاوية فردهما خاطبين عنه فلما مثلا بين يدي معاوية قال اني كنت اعلمتكما انني جعلت لها في نفسها شورى فادخلا عليها واعلماها بما رأيت انها فدخلا عليها واعلماها بذلك فابدت ما قرره أبوها عندها من قبل فعادا الى عبد الله بن سلام فأعلماه بذلك ففهم المراد واشهدهما عليه بطلاق ارينب وبعثهما اليه خاطبين فلما دخلا على معاوية أعلماه بطلاق أرينب فاظهر معاوية كراهية ذلك وقال ما استحسنت طلاق زوجته ولا أحببته فانصرفا في عافية وعودا الينا وكتب الى ابنه يزيد يعلمه بما كان من طلاق عبد الله بن سلام لارينب بنت اسحق وغاد بعد ذلك أبو الدرداء وأبو هريرة الى معاوية فامرهما بالدخول على ابنته وسؤالها عن رضاها وهو يقول لم يكن لي ان اكرهها وقد جعلت الشورى في نفسها فدخلا عليها واعلماها بطلاق عبد الله بن سلام امرأته ليسراها بذلك وذكرا فضله وشرفه وكرمه ومروءته فقالت جف القلم بما هو كائن ولا أنكر شرفه وفضله واني سائلة عنه حتى أعرف دخيلة خبره ولا قوة الا بالله

فان يك صدر هذا اليوم ولى * فان غدا الناظره قريب

ثم تزايد حديث الناس بطلاق أرينب وخطبة ابنة معاوية واستحث عبد الله أبا الدرداء وأبا هريرة فاتياها فقالا لها اصنعي ما أنت صانعة واستخيري الله فقالت ارجو والحمد لله ان يكون الله قد اختار لي فانه لا يكل الى غيره وقد سبرت امره وسألت عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسي مع اختلاف من استشرته فيه فمنهم الناهي عنه والآمر به فلما بلغه كلامها علم انها حيلة وانه مخدوع وقل متعزيا ليس لامر الله راد ولعل ما سروا به لا يدوم لهم سروره (قال) وذاع أمره وفشا في الناس وقالوا خدعه معاوية حتى طلق امرأته لغرض ابنه بئس ما صنع ثم ان معاوية بعد انقضاء أيامها المعلومة وجه أبا الدرداء الى العراق خاطبا لها على ابنه يزيد

فخرج حتى قدمها وبها يومئذ الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فقال أبو الدرداء اذ قدم العراق ما ينبغي لذي عقل ان يبدأ بشئ قبل زيارة الحسين سيد شباب أهل الجنة اذ دخل موضعا هو فيه فقصد الحسين رضي الله عنه فلما رآه قام اليه وصافحه اجلالا لصحبته لجده صلى الله عليه وسلم وقال ما أتى بك يا أبا الدرداء قال وجهني معاوية خاطبا على ابنه يزيد أرينب بنت اسحق فرأيت علي حقا ان لا أبدأ بشئ قبل السلام عليك فشكره الحسين على ذلك واثنى عليه وقال لقد كنت ذكرت نكاحها واردت الارسال اليها اذا انقضت عدتها وقد أتى الله بك فاخطب على بركة الله علي وعليه وهي أمانة في عنقك واعطها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه فقال أفعل ان شاء الله فلما دخل عليها قال أيتها المرأة ان الله خلق الامور بقدرته وكونها بعزته وجعل لكل أمر قدرا ولكل قدر سببا فليس لاحد عن قدر الله مخلص فكان ماسبق لك وقدر عليك من فراق عبد الله بن سلام على غير قياس ولعل ذلك لا يضرك ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وقد خطبك أمير هذه الامة وابن ملكها وولي عهده والخليفة من بعده يزيد بن معاوية والحسين بن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أول من آمن به من أمته وسيد شباب أهل الجنة فاختاري ايهما شئت فسكتت طويلا ثم قالت يا أبا الدرداء لو جاءني هذا الامر وأنت غائب لأشخصت فيه الرسل اليك واتبعت فيه رأيك فاما اذا كنت أنت المرسل فيه فقد فوضت أمري فيه بعد الله اليك وجعلته في يديك فاختر لي ارضاهما لديك والله شاهد عليك فاقض ولا يصدنك عن ذلك اتباع الهوى فليس أمرهما عليك خفيا فقال أبو الدرداء أيتها المرأة انما علي اعلامك ولك الاختيار لنفسك فقالت عفا الله عنك انما أنا بنت أخيك ولا يمنعك أحد من قول الحق فيما طوقتك به فقد وجب عليك أداء الامانة فلم يجد بدا من القول فقال يا بنية ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الي في ذلك وأرضى عندي والله أعلم وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا شفتيه على شفتي الحسين فضعي شفتيك حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم شفتيه قالت قد اخترته ورضيته فتزوجها الحسين بن علي عليهما السلام فساق لها مهرا عظيما وبلغ معاوية ما فعله أبو الدرداء فعظم عليه وقال من يرسل ذا بله وعمى ركب خلاف ما يهوى وكان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل فراقها بدرا ذهبا وكان معاوية قد اطرحه وقطع عنه جميع روادفه لقوله انه خدعه حتى طلق امرأته فلم يزل يجفوه حتى قل ما بيده فرجع الى العراق فلما قدمها لقي الحسين فسلم عليه ثم قال لقد علمت ما كان من خبري وخبر أرينب وكنت قبل فراقي اياها استودعتها مالا وكان الذي كان ولم أقبضه ووالله ان ظني بها جميل فذاكرها في أمري فان الله يجزيك به أجرك فسكت عنه فلما انصرف الى أهله قال لها قدم عبد الله بن سلام وهو كثير الثناء عليك في دينك وحسن صحبتك فسرني ذلك واعجبني وذكر انه استودعك مالا فقالت صدق استودعني مالا لا أدري لمن هو وانه لمطبوع عليه بخاتمه وها هو ذا فادفعه اليه بطابعه فأثنى عليها الحسين خيرا وقال الا أدخله عليك حتى تبرئي منه ثم لقي عبد الله فقال ما أنكرت مالك وزعمت انه كما دفعته اليها بطابعك فادخل يا هذا اليها واستوف مالك منها بحيث تحصل البراءة من الطرفين فلما دخل عليها قال لها الحسين

هذا عبد الله بن سلام قد جاء يطلب وديعته فاخرجت اليه البدر فوضعها بين يديه وقالت له هذا
مالك فشكروا ثني فخرج الحسين عنهما وفض عبد الله ختم بدره وحثا لها من ذلك جانبا كبيرا
وقال لها والله هذا قليل مني فاستعبرا حتى علت أصواتهما بالبكاء على ما ابتليا به فدخل الحسين
عليهما وقد رق لهما ثم قال أشهد الله انها طالق ثلاثا اللهم أنت تعلم انني لم استنكحها رغبة في
مالها ولا في جمالها ولكني أردت احلالها لزوجها فطلقها ولم يأخذ شيئا مما ساق لها في مهرها
بعدما عرضته عليه وقال الذي أرجوه من الثواب خير لي فلما انقضت مدتها تزوجها عبد الله بن
سلام وعادا على ما كانا عليه من حسن الصحبة الى أن فرق الموت بينهما هكذا نقله ابن بدرون في
تاريخه والله أعلم (ومن غرائب المنقول وعجائبه) عن الامير بدر الدين أبي المحاسن يوسف
المهمندار المعروف بمهمندار العرب انه قال حكى لي الامير شجاع الدين محمد الشيرازي متولي
القاهرة في الايام الكاملية سنة ثلاث وستمائة قال بتنا عند رجل ببعض بلاد الصعيد فأكرمنا
وكان الرجل شديد السمرة وهو شيخ كبير فحضر له أولاد بيض الوجوه حسان الاشكال فقلنا له
هؤلاء أولادك فقال نعم وكأني بكم وقد أنكرتم بياضهم وسوادي فقلنا له نعم قال هؤلاء أمهم
افرنجية أخذتها في أيام الملك الناصر صلاح الدين وانا شاب فقلنا وكيف أخذتها قال حديثي
بها عجيب فقلنا اتحفنا به فقال زرعت كتانا في هذه البلدة وقلعته ونفضته فانصرف عليه خمسمائة
دينار ولم يبلغ الثمن الى أكثر من ذلك فحملته الى القاهرة فلم يصل الى أكثر من ذلك فأشير علي
بحمله الى الشام فحملته فما زاد على تلك القيمة شيئا فوصلت به الى عكا فبعت بعضه بالاجل
والبعض تركته عندي واكتريت حانوتا أبيع فيه على مهلي الى حيث انقضاء المدة فبينما أنا
أبيع اذ مرت بي امرأة افرنجية ونساء الافرنج يمشون في الاسواق بلا نقاب فأتت تشتري
مني كتانا فرأيت من جمالها ما بهرني فبعتها وسامحتها ثم انصرفت وعادت الي بعد أيام فبعتها
وسامحتها أكثر من المرة الاولى فتكررت الي وعلمت اني أحبها فقلت للعجوز التي معها انني
قد تلفت بحبها وأريد منك الحيلة فقالت لها ذلك فقالت تروح أرواحنا الثلاثة أنا وأنت
وهو فقلت لها قد سمحت بروحي في حبها واتفق الحال على ان أدفع خمسين دينارا صورية
فوزنتها وسلمتها العجوز فقالت نحن الليلة عندك فمضيت وجهزت ما قدرت عليه من مأكول
ومشروب وشمع وحلواء فجاءت الافرنجية فأكلنا وشربنا وجن الليل ولم يبق غير النوم فقلت
في نفسي اما تستحي من الله وأنت غريب تعصي الله مع نصرانية اللهم اني اشهدك اني قد
عففت عنها في هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك ثم نمت الى الصبح فنامت الى الصبح
وقامت في السحر وهي غضبى ومضت ومضيت انا الى حانوتي فجلست فيه واذا هي قد عبرت
علي هي والعجوز وهي مغضبة وكأنها القمر فهلكت فقلت في نفسي من هو أنت حتى تترك
هذه البارعة في حسنها ثم لحقت العجوز وقلت ارجعي فقالت وحق المسيح ما ارجع اليك الا
بمائة دينار فقلت نعم رضيت فوزنت مائة دينار فلما حضرت الجارية عندي لحقتني الفكرة
الاولى وعففت عنها وتركتها حياء من الله تعالى ثم مضت ومضيت الى موضعي ثم عبرت بعد
ذلك علي وكانت مستعربة فقالت وحق المسيح ما بقيت تفرح بي عندك الا بخمسمائة دينار أو

ثوب كمد افار نعت لذلك وعزمت انني أصرف عليها ثمن الكتان جميعه فبينما انا كذلك
والمنادي ينادي معاشر المسلمين ان الهدنة التي بيننا وبينكم قد انقضت وقد أمهلنا من هنا
من المسلمين الى جمعة فانقطعت عني وأخذت أنا في تحصيل ثمن الكتان الذي لي والمصالحة على
ما بقي منه وأخذت معي بضاعة حسنة وخرجت من عكا وفي قلبي من الافرنجية ما فيه فوصلت
الى دمشق وبعت البضاعة باوفى ثمن بسبب فراغ الهدنة ومن الله بمكسب وافر وأخذت اتجر
في الجواري عسى يذهب ما بقلبي من الافرنجية فمضت ثلاث سنين وجرى للسلطان الملك
الناصر ما جرى من وقعة حطين وأخذه جميع الملوك وفتحه بلاد الساحل باذن الله تعالى فطلب
مني جارية للملك الناصر فاحضرت جارية حسناء فاشتريت له مني بمائة دينار فاوصلوا الى
تسعين دينارا وبقيت عشرة دنانير فلم يلقوها في الخزانة ذلك اليوم لانه أنفق جميع الاموال
فشاوروه على ذلك فقال امضوا به الى الخزانة التي فيها السبي من نساء الافرنج فخيروه في
واحدة منهن يأخذها بالعشرة الدنانير التي له فأتيت الخيمة فعرفت غريمتي الافرنجية فقلت
أعطوني هاتيك فأخذتها ومضيت الى خيمتي وخلوت بها وقلت لها أتعرفيني قالت لا فقلت أنا
صاحبك التاجر الذي جرى لي معك ما جرى وأخذت مني الذهب وقلت ما تقبل تبصرني الا
بخمسمائة دينار وقد أخذتك ملكا بعشرة دنانير فقالت مد يدك أنا أشهد أن لا اله الا الله وأن
محمدا رسول الله فأسلمت وحسن اسلامها فقلت والله لا وصلت اليها الا بأمر القاضي فرحت
الى ابن شداد وحكيت له ما جرى فعجب وعقد لي عليها وبانت تلك الليلة عندي فحملت مني ثم
رحل العسكر وأتينا دمشق وبعد مدة يسيرة أتى رسول الملك يطلب الاسارى والسبايا باتفاق
وقع بين الملوك فردوا من كان أسيرا من الرجال والنساء ولم يبق الا التي عندي فسألوا عنها واتضح
الخبر أنها عندي وطلبت مني فحضرت وقد تغير لوني وأحضرتها معي بين يدي مولانا السلطان
الملك الناصر والرسول حاضر فقال لها الملك الناصر بحضرة الرسول ترجعين الى بلادك والى
زوجك فقد فككنا أسرك وأسر غيرك فقالت يا مولانا السلطان أنا قد أسلمت وحبلت
وها بطني كما ترونه وما بقيت الافرنج تنتفع بي فقال لها الرسول أيما أحب اليك هذا المسلم
أو زوجك الافرنجي فلان فأعادت عبارتها الاولى فقال الرسول لمن معه من الافرنج اسمعوا
كلامها ثم قال لي الرسول خذ زوجتك فوليت بها فطلبني ثانيا وقال ان أمها أرسلت معي وديعة
وقالت ان ابنتي أسيرة وأشتهي أن توصل لها هذه الكسوة فتسلمت الكسوة ومضيت الى
الدار وفتحت القماش فاذا هو قماشها بعينه قد سيرته لها أمها ووجدت الصرتين الذهب
الخمسين دينارا والمائة دينارا كما هما بربطتي لم يتغيرا وهؤلاء الاولاد منها وهي التي صنعت
لكم هذا الطعام (ومن لطائف المنقول من المستجاد) قال الواقدي كان ابراهيم بن المهدي قد
ادعى الخلافة لنفسه بالري وأقام مالكها سنة واحد عشر شهرا واثني عشر يوما وله أخبار كثيرة
أحسنها عندي ما حكاه لي (قال) لما دخل المأمون الري في طلبي وجعل لمن أتاه بي مائة ألف
درهم خفت على نفسي وتحيرت في أمري فخرجت من داري وقت الظهر وكان يوما صائفا وما
أدري أين أتوجه فوقفت في شارع غير نافذ وقلت انا لله وانا اليه راجعون ان عدت على أثري

www.dorat-ghawas.com

بر تاب فى أمرى فرأيت فى صدر الشارع عبدا أسود قائما على باب دار فتقدمت اليه وقلت هل عندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار فقال نعم وفتح الباب فدخلت الى بيت نظيف فيه حصر وبسط ووسائد جلود الا أنها نظيفة ثم أغلق الباب على ومضى فتوهمته قد سمع الجعالة فى وانه خرج ليدل على فبقيت على مثل النار فبينما أنا كذلك اذ اقبل ومعه حمال عليه كل ما يحتاج اليه من خبز ولحم وقدر جديدة وجرة نظيفة وكيزان جدد فحط عن الحمال ثم التفت الى وقال جعلنى الله فداك أنا رجل حجام وأنا أعلم أنك تتقزز منى لما أتولاه من معيشتى فشأنك بما لم تقع عليه يد وكان بى حاجة الى الطعام فطبخت لنفسى قدرا ما اذكر أنى أكلت مثلها فلما قضيت أربى من الطعام قال هل لك فى شراب فانه يسلى الهم فقلت ما أكره ذلك رغبة فى مؤانسته فأتى بقطر ميز جديد لم تمسه يد وجاءنى بدست شراب مطينة وقال لى روق لنفسك فروقت شرابا فى غاية الجودة وأحضر لى قدحا جديدا وفاكهة وأبقالا مختلفة فى طسوت فخار جدد ثم قال بعد ذلك أتأذن لى جعلت فداك ان أقعد ناحية وآتى بشراب فأشرب به سرورا بك فقلت له افعل فشرب وشربت ثم دخل الى خزانة له فأخرج عودا مصفحا ثم قال ياسيدى ليس من قدرى ان أسألك فى الغناء ولكن قد وجبت على مروءتك حرمتى فان رأيت أن تشرف عبدك فلك علو الرأى (فقلت) ومن أين لك انى أحسن الغناء فقال ياسبحان الله مولانا أشهر من ذلك أنت ابراهيم بن المهدى خليفتنا بالامس الذى جعل المأمون لمن دله عليه مائة ألف درهم فلما قال ذلك عظم فى عينى وثبتت مروءته عندى فتناولت العود وأصلحته وغنيت وقد مر بخاطرى فراق أهلى وولدى

وعسى الذى أهدى ليوسف أهله * وأعزه فى السجن وهو أسير
ان يستجيب لنا فيجمع شملنا * والله رب العالمين قدير

فاستولى عليه الطرب المفرط وطاب عيشه كثيرا ومن شدة طربه وسروره قال لى ياسيدى أتأذن لى أن أغنى ما سنح بخاطرى وان كنت من غير أهل هذه الصناعة فقلت هذا زيادة فى أدبك ومروءتك (فأخذ العود وغنى)

شكونا الى أحبابنا طول ليلنا * فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم * سريعا ولا يغشى لنا النوم أعينا
اذا ما دنا الليل المضر بذى الهوى * جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثل ما * نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

فوالله لقد أحسست بالبيت قد سار بى وذهب عنى كل ما كان بى من الهلع وسألته أن يغنى فغنى

تعيرنا انا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل
وانا لقوم لا نرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

فداخلنى من الطرب مالا مزيد عليه الى ان غالبنى السكر فلم استيقظ الا بعد المغرب فعاودنى

www.dorat-ghawas.com

فكري في نفاسة هذا الخاتم وحسن أدبه وظرفه فقمت وغسلت وجهي وأيقظته وأخذت خريطة كانت صحبتي فيها دنانير لها قيمة فرميت بها اليه وقلت له استودعتك الله فانني ماض من عندك وأسألك أن تصرف ما في هذه الخريطة في بعض مهماتك ولك عندي المزيد ان أمنت من خوفي فأعادها علي منكرا وقال يا سيدي ان الصعاليك منا لا قدر لهم عندكم أآخذ على ما وهبنيه الزمان من قربك وحلولك عندي ثمنا والله لئن راجعتني في ذلك لاقتلن نفسي فاعدت الخريطة الى كمي وقد أثقلني حملها فلما انتهيت الى باب داره قال لي يا سيدي ان هذا المكان أخفى لك من غيره وليس في مؤنتك علي ثقلة فأقم عندي الى ان يفرج الله عنك فرجعت وسألته أن ينفق من تلك الخريطة فلم يفعل فأقمت عنده أياما على تلك الحالة في ألذ عيش فتذممت من الاقامة في مؤنته واحتشمت من التثقيل عليه فتركته وقد مضى يجدد لنا حالا وقمت فتزييت بزي النساء بالخف والنقاب وخرجت فلما صرت في الطريق داخلني من الخوف أمر شديد وجئت لاعبر الجسر فاذا أنا بموضع مرشوش بماء فبصر بي جندي ممن كان يخدمني فعرفني فقال هذه حاجة المأمون فتعلق بي فمن حلاوة الروح دفعته هو وفرسه فرميتهما في ذلك الزلق فصار عبرة وتبادر الناس اليه فاجتهدت في المشي حتى قطعت الجسر ودخلت شارعا فوجدت باب دار وامرأة واقفة في دهليز فقلت يا سيدة النساء احقني دمي فاني رجل خائف فقالت على الرحب وأطلعتني الى غرفة مفروشة وقدمت لي طعاما وقالت يهدأ روعك فما علم بك مخلوق واذا بالباب يدق دقا عنيفا فخرجت وفتحت الباب واذا بصاحبي الذي دفعته على الجسر وهو مشدود الرأس ودمه يجري على ثيابه وليس معه فرس فقالت يا هذا ما دهاك فقال ظفرت بالغني وانفلت مني فأخبرها بالحال فأخرجت خرقا وعصبته بها وفرشت له ونام عليلا وطلعت الي وقالت أظنك صاحب القصة فقلت نعم قالت لا بأس عليك ثم جددت لي الكرامة وأقمت عندها ثلاثا ثم قالت اني خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع عليك فينم بك فانج بنفسك فسألتها المهلة الى الليل ففعلت فلما دخل الليل لبست زي النساء وخرجت من عندها فأتيت الى بيت مولاة كانت لنا فلما رأتني بكت وتوجعت وحمدت الله على سلامتي وخرجت كأنها تريد السوق للاهتمام بالضيافة فظننت خيرا فما شعرت الا بابراهيم الموصلي بنفسه في خيله ورجله والمولاة معه حتى سلمتني اليه فرأيت الموت عيانا وحملت بالزي الذي أنا فيه الى المأمون فجلس مجلسا عاما وأدخلني اليه فلما مثلت بين يديه سلمت عليه بالخلافة فقال لا سلم الله عليك ولا حياك ولا رعاك فقلت له على رسلك يا أمير المؤمنين ان ولي الثأر محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى وقد جعلك الله فوق كل عفو كما جعل ذنبي فوق كل ذنب فان تأخذ فبحقك وان تعف فبفضلك ثم أنشدت

ذنبي اليك عظيم * وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا * فاصفح بحلمك عنه
ان لم أكن في فعالي * من الكرام فكنه

فرفع الي رأسه فبدرته وقلت

www.dorat-ghawas.com

أتيت ذنبا عظيما * وأنت للعفو أهل
فان عفوت فمن * وان جزيت فعدل

فرق المأمون واستروحت روائح الرحمة من شمائله ثم أقبل على ابنه العباس وأخيه أبي اسحق وجميع من حضر من خاصته فقال ماترون في أمره فكل أشار بقتلي الا انهم اختلفوا في القتلة كيف تكون فقال المأمون لاحمد بن أبي خالد ماتقول يا أحمد فقال يا أمير المؤمنين ان قتلته وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت عنه لم نجد مثلك عفا عن مثله فنكس المأمون رأسه ينكت في الارض وأنشد متمثلا

قومي هم قتلوا أميم أخي * فاذا رميت يصيبني سهمي

فكشفت المقنعة عن رأسي وكبرت تكبيرة عظيمة وقلت عفا والله عني أمير المؤمنين فقال المأمون لا بأس عليك ياعم فقلت ذنبي يا أمير المؤمنين أعظم من أن أتفوه معه بعذر وعفوك أعظم من أن أنطق معه بشكر ولكن أقول

ان الذي خلق المكارم حازها * في صلب آدم للامام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابة * وتظل تكلؤهم بقلب خاشع
ما ان عصيتك والغواة تمدني * أسبابها الا بنية طائع
فعفوت عمن لم يكن عن مثله * عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت أطفالا كافراخ القطا * وحنين والدة بقلب جازع

(فقال) المأمون لا تثريب عليك اليوم قد عفوت عنك ورددت عليك مالك وضياعك فقلت

رددت مالي ولم تبخل علي به * وقبل ردك مالي قد حقنت دمي
فلو بذلت دمي أبغي رضاك به * والمال حتى أسل النعل من قدمي
ما كان ذاك سوى عارية رجعت * اليك لو لم تعرها كنت لم تلم
فان جحدتك ما أوليت من كرم * اني الى اللؤم أولى منك بالكرم

(فقال المأمون) ان من الكلام درا وهذا منه وخلع عليه وقال ياعم ان أبا اسحق والعباس أشارا بقتلك فقلت انهما نصحالك يا أمير المؤمنين ولكن أتيت بما أنت أهله ودفعت ما خفت بما رجوت (فقال) المأمون ياعم أمت حقدي بحياة عذرك وقد عفوت عنك ولم أجرعك مرارة امتنان الشافعين ثم سجد المأمون طويلا ورفع رأسه وقال ياعم أتدري لم سجدت قلت شكرا لله تعالى الذي أظفرك بعدوّ دولتك فقال ما أردت هذا ولكن شكرا لله الذي ألهمني العفو عنك فحدثني الآن حديثك فشرحت له صورة أمري وماجرى لي مع الحجام والجندي والمرأة والمولاة التي نمت علي فأمر المأمون باحضارها وهي في دارها تنتظر الجائزة فقال لها ما حملك على مافعلت مع سيدك فقالت الرغبة في المال فقال لها هل لك ولد أو زوج قالت لا فأمر بضربها مائتي سوط وخلد سجنها (ثم قال) احضروا الجندي وامرأته والحجام فاحضروا فسأل الجندي عن السبب الذي حمله على مافعل فقال الرغبة في المال (فقال المأمون) أنت يجب أن تكون حجاما ووكل به من يلزمه الجلوس في دكان الحجام ليتعلم الحجامة وأكرم زوجته

www.dorat-ghawas.com

وأدخلها الى القصر وقال هذه امرأة عاقلة تصلح للمهمات ثم قال لعصام لقد ظهر من مروءتك ما يوجب المبالغة في اكرامك وسلم اليه دار الجندي بما فيها وخلع عليه وأنعم عليه برزقه وزيادة ألف دينار في كل سنة ولم يزل في تلك النعمة الى أن مات (ومما يضارع ذلك) انه لما أفضت الخلافة الى بني العباس اختفت رجال بني أمية منهم ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك وكان ابراهيم رجلا عالما عاملا أديبا كاملا وهو في سن الشبيبة فأخذوا له أمانا من السفاح فقال له يوما حدثني عن ما مر بك في اختفائك قال كنت يا أمير المؤمنين مختفيا بالحيرة في منزل شارع على الصحراء فبينما أنا على ظهر البيت اذ نظرت الى أعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فتخيلت أنها تريدني فخرجت من الدار متنكرا حتى أتيت الكوفة ولا أعرف أحدا اختفي عنده فبقيت في حيرة فاذا أنا بباب كبير رحبته واسعة فدخلت فيها فاذا رجل وسيم حسن الهيئة على فرس قد دخل الرحبة ومعه جماعة من غلمانه واتباعه فقال من أنت وما حاجتك فقلت رجل خائف على دمه وقد استجار بمنزلك فادخلني منزله ثم صيرني في حجرة تلي حرمه وكنت عنده في ذلك على ما أحبه من مطعم ومشرب وملبس لا يسألني عن شئ من حالي الا أنه يركب في كل يوم ركبة فقلت له يوما أراك تدمن الركوب ففهم ذلك قال ابراهيم بن سليمان قتل أبي صبرا وقد بلغني أنه مختف فأنا أطلبه لادرك منه ثاري فكثر والله تعجبي وقلت القدر ساقني الى حتفي في منزل من يطلب دمي وكرهت الحياة فسألت الرجل عن اسمه واسم ابيه فاخبرني فعلمت أن الخبر صحيح وأنا الذي قتلت أباه فقلت له يا هذا قد وجب علي حقك ومن حقك ان أدلك على خصمك وأقرب اليك الخطوة قال وما ذاك قال أنا ابراهيم بن سليمان قاتل أبيك فخذ بثارك فقال اني أحسبك رجلا قد مضه الاختفاء فأحببت الموت فقلت لا والله ولكن أقول لك الحق يوم كذا وكذا بسبب كذا وكذا فلما علم صدقي تغير لونه واحمرت عيناه وأطرق مليا ثم قال أما أنت فستلقى أبي عند حكم عدل فيأخذ بثاره وأما أنا فغير مخفر ذمتي فاخرج عني فلست آمن عليك من نفسي وأعطاني ألف دينار فلم آخذها منه وانصرفت عنه فهذا أكرم رجل رأيته بعد أمير المؤمنين (ومن لطائف ما نقلته من المستجاد) حدث أبو الحسن بن صالح البلخي بمصر قال أخبرني بعض عمال شيوخنا عن شيبة بن محمد الدمشقي قال كان في أيام سليمان بن عبد الملك رجل يقال له خزيمة بن بشر من بني أسد مشهور بالمروءة والكرم والمواساة وكانت نعمته وافرة فلم يزل على تلك الحالة حتى احتاج الى اخوانه الذين كان يواسيهم ويتفضل عليهم فواسوه حينا ثم ملوه فلما لاح له تغيرهم أتى امرأته وكانت ابنة عمه فقال لها يا بنت العم قد رأيت من اخواني تغيرا وقد عزمت على لزوم بيتي الى ان يأتيني الموت ثم أغلق بابه عليه وأقام يتقوت بما عنده حتى نفد وبقي حائرا في حاله فكان عكرمة الفياض واليا على الجزيرة فبينما هو في مجلسه وعنده جماعة من أهل البلد اذ جرى ذكر خزيمة بن بشر فقال عكرمة ما حاله فقالوا صار في اسوإ الاحوال وقد أغلق بابه ولزم بيته فقال عكرمة الفياض وما سمي الفياض الا للافراط في الكرم فما وجد خزيمة بن بشر مواسيا ولا مكافئا فامسك عن ذلك فلما كان الليل عمد الى أربعة آلاف دينار فجعلها في كيس واحد ثم أمر باسراج دابته

وخرج سائرا من أهله فركب ومعه غلام واحد يحمل المال ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فأخذ الكيس من الغلام ثم أبعده عنه وتقدم الى الباب فطرقه بنفسه فخرج خزيمة فقال له اصلح بهذا شانك فتناوله فرآه ثقيلا فوضعه وقبض على لجام الدابة وقال له من أنت جعلت فداك قال له ماجئت فى هذا الوقت وأنا أريد ان تعرفنى قال خزيمة فما أقبله أو تخبرنى من أنت قال أنا جابر عثرات الكرام قال زدنى قال لا ثم مضى ودخل خزيمة بالكيس الى امرأته فقال لها ابشرى فقد أتى الله بالفرج فلو كان فى هذا فلوس كانت كثيرة قومى فاسرجى قالت لا سبيل الى السراج فبات يلمس الكيس فيجد تحت يده خشونة الدنانير ورجع عكرمة الى منزله فوجد امرأته قد افتقدته وسألت عنه فأخبرت بركوبه منفردا فارتابت وشقت جيبها ولطمت خدها فلما رآها على تلك الحالة قال لها مادهاك يا ابنة العم قالت سوء فعلك بابنة عمك أمير الجزيرة يخرج بعد هدأة من الليل منفردا عن غلمانه فى سر من أهله الا الى زوجة أو سرية فقال لقد علم الله ماخرجت لواحدة منهما قالت لابد تعلمني قال فاكتميه اذا (قالت) أفعل فأخبرها بالقصة على وجهها ثم قال أتحبين ان أحلف لك قالت لا قد سكن قلبي ثم أصبح خزيمة صالح غرماءه وأصلح من حاله ثم تجهز يريد سليمان بن عبد الملك بفلسطين فلما وقف ببابه دخل الحاجب فأخبره بمكانه وكان مشهورا بالمروءة وكان الخليفة به عارفا فأذن له فلما دخل عليه وسلم بالخلافة قال يا خزيمة ما ابطأك عنا فقال سوء الحال يا أمير المؤمنين قال فما منعك من النهضة الينا قال ضعفي قال فبم أنهضت قال لم أشعر يا أمير المؤمنين بعد هدأة من الليل الا ورجل يطرق بابي وكان منه كيت وكيت وأخبره بقصته من أولها الى آخرها فقال هل عرفته قال لا والله لأنه كان متنكرا وما سمعت منه الا جابر عثرات الكرام قال فتلهف سليمان بن عبد الملك على معرفته وقال لو عرفناه لاعناه على مروءته ثم قال على بقناة فأتى بها فعقد لخزيمة الولاية على الجزيرة وعلى عمل عكرمة الفياض وأجزل عطاياه وأمره بالتوجه الى الجزيرة فخرج خزيمة متوجها اليها فلما اقترب منها خرج عكرمة وأهل البلد للقائه فسلم عليه ثم سارا جميعا الى ان دخلا البلد فنزل خزيمة فى دار الامارة وأمر أن يؤخذ عكرمة وان يحاسب فحوسب ففضل عليه مال كثير فطلبه خزيمة بالمال فقال مالى الى شئ منه سبيل فأمر بحبسه ثم بعث يطالبه فأرسل اليه انى لست ممن يصون ماله بعرضه فاصنع ماشئت فأمر به فكبل بالحديد وضيق عليه وأقام على ذلك شهرا فاضناه ثقل الحديد وأضر به وبلغ ذلك ابنة عمه فجزعت عليه واغتمت ثم دعت مولاة لها ذات عقل وقالت امضى الساعة الى باب هذا الامير فقولى عندى نصيحة فاذا طلبت منك فقولى لا أقولها الا للامير خزيمة واذا دخلت عليه فسليه الخلوة فاذا فعل فقولى له ما كان هذا جزاء جابر عثرات الكرام منك فى مكافأتك له بالضيق والحبس والحديد قال ففعلت ذلك فلما سمع خزيمة قولها قال واسوءتاه جابر عثرات الكرام غريمي قالت نعم فأمر من وقته بدابته فاسرجت وركب الى وجوه أهل البلد فجمعهم وسار بهم الى باب الحبس ففتح ودخل فرأى عكرمة الفياض فى قاع الحبس متغيرا قد أضناه الضر فلما نظر عكرمة الى خزيمة والى الناس أحشمه ذلك فنكس رأسه فأقبل خزيمة حتى انكب على رأسه فقبله فرفع

راسه

رأسه اليه وقال ما أعقب هذا منك قال كريم فعلك وسوء مكافاتي قال يغفر الله لنا ولك ثم أمر
بفك قيوده وان توضع في رجليه فقال عكرمة تريد ماذا قال أريد أن ينالني من الضر مثل ما نالك
فقال أقسم عليك بالله ان لا تفعل فخرجا جميعا الى ان وصلا الى دار خزيمة فودعه عكرمة وأراد
الانصراف فلم يمكنه من ذلك قال وما تريد قال أغير من حالك وحيائي من ابنة عمك أشد من حيائي
منك ثم أمر بالحمام فأخليت ودخلا جميعا ثم قام خزيمة فتولى خدمته بنفسه ثم خرجا فخلع
عليه وحمل اليه مالا كثيرا ثم سار معه الى داره واستأذنه في الاعتذار من ابنة عمه فأذن له
فاعتذر اليها وتذمم من ذلك ثم سأله ان يسير معه الى أمير المؤمنين وهو يومئذ مقيم بالرملة فأنعم
له بذلك فسارا جميعا حتى قدما على سليمان بن عبد الملك فدخل الحاجب فأخبره بقدوم خزيمة
ابن بشر فراعه ذلك وقال والي الجزيرة يقدم علينا بغير أمرنا مع قرب العهد به ما هذا الا
لحادث عظيم فلما دخل عليه قال قبل ان يسلم ما وراءك يا خزيمة قال خير يا أمير المؤمنين قال
فما أقدمك قال ظفرت بجابر عثرات الكرام فأحببت ان أسرك لما رأيت من شوقك الى رؤيته
قال ومن هو قال عكرمة الفياض فأذن له في الدخول فدخل فسلم عليه بالخلافة فرحب به وأدناه
من مجلسه وقال يا عكرمة كان خيرك له وبالا عليك ثم قال له اكتب حوائجك وما تختاره
في رقعة فكتبها وقضيت على الفور ثم أمر له بعشرة آلاف دينار مع ما أضيف اليها من
التحف والظرف ثم دعا بقناة وعقد له على الجزيرة وارمينية واذربيجان وقال له أمر خزيمة
اليك ان شئت أبقيته وان شئت عزلته قال بل أرده الى عمله يا أمير المؤمنين ثم انصرفا
جميعا ولم يزالا عاملين لسليمان بن عبد الملك مدة خلافته (و يضارع ذلك من المستجاد
أيضا ما روى عن أبي موسى محمد بن الفضل بن يعقوب كاتب عيسى بن جعفر) قال حدثني أبي
قال كنت أتردد الى زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وأخدمها فتوجهت
الى خدمتها يوما فقالت اقعد حتى أحدثك حديثا كان بالامس يكتب على الآماق كنت
أمس عند الخيزران ومن عادتي ان أجلس بازائها وفي الصدر مجلس للمهدي يجلس فيه وهو
يقصدنا في كل وقت فيجلس قليلا ثم ينهض فبينما نحن كذلك اذ دخلت علينا جارية من
جواريها فقالت أعز الله السيدة بالباب امرأة ذات جمال وخلقة حسنة وليس وراء ما هي
عليه من سوء الحال غاية تستأذن عليك وقد سألتها عن اسمها فامتنعت أن تخبرني فالتفتت الى
الخيزران وقالت ما ترين فقلت أدخليها فانه لا بد من فائدة أو ثواب فدخلت امرأة من أجمل
النساء لا تتوارى بشيء فوقفت بجنب عضادة الباب ثم سلمت متضائلة ثم قالت أنا مزنة بنت
مروان بن محمد الاموي فقالت الخيزران لا حياك الله ولا قربك فالحمد لله الذي أزال نعمتك
وهتك سترك وأذلك أتذكرين يا عدوة الله حين أتاك عجائز أهل بيتي يسألنك ان تكلمي
صاحبك في الاذن في دفن ابراهيم بن محمد فوثبت عليهن واسمعتيهن ما لا يسمعن قبل وأمرت
فأخرجن على تلك الحالة فضحكت مزنة حتى أبدت حسن ثغرها وعلو صوتها بالقهقهة ثم قالت
يا بنت العم أي شيء أعجبك من حسن صنيع الله بي على العقوق حتى أردت أن تتأسى بي فيه والله
اني فعلت بنسائك ما فعلت فأسلمني الله لك ذليلة جائعة عريانة وكان ذلك مقدار شكرك لله

www.dorat-ghawas.com

تعالى على ما أولاك بي ثم قالت السلام عليكم ثم ولت مسرعة فصاحت بها الخيزران فرجعت
قالت زينب فنهضت اليها الخيزران لتعانقها فقالت ليس في لذلك موضع مع الحال التي أنا عليها
فقالت الخيزران لها فالحمام اذا وأمرت جماعة من جواريها بالدخول معها الى الحمام
فدخلت وطلبت ماشطة ترمي ما على وجهها من الشعر فلما خرجت من الحمام وافتها الخلع
والطيب فأخذت من الثياب ما أرادت ثم تطيبت ثم خرجت الينا فعانقتها الخيزران وأجلستها
في الموضع الذي يجلس فيه أمير المؤمنين المهدي ثم قالت لها الخيزران هل لك في الطعام فقالت
والله ما فيكن أحوج مني اليه فعجلوا فأتي بالمائدة فجعلت تأكل غير محتشمة الى أن اكتفت
ثم غسلنا أيدينا فقالت لها الخيزران من وراءك ممن تعتنين به قالت ما خارج هذه الدار من بيني
وبينه نسب فقالت اذا كان الأمر هكذا فقومي حتى تختاري لنفسك مقصورة من مقاصيرنا
وتحولي لها جميع ما تحتاجين اليه ثم لا نفترق الى الموت فقامت ودارت بها في المقاصير فاختارت
أوسعها وأنزهها ولم تبرح حتى حولت اليها جميع ما تحتاج اليه من الفرش والكسوة قالت
زينب ثم تركاها وخرجنا عنها فقالت الخيزران هذه المرأة قد كانت فيما كانت فيه وقد مسها
الضر وليس يغسل ما في قلبها الا المال فاحملوا اليها خمسمائة ألف درهم فحملت اليها وفي أثناء
ذلك وافى المهدي فسألنا عن الخبر فحدثته الخيزران حديثها وما لقيتها به فوثب مغضبا وقال
للخيزران هذا مقدار شكرك الله على انعمه وقد أمكنك من هذه المرأة مع الحالة التي هي عليها
فوالله لولا محلك بقلبي لحلفت أن لا أكلمك أبدا فقالت الخيزران يا أمير المؤمنين قد اعتذرت
اليها ورضيت وفعلت معها كذا وكذا فلما علم المهدي ذلك قال لخادم كان معه احمل اليها مائة
بدرة وادخل اليها وأبلغها مني السلام وقل لها والله ما سررت في عمري كسروري اليوم وقد
وجب على أمير المؤمنين اكرامك ولولا احتشامك لحضر اليك مسلما عليك وقاضيا لحقك فمضى
الخادم بالمال والرسالة فأقبلت على الفور فسلمت على المهدي بالخلافة وشكرت صنعه وبالغت
في الثناء على الخيزران عنده وقالت ما على أمير المؤمنين حشمة أنا في عدد حرمه ثم قامت الى
منزلها فخلفتها عند الخيزران وهي تتصرف في المنازل والجواري كتصرف الخيزران فأرخها
عندك فانها من أحسن النوادر (وروى عن عبد الرحمن بن عمر الفهري عن رجال سماهم)
أمر المأمون أن يحمل اليه عشرة من أهل البصرة كانوا قد رموا بالزندقة فحملوا فرآهم أحد
الطفيلية قد اجتمعوا بالساحل فقال ما اجتمع هؤلاء الا لوليمة فدخل معهم ومضى بهم
الموكلون الى البحر وأطلعوهم في زورق قد أعد لهم فقال الطفيلي لا شك أنها نزهة فصعد
معهم في الزورق فلم يكن بأسرع من ان قيدوا وقيد الطفيلي معهم فعلم انه قد وقع ورام
الخلاص فلم يقدر وساروا بهم الى أن دخلوا بغداد وحملوا حتى دخلوا على المأمون فلما مثلوا بين
يديه أمر بضرب أعناقهم فاستدعوهم بأسمائهم حتى لم يبق الا الطفيلي وهو خارج عن العدة
(فقال) المأمون من هذا قالوا والله ما ندري يا أمير المؤمنين غير انا وجدناه مع القوم فجئنا به
(فقال) له المأمون ما قصتك قال يا أمير المؤمنين امرأتي طالق ان كنت أعرف من أقوالهم
شيئا ولا أعرف غير لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما رأيتهم مجتمعين فظننت

انهم

انهم يدعون الى وليمة فالتحقت بهم (قال) فضحك المأمون ثم قال بلغ من شؤم التطفل ان أحل صاحبه هذا المحل اقد سلم هذا الجاهل من الموت ولكن يؤدب حتى يتوب (قال) ابراهيم بن المهدى هبه لى وأحدثك بحديث عن نفسى فى التطفل عجيب (قال) المأمون قد وهبته لك هات حديثك (قال) ياأمير المؤمنين خرجت يوما متنكرا اتنزه فانتهى بى المشى الى موضع شممت منه روائح طعام وأبازير قد فاحت فتاقت نفسى اليها ووقفت ياأمير المؤمنين لا أقدر على المضى فرفعت بصرى واذا بشباك ومن خلفه كف ومعصم ما رأيت أحسن منهما فوقفت حائرا ونسيت روائح الطعام بذلك الكف والمعصم وأخذت فى اعمال الحيلة فاذا خياط قريب من ذلك الموضع فتقدمت اليه وسلمت عليه فرد على السلام فقلت لمن هذه الدار قال لرجل من التجار قلت ما اسمه قال فلان بن فلان فقلت أهو ممن يشرب الخمر قال نعم وأحسب اليوم أن عنده دعوة وليس ينادم الا التجار فبينما نحن فى الكلام اذ اقبل رجلان نبيلان راكبان فأعلمنى انهما أخص الناس بصحبته وأعلمنى باسميهما فحركت دابتى فلقيتهما وقلت جعلت فداء كما قد استبطأ كما أبو فلان وسايرتهما حتى أتيا الباب فدخلت ودخلا فلما رآنى صاحب الدار معهما لم يشك انى منهما فرحب بى وأجلسنى فى أفضل المواضع ثم جىء بالمائدة فقلت فى نفسى هذه الالوان قد من الله على ببلوغ الغرض منها بقى الكف والمعصم ثم نقلنا الى مجلس المنادمة فرأيت مجلسا محفوفا باللطائف وجعل صاحب المجلس يتلطف بى ويقبل على فى الحديث لظنه انى ضيف لاضيافه وهم على مثل ذلك حتى شربنا أقداحا اذ خرجت علينا جارية كأنها غصن بان فى غاية الظرف وحسن الهيئة فسلمت غير خجلة وأتى بعود فأخذته وجسته فاذا هى حاذقة واندفعت تقول

أليس عجيبا أن بيتا يضمنى * واياك لانخلو ولا نتكلم
سوى أعين تبدى سرائر انفس * وتقطيع أنفاس على النار تضرم
اشارة أفواه وغمز حواجب * وتكسير أجفان وكف يسلم

فهيجت ياأمير المؤمنين بلابلى فطربت لحذقها وحسن شعرها الذى غنت به فحسدتها وقلت فد بقى عليك ياجارية شىء فرمت العود وقالت متى كنتم تحضرون البغضاء فى مجالسكم فندمت على ما كان منى ورأيت القوم قد أنكروا على ذلك فقلت فى نفسى فاتنى جميع ما أملت فقلت أثم عود قالوا نعم فاحضروا عودا فاصلحت ما أردت فيه ثم اندفعت فغنيت

هذا محبك مطوى على كمده * صب مدامعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته * مما به ويد أخرى على كبده
يا من رأى كلفا مستهترا دنفا * كانت منيته فى عينه ويده

فوثبت الجارية فاكبت على رجلى تقبلها وقالت المعذرة اليك ياسيدى والله ما علمت بمكانك ولا سمعت بمثل هذه الصناعة ثم أخذ القوم فى اكرامى وتبجيلى بعدما طربوا غاية الطرب وسألنى كل منهم الغناء فغنيت لهم نوبات مطربة فتغلب القوم السكر وغابت عقولهم فحملوا الى منازلهم وبقى صاحب المنزل فشرب معى أقداحا ثم قال ياسيدى ذهب ما مضى من عمرى مجانا اذ لم أعرف مثلك فبالله يا مولاى من أنت لاعرف نديمى الذى من الله على به فى هذه الليلة

فأخذت أداري وهو يقسم علي فاعلمته فوثب قائماً وقال قد عجبت ان يكون هذا الفضل الا لمثلك ولقد أسدى الي الزمان يداً لا أقوم بشكرها ومتى طمعت ان تزورني الخلافة في منزلي وتنادمني ليلتي وما هذا الا في المنام فاقسمت عليه ان يجلس فجلس وأخذ يسألني عن السبب في حضوري عنده بألطف معنى فأخبرته بالقصة من أولها الى آخرها وما سترت منها شيأ ثم قلت أما الطعام فقد نلت منه بغيتي فقال والكف والمعصم ان شاء الله ثم قال يا فلانة قولي لفلانة تنزل ثم جعل يستدعي واحدة بعد واحدة يعرضها علي وأنا لا أرى صاحبتي الى أن قال والله ما بقي الا أمي وأختي ووالله لتنزلان فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت جعلت فداءك تبدأ بالاخت قال حباً وكرامة ثم نزلت اخته فأراني يدها فاذا هي التي رأيتها فقلت هذه الحاجة فأمر غلمانه لوقته فأحضروا الشهود وأحضر بدرتين فلما حضر الشهود قال لهم هذا سيدي ابراهيم بن المهدي يخطب أختي فلانة وأشهدكم اني قد زوجتها له وأمهرتها منه عشرين ألف درهم فقلت قبلت ذلك ورضيت فشهدوا علينا فدفع البدرة لواحدة الى أخته والاخرى فرقها على الشهود ثم قال يا سيدي أمهد لك بعض البيوت وتنام مع أهلك فاحشمني ما رأيت من كرمه وتذممت ان أخلو بها في داره ثم قلت بل أحضر عمارتي وأحملها الى منزلي فقال افعل ما شئت فاحضرت عمارتي وحملتها الى منزلي فوحقك يا أمير المؤمنين لقد حمل الي من الجهاز ما ضاقت عنه بيوتنا على سعتها وأولدتها هذا الغلام القائم بين يدي أمير المؤمنين فعجب المأمون من كرم هذا الرجل وقال لله دره ما سمعت قط بمثلها وأمر ابراهيم باحضار الرجل ليشاهده فاحضره بين يديه فاستنطقه فأعجبه وصيره من جملة خواصه ومنادميه

(ومن غريب المنقول) ان فتى من ذوي النعم قعد به زمانه وكانت له جارية حسناء محسنة في الغناء فضاق بهما الخناق واشتدت بهما الحال في عدم ما يقتاتان به فقال لها قد ترين ما قد صرنا اليه من هذه الحالة السيئة والله اني وأنت معي أحسن وأهون علي مما أذكره لك فان رأيت أن أبيعك لمن يحسن اليك ويغسل عنك ما أنت فيه وأنفرج أنا بما لعله يصير الي من الثمن ولعلك تحصلين عند من تتوصلين الى نفعي معه فقالت والله لو لي على تلك الحالة معك آثر عندي من انتقالي الى غيرك ولو كان خليفة ولكن اصنع ما بدا لك قال فخرج وعرضها للبيع فاشار عليه أحد اصدقائه ممن له رأي أن يحملها الى ابن معمر أمير العراق فحملها اليه فلما عرضت عليه استحسنها فقال لمولاها كم كان شراؤها عليك قال مائة ألف درهم وقد انفقت عليها مالاً كثيراً حتى صارت في رتبة الاستاذين قال أما ما انفقت عليها فغير محتسب لك به لانك أنفقته في لذاتك وأما ثمنها فقد أمرنا لك بمائة ألف درهم وعشرة أسفاط من الثياب وعشرة رؤس من الخيل وعشرة رؤس من الرقيق أرضيت قال نعم أرضى الله الامير فامر بالمال فاحضر وأمر قهرمانه بادخال الجارية الى الحرم فامسكت بجانب الستر وبكت وقالت

هنيأ لك المال الذي قد أفدته * ولم تبق في كفي غير التفكر

أقول لنفسي وهي في كرب انها * أقلي فقد بان الحبيب أو اكثري

اذا لم يكن للامر عندك موضع * ولم تجدي بداً من الصبر فاصبر

فبكى مولاها وأجاب قائلا

ولولا

www.dorat-ghawas.com

ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن * يفرقنا شيء سوى الموت فاعذري
أروح بهم من فراقك موجع * أناجي به قلبا قليل التصبر
عليك سلامي لا زيارة بيننا * ولا قرب الا ان يشاء ابن معمر

فقال له ابن معمر قد شئت فخذها بارك الله لك فيها وفيما وصل اليك منا فاخذها وأخذ المال والخيل والرقيق والثياب وعاد وقد حسنت حاله (ومما جنيته من ثمرات الاوراق) ان الحجاج لما قتل عبد الله بن الزبير رحل الى عبد الملك بن مروان ومعه ابراهيم بن محمد بن طلحة فلما قدم على عبد الملك سلم عليه بالخلافة وقال قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز في الشرف والابوة وكمال المروءة والادب وحسن المذهب والطاعة والنصيحة مع القرابة وهو ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله فافعل به يا أمير المؤمنين ما يستحق أن يفعل بمثله في أبوته وشرفه فقال عبد الملك يا أبا محمد اذكرتنا حقا واجبا ائذنوا لابراهيم فلما دخل وسلم بالخلافة أمره بالجلوس في صدر المجلس وقال له عبد الملك ان أبا محمد ذكرنا ما لم نزل نعرفه منك من الابوة والشرف فلا تدع حاجة في خاصة أمرك وعامته الا سألتها فقال ابراهيم أما الحوائج التي نبتغي بها الزلفى ونرجو بها الثواب لها كان لله خالصا ولنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن لك يا أمير المؤمنين عندي نصيحة لا اجد بدا من ذكري اياها قال أهي دون أبي محمد قال نعم قال قم يا حجاج فنهض الحجاج خجلا لا يبصر اين يضع رجله ثم قال عبد الملك قل يا ابن طلحة فقال تالله يا أمير المؤمنين انك عمدت الى الحجاج في ظلمه وتعديه على الحق واصغائه الى الباطل فوليته الحرمين وفيهما من فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابناء المهاجرين والانصار يسومهم الخسف ويطأهم العسف بطغام أهل الشام ومن لا روية له في اقامة الحق ولا ازاحة الباطل قال فاطرق عبد الملك ساعة ثم رفع رأسه وقال كذبت يا ابن طلحة ظن فيك الحجاج غير ما هو فيك قم فرب ساع الخير بغير أهله قال فقمت وأنا ما أبصر طريقا قال واتبعني حرسيا وقال اشدد يدك به (قال) ابراهيم فما زلت جالسا حتى دعا الحجاج فما زالا يتناجيان طويلا حتى ساء ظني ولا أشك انه في أمري ثم دعا بي فلقيني الحجاج في الصحن خارجا فقبل بين عيني وقال أحسن الله جزاءك قال فقلت في نفسي انه يهزأ بي ودخلت على عبد الملك فاجلسني مجلسي الاول ثم قال يا ابن طلحة هل اطلع على نصيحتك أحد فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ولا أردت الا الله ورسوله والمسلمين وأمير المؤمنين علم ذلك فقال عبد الملك قد عزلت الحجاج عن الحرمين لما كرهته لهما واعلمته انك استقللت ذلك عليه وسألتني له ولاية كبيرة وقد أوليته العراقين وقررت له ان ذلك بسؤالك ليلزمه من حقك ما لابد له من القيام به فاخرج معه غير ذام لصحبته (ومن لطائف المنقول) عن القاضي أبي الحسين بن عبد المحسن بن علي التنوخي رحمه الله تعالى ان الاسكندر لما انتهى الى الصين ونزل على ملكها أتاه حاجبه وقد مضى من الليل شطره فقال له رسول ملك الصين يستأذن عليك فقال ائذن له فلما دخل عليه وقف بين يديه وسلم وقال ان رأى الملك أن يخلي مجلسه فليفعل فامر الاسكندر من بحضرته بالانصراف ولم يبق غير حاجبه فقال له الرسول الذي جئت به لا يحتمل ان يسمعه غيرك فأمر بتفتيشه ففتش فلم يوجد معه شيء من السلاح فوضع الاسكندر بين يديه سيفا مجردا وقال له قل ما شئت ثم أخرج

جميع من عنده فلما خلا المكان قال له الرسول أنا ملك الصين لا رسوله وقد حضرت أسألك عما تريد فان كان مما يمكن الانقياد اليه الا على أصعب الوجوه أجبت اليه وغنيت أنا وأنت عن الحرب فقال له الاسكندر وما الذي أمنك مني قال علمي بانك رجل عاقل وليس بيننا عداوة متقدمة ولا مطالبة بذحل ومتى قتلتني أقاموا غيري ولم يسلموا اليك البلد ثم تنسب أنت الى غير الجميل وضد الحزم فاطرق الاسكندر متفكرا في مقاله وعلم انه رجل عاقل فقال له أريد ارتفاع ملكك لثلاث سنين عاجلا ونصف ارتفاعه في كل سنة قال أجبتك قال فكيف تكون حالك قال أكون قتيلا أول محارب قال فان قنعت منك بارتفاع سنتين كيف حالك قال أصلح مما تقدم ذكره قال فان قنعت منك بارتفاع سنة واحدة قال يكون مضرا في ومذهبا لجميع لذاتي قال فان اقتصرت منك على السدس قال يكون السدس موفرا والباقي للجيش ولاسباب الملك قال قد اقتصرت على هذا فشكره وانصرف فلما أصبح وطلعت الشمس أقبل جيش الصين حتى طبق الارض واختلط بجيش الاسكندر فارتعب وتواثبت أصحابه فركبوا واستعدوا للحرب فبينما هم كذلك اذ ظهر ملك الصين وعليه التاج فلما رأى الاسكندر ترجل فقال له الاسكندر اغدرت قال لا والله قال فما هذا الجيش قال أردت ان اعلمك أني لم أطعك من ضعف ولا من قلة وما غاب عنك من الجيش أكثر لكني رأيت العالم الاكبر مقبلا عليك ممكنا لك فعلمت انه من حارب العالم الاكبر غلب فاردت طاعته بطاعتك والذلة لامره بالذلة لامرك فقال الاسكندر ليس مثلك يؤخذ منه شئ فما رأيت بيني وبينك أحدا يستحق التفضيل والوصف بالفضل غيرك وقد أعفيتك من جميع ما اردته منك وأنا منصرف عنك فقال ملك الصين أما اذ فعلت ذلك فلست تخسر فلما انصرف الاسكندر اتبعه ملك الصين من الهدايا والتحف بضعف ما كان قدره عليه (ومن غريب المنقول عن أبي الفرج الاصبهاني انه قال) أخبرني عمي عن أبيه عن الكلبي عن أبيه قال أخبرني شيخ من بني نبهان قال اصابت بني نبهان سنة ذهبت بالاموال فخرج رجل منهم بعياله حتى أنزلهم الحيرة وقال كونوا قريبا من الملك يصبكم من خيره حتى أرجع اليكم ومضى على وجهه يسوق راحلته سبعة أيام حتى انتهى الى عطن ابل عند تطفيل الشمس فاذا خباء عظيم وقبة من أدم قال فقلت في نفسي ما لهذا الخباء بد من أهل وما لهذه القبة بد من رب وما لهذا العطن بد من ابل فنظرت في الخباء فاذا شيخ كبير قد اوهاه الكبر وهو شبه النسر فجلست خلفه فلما انصرم النهار أقبل فارس لم أر أعظم من شكله وفي خدمته أسودان يمشيان بين جنبيه واذا مائة من الابل معها فحلها فبركت الفحل وبركن حوله فقال لاحد عبيده احلب فلانة فحلبها ثم وضع اللبن بين يدي الشيخ فكرع منه وأخذه وقدمه الي فشربت نصفه ثم أمر بشاة فذبحت وشويت وأكلنا منها جميعا فامهلت حتى اذا ناموا وحكم عليهم النوم ثرت الى الفحل فحللت عقاله وركبته فاندفع بي وتبعته الابل فمشيت الى الصباح فلما أصبحت نظرت فلم أجد أحدا (ولما) تعالى النهار التفت فاذا أنا بخيال كأنه طائر فما زال يدنو حتى تبينته فاذا هو فارس على فرس واذا هو صاحبي بالامس فعقلت الفحل وعمدت الى كنانتي فقال احلل عقاله فقلت كلا لقد خلفت خلفي عيالا جياعا بالحيرة قال فانت ميت حل عقاله لا أم لك وانصب لي خطامه واجعل فيه خمس عقد وقل لي اين تحب ان أضع

سهمي فقلت في هذا الموضع فكأنما وضعه بيده ثم أقبل يرمي حتى أصاب الخمس بخمسة أسهم فرددت نبلي وحططت قوسي ووقفت مستسلما فدنا مني وأخذ القوس والسيف ثم أردفني خلفه وقد عرف اني الذي شربت اللبن عنده وأكلت اللحم فقال كيف ظنك بي فقلت أحسن ظن فقال ابشر ان لن يسالك شر وقد كنت ضيف مهلهل فقلت أزيد الخيل أنت قال نعم أنا زيد الخيل فلما انتهينا الى منزله قال لو كانت هذه الابل لي لسلمتها اليك ولكنها لابنة مهلهل فاقم عندي فاقمت عنده أياما فشن الغارة على بني نمير فاصاب مائة بعير فقال هذه أحب اليك أم تلك قلت هذه قال دونكها او بعث معي خفراء من ماء الى ماء الى ان وردت الحيرة فلقيني نبطي فقال يا اعرابي احتفظ بابلك فقد قرب مخرج النبي صلى الله عليه وسلم الذي يملك هذه الارض ويطرد أهلها حتى ان أحدكم ليبتاع البستان بثمن بعير قال فاحتملت باهلي الى النبط حتى جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمنا على يديه وما مضت الا أيام حتى اشتريت بثمن بعير من ابلي بستانا بالحيرة والله أعلم * ونقل عن الواقدي قال كان لي صديقان أحدهما هاشمي والآخر نبطي فكنا في الصداقة كنفس واحدة فنالتني ضيقة شديدة وحضر العيد فقالت امرأتي أما نحن فنصبر على البؤس والشدة وأما صبياننا هؤلاء فقد تقطع قلبي عليهم رحمة لانهم يرون صبيان جيراننا وقد تزينوا في عيدهم وهم فرحون ولا بأس بالاحتيال فيما نصرفه في كسوتهم قال فكتبت الى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة علي بشيء فوجه الي كيسا فيه ألف درهم فما استقر قراره حتى كتب الي صديقي الآخر يشكو الي مثل ما شكوته الى الهاشمي فوجهت اليه بالكيس على حاله وخرجت الى المسجد وأنا مستحي من امرأتي فلما دخلت عليها لم تعنفني لعلمها بالحال فبينما انا كذلك اذ أقبل صديقي الهاشمي ومعه الكيس بختمه فقال اصدقني عما فعلته فيما وجهت به اليك فاعلمته بالخبر فقال انك وجهت الي وما أملك الا ما بعثت به اليك وكتبت الى صديقنا أسأله المواساة فوجه الي كيسي بختمه فاخرجنا للمرأة مائة درهم وتقاسمنا الباقي أثلاثا ونما الخبر الى المأمون فاحضرني وسألني عن الخبر فشرحته له فامر لنا بسبعة آلاف دينار منها ألف للمرأة وألفان ألفان لكل واحد منا (ويضارع ذلك ما هو منقول عن الاصمعي) قال قصدت في بعض الايام رجلا كنت أغشاه لكرمه فوجدت على بابه بوابا فمنعني من الدخول اليه ثم قال والله يا أصمعي ما أوقفني على بابه لامنع مثلك الا رقة حاله وقصور يده فكتبت رقعة فيها

اذا كان الكريم له حجاب * فما فضل الكريم على اللئيم

ثم قلت له أوصل رقعتي اليه ففعل وعاد بالرقعة وقد وقع على ظهرها

اذا كان الكريم قليل مال * تحجب بالحجاب عن الغريم

(ومع) الرقعة صرة فيها خمسمائة دينار فقلت والله لاتحفن المأمون بهذا الخبر فلما رآني قال من أين يا أصمعي قلت من عند رجل من أكرم الاحياء حاشى أمير المؤمنين قال ومن هو فدفعت اليه الورقة والصرة وأعدت عليه الخبر فلما رأى الصرة قال هذا من بيت مالي ولا بد لي من الرجل فقلت والله يا أمير المؤمنين اني استحي ان أروعه برسلك فقال لبعض خاصته امض مع الاصمعي فاذا أراك الرجل قل له أجب أمير المؤمنين من غير ازعاج قال فلما حضر الرجل

بين يدى المأمون قال له أما أنت الذى وقفت لنا بالامس وشكوت رقة فان الزمان قد أناخ عليك بكلكله فدفعنا اليك هذه الصرة لتصلح بها حالك فقصدك الاصمعى ببيت واحد فدفعتها اليه فقال نعم يا أمير المؤمنين والله ما كذبت فيما شكوت لامير المؤمنين من رقة الحال لكن استحييت من الله تعالى ان أعيد قاصدى الا كما أعادنى أمير المؤمنين فقال له المأمون لله أنت فما ولدت العرب أكرم منك ثم بالغ فى اكرامه وجعله من جملة ندمائه (ومن لطائف المنقول ما هو منقول عن الربيع) انه قال ما رأيت رجلا أثبت ولا أربط جاشا من رجل رفع الى المنصور ان عنده ودائع وأموالا لبنى أمية فامر باحضاره فاحضرته ودخلت به اليه فقال له المنصور قد رفع الينا خبر الودائع والاموال التى لبنى أمية عندك فاخرج لنا منها فقال يا أمير المؤمنين أوارث أنت لبنى أمية قال لا قال فوصى قال لا قال فما سؤالك عما فى يدى من ذلك قال فاطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال ان بنى أمية ظلموا المسلمين فيها وأنا وكيل المسلمين فى حقهم فاريد ان آخذ أموال المسلمين وأجعلها فى بيت مالهم فقال يا أمير المؤمنين تحتاج فى ذلك الى اقامة البينة العادلة على أن الذى فى يدى لبنى أمية مما خانوه وظلموه واغتصبوه من أموال المسلمين فان بنى أمية كان لهم أموال غير أموال المسلمين قال فاطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه الى وقال صدق الرجل يا ربيع ما وجب عليه عندنا شئ ثم بش فى وجهه فقال هل لك من حاجة فقال نعم يا أمير المؤمنين حاجتى ان تنفذ كتابى مع البريد الى أهلى ليسكنوا الى سلامتى فقد راعهم اشخاصى وقد بقيت لى حاجة أخرى يا أمير المؤمنين قال ما هى قال تجمع بينى وبين من سعى بى اليك فوالله ما لبنى أمية عندى ولا فى يدى وديعة ولكننى لما مثلت بين يديك وسألتنى رأيت ما قلته أقرب الى الخلاص والنجاة فقال يا ربيع اجمع بينه وبين من سعى به فجمعت بينهما فقال هذا غلامى ضرب على ثلاثة آلاف من مالى وأبق فشدد المنصور على الغلام فاقر انه غلامه وانه أخذ المال الذى ذكره وابق منه وكذب عليه خوفا من الوقوع فى يده فقال المنصور للرجل نسألك أن تصفح عنه فقال يا أمير المؤمنين صفحت عن جرمه وابرأته من المال وأعطيته ثلاثة آلاف دينار أخرى فقال المنصور ما على ما فعلت مزيد فى الكرم قال بلى يا أمير المؤمنين هذا أحقر كلامك وانصرف وكان المنصور يتعجب منه كلما ذكره ويقول ما رأيت مثل هذا الرجل يا ربيع *(رحلة الامام الشافعى رضى الله عنه)* قال الشيخ الامام العالم المقرى أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الاردبيلى المالكى بالجامع العتيق بمصر فى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن فتح المعروف بابن الحبشى سنة ثلاثين وخمسمائة أخبرنا الشريف القاضى الموسوى أبو اسماعيل موسى بن الحسين بن اسماعيل بن على الحسينى المقرى فى سنة أربع وثمانين وأربعمائة بالجامع العتيق بمصر قال أخبرنا الشيخ أبو العباس أحمد بن ابراهيم الفارسى فى ربيع الاول سنة احدى وخمسين وأربعمائة قال أخبرنا يحيى بن عبد الله الرجل الصالح ويحيى بن موسى المعدل بمصر قالا حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد الواعظ المصرى الكراز قال حدثنى أبو الفرج عبد الرزاق حيدان البطين قال حدثنى أبو بكر محمد بن المنذر قال حدثنى الربيع بن سليمان قال سمعت الامام الشافعى رضى الله عنه يقول فارقت مكة وأنا ابن أربع عشرة سنة لا نبات بعارضى من الابطح الى ذى طوى وعلى بردتان يمانيتان

فرأيت

فرأيت ركبا فسلمت عليهم فردوا على السلام ووثب الى شيخ كان فيهم قال سألتك بالله الا
ما حضرت طعامنا قال الشافعي رضي الله عنه وما كنت أعلم انهم أحضروا طعاما فأجبت
مسرعا غير محتشم فرأيت القوم يأخذون الطعام بالخمس و يدفعون بالراحة فأخذت كأخذهم
كي لا يستبشع عليهم ما كلي والشيخ ينظر الي ثم أخذت السقاء فشربت وحمدت الله واثنيت
عليه فأقبل على الشيخ وقال أمكي أنت قلت مكي قال اقرشي أنت قلت قرشي ثم أقبلت عليه
وقلت يا عم بما استدللت علي قال أما في الحضر فبالزي وأما في النسب فبأكل الطعام لأنه من
أحب أن يأكل طعام الناس أحب أن يأكلوا طعامه وذلك في قريش خصوصا (قال الشافعي
رضي الله عنه) فقلت للشيخ من أين أنت قال من يثرب مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له
من العالم بها والمتكلم في نص كتاب الله تعالى والمفتي بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال سيد بني أصبح مالك بن أنس رضي الله عنه قال الشافعي رضي الله عنه فقلت وا شوقاه الى
مالك فقال لي قد بل الله شوقك انظر الى هذا البعير الاورق فانه أحسن جمالنا ونحن على
رحيل ولك منا حسن الصحبة حتى تصل الى مالك فما كان غير بعيد حتى قطروا بعضها الى بعض
وأركبوني البعير الاورق وأخذ القوم في السير وأخذت أنا في الدرس فختمت من مكة الى
المدينة ست عشرة ختمة بالليل ختمة و بالنهار ختمة ودخلت المدينة في اليوم الثامن بعد صلاة
العصر فصليت العصر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنوت من القبر فسلمت على
النبي صلى الله عليه وسلم ولذت بقبره فرأيت مالك بن أنس متزرا ببردة متوشحا بأخرى قال حدثني
نافع عن ابن عمر عن صاحب هذا القبر وضرب بيده الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال
الشافعي) رضي الله عنه فلما رأيت ذلك هبته مهابة عظيمة وجلست حيث انتهى بي المجلس
فأخذت عودا من الارض فجعلت كلما أملى مالك حديثا كتبته بريقي على يدي والامام مالك
رضي الله عنه ينظر الي من حيث لا أعلم حتى انقضى المجلس وانتظرني مالك ان أنصرف فلم
يرني انصرفت فأشار الي فدنوت منه فنظر الي ساعة ثم قال أحرمي أنت فقلت حرمي قال أمكي
أنت قلت مكي قال اقرشي أنت قلت قرشي قال كملت أوصافك لكن فيك اساءة أدب قلت
وما الذي رأيت من سوء أدبي قال رأيتك وأنا أملي ألفاظ الرسول عليه الصلاة والسلام
تلعب بريقك على يدك فقلت له عدمت البياض فكنت أكتب ما تقول فجذب مالك
يدي اليه فقال ما أرى عليها شيئا فقلت ان الريق لا يثبت على اليد ولكن فهمت جميع
ما حدثت به منذ جلست وحفظته الى حين قطعت فتعجب الامام مالك من ذلك فقال أعد علي
ولو حديثا واحدا (قال الشافعي رضي الله عنه) فقلت حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر
واشرت بيدي الى القبر كاشارته حتى اعدت عليه خمسة وعشرين حديثا حدث بها من حين
جلس الى وقت قطع المجلس وسقط القرص فصلى مالك المغرب وأقبل على عبده وقال خذ بيد
سيدك اليك وسألني النهوض معه (قال الشافعي) رحمه الله فقمت غير ممتنع الى ما دعا من
كرمه فلما أتيت الدار ادخلني الغلام الى خلوة في الدار وقال لي القبلة في البيت هكذا وهذا
اناء فيه ماء وهذا بيت الخلاء (قال الشافعي) رضي الله عنه فما لبث مالك رضي الله عنه حتى أقبل
هو والغلام حاملا طبقا فوضعه من يده وسلم الامام علي ثم قال للعبد اغسل علينا ثم وثب الغلام

www.dorat-ghawas.com

الى الاناء وأراد ان يغسل على أولا فصاح عليه مالك وقال الغسل فى أول الطعام لرب البيت وفى آخر الطعام للضيف (قال الشافعى) رضى الله عنه فاستحسنت ذلك من الامام مالك رضى الله عنه وسألته عن شرحه فقال انه يدعو الناس الى كرمه فحكمه أن يبتدئ بالغسل وفى آخر الطعام ينتظر من يدخل فيأكل معه (قال الشافعى رضى الله عنه) فكشف الامام رضى الله عنه الطبق فكان فيه صحفتان فى احداهما لبن والأخرى تمر فسمى الله تعالى وسميت فأتيت أنا ومالك على جميع الطعام وعلم مالك أنا لم نأخذ من الطعام الكفاية فقال لى يا أبا عبد الله هذا جهد من مقل الى فقير معدم فقلت لا عذر على من أحسن انما العذر على من اساء (قال الشافعى رضى الله عنه) فأقبل مالك يسألنى عن أهل مكة حتى دنت العشاء الآخرة ثم قام عنى وقال حكم المسافر أن يقل تعبه بالاضطجاع فنمت ليلتى فلما كان فى الثلث الاخير من الليل قرع على مالك الباب فقال لى الصلاة يرحمك الله فرأيته حامل اناء فيه ماء فتبشع على ذلك فقال لى لا يرعك ما رأيته فخدمة الضيف فرض (قال الشافعى) رضى الله عنه فتجهزت للصلاة وصليت الفجر مع الامام مالك فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس لا يعرف بعضهم بعضا من شدة الغلس وجلس كل واحد منا فى مصلاه يسبح الله تعالى الى أن طلعت الشمس على رؤس الجبال فجلس مالك فى مجلسه بالامس وناولنى الموطأ أمليه واقرأه على الناس وهم يكتبونه (قال الشافعى) رضى الله عنه فأتيت على حفظه من أوله الى آخره وأقمت ضيف مالك ثمانية أشهر فما علم أحد من الانس الذى كان بيننا انا الضيف ثم قدم على مالك المصريون بعد قضاء حجهم للزيارة واستماع الموطأ (قال الشافعى) فامليت عليهم حفظا منهم عبد الله ابن عبد الحكم وأشهب وابن القاسم قال الربيع واحسب انه ذكر الليث بن سعد ثم قدم بعد ذلك أهل العراق لزيارة النبى صلى الله عليه وسلم (قال الشافعى رضى الله عنه) فرأيت بين القبر والمنبر فتى جميل الوجه نظيف الثوب حسن الصلاة فتوسمت فيه خيرا فسألته عن اسمه فاخبرنى وسألته عن بلده فقال العراق فقلت أى العراق فقال لى الكوفة فقلت من العالم بها والمتكلم فى نص الكتاب والمفتى باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبى حنيفة رضى الله عنه (قال الشافعى) رضى الله عنه فقلت ومتى عزمتم تظعنون فقال لى فى غداة غد وقت الفجر فعدت الى مالك فقلت له خرجت من مكة فى طلب العلم بغير استئذان العجوز أفأعود اليها أو ارحل فى طلب العلم فقال لى العلم فائدة يرجع منها الى فائدة ألم تعلم ان الملائكة تضع اجنحتها لطالب العلم رضاء بما يطلبه (قال الشافعى رضى الله عنه) فلما ازمعت على السفر زودنى الامام مالك رضى الله عنه فلما كان فى السحر سار معى مشيعا الى البقيع ثم صاح بعلو صوته من يكرى راحلته الى الكوفة فاقبلت عليه وقلت بم تكترى وليس معك ولا معى شئ فقال لى انصرفت البارحة بعد صلاة العشاء الآخرة اذ قرع على قارع الباب فخرجت اليه فاصبت ابن القاسم فسألنى قبول هديته فقبلتها فدفع الى صرة فيها مائة دينار وقد أتيتك بنصفها وجعلت النصف لعيالى فاكترى لى باربعة دنانير ودفع الى باقى الدنانير وودعنى وانصرف وصرت فى جملة الحاج حتى وصلت الى الكوفة يوم رابع عشرين من المدينة فدخلت المسجد بعد صلاة العصر وصليت العصر فبينما أنا كذلك

www.dorat-ghawas.com

اذ رأيت غلاما قد دخل المسجد وصلى العصر فما أحسن الصلاة فقمت اليه ناصحا فقلت له
أحسن صلاتك لئلا يعذب الله هذا الوجه الجميل بالنار فقال لى أنا أظن انك من أهل الحجاز
لان فيكم الغلظة والجفاء وليس فيكم رقة أهل العراق وأنا أصلى هذه الصلاة خمس عشرة
سنة بين يدى محمد بن الحسن وأبى يوسف فما عابا على صلاتى قط وخرج معجبا ينفض رداءه
فى وجهى فلقى التوفيق محمد بن الحسن وأبا يوسف بباب المسجد فقال علمتما فى صلاتى من
عيب فقالا اللهم لا قال فى مسجدنا هذا من عاب صلاتى فقالا اذهب اليه فقل له بم تدخل
الصلاة (قال الشافعى رضى الله عنه) فقال لى يامن عاب صلاتى بم تدخل فى الصلاة فقلت
بفرضين وسنة فعاد اليهما واعلمهما بالجواب فعلما انه جواب من نظر فى العلم فقالا اذهب
اليه فقل له ما الفرضان وما السنة فأتى الى فقال ما الفرضان وما السنة فقلت له أما الفرض
الاول فالنية والثانى تكبيرة الاحرام والسنة رفع اليدين فعاد اليهما فاعلمهما بذلك
فدخلا الى المسجد فلما نظرا الى أظنهما ازدريانى فجلسا ناحية وقالا اذهب اليه وقل له أجب
الشيخين (قال الشافعى رحمه الله تعالى) فلما أتانى علمت انى مسؤل عن شئ من العلم فقلت
من حكم العلم أن يؤتى اليه وما علمت لى اليهما حاجة (قال الشافعى) رضى الله عنه فقاما
من مجلسهما الى فلما سلما على قمت اليهما وأظهرت البشاشة لهما وجلست بين يديهما فأقبل
على محمد بن الحسن قال أحرمى أنت فقلت نعم فقال أعربى أم مولى فقلت عربى فقال من
أى العرب فقلت من ولد المطلب قال من ولده من قلت من ولد شافع قال رأيت مالكا هكذا وقعت
هذه اللفظة قلت من عنده أتيت قال لى نظرت فى الموطا قلت أتيت على حفظه فعظم ذلك
عليه ودعا بدواة وبياض وكتب مسئلة فى الطهارة ومسئلة فى الزكاة ومسئلة فى البيوع
والفرائض والرهان والحج والايلاء ومن كل باب فى الفقه مسئلة وجعل بين كل مسئلتين بياضا
ودفع الى الدرج وقال أجب عن هذه المسائل كلها من الموطا (قال الشافعى رضى الله عنه)
فاجبت بنص كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام واجماع المسلمين فى المسائل كلها ثم دفعت
اليه الدرج فتأمله ونظر فيه ثم قال لعبده خذ سيدك اليك (قال الشافعى رضى الله عنه) ثم
سألنى النهوض مع العبد فنهضت غير ممتنع فلما صرت الى الباب قال لى العبد ان سيدى أمرنى
أن لا تصير الى المنزل الا راكبا (قال الشافعى رضى الله عنه) فقلت له قدم فقدم الى بغلة بسرج
محلى فلما علوت على ظهرها رأيت نفسى بالطمار رثة نطاف بى أزقة الكوفة الى منزل محمد بن
الحسن فرأيت أبوابا ودهاليز منقوشة بالذهب والفضة فذكرت ضيق أهل الحجاز وما هم
فيه فبكيت وقلت أهل العراق ينقشون سقوفهم بالذهب والفضة وأهل الحجاز يأكلون
القديد ويمصون النوى ثم أقبل على محمد بن الحسن وأنا أبكى فقال لا يرعك يا عبد الله
ما رأيت فما هو الا من حقيقة حلال ومكتسب وما يطالبنى الله فيه بفرض وانى أخرج زكاتها
فى كل عام فاسر بها الصديق واكبت بها العدو (قال الشافعى رضى الله عنه) فما بت حتى
كسانى محمد بن الحسن خلعة بألف درهم ثم دخل خزانته فاخرج الى الكتاب الاوسط
تأليف الامام أبى حنيفة فنظرت فى أوله وفى آخره ثم ابتدأت الكتاب فى ليلتى احفظه فما
أصبحت الا وقد حفظته ومحمد بن الحسن لا يعلم بشئ من ذلك وكان المشهور بالكوفة

www.dorat-ghawas.com

بالفتوى والمجيب فى النوازل فانا قاعد عن يمينه فى بعض الايام اذ سئل عن مسئلة أجاب فيها وقال هكذا قال أبو حنيفة فقلت له قد وهمت فى الجواب فى هذه المسئلة والجواب عن قول الرجل كذا وكذا وهذه المسئلة تحتها المسئلة الفلانية وفوقها المسئلة الفلانية فى الكتاب الفلانى فامر محمد بن الحسن بالكتاب فاحضر فتصفحه ونظر فيه فوجد القول كما قلت فرجع عن جوابه الى ما قلت ولم يخرج الى كتابا بعد هذا قال الشافعى فاستأذنته فى الرحيل فقال ما كنت لآذن لضيف بالرحيل عنى و بذل لى مشاطرة نعمته فقلت ما لذا قصدت ولا لذا أردت ولا رغبتى الا فى السفر قال فأمر غلامه ان يأتى بكل ما فى خزانته من بيضاء وحمراء فدفع الىّ ما كان فيها وهو ثلاثة آلاف درهم وأقبلت أطوف العراق وأرض فارس و بلاد الاعاجم وألقى الرجال حتى صرت ابن احدى وعشرين سنة ثم دخلت العراق فى خلافة هرون الرشيد فعند دخول الباب تعلق بى غلام فلاطفنى وقال لى ما اسمك فقلت محمد قال ابن من قلت ابن ادريس الشافعى فقال مطلبى فقلت أجل فكتب ذلك فى لوح كان فى كمه وخلى سبيلى فاويت الى بعض المساجد افكر فى عاقبة ما فعل حتى اذا ذهب من الليل النصف كبس المسجد وأقبلوا يتأملون وجه كل رجل حتى أتوا الىّ فقالوا للناس لا بأس عليكم هذا هو الحاجة والغاية المطلوبة ثم أقبلوا علىّ وقالوا أجب أمير المؤمنين فقمت غير ممتنع فلما بصرت بامير المؤمنين سلمت عليه سلاما بينا فاستحسن الالفاظ ورد على الجواب ثم قال تزعم انك من بنى هاشم فقلت يا أمير المؤمنين كل زعم فى كتاب الله باطل فقال أبن لى عن نسبك فانتسبت حتى لحقت آدم عليه السلام فقال لى الرشيد ما تكون هذه الفصاحة ولا هذه البلاغة الا فى رجل من ولد المطلب هل لك ان أوليك قضاء المسلمين وأشاطرك ما أنا فيه وتنفذ فيهم حكمك وحكمى على ما جاء به الرسول عليه السلام واجتمعت عليه الامة فقلت يا أمير المؤمنين لو سألتنى ان افتح باب القضاء بالغداة واغلقه بالعشى بنعمتك هذه ما فعلت ذلك أبدا فبكى الرشيد وقال تقبل من عرض الدنيا شيأ هكذا وردت هذه اللفظة قلت يكون معجلا فامر لى بألف دينار فما برحت من مقامى حتى قبضتها ثم سألنى بعض الغلمان والحشم ان أصلهم من صلتى فلم تسع المروءة ان كنت مسؤلا غير المقاسمة فيما أنعم الله به علىّ فخرج لى قسم كاقسامهم ثم عدت الى المسجد الذى كنت فيه فى ليلتى فتقدم يصلى بنا غلام صلاة الفجر فى جماعة فاجاد القراءة ولحقه سهو ولم يدر كيف الدخول ولا كيف الخروج فقلت له بعد السلام افسدت علينا وعلى نفسك أعد فاعاد مسرعا وأعدنا ثم قلت له أحضر بياضا اعمل لك باب السهو فى الصلاة والخروج منها فسارع الى ذلك ففتح الله عز وجل فالفت له كتابا من كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام واجماع المسلمين وسميته باسمه وهو أربعون جزأ يعرف بكتاب الزعفرانى وهو الذى وضعته بالعراق حتى تكامل فى ثلاث سنين وولانى الرشيد الصدقات بنجران وقدم الحاج فخرجت أسألهم عن الحجاز فرأيت فتى فى قبته فلما أشرت اليه بالسلام أمر قائد القبة ان يقف واشار الى بالكلام فسألته عن الامام مالك وعن الحجاز فاجاب بخير ثم عاودته الى السؤال عن مالك فقال لى أشرح لك أو أختصر قلت فى الاختصار البلاغة فقال فى صحة جسم وله ثلثمائة جارية يبيت عند الجارية ليلة فلا يعود اليها الى سنة فقد اختصرت لك خبره (قال الشافعى رضى الله عنه) فاشتهيت ان أراه فى حال

عناه

غناه كما رأيته في حال فقره فقلت له أما عندك من المال ما يصلح للسفر فقال انك لتوحشني خاصة وأهل العراق عامة وجميع مالي فيه لك فقلت له فبم تعيش قال بالجاه ثم نظر الى وجه كمي في ماله فاخذت منه على حسب الكفاية والنهاية وسرت على ديار ربيعة ومضر فاتيت حران ودخلتها يوم الجمعة فذكرت فضل الغسل وماجاء فيه فقصدت الحمام فلما سكبت الماء رأيت شعر رأسي شعثا فدعوت المزين فلما بدأ برأسي وأخذ القليل من شعري دخل قوم من أعيان البلد فدعوه الى خدمتهم فسارع اليهم وتركني فلما قضوا ما أرادوا منه عاد الى فما أردته وخرجت من الحمام فدفعت اليه أكثر ما كان معي من الدنانير وقلت له خذ هذه واذا وقف بك غريب لا تحتقره فنظر الى متعجبا فاجتمع على باب الحمام خلق كثير فلما خرجت عاتبني الناس فبينما أنا كذلك اذ خرج بعض من كان في الحمام من الاعيان فقدمت له بغلة ليركبها فسمع خطابي لهم فانحدر عن البغلة بعد ان استوى عليها وقال لي انت الشافعي فقلت نعم فقال اركب بما يليني وقال بحق الله اركب ومضى بي الغلام مطرقا بين يدي حتى أتيت الى منزل الفتى ثم أتى وقد حصلت في منزله فاظهر البشاشة ثم دعا بالغسل فغسل علينا ثم حضرت المائدة فسمى وحبست يدي فقال مالك يا عبد الله فقلت له طعامك حرام على حتى أعرف من أين هذه المعرفة فقال انا ممن سمع منك الكتاب الذي وضعته ببغداد وأنت لي أستاذ (قال الشافعي رضي الله عنه) فقلت العلم بين أهل العقل رحم متصلة فما كانت بفرحة اذ لم يعرف الله تعالى الا بيني وبين أبناء جنسي وأقمت ضيفه ثلاثا فلما كان بعد ثلاث قال ان لي حول حران أربع ضياع ما بحران أحسن منها الشهد الله ان اخترت المقام فانها هدية مني اليك فقلت فبم تعيش قال بما في صناديق ثلاث وأشار اليها وهي أربعون ألف درهم وقال أنجز بها فقلت ليس الى هذا قصدت ولا خرجت من بلدي لغير طلب العلم فقال لي فالمال اذا من شأن المسافر فقبضت الاربعين ألفا وودعته وخرجت من مدينة حران وبين يدي احمال ثم تلقاني الرجال وأصحاب الحديث منهم أحمد بن حنبل وسفيان بن عيينة والاوزاعي فاجزت كل واحد منهم على قدر ما قسم له حتى دخلت مدينة الرملة وليس معي الا عشرة دنانير فاشتريت بها راحلة واستويت على كورها وقصدت الحجاز فما زلت من منهل الى منهل حتى وصلت الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم بعد سبعة وعشرين يوما بعد صلاة العصر فصليت العصر ورأيت كرسيا من الحديد عليه مخدة من قباطي مصر مكتوب عليها لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشافعي رضي الله عنه وحوله أربعمائة دفتر أو يزيد وبينما أنا كذلك اذ رأيت مالك بن أنس رضي الله عنه قد دخل من باب النبي صلى الله عليه وسلم وقد فاح عطره في المسجد وحوله أربعمائة أو يزيدون يحمل ذيوله منهم أربعة فلما وصل قام اليه من كان قاعدا وجلس على الكرسي فالقى مسئلة في جراح العمد فلما سمعت ذلك لم يدعني الصبر فقمت قائما في سور الحلقة فرأيت انسانا فقلت له قل الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب قبل فراغ مالك من السؤال فاضرب عنه مالك وأقبل على أصحابه فسألهم عن الجواب فخالفوه فقال لهم أخطأتم وأصاب الرجل ففرح الجاهل باصابته فلما ألقى السؤال الثاني أقبل على الجاهل يطلب مني الجواب فقلت له الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب فلم يلتفت اليه مالك وأقبل على أصحابه واستخبرهم

عن الجواب ففاغوا فقال لهم أخطأتم وأصاب الرجل (قال الشافعي رضي الله عنه) فلما ألقى
السؤال الثالث قلت له قل الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب فاعرض مالك عنهم وأقبل على
أصحابه ففاغوا فقال أخطأتم وأصاب الرجل ثم قال للرجل ادخل ليس ذلك موضعك فدخل
الرجل طاعة منه لمالك وجلس بين يديه فقال له مالك قرأت الموطأ قال لا قال فنظرت ابن
جريج قال لا قال فلقيت جعفر بن محمد الصادق قال لا قال فهذا العلم من أين قال الى جانبي غلام
شاب يقول لي قل الجواب كذا وكذا فكنت أقول قال فالتفت مالك والتفت الناس بأعناقهم
لالتفات مالك رضي الله عنه فقال للعاهل قم فأمر صاحبك بالدخول الينا (قال الشافعي) رضي
الله عنه فدخلت فاذا أنا من مالك بالموضع الذي كان العاهل فيه جالسا بين يديه فتاملني ساعة
وقال أنت الشافعي فقلت نعم فضمني الى صدره ونزل عن كرسيه وقال أتمم هذا الباب الذي نحن
فيه حتى ننصرف الى المنزل الذي هو لك المنسوب الى (قال الشافعي) رضي الله عنه فالقيت
أربعمائة مسئلة في جراح العمد فما أجابني أحد بجواب واحتجت ان آتي بأربعمائة جواب
فقلت الاول كذا وكذا والثاني كذا وكذا حتى سقط القرص وصلينا المغرب فضرب مالك بيده الى
فلما وصلت المنزل رأيت بناء غير الاول فبكيت فقال مم بكاؤك كأنك خفت يا أبا عبد الله ان قد
بعت الآخرة بالدنيا قلت هو والله ذلك قال طب نفسا وقر عينا هذه هدايا خراسان وهدايا مصر
والهدايا تجيء من أقاصي الدنيا وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويرد الصدقة
وان لي ثلثمائة خلعة من رق خراسان وقباطي مصر وعندي عبيد بمثلها لم تستكمل الحلم
فهم هدية مني اليك وفي صناديقي تلك خمسة آلاف دينار اخرج زكاتها عند كل حول فلك
مني نصفها قلت انك موروث وأنا موروث فلا يبيت جميع ما وعدتني به الا تحت خاتمي ليجري
ملكي عليه فان حضرني أجلي كان لورثتي دون ورثتك وان حضرك أجلك كان لي دون ورثتك
فتبسم في وجهي وقال أبيت الا العلم فقلت لا يستعمل أحسن منه وما بات الا وجميع ما وعدني
به تحت ختمي فلما كان في غداة غد صليت الفجر في جماعة وانصرفت الى المنزل أنا وهو وكل
واحد منا يده في يد صاحبه اذ رأيت كراعا على بابه من جياد خراسان وبغال من مصر فقلت له
ما رأيت كراعا أحسن من هذا فقال هو هدية مني اليك يا أبا عبد الله فقلت له دع لك منها دابة
فقال اني استحي من الله ان أطأ تربة فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة (قال الشافعي
رضي الله عنه) فعلمت أن ورع الامام مالك باق على حاله فاقمت عنده ثلاثا ثم ارتحلت الى مكة
وأنا أسوق خير الله ونعمه ثم انفذت من يعلم بخبري فلما وصلت الى الحرم خرجت العجوز
ونسوة معها فضمتني الى صدرها وضمتني بعدها عجوز كنت آلفها وادعوها خالتي (وقالت)

ليس املك اجتاحت المنايا * كل فؤاد عليك أم

(قال الشافعي رضي الله عنه) وهي أول كلمة سمعتها في الحجاز من امرأة فلما هممت بالدخول
قالت لي العجوز الى أين عزمت فقلت الى المنزل فقالت هيهات تخرج من مكة بالامس قهرا
وتعود اليها مترفا تفتخر على بني عمك بذلك فقلت ما أصنع فقالت ناد بالابطح في العرب باشباع
الجائع وحمل المنقطع وكسوة العراة فتربح ثناء الدنيا وثواب الآخرة ففعلت ما أمرتني به
وسار بذلك الفعل الركبان على آباط الابل وبلغ ذلك مالكا فبعث الي يستحثني على الفعل ويعد في

ابه

www.dorat-ghawas.com

انه يحمل الى فى كل عام مثل ما صار الى منه وما دخلت الى مكة وأنا أقدر على شئ مما جاء معى الاعلى بغلة واحدة وخمسين دينارا فوقعت القرعة فينا ولتنى اباها أمة على كتفها قربة فاخرجت لها خمسة دنانير فقالت لى العجوز ما أنت صانع فقلت أجيزها على فعلها فقالت ادفع اليها جميع ما تأخر معك قال فدفعت اليها ودخلت الى مكة فما بت تلك الليلة الا مديونا وأقام مالك رضى الله عنه يحمل الى فى كل عام مثل ما كان دفع الى أولا احدى عشرة سنة فلما مات ضاق بى الحجاز وخرجت الى مصر فعوضنى الله عبد الله بن عبد الحكم فقام بالكلف فهذا جميع ما لقيته فى سفرى فافهم ذلك يا ربيع قال الربيع وسألنى المزنى املاء ذلك بحضرتهما وجدت المجلس فرغتهما وقع كتاب السفر الى أحد غيرى (ومن لطائف المنقول) ما نقله القرطبى فى كتابه المسمى بالاعلام عن صدق محبة أبى طالب لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج الى الكعبة يوما وأراد ان يصلى فلما دخل فى الصلاة قال أبو جهل لعنه الله من يقوم الى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته فقام عبد الله بن الزبعرى وأخذ فرثا ودما فلطخ به وجه النبى صلى الله عليه وسلم فانفتل النبى صلى الله عليه وسلم من صلاته وأتى الى أبى طالب عمه وقال يا عم الا ترى ما فعل بى فقال له أبو طالب من فعل بك هذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن الزبعرى فقام أبو طالب فوضع سيفه على عاتقه ومشى حتى أتى القوم فلما رأوه قد أقبل نهضوا له فقال أبو طالب والله ان قام رجل جللته بسيفى هذا ثم قال يا بنى من الفاعل بك هذا فقال عبد الله بن الزبعرى فاخذ أبو طالب فرثا ودما فلطخ وجوههم ولحاهم وثيابهم واساء لهم القول فنزلت هذه الآية الشريفة وهم ينهون عنه وينأون عنه فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا عم نزلت فيك آية قال وما هى قال تمنع قريشا ان يؤذونى وتأبى ان تؤمن بى فقال أبو طالب

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد فى التراب دفينا
فامضى لامرك قد نذر عمك ناصحى * فلقد صدقت وكنت قبل أمينا
وعرضت دينا قد عرفت بانه * من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة اوحذار مسبة * لوجدتنى سمحا بذاك يقينا

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل تنفع نصرتك أبى طالب قال نعم رفع عنه بذلك الفعل انه لم يقرن مع الشياطين ولم يدخل جب الحيات والعقارب انما عذابه فى نعلين من نار فى رجليه يغلى منهما دماغه وهو أهون أهل النار عذابا (وفى) صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى طالب قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة فقال أبو طالب لولا ان يعايرونى بها يعنى قريشا يقولون انما حمله الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله تعالى انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء (وأما) عبد الله بن الزبعرى فانه أسلم عام الفتح وحسن اسلامه واعتذر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقبل عذره وكان شاعرا مجيدا فقال يمدح النبى صلى الله عليه وسلم بابيات منها فى حكاية حاله

انى لمعتذر اليك من الذى * أسديت اذ أنا فى الضلال مقيم
فاغفر فداء لك والدى كلاهما * وارحم فانك راحم مرحوم

(ومن غريب ماتقله القرطبي في الاعلام) ان الانصار الذين نصروا النبي صلى الله عليه وسلم كانوا من أولاد العلماء والحكماء الذين كانوا مع تبع الاول فيما ذكر ابن اسحق وكان تبع من الخمسة الذين كانت لهم الدنيا باسرها وكان كثير الوزراء فاختار منهم واحدا وأخرجه معه لينظر في مملكته فكان اذا أتى بلدة يختار من حكمائها عشرة رجال وكان معه من العلماء والحكماء مائة ألف رجل ثم الذين اختارهم من البلدان وهذا القدر غير محسوب من الجيش فلما انتهى الى مكة لم تخضع له أهل مكة كخضوع أهل البلاد ولم تعظمه فغضب لذلك ودعا وزيره وكان اسمه عماريا فقال له كيف شاهدت هذه البلدة فانهم لم يهابوني ولم يخشوا عسكري فقال انهم عرب لا يعرفون شيأ ولهم بيت يقال له الكعبة وهم معجبون به ويسجدون فيه للاصنام قال فنزل الملك بعسكره ببطحاء مكة وعزم على هدم البيت وقتل الرجال وسبي النساء فاخذه الله بالصداع وتفجر من عينيه واذنيه ومنخريه وفمه ماء منتن فلم يصبر عنده أحد طرفة عين من نتن الريح فاستيقظ لذلك وقال لوزيره اجمع العلماء والحكماء والاطباء وتكلم معهم في أمري فاجتمع عنده العلماء والحكماء والاطباء فلم يقدروا على الجلوس عنده ساعة وعجزوا عن مداواته وقالوا نحن نقدر على مداواة ما يعرض من أمور الارض وهذا شيء من السماء لا نستطيع له ردا ثم اشتد أمره وتفرق الناس عنه ولم يزل أمره في شدة حتى أقبل الليل فجاء أحد العلماء الى وزيره فقال له ان بيني وبينك سرا وهو ان كان الملك يصدقني في حديثه عالجته فاستبشر الوزير بذلك وقال له قل ما شئت فقال أريد الخلوة فاخلى له المكان فلما اخلا مجلس الملك قال له العالم أيها الملك أنت نويت لهذا البيت سوأ قال نعم نويت خرابه وقتل رجاله وسبي نسائه فقال له العالم أيها الملك هذه النية هي التي أحدثت لك هذا الداء ورب هذا البيت قادر يعلم الاسرار فبادروا أخرج من قلبك ما هممت به من أمر هذا البيت وأهله ولك خير الدنيا والآخرة قال الملك قد أخرجت ذلك من قلبي ونويت لهذا البيت المبارك ولاهله كل خير فلم يخرج العالم من عنده حتى برأ من علته وعافاه الله تعالى بقدرته فآمن بالله من ساعته وخلع على الكعبة سبعة أثواب وهو أول من كسا الكعبة وخرج الى يثرب وهي يومئذ بقعة فيها عين ماء ليس فيها بيت فنزل على رأس العين هو وعسكره وجميع العلماء الذين كانوا معه ومعهم رئيسهم عماريا الذي يرى الملك برأيه ثم ان العلماء والحكماء أخرجوا من بينهم أربعمائة وهم اعلمهم وبايع كل واحد منهم صاحبه ان لا يخرجوا من ذلك المقام وان قتلهم الملك فلما علم الملك بما عزموا عليه قال للوزير ما شأنهم يمتنعون عن الخروج معي وأنا محتاج اليهم وأي حكمة اقتضت نزولهم في هذا المكان واختيارهم اياه على سائر النواحي فسألهم الوزير عن ذلك فقالوا أيها الوزير ان ذلك البيت وهذه البقعة التي نحن فيها يشرفان برجل يبعث في آخر الزمان يقال له محمد ووصفوه له ثم قالوا طوبى لمن أدركه وآمن به ونحن على رجاء ان ندركه او يدركه أولادنا فلما سمع الوزير مقالتهم هم بالمقام معهم فلما جاء وقت الرحيل أمرهم الملك ان يرتحلوا فقالوا لا نفعل وقد أعلمنا الوزير بحكمة مقامنا فدعا بالوزير فاخبره بما سمع منهم فتفكر الملك وهم ان يقيم معهم رجاء ان يدرك محمدا صلى الله عليه وسلم فاقام وأمر الناس ان يبنوا أربعمائة دار على عدة العلماء والحكماء واشترى لكل واحد منهم جارية وأعتقها وزوجها برجل منهم وأعطى كل واحد منهم

عطاء جزيلا وامرهم أن يقيموا في ذلك المكان الى ان يجيء زمان النبي صلى الله عليه وسلم
ثم كتب الكتاب وختمه بخاتم من ذهب ودفعه الى عالمهم الكبير وأمره ان يدفع الكتاب
الى محمد صلى الله عليه وسلم ان أدركه والا فيوصي به أولاده مثل ما أوصاه به وكذلك
الاولاد حتى يتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان في ذلك الكتاب (أما بعد) فاني
آمنت بك وبكتابك الذي أنزل عليك وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك وبكل ما جاء من
ربك من شرائع الايمان والاسلام فان أدركتك فبها ونعمت والا فاشفع لي ولا تنسني يوم
القيامة فاني من أمتك الاولين وقد بايعتك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة أبيك ابراهيم عليه
السلام ثم ختم الكتاب ونقش عليه لله الامر من قبل ومن بعد وكتب عنوانه الى محمد بن عبد
الله ونبي الله ورسوله وخاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الاول
الحميري ودفع الكتاب الى الرجل العالم الذي ابرأه من علته وسار تبع من يثرب حتى وصل
الى بلاد الهند فمات بها وكان من اليوم الذي مات فيه تبع الى اليوم الذي بعث فيه النبي صلى
الله عليه وسلم ألف سنة لا تزيد ولا تنقص وكانت الانصار الذين نصروا النبي صلى الله عليه
وسلم من أولاد أولئك العلماء والحكماء فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة سأله
أهل القبائل ان ينزل عليهم فكانوا يتعلقون بناقته وهو يقول خلوا الناقة فانها مأمورة
حتى جاءت الى دار أبي أيوب وكان من أولاد العالم الذي ابرأ تبعا برايه ثم استشار الانصار عبد
الرحمن بن عوف في ايصال الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر خبره قبل هجرته فأشار
عبد الرحمن ان يدفعوه الى رجل ثقة فاختاروا رجلا يقال له أبو ليلى وكان من الانصار فدفعوا
الكتاب اليه وأوصوه بحفظه فأخذ الكتاب وخرج من المدينة على طريق مكة فوجد النبي
صلى الله عليه وسلم في قبيلة بني سليم فعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه وقال أنت أبو
ليلى قال نعم قال ومعك كتاب تبع الاول قال نعم فبقي أبو ليلى متفكرا وقال في نفسه ان هذا من
العجائب ثم قال له أبو ليلى من أنت فاني لست أعرفك وتوهم انه ساحر وقال في وجهك اثر السحر
فقال له بل أنا محمد رسول الله هات الكتاب فاخرجه ودفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم ودفعه الى علي كرم الله وجهه فقرأه عليه فلما سمع النبي صلى
الله عليه وسلم كلام تبع قال مرحبا بالاخ الصالح ثلاث مرات ثم أمر أبا ليلى بالرجوع الى
المدينة ليبشرهم بقدومه عليهم (قال أبو عبد الله محمد القرطبي نور الله ضريحه) ماذكرت هذا
الخبر وان كان فيه طول الا لما احتوى عليه من فضل مكة والمدينة والتصديق بنبوة النبي
صلى الله عليه وسلم قبل ايجاده بألف عام (ومن لطائف ما نقلته من كتاب الاعلام للقرطبي)
ما أورده من مسند أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قول الله عز وجل اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه الى آخر الآية ان أول من جحد
الدين آدم عليه السلام لانه لما أراه الله تعالى ذريته رأى فيهم رجلا أزهر ساطع النور فقال
يارب من هذا قال ابنك داود قال يارب فما عمره قال ستون سنة قال يارب زد في عمره قال لا الا أن
تزيده من عمرك قال وما عمري قال ألف سنة قال آدم فقد وهبته أربعين سنة قال فكتب الله
عليه كتابا وأشهد عليه ملائكته فلما حضرته الوفاة قال بقي من عمري أربعون سنة فقيل له

www.dorat-ghawas.com

قد وهبتها الابنك داود وقال ما وهبت لاحد شيئا فاخرج الله ذلك الكتاب وفيه شهادة الملائكة (وفى رواية) ان الله جل جلاله اتم لداود مائة سنة ولآدم ألف سنة خرجه الترمذى بمعناه وصححه وفيه فقال عليه السلام نسى آدم فنسيت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته والله أعلم (ومن لطائف الغرائب المنقولة من كتاب الاعلام للقرطبى) ان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه مدح النبى صلى الله عليه وسلم بأبيات على قافية بديعة أعجبت النبى صلى الله عليه وسلم منها قوله

وأنت لما ولدت اشرقت الا رض وضاءت بنورك الافق

فنحن فى ذلك الضياء وفى النـور وسبل الرشاد نخترق

فقال ياعم لكل شاعر جائزة وجائزتك ان الخلافة فى عقبك الى يوم القيامة (ومن غريب التفسير) مانقلته من الاعلام ان فى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى أقوالا ذكرت فى أحكام مخارج القرآن احسنها ماذكره بعض المتكلمين ان العرب كانت اذا وجدت شجرة منفردة فى فلاة من الارض لاشجر معها سموها ضالة فيهتدى بها على الطريق فقال الله تعالى لنبيه ووجدك ضالا فهدى أى وجدتك لا أحد على دينك فهديت بك الخلق الى (قلت) قد تقدم الكلام فى سعادة العباس بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم ومانال بالاسلام من العز وقول النبى صلى الله عليه وسلم ان الخلافة فى عقبك الى يوم القيامة (وتقدم) ذكر شقوة عمه أبى طالب بالشرك مع حمايته ورعايته لجانب النبى صلى الله عليه وسلم وهو الذى تقدم قوله مشيرا الى قريش فى خطابه الى النبى صلى الله عليه وسلم

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد فى التراب دفينا

(قال السهيلى) نور الله ضريحه فى الروض الأنف هذا من باب النظر فى حكمة الله (ونقل) فى الروض الانف أيضا عن هشام بن السائب ان أباطالب لما حضرته الوفاة جمع وجوه قريش وقال لهم انكم صفوة الله من خلقه وقلب العرب وفيكم السيد المطاع وفيكم المتقدم الشجاع والواسع الباع لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا الا أحرزتموه ولا شرفا الا أدركتموه فلكم على الناس بذلك الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم الب وانى أوصيكم بتعظيم هذه البنية فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة صلوا أرحامكم ولا تقطعوها فان فى صلة الرحم منسأة فى الاجل وزيادة فى العدد واتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم واجيبوا الداعى وأعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث واداء الامانة فان فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام وأنا أوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين فى قريش والصديق فى العرب وهو جامع لكل ما أوصيكم به وقد جاء بامر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنآن وأيم الله كانى انظر الى صعاليك العرب وأهل البر فى الاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا امره فخاض بهم غمرات فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا واذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وابعدهم منه احظاهم عنده قد محضته العرب ودادها واصفت له فؤادها واعطته قيادها دونكم يامعاشر قريش ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد منكم سبيله الا رشد ولا يأخذ أحد بهديه الا سعد ولو

بسكان

www.dorat-ghawas.com

بكان لنفسي مدة ولا جلي تأخير لكفيت عنها الهزاهز ولدافعت عنه الدواهي ثم هلك

﴿ومن شهي المجتنى من ثمرات الاوراق﴾

ما روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه مر على طائفة بالمدينة أيام خلافته فاذا بجارية تبكي وتقول

وهويته من قبل قطع تمائمي * متمائشا مثل القضيب الناعم
فكان نور البدر سنة وجهه * يمشي ويصعد من ذؤابة هاشم

فقرع الباب فخرجت اليه فقال لها احرة أنت أم أمة فقالت بل أمة يا صاحب رسول الله فقال من هويت فبكت وقالت بحق صاحب هذا القبر الا انصرفت عني فقال لست بمنصرف من مكاني حتى تعلميني وتقولي فقالت

وانا الذي عمل الفراق بقلبها * فبكت بحب محمد بن القاسم

فسار أبو بكر رضي الله عنه الى المسجد وبعث الى مولاها فاشتراها منه وبعث بها الى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب عفي عنه

﴿ومن مناقب الامام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه﴾

في فتح بيت المقدس ان المسلمين تكامل لهم فتوح الشام فاقاموا على دمشق شهرا فجمع أبو عبيدة امراء المسلمين واستشارهم في المسير الى قيسارية أو الى بيت المقدس فقال له معاذ بن جبل أيها الامير اكتب الى أمير المؤمنين عمر فحيث أمرك امتثله قال له أصبت الرأي يا معاذ ثم كتب الى أمير المؤمنين عمر يعلمه بذلك وأرسل الكتاب مع عرفجة بن ناصح النخعي فسار حتى وصل المدينة فسلم الكتاب الى عمر رضي الله عنه فقرأه على المسلمين واستشارهم فقال علي رضي الله عنه يا أمير المؤمنين مر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين الى بيت المقدس فاذا فتح الله بيت المقدس صرف وجهه الى قيسارية فانها تفتح بعدها ان شاء الله تعالى كذا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر صدق المصطفى صلى الله عليه وسلم وصدقت أنت يا أبا الحسن ثم دعا بدواة وبياض وكتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر الى عامله بالشام أبي عبيدة أما بعد فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه وقد وصلني كتابك تستشيرني الى أي ناحية تتوجه وقد أشار ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير الى بيت المقدس فان الله يفتحها على يديك والسلام فلما وصل الكتاب الى أبي عبيدة قرأه على المسلمين ففرحوا بالمسير الى بيت المقدس وتقدمه الجيش الى بيت المقدس وأقام المسلمون في القتال عشرة أيام وأهل بيت المقدس يظهرون الفرح لعدم الخوف فلما كان في اليوم الحادي عشر أشرفت عليهم راية أبي عبيدة وخالد عن يمينه وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عن يساره فضج الناس ضجة عظيمة بالتهليل والتكبير فوقع الرعب في أهل بيت المقدس فاجتمعوا بقمامة وهي البيعة المعظمة عندهم فلما وقفوا بين يدي البطرك قال لهم ما هذه الضجة التي أسمع قالوا يا أبانا قد قدم أمير القوم ببقية المسلمين فلما سمع البطرك منهم ذلك انخطف لونه وتغير وجهه وقال انا وجدنا في علمنا الذي ورثناه ان الذي يفتح الارض هو الرجل الاحمر صاحب نبيهم محمد فان كان قدم عليكم فلا سبيل الى قتاله

ولابد أن أشرف عليه وأنظر الى صفته فان كان هو أجبته الى ما يريد وان كان غيره فلا باس عليكم ثم وثب قائما والقسوس والرهبان والشمامسة من حوله وقد رفعوا الصلبان على رأسه فصعدوا الى السور الى ان ورد أبو عبيدة رضي الله عنه فناداهم رجل من الروم باذن البطرك يامعاشر المسلمين كفوا عن القتال حتى نسالكم فامسك المسلمون عنهم فناداهم الرجل بلسان عربي اعلموا أن الرجل الذي يفتح بلدتنا هذه وجميع الارض صفته عندنا فان كانت في أميركم لم نقاتلكم بل نسلم اليكم وان لم تكن هذه صفته فلا نسلم اليكم أبدا فاعلم المسلمون أبا عبيدة بذلك فخرج أبو عبيدة اليهم الى أن حاذاهم فنظر البطرك وحقق صورته فقال ليس هو الرجل فابشروا وقاتلوا عن دينكم وحريمكم وكان نزول المسلمين على بيت المقدس في فصل الشتاء والبرد فاقاموا عليها أربعة أشهر في أشد قتال مع الصبر على المطر والثلج فلما نظر أهل بيت المقدس الى شدة الحصار في ذلك الفصل الصعب وما نزل بهم من المسلمين وقفوا بين يدي البطرك وقالوا له قد عظم الامر ونريد منك أن تشرف على القوم وتسأل ما الذي يريدون فان كان أمرا صعبا فتحنا الابواب وخرجنا اليهم فاما نقتل عن آخرنا أو نهزمهم عنا فاجابهم البطرك الى ذلك وصعد السور واجتمع القسيسون والرهبان حوله ونادى منهم رجل بالعربي وقال يامعاشر الفرسان عمدة دين النصرانية قد أقبل يخاطبكم فليدن منا أميركم فقام أبو عبيدة يمشي ومعه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان فلما وقف بازائهم قال ما الذي تريدون هذا أمير العرب فقال البطرك انكم لو أقمتم علينا عشرين سنة لم تصلوا الى فتح بلدتنا أبدا وانما يفتحه رجل موصوف وليست الصفة معكم قال أبو عبيدة وما صفة من يفتح بلدكم قال البطرك لا نخبركم بصفته ولكن قرأنا ان هذا البلد يفتحه صاحب محمد اسمه عمر بن الخطاب ويعرف بالفاروق وهو رجل شديد لا تأخذه في الله لومة لائم ولسنا نرى صفته فيكم فلما سمع أبو عبيدة كلام البطرك تبسم وقال فتحنا البلد ورب الكعبة ثم أقبل على البطرك وقال ان رأيت الرجل تعرفه قال نعم وكيف لا أعرفه وصفته عندنا قال أبو عبيدة هو والله خليفتنا وصاحب نبينا صلى الله عليه وسلم قال البطرك فاذا كان الامر على ما ذكرتم فاحقن الدماء وابعث الى صاحبك بأن يأتي فاذا رأيناه وتبيناه نعته فتحنا له البلد وأعطيناه الجزية فانصرف أبو عبيدة وأمر الناس بالكف عن القتال وأعلمهم بالخبر فكبروا وكتب أبو عبيدة الى الامام عمر رضي الله عنه يعلمه بالخبر على يد ميسرة بن مسروق فلما وصل الكتاب الى عمر رضي الله عنه فرح وقرأه على المسلمين (وقال) ما ترون رحمكم الله فيما كتب الينا أمين الامة فكان أول من تكلم عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين ان الله قد أذل الروم فان أنت أقمت ولم تسر اليهم علموا انك بأمرهم مستخف فلا يلبثون الا يسيرا فلما سمع عمر ذلك من عثمان جزاه خيرا وقال هل عند أحد منكم رأي غير هذا فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه نعم عندي غير هذا الرأي وأنا أبديه اليك رحمك الله فقال له عمر وما هو يا أبا الحسن قال ان القوم قد سألوك وفي سؤالهم ذل وهو على المسلمين فتح وقد أصابهم جهد عظيم البرد والقتال وطول المقام وان صرت اليهم فتح الله على يديك هذه المدينة وكان لك في مسيرك الاجر العظيم ولست آمن منهم انهم اذا أيسوا

www.dorat-ghawas.com

منك أن يأتيهم المدد من طاغيتهم فيحصل للمسلمين بذلك الضرر والصواب ان تسير اليهم ففرح
عمر بمشورة علي وقال لقد أحسن عثمان النظر في المكيدة للعدو وعلي أحسن النظر للمسلمين
جزاهما الله خيرا ولست آخذا الا بمشورة علي لما عرفناه الا محمود المشورة ميمون الطلعة ثم
ان عمر أمر الناس أن يأخذوا الاهبة للسير معه واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب وخرج
من المدينة وهو على بعير له أحمر عليه غرارتان في احداهما سويق وفي الاخرى تمر وبين يديه
قربة وخلفه جفنة للزاد وسار الى أن أقبل على بيت المقدس فالتقاه أبو عبيدة فلما رآه أناخ
قلوصه وأناخ عمر بعيره وترجلا ومد أبو عبيدة يده وصافح عمر وتعانقا وسلم كل منهما على صاحبه
وأقبل المسلمون يسلمون على عمر ثم ركبوا جميعا الى ان نزلوا فصلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر
ثم خطبهم فلما فرغ من خطبته جلس وأبو عبيدة يحدثه بما لقي من الروم الى ان حضرت صلاة
الظهر أذن بلال في ذلك اليوم فلما قال الله أكبر خشعت جوارحهم واقشعرت أبدانهم فلما
قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله بكى الناس بكاء شديدا عند ذكر الله وذكر
رسوله وكاد بلال أن يقطع الاذان فلما فرغ الاذان صلى عمر وجلس ثم أمرهم بالركوب فلما هم
بالركوب على بعيره وعليه مرقعة الصوف وفيها أربع عشرة رقعة بعضها من أدم قال المسلمون
يا أمير المؤمنين لو ركبت غير بعيرك جوادا ولبست ثيابا لكان ذلك أعظم لهيبتك في قلوب
أعدائك واقبلوا يسألونه ويتلطفون به الى ان أجابهم الى ذلك ونزع مرقعته ولبس ثيابا بيضا
قال الزبير أحسبها كانت من ثياب مصر تساوي خمسة عشر درهما وطرح على كتفه منديلا
من الكتان دفعه اليه أبو عبيدة وقدم له برذونا أشهب من براذين الروم فلما صار عمر فوقه جعل
البرذون يهملج به فلما نظر عمر الى ذلك نزل مسرعا وقال أقيلوني عثرتي أقال الله عثراتكم
يوم القيامة لقد كاد أميركم يهلك مما داخله من الكبر ثم انه نزع البياض وعاد الى لبس مرقعته
وركوب بعيره فعلت ضجة المسلمين بالتهليل والتكبير فقال البطرك للروم انظروا ما شأن
العرب فأشرف رجل من المتنصرة فقال يا معاشر العرب ما قضيتكم فقالوا ان عمر بن الخطاب
قد قدم علينا من مدينة نبينا صلى الله عليه وسلم فرجع المتنصر وأعلم البطرك فأطرق
ولم يتكلم فلما كان من الغد صلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثم قال لابي عبيدة تقدم الى القوم
وأعلمهم اني قد أتيت فخرج أبو عبيدة وصاح بهم وقال ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أتى
فما تصنعون فيما قلتم فأعلم البطرك بذلك فخرج من قمامة وعليه المسوح ومن حوله الرهبان
والقسس ثم علا السور وأشرف على أبي عبيدة وقال ما هذا أيها الشيخ قال أبو عبيدة هذا أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب فقال البطرك قل له يدنو مني فانا نعرفه بصفاته ونعته وأفردوه من
بينكم حتى نراه فرجع أبو عبيدة الى عمر فأخبره بما قال البطرك فهم عمر بالقيام فقال له
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نخشى عليك من الانفراد بلا عدة فقال عمر قل لن
يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ثم لبس مرقعته وركب بعيره
وأبو عبيدة سائر بين يديه الى ان أتى بازاء البطرك قريبا من الحصن فقال أبو عبيدة هذا أمير
المؤمنين فمد البطرك عنقه ونظر اليه فزعق زعقة وقال هذا والله الذي صفته ونعته في كتبنا ثم

www.dorat-ghawas.com

قال يا أهل بيت المقدس انزلوا اليه وخذوا منه الامان والذمة فهذا والله صاحب محمد بن عبد الله فنزلوا مسرعين وكانت أنفسهم قد ضاقت من شدة الحصار وفتحوا الباب وخرجوا الى عمر يسألونه العهد فلما رآهم عمر رضي الله عنه في تلك الحالة تواضع لله سبحانه وتعالى وخر ساجدا على قتب بعيره ثم أقبل عليهم وقال ارجعوا الى بلدكم ولكم العهد فرجع القوم الى البلد ولم يغلقوا الباب ورجع عمر فلما كان من الغد وهو يوم الاثنين دخل اليها وأقام بها الى يوم الجمعة وخط بها محرابا وهو موضع مسجده وتقدم وصلى بالمسلمين صلاة الجمعة وأقام في بيت المقدس عشرة أيام وبها أسلم كعب الاحبار على يده وارتحل معه الى المدينة لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ان كتب الامام عمر لاهل بيت المقدس وأقرهم في بلدهم على عهدهم وأداء الجزية (ومن شهي المجتنى من ثمرات الاوراق) مانقله أبو الحسن علي بن عبد المحسن التنوخي في المستجاد ان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما بات على فراش النبي صلى الله عليه وسلم ليفديه بنفسه أوحى الله تعالى الى جبريل وميكائيل عليهما السلام اني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كل منهما الحياة فأوحى الله اليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبيي محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض واحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة فأنزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد (قال أبو الحسن المدائني) خرج الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر رضي الله عنه حجاجا ففاتتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقال أحدهم هل من شراب قالت نعم فأناخوا اليها وليس لها الا شويهة فقالت احلبوها واشربوا لبنها ففعلوا فقالوا هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيئ لكم ما تأكلون فقام اليها أحدهم فذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فألمي بنا فانا صانعون اليك خيرا فارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب وقال ويحك تذبحين شاتي لقوم لا أعرفهم ثم تقولين نفر من قريش ثم بعد مدة ألجأتهم الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر ويعيشان بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فاذا الحسن بن علي على باب داره فعرف العجوز وهي منكرة فبعث اليها غلامه فدعاها فقال لها يا أمة الله أتعرفينني قالت لا قال انا ضيفك بالامس يوم كذا وكذا قالت بأبي أنت وأمي ثم اشترى لها من شاء الصدقة ألف شاة وأمر لها بألف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين رضي الله عنهما فأمر لها بمثل ذلك وبعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر رضي الله عنه فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بألفي شاة وألفي دينار فقال لها لو بدأت بي لأتعبتهما في العطاء اعطوها عطيتهما فرجعت العجوز الى زوجها بأربعة آلاف دينار وأربعة آلاف شاة (ومما يضارع هذه اللطائف) انه جرى بين الحسين بن علي بن أبي طالب وبين أخيه محمد بن الحنفية رضي الله عنهما كلام فانصرفا

متغاضبين فلما وصل محمد الى منزله أخذ رقعة وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن على ابن أبي طالب الى أخيه الحسين بن على بن أبي طالب (أما بعد) فان لك شرفا لا ابلغه وفضلا لا أدركه فاذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك وسر الي فترضني واياك أن أكون سابقك الى الفضل الذي أنت أولى به مني والسلام فلما قرأ الحسين رضي الله عنه الرقعة لبس رداءه ونعليه ثم جاء الى أخيه محمد فترضاه (قال أبو الفرج الاصفهاني) حدثني أحمد بن محمد الجعد ومحمد بن يحيي قالا حدثنا محمد بن زكريا العلائي قال حدثنا ابن عائشة قال حج هشام بن عبد الملك في خلافة أخيه الوليد ومعه رؤساء أهل الشام فطاف وجهد ان يستلم الحجر فلم يقدر من الازدحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر الى الناس فاقبل على بن الحسين رضي الله عنهما وهو أحسن الناس وجها وأنظفهم ثوبا وأطيبهم رائحة فلما طاف بالبيت وبلغ الحجر تنحى الناس كلهم اجلالا له فاستلم الحجر وحده فغاظ ذلك هشاما وبلغ منه فقال رجل من أهل الشام لهشام من هذا أصلح الله الامير قال لا أعرفه وكان به عارفا ولكن خاف من رغبة أهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا انا أعرفه يا شامي قال من هو قال

هذا ابن من تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقي النقي الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلهم * الى مكارم هذا ينتهي الكرم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله * بجده أنبياء الله قد ختموا
يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
أي الخلائق ليست في رقابهم * لاولية هذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف اولية ذا * فالدين من بيت هذا ناله الامم
وليس قولك من هذا بضائره * العرب تعرف من أنكرت والعجم

فحبسه هشام ثم أطلقه فوجه اليه على بن الحسين عشرة آلاف درهم وقال اعذرنا يا أبا فراس فلو كان معنا في هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به فردها الفرزدق وقال ما قلت ما كان الا لله فقال له علي بن الحسين قد رأى الله مكانك ولكنا أهل بيت اذا أنفذنا شيأ لم نرجع فيه وأقسم عليه فقبلها (ومن غالي جواهر العقد لابن عبد ربه) قال يزيد حدثني أبي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدم من المدينة الى الشام على حمار فتلقاه معاوية في موكب نبيل فأعرض عنه عمر فجعل يمشي الى جنبه راجلا فقال له عبد الرحمن بن عوف أتعبت الرجل فاقبل عليه وقال يا معاوية أنت صاحب الموكب مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك قال نعم يا أمير المؤمنين قال ولم ذلك قال لانا في بلاد لا تمتنع من الجواسيس ولا بد لهم ما يروعهم من هيبة السلطان فان أمرتني بذلك أقمت عليه وان نهيتني عنه انتهيت قال ان كان الذي قلت حقا فانه رأى أريب وان كان باطلا فانها خدعة أديب فلا آمرك ولا أنهاك عنه (ومن لطائف معاوية) انه كان لعبد الله بن الزبير أرض قريبة لارض لمعاوية فيها عبيد له من الزنوج يعمرونها فدخلوا في أرض عبد الله فكتب الى معاوية أما بعد فانه يا معاوية ان لم تمنع عبيدك من الدخول في

ارضى والا كان لى ولك شأن فلما وقف معاوية على الكتاب دفعه الى ابنه يزيد فلما قرأه قال له ما ترى قال أرى ان تنفذ اليه جيشا أوله عنده وآخره عندك يأتوك برأسه فقال يابنى عندى خير من ذلك على بدواة وقرطاس وكتب وقفت على كتابك يا ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءنى والله ماساءك والدنيا هينة عندى فى جنب رضاك وقد كتبت على نفسى رقما بالارض والعبيد وأشهدت على فيه ولتضف الارض الى أرضك والعبيد الى عبيدك والسلام فلما وقف عبد الله على كتاب معاوية كتب اليه وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فلا عدم الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله رماه الى ابنه يزيد فلما قرأه اسفر وجهه فقال يابنى اذا رميت بهذا الداء داوه بهذا الدواء (نادرة لطيفة) قال الاستاذ أبو على لما سعى غلام خليل بالصوفية الى الخليفة بالزندقة أمر بضرب أعناقهم فاما الجنيد فانه استتر بالفقه وأما الشحام والرقام والنورى وجماعة فقبض عليهم وبسط النطع لضرب أعناقهم فتقدم النورى فقال له السياف أتدرى لماذا تتقدم قال نعم قال فما يعجلك قال اوثر أصحابى بحياة ساعة فتحير السياف وتما الخبر الى الخليفة فردهم الى القاضى ليعرف أحوالهم فالقى القاضى على أبى الحسن النورى مسائل فقهية فاجاب عن الكل ثم أخذ يقول ان لله عبادا اذا قاموا قاموا بالله واذا نطقوا نطقوا بالله وسرد حتى بكى القاضى فارسل الى الخليفة يقول ان كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الارض مسلم فاكرمهم وأطلقهم (ومن المروى عن أحمد بن أبى دواد القاضى) انه قال ما رأيت رجلا عرض على الموت فلم يكترث به الا تميم بن جميل الخارجى كان قد خرج على المعتصم ورأيته قد جىء به أسيرا فادخل عليه فى يوم موكب وقد جلس المعتصم للناس مجلسا عاما ودعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر اليه المعتصم فاعجبه شكله وقده ورآه يمشى الى الموت غير مكترث به فاطال الفكرة فيه ثم استنطقه لينظر فى عقله وبلاغته فقال يا تميم ان كان لك عذر فأت به فقال أما اذا أذن أمير المؤمنين جبر الله به صدع الدين ولم شعث المسلمين وأخمد شهاب الباطل وأنار سبل الحق فالذنوب يا أمير المؤمنين تخرس الالسن وتصدع الافئدة وايم الله لقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا العفو والانتقام وهو الاليق بشيمك الطاهرة ثم أنشد

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا * يلاحظنى من حيث لا أتلفت
وأكثر ظنى انك اليوم قاتلى * وأى امرئ مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذى يأتى بعذر وحجة * وسيف المنايا بين عينيه مصلت
وما جزعى من ان أموت واننى * لاعلم ان الموت شئ موقت
ولكن خلفى صبية قد تركتهم * واكبادهم من حسرة تتفتت
كأنى أراهم حين أنعى اليهم * وقد لطموا تلك الخدود وصوتوا
فان عشت عاشوا سالمين بغبطة * اذود الردى عنهم وان مت موتوا
وكم قائل لا يبعد الله داره * وآخر جذلان يسر ويشمت

(قال) فبكى المعتصم وقال ان من البيان لسحرا ثم قال كاد والله يا تميم ان يسبق السيف العذل

وقد

وقد وهبتك لله ولصبيتك وأعطاه خمسين ألف درهم (ومن لطائف المنقول من المستجاد) انه
كان بين غسان بن عباد وبين علي بن عيسى القمي عداوة عظيمة وكان علي بن عيسى ضامنا أعمال
الخراج والضياع ببلده فبقيت عليه بقية مبلغها أربعون ألف دينار فالح المأمون عليه بطلبها
الى ان قال لعلي بن صالح الحاجب أمهله ثلاثة أيام فان أحضر المال والا فاضربه بالسياط حتى
يؤدي المال أو يتلف فانصرف علي بن عيسى من دار المأمون آيسا من نفسه وهو لا يدري وجها
يتجه اليه فقال له كاتبه لو عرجت على غسان بن عباد وعرفته خبرك لرجوت ان يعينك على أمرك
فقال له على ما بيني وبينه من العداوة فقال نعم فان الرجل أريحي كريم فدخل على غسان فقام
اليه وتلقاه بالجميل ووفاه حقه بالخدمة ثم قال له الحال الذي بيني وبينك على حاله ولكن دخولك
الى داري له حرمة توجب بلوغ ما رجوته مني فاذكر ان كان لك حاجة فقص عليه القصة فقال
أرجو ان يكفيكه الله تعالى ولم يزده على ذلك شيأ فنهض علي بن عيسى وخرج آيسا نادما على قصد
غسان وقال لكاتبه ما افدتني بالدخول على غسان غير تعجيل الشماتة والهوان فلم يصل علي بن
عيسى الى داره حتى حضر اليه كاتب غسان معه البغال عليها المال فتقدم وسلمه وبكر الى دار
أمير المؤمنين فوجد غسان قد سبقه اليها ودخل على المامون وقال يا أمير المؤمنين ان لعلي بن
عيسى بحضرتك حرمة وخدمة وسالف أصل وقد لحقه من الخسران في ضمانه ما تعارفه الناس
وقد توعدته بضرب السياط بما أطار عقله واذهب لبه فان رأى أمير المؤمنين ان يجبرني على
حسن كرمه ببعض ما عليه فهي صنيعة يجددها على تحرص ما تقدمها من احسانه ولم يزل يتلطف
الى ان حط عنه النصف واقتصر على عشرين ألف دينار فقال غسان على ان يجدد عليه أمير
المؤمنين الضمان ويشرفه بخلعة تقوى نفسه وترهف عزمه ويعرف بها مكان الرضا عنه فاجابه
المأمون الى ذلك قال فيأذن أمير المؤمنين ان أحمل الدواة الى حضرته ليوقع ما رآه من هذا
الانعام قال افعل فحمل الدواة الى أمير المؤمنين فوقع ذلك وخرج علي بن عيسى بالخلعة والتوقيع
بيده فلما حضر في داره حمل من المال عشرين ألف دينار وأرسلها الى غسان وشكره على
جميل فعله معه فقال غسان لكاتبه والله ما شفعت عند أمير المؤمنين الا لتوفر عليه وينتفع بها
فامض بها اليه فلما ردها كاتبه الى علي بن عيسى علم قدر ما فعل معه غسان فلم يزل يخدمه الى آخر
العمر (ومن غريب ما يقتطف من ثمرات الاوراق) ان عمر بن عبد العزيز رحمه الله خلف أحد
عشر ابنا فأصاب كل ابن نصف وربع دينار وقال لهم عند وفاته يا بني ليس لي مال فأوصي
فيه وخلف هشام بن عبد الملك أحد عشر ابنا فأصاب كل واحد من البنين ألف ألف دينار
فأما أولاد عمر بن عبد العزيز فما روي أحد منهم الا وهو غني ومنهم واحد جهز من ماله مائة ألف
فارس على مائة ألف فرس في سبيل الله تعالى وما روي أحد من أولاد هشام بن عبد الملك الا
وهو فقير ولقد شوهد أحدهم وهو يوقد في الاتون (قيل لمعاوية بن أبي سفيان) ان بالحيرة رجلا
من بني جرهم قد عمر ورأى أعاجيب فقال معاوية علي به فلما حضر قال من الرجل قال عبيد بن
شرية قال ثم ممن قال من قوم لم يبق منهم بقية قال فكم مضى من عمرك قال عشرون ومائتا سنة
قال أخبرني بأعجب ما رأيت في عمرك قال نعم يا أمير المؤمنين كنت في حي من أحياء العرب فمات

www.dorat-ghawas.com

عندهم ميت يقال له عشير بن لبيد العذري فمشيت في جنازته وتأسيت بجماعته فلما دفن في قبره وأعول النساء في أثره أدركتني عليه عبرة ولم أستطع ردها وتمثلت بأبيات كنت سمعتها قديما وعلق الآن على خاطري منها هذه الأبيات

يا قلب إنك من أسماء مغرور * فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير
قد بحت بالحب ما تخفيه من أحد * حتى جرت لك إطلاقا محاضير
فلست تدري ولا تدري أعاجلها * أدنى لرشدك أم ما فيه تأخير
فاستقدر الله خيرا وارضين به * فبينما العسر إذ دارت مياسير
وبينما المرء في الأحياء مغتبط * إذا هو الرمس تعفوه الأعاصير
يبكي الغريب عليه ليس يعرفه * وذو قرابته في الحي مسرور
وذاك آخر عهد من أخيك إذا * ما المرء ضمنه اللحد الخناسير

فبينما أنا أردد هذه الأبيات وعيناي ينسكبان إذ قال لي رجل إلى جنبي من عذرة يا عبد الله هل تعرف قائل هذا الشعر قلت لا والله قال قائله هذا الميت الذي دفناه وأنت الغريب الذي تبكي عليه ولا تعرفه ولا تعلم أنه قائل هذه الأبيات وذو قرابته الذي ذكرته مسرور وهو ذاك وأشار إلى رجل في الجماعة فرأيته لا يستطيع كتمان ما هو عليه من المسرة فقال معاوية يا أخا جرهم سل ما شئت قال ما مضى من عمري ترده والأجل إذا حضر تدفعه قال ليس ذلك لي سل غيره قال يا أمير المؤمنين ليس إليك رد شبابي ولا الآخرة فتكرم مآبي والمال فقد أخذت منه في عنفوان ما كفاني قال لا بد أن تسألني قال أما إذ شئت فأمر لي برغيفين أتغدى بأحدهما وأتعشى بالآخر واتق الله واعلم أنك مفارق ما أنت فيه وقادم على ما قدمت فأمر له معاوية بأشياء وحنطة وغيرها فردها وقال إن أعطيت المسلمين كلهم مثلها أعطيتني وإلا فلا حاجة لي في ذلك ثم ودعه وانصرف (قيل وفد عبد الله بن جعفر رضي الله عنه على أحد خلفاء بني أمية) فقال له الخليفة كم كان أمير المؤمنين يعطيك يعني أباه قال كان رحمه الله يعطيني ألف ألف درهم قال زدناك لترحمك عليه ألف ألف درهم قال بأبي أنت وأمي قال وبهذه ألف ألف قال لا أقولها لأحد بعدك قال ولهذه ألف ألف قال منعني من الإطناب في وصفك الإشفاق عليك من جودك قال ولهذه ألف ألف فقيل له فرقت يا أمير المؤمنين بيت مال المسلمين على رجل واحد قال إنما فرقته على أهل المدينة أجمعين ثم وكل به من يعلمه بخبره من حيث لا يشعر فلما قدم المدينة فرق جميع ما معه حتى احتاج بعد شهر إلى القرض (ومن لطائف المنقول) أن رجلا قال لهشام القرطبي كم تعد قال من واحد إلى ألف ألف وأكثر قال لم أرد هذا كم تعد من السن قال اثنتين وثلاثين ستة عشر من أعلى وستة عشر من أسفل قال لم أرد هذا كم لك من السنين قال والله ليس لي منها شيء والسنون كلها لله قال يا هذا ما سنك قال عظم قال ابن لي ابن كم أنت قال اثنين رجل وامرأة قال كم أتى عليك قال لو أتى علي شيء قتلني قال كيف أقول قال تقول كم مضى من عمرك (قيل) عرض محمد بن الجهم داره للبيع بخمسين ألف درهم فلما حضروا ليشتروا قال بكم تشترون مني جوار سعيد بن العاص فقالوا له والجوار يباع قال وكيف لا يباع جوار

www.dorat-ghawas.com

من ان سألته اعطاك وان سكت عنه ابتدأك وان اساءت اليه أحسن اليك فبلغ ذلك سعيدا فوجه اليه بمائة ألف درهم وقال امسك دارك عليك (قيل) خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخل قوم فيه غلام اسود يقوم عليها فاتى بثلاثة أقراص فدخل كلب فدنا منه فرمى اليه بقرص فاكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فاكلها وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت الكلب قال لان ارضنا ما هي بارض كلاب وانه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما كنت صانعا اليوم قال اطوى يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر الام مبنى على السخاء والله ان هذا لاسخى منى فاشترى النخل والعبد فاعتقه ووهب ذلك له (ومن لطائف المنقول) انه رفع للرشيد موت العباس بن الاحنف وابراهيم الموصلي المعروف بالنديم وعشيمة الخمارة فى يوم واحد فخرج للصلاة عليهم فصفوا بين يديه فقال من الاول فقالوا ابراهيم الموصلي فقال أخروه وقدموا العباس بن الاحنف فتقدم وصلى عليه فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم بن عبد الله الخزاعي وقال يا أمير المؤمنين كيف آثرت العباس بالتقديم على من حضر فقال بقوله

وسعى بها قوم وقالوا انها * لهى التى تشقى بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم * انى ليعجبنى المحب الجاحد

ثم قال أتحفظهما قلت نعم قال أليس من قال هذا الشعر أولى بالتقديم فقلت بلى والله يا أمير المؤمنين (قلت ويضارع هذا ما حكاه صاحب الاغاني) حكى ان رجلا ادى شهادة عند بعض القضاة فقال القاضي هل يعرفك أحد من ذوى العدالة قال نعم فلان فلما حضر قال له القاضي هل تعرف هذا قال نعم اعرفه عدلا وما ذاك الا أنى سمعته ينشد لجرير

ان الذين غدوا بلبك غادروا * وشلا بعينك لا يزال معينا
غيضن من أبصارهن وقلن لى * ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فعلمت ان هذا لا يرسخ الا فى قلب مؤمن (وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله) كانت رقائق الشيخ تقي الدين السروجي تسلب العقول وكان يغنى بها فى عصره لانها فى الطريق الغرامى غاية لا تدرك فمن ذلك قوله رحمه الله

أنعم بوصلك لى فهذا وقته * يكفى من الهجران ما قد ذقته
أنفقت عمرى فى هواك وليتنى * أعطى وصولا بالذى أنفقته
يا من شغلت بحبه عن غيره * وسلوت كل الناس حين عشقته
كم جال فى ميدان حسنك فارس * بالسبق فيك الى رضاك سبقته
أنت الذى جمع المحاسن وجهه * لكن عليه تصبرى فرقته
قال الوشاة قد ادعى بك نسبة * فسررت لما قلت قد صدقته
بالله ان سألوك عنى قل لهم * عبدى وملك يدى وما أعتقته
أوقيل مشتاق اليك فقل لهم * أدرى بذا وأنا الذى شوقته

(قلت) لو كان الشيخ تقي الدين السروجي رحمه الله فى جملة من صلى عليه الرشيد لم يقدم غيره

www.dorat-ghawas.com

عليه (قال الشهاب محمود) وكان الشيخ تقي الدين السروجي مع دينه وورعه وزهده وعفته مغرما بالجمال وكذلك قال الشيخ أثير الدين وكان يكره مكانا فيه امرأة ومن دعاه من أصحابه قال شرطي معروف وهو ان لا يحضر بالمجلس امرأة (قال الشهاب) محمود وكانوا في دعوة فأحضر صاحب الدعوة شواء وأمر بادخاله الى النساء ليجعلنه في الصحون فلما أحضر بعد ذلك تقرف منه وقال كيف يؤكل وقد مسسنه بايديهن (قال الشيخ) أثير الدين ولما توفي الشيخ تقي الدين بمصر رابع رمضان المعظم سنة ثلاث وتسعين وستمائة حلف أبو محبوبه ان لا يدفنه الا في قبر ابنه وقال كان الشيخ يهواه بالحياة وما أفرق بينهما بالممات هذا لما كان يعلمه من دينه وعفافه (قلت) والشيخ مدرك هو أبو هذه العذرة وثمرة هذه الشجرة فانه ممن هام مع زهده وورعه بالجمال وعف وصبر الى أن مات وكان الشيخ مدرك المذكور من أكابر علماء المغرب المتفقهين وكان مطبوعا في نظم الشعر الجيد الرقيق وكان يقرئ الادب وله مجلس بمحلة دار الروم وكان لا يقرئ الا الاحداث ففتن بنصراني اسمه عمرو بن يوحنا كان من أحسن أهل زمانه وأسلمهم طبعا فهام الشيخ به وكتب رقعة وطرحها في حجره وهي

بمجالس العلم التي * بك تم جمع جموعها
الا رثيت لمقلة * غرقت بماء دموعها
بيني وبينك حرمة * الله في تضييعها

(فلما) قرأها عمرو استحيا وعلم بها من في المجلس فانقطع عمرو واشتد بالشيخ الوجد فترك المجلس ونظم القصيدة المشهورة قيل انها اشتملت على سائر عبادات النصارى ومواقيتهم وأسماء المعظمين في دينهم وعدده صاحب مصارع العشاق مع الذين ماتوا غراما (وقال) في كتابه الموسوم بمصارع العشاق أخبرنا القاضي أبو القاسم التنوخي سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة قال حدثنا القاضي أبو الفرج المعافى قال أنشدنا أبو القاسم مدرك بن محمد الشيباني لنفسه في عمرو النصراني قال القاضي أبو الفرج وقد رأيت عمرا وقد ابيض رأسه

من عاشق ناء هواه دان * ناطق دمع صامت اللسان
موثق قلب مطلق الجثمان * معذب بالصد والهجران
من غير ذنب كسبت يداه * لكن هوى نمت به عيناه
شوقا الى رؤية من اشقاه * كأنما عافاه من ابلاه
يا ويحه من عاشق ما يلقى * من أدمع منهلة ما ترقى
ذاب الى أن كاد يفنى عشقا * وعن دقيق الفكر سقما دقا
لم يبق منه غير طرف يبكي * بادمع مثل نظام السلك
تخمد نيران الهوى وتذكي * منهلة قطر السماء تحكي
الى غزال من بني النصارى * فضل بالحسن على العذارى
وغادر الاسد به حيارى * في ربقة الحب له اسارى
ريم به أي هزبر لم يصد * يقتل باللحظ ولا يخشى القود

متى

متى تقول ها قالت الاحافظ قد * كأنه ناسوته جسين اتحد
ياليتني كنت له زنارا * يديرني في الخصر كيف دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا * صرت له حينئذ ازارا
ياعمرو ناشدتك بالمسيح * الا سمعت القول من فصيح
يذب عن قلب له جريح * ليس من الحب بمستريح
ياعمرو بالحق مع اللاهوت * والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذي في مهده المنعوت * عوض بالنطق عن السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم * حل محل الريق منها في الفم
ثم استحال في القنوم الاقدم * يكلم الناس ولما يفطم
بحق من بعد الممات قمصا * يوما الى مقداره ماقصصا
وكان لله تقيا مخلصا * يشفي ويبرئ الاكمه والابرصا
بحق محيي صورة الطيور * وباعث الموتى من القبور
ومن اليه مرجع الامور * يعلم ما في البر والبحور
بحق من في شامخ الصوامع * من ساجد لربه وراكع
يبكي اذا ما نام كل هاجع * خوفا من الله بدمع هامع
بحق قوم حلقوا الرؤسا * وعالجوا طول الحياة بوسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا * مشمعلين يعبدون عيسى
بحق مارمريم وبولس * بحق شمعون الصفا وبطرس
بحق دانيل بحق يونس * بحق حزقيل وبيت المقدس
ونينوى اذ قام يدعو ربه * مطهرا من كل سوء قلبه
ومستقيلا فيل ذنبه * ونال من مولاه ما احبه
بحق ما في قلة الميرون * من نافع الادواء للمجنون
بحق ما يؤثر عن شمعون * من بركات النخل والزيتون
بحق اعياد الصليب الزهر * وعيد اشموني وعيد الفطر
وبالشعانين الجليل القدر * وعيد مرماري الرفيع الذكر
وعيد شعيا وبالهياكل * والدخن اللاتي بكف الحامل
يشفي بها من خبل كل خابل * ومن دخيل السقم في المفاصل
بحق سبعين من العباد * قاموا بدين الله في البلاد
وأرشدوا الناس الى الرشاد * حتى اهتدى من لم يكن بهاد
بحق ثنتي عشرة من الامم * ساروا الى الاقطار يتلون الحكم
حتى اذا اصبح الهدى جلا الظلم * ساروا الى الله ففازوا بالنعم
بحق ما في محكم الانجيل * من منزل التحريم والتحليل

وخبر ذى نبا جليل * يرويه جيل قد مضى عن جيل
بحق مرعيد التقى الصالح * بحق لوقا بالحكيم الراجح
والشهداء بالفلا الصحاصح * من كل غاد منهم ورائح
بحق معمودية الارواح * والمذبح المشهور فى النواحى
ومن به من لابس الامساح * من راهب باك ومن نواح
بحق تقريبك فى الاعياد * وشربك القهوة كالفرصاد
عما بعينيك من السواد * بطول تقطيعك للاكباد
بحق ماقدس شعيا فيه * بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور ومايرويه * عن كل ناموس له تقيه
شيخان كانا من شيوخ العلم * وبعض أركان التقى والحلم
لم ينطقا قط بغير الفهم * موتهما كان حياة الخصم
بحرمة الاسقف والمطران * والجاثليق العالم الربانى
والقس والشماس والديرانى * والبطرك الاكبر والرهبان
بحرمة المحبوس فى أعلى الجبل * ومار فولا حين صلى وابتهل
وبالكنيسات القديمات الاول * وبالمسيح المرتضى ومافعل
بحرمة الاسقوفيا والبيرم * ومادوى مغفر رأس مريم
بحرمة الصوم الكبير الاعظم * بحق كل بركة ومحرم
بحق يوم الذبح فى الاشراق * وليلة الميلاد والتلاقى
والذهب الابريز لا الاوراق * بالفصح يامهذب الاخلاق
بكل قداس على قداس * قدسه القس مع الشماس
وقربوا يوم خميس الناس * وقدموا الكاس لكل حاس
الارغبت فى رضا أديب * باعده الحب عن الحبيب
فذاب من شوق الى المذيب * أعلى مناه أيسر التقريب
انظر أميرى فى صلاح أمرى * محتسبا فى عظيم الاجر
مكتسبا منى جميل الشكر * من نثر الفاظ ونظم شعر

(قلت والشئ بالشئ يذكر) الشيخ مدرك الجأته الضرورة الغرامية أن يتجشم المشاق ويتقرب الى محبوبه باقسام لها عند أهل دين النصرانية محل عظيم الموقع كما الجات الشيخ مهذب الدين بن منير الطرابلسى الشاعر المشهور ان يترك التشيع وكان من كبار الشيعة ويرجح جانب السنة ويوهى أقوال الرافضة وموجب ذلك ان مهذب الدين المذكور هاجر الى بغداد بسبب مدح الشريف الموسوى نقيب الاشراف بها وكان الشريف أيضا من كبار الشيعة فلما دخل بغداد جهز الى الشريف هدية مع مملوكه بل معشوقه تتر الذى سارت الركبان بغرامه فيه فاخذ الهدية واعجبه المملوك فأخذه فلما وصل الخبر الى مهذب الدين بن

منير

منير اشرف على ذهاب روحه وكتب الى الشريف والى تتر

عذبت طرفي بالسهر * وأذبت قلبي بالفكر
ومزجت صفو مودتي * من بعد بعدك بالكدر
ومنحت جثماني الضنا * وكحلت جفني بالسهر
وجفوت صبا ماله * عن حسن وجهك مصطبر
يا قاتلي بمحاسن * من شأنها الحسن الأغر
يا من تكلف بالأغن من الظباء وبالأغر
ريم يفوق اذا رما * لك بسهم ناظره النظر
تركتك أعين تركها * من بأسهن على خطر
ورمت فأصمت عن قسي لا ينباط بها وتر
جرحتك جرحا لا يخيط بالخيوط ولا الابر
تلهو وتلعب بالعقو * ل عيون أبناء الخزر
فكأنهن سواحر * وكأنهن لها أكر
تخفي الهوى وتسره * وخفي سرك قد ظهر
أهلك وجدك من مدى * يقضي اليه فينتظر
نفسي الفداء لشادن * أنا من هواه على خطر
رشأ تحاوله الخوا * طر ان تشي أو خطر
عذل العذول وما رآ * ه فحين عاينه عذر
قمر يزين ضوء صبح جبينه ليل الشعر
تدمي اللواحظ خده * فيرى لها فيه أثر
هو كالهلال ملثما * والبدر حسنا ان سفر
ويلاه ما أحلاه في * قلبي الشقي وما أمر
نومي المحرم بعده * وربيع لذاتي صفر
بالمشعرين وبالصفا * والبيت أقسم والحجر
وبمن سعى فيه ولبى واعتمر
لئن الشريف الموسوي ابن الشريف أبي مضر
أبدى الجحود ولم يرد الي مملوكي تتر
واليت آل أمية الطهر الميامين الغرر
وجحدت بيعة حيدر * وعدلت عنه الى عمر
واذا جرى ذكر الصحا * بة بين قوم واشتهر
قلت المقدم شيخ تيم ثم صاحبه عمر
ما سل قط ظبا على * آل النبي ولا شهر

كلا ولا صد البتو * ل عن التراث ولا زجر
وأثابها الحسنى وما * شق الكتاب ولا بقر
وبكيت عثمان الشهيـ*ـد بكاء نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته * جنح الظلام المعتكر
وقرأت من أوراق مصحفه البراءة والزمر
ورثيت طلحة والزبيـ*ـر بكل شعر مبتكر
وأزور قبرهما وأز * جر من لحانى أو زجر
وأقول أم المؤمنيـ * ن عقوقها احدى الكبر
ركبت على جمل لتصلح من بنيها فى زمر
وأتت لتصلح بين جيـ*ـش المسلمين على غرر
فأتى أبو حسن وسل حسامه وسطا وكر
وأذاق اخوته الردى * وبعير أمهم عقر
ما ضر لو كان كف وعف عنهم اذ قدر
وأقول ان امامكم * ولى بصفين وفر
وأقول ان أخطا معا * وية فما أخطا القدر
هذا ولم يغدر معا * وية ولا عمرو مكر
بطل بسوءته يقا * تل لا بصارمه الذكر
وجنيت من رطب النوا * صب ما تمر واختمر
وأقول ذنب الخارجيـن على على مغتفر
لا ثأر لقتلا لهم * فى النهروان ولا أثر
والاشعرى بما يؤو * ل اليه أمرهما شعر
قال انصبوا لى منبرا * فأنا البرىء من الخطر
فعلا وقال خلعت صا * حبكم وأوجز واختصر
وأقول ان يزيد ما * شرب الخمور ولا فجر
ولجيشه بالكف عن * أبناء فاطمة أمر
والشمر ما قتل الحسين ولا ابن سعد ما غدر
وحلقت فى عشر المحرم ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره * وصيام أيام أخر
ولبست فيه أجل ثو * ب للملابس يدخر
وسهرت فى طبخ الحبو * ب من العشاء الى السحر
وغدوت مكتحلا أصا * فح من لقيت من البشر
ووقفت فى وسط الطريـق أقص شارب من عبر

واكملت

www.dorat-ghawas.com

وأكلت جرجير البقو * ل بلحم جوني الجفر
وجعلتها خبر الما * كل والفواكه والخضر
وغسلت رجلي كله * ومسحت خفي في السفر
وأمين أجهر في الصلا * ة كمن بها قبلي جهر
وأسن تسنيم القبو * ر لكل قبر يحتفر
واذا جرى ذكر الغدير أقول ما صح الخبر
وسكنت جلق واقتديت بهم وان كانوا بقر
وأقول مثل مقالهم * بالفاشر يا قدفشر
مصطحتي مكسورة * وفطيرتي فيها قصر
بقر ترى برئيسهم * طيش الظليم اذا نفر
وخفيفهم مستثقل * وصواب قولهم هذر
وطباعهم كجبالهم * خبثت وقدت من حجر
مايدرك التشبيب تغريد البلابل في السحر
وأقول في يوم تحا * ر له البصائر والبصر
والصحف ينشر طيها * والنار ترمي بالشرر
هذا الشريف أضلني * بعد الهداية والنظر
مالي مضل في الورى * الا الشريف أبو مضر
فيقال خذ بيد الشر * يف لمستقر كما سقر
لواحة تسطو لها * تبقي عليه ولا تذر
والله يغفر للمسي * ء اذا تنصل واعتذر
فاخش الاله بسوء فعلك واحتذر كل الحذر
واليكها بدوية * رقت لرقتها الحضر
شامية لو شامها * قس الفصاحة لافتخر
وروى وأيقن انني * بحر وألفاظي درر
حبرتها فغدت كزهر الروض باكره المطر
والى الشريف بعثتها * لما قراها وانبهر
رد الغلام وما استمر على الجحود ولا أصر
وأثابني وجزيته * شكرا وقال لقد صبر

(ومن لطائف المنقول) مانقله الشيخ الامام العالم العلامة الحبر زين الدين أبو حفص عمر بن الوردي رحمه الله تعالى لما دخل دمشق المحروسة في أيام قاضي القضاة نجم الدين بن صصري الشافعي تغمده الله برحمته ورضوانه فاجلسه في صفة الشهود المعروفة بالشباك وكان الشيخ زين الدين يلبس زي أهل المعرة فاستزراه الشهود فحضر ركاب مشترى فقال بعضهم أعطوا

المعري يكتبه فقال الشيخ زين الدين ترجمون اكتبه نظما أو نثرا فزادا استهزاؤهم وقالوا نظما فاخذ القرطاس وكتب

بسم الاله الخالق هذا ما اشترى * محمد بن يونس بن سنقرا
من مالك بن أحمد بن الازرق * كلاهما قد عرفا من حلق
فباعه قطعة أرض واقعة * بكورة الغوطة وهي جامعه
لشجر مختلف الاجناس * والارض في البيع مع الغراس
وذرع هذي الارض بالذراع * عشرون في الطول بلا نزاع
وذرعها في العرض أيضا عشره * وهو ذراع باليد المعتبره
وحدها من قبلة ملك التقي * وحائز الرومي حد المشرق
ومن شمال ملك أولاد علي * والغرب ملك عامر بن جهبل
وهذه تعرف من قديم * بانها قطعة بيت الرومي
بيعا صحيحا لازما شرعيا * ثم شراء قاطعا مرعيا
بثمن مبلغه من فضه * وازنة جيدة مبيضه
جارية للناس في المعامله * الفان منها النصف ألف كامله
قبضها البائع منه وافيه * فعادت الذمة منه خاليه
وسلم الارض الى من اشترى * فقبض القطعة منه وجرى
بينهما بالبدن التفرق * طوعا لما لاحد تعلق
ثم ضمان الدرك المشهور * فيه على بائعه المذكور
واشهدا عليهما بذلك في * رابع عشر رمضان الاشرف
من عام سبعمائة وعشره * من بعد خمس تلوها الهجره
والحمد لله وصلى ربي * على النبي وآله والصحب
يشهد بالمضمون من هذا عمر * ابن المظفر المعري اذ حضر

(فلما فرغ) الشيخ زين الدين وتامل الجماعة سرعة بديهته مع استيعاب الشروط الشرعية اعترفوا بفضله واعتذروا اليه لما علموا انه ابن الوردي واجلسوه في الصدر ولكنهم عجزوا عن رسم الشهادة نظما وسألوه ذلك فكتب عن شخص منهم الى جانبه يدعى ابن رسول

قد حضر العقد لذاك أحمد * ابن رسول وبذاك يشهد

(تحفة من فوائد كتاب الانشاء) قال عبد الحميد كاتب مروان آخر ملوك بني أمية لو كان الوحي ينزل على أحد بعد الانبياء لنزل على كتاب الانشاء وقال البلاغة هي ما رضيته الخاصة وفهمته العامة (ومن كلامه) خير الكلام ما كان قليلا ومعناه بكرا (اسماعيل بن صبيح كاتب الرشيد) كتب الى يحيى بن خالد في شكر ما تقدم من احسانه تشاغل عن استبطاء ما تأخر منه جمع من الشكر والاستزادة بابلغ عبارة واوجز (عمرو بن مسعدة كاتب المأمون) كتب اليه كتابي هذا وأجناد أمير المؤمنين على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تاخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم

فقال

فقال المأمون لاحمد بن يوسف لله در عمرو ما أبلغه الا ترى الى ادماجه المسئلة فى الاخبار واعفائه من الاكثار (ابراهيم الصولى) كاتب المعتصم والواثق والمتوكل كان يقول التصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل من منشئه وكان يقول الخبز ليومه والطبيخ لساعته والنبيذ لسنته (ومن بديع نثره) ما كتبه عن أمير المؤمنين الى بعض الخسارجيين يتهددهم ويتوعدهم أما بعد فان لامير المؤمنين اناة فان لم تغن عقب بعدها وعيدا فان لم يغن اغنت عزائمه والسلام وهذا الكلام وجازته فى غاية الابداع وينشأ منه بيت شعر وهو

اناة فان لم تغن عقب بعدها * وعيدا فان لم يغن اغنت عزائمه

(وكان) يقول ما اتكلت فى مكاتبتى الا على ما يتخيله خاطرى ويجلس فى صدرى الا قولى وسار ما يحرزهم يبرزهم وما كان يعقلهم بعتقلهم وقولى من أخرى فانزلوه من معقل الى عقال وبدلوه آجالا من آمال فانى المحت بقولى آجالا من آمال بقول مسلم بن الوليد الانصارى المعروف بصريع الغوانى

موف على مهج فى يوم ذى وهج * كأنه أجل يسعى الى أمل

وفى المعقل والعقال بقول أبى تمام

فان باشر الاصحى فبالبيض والقنا * قراه واحواض المنايا مناهله
وان تبن حيطانا عليه فانما * اولئك عقالاته لا معاقله
والا فاعلمه بأنك ساخط * عليه فان الخوف لا شك قاتله

(ومن رقيق شعره) حين أحضر لمناظرته أحمد بن المدبر فقال ارتجالا

صدعنى وصدق الاقوالا * وأطاع الوشاة والعذالا
أتراه يكون شهر صدود * وعلى وجهه رأيت الهلالا

فطرب المتوكل واهتز وخلع عليه (ومن رقيق شعره أيضا قوله)

دنت بأناس عن تناء زيارة * وشط بليلى عن دنو مزارها
وان مقيمات بمنعرج اللوى * لاقرب من ليلى وهاتيك دارها

(الحسن بن وهب) سئل عن مبيته فقال شربت البارحة على عقد الثريا ونطاق الجوزاء فلما تنبه الصبح نمت فلم استيقظ الا بلبس قميص الصبح (بديع الزمان الهمدانى) الحمد لله الذى بيض القار وسماه الوقار وعسى الله ان يغسل الفؤاد كما غسل السواد (ومن انشائه البديع) قد يوحش اللفظ وكله ود ويكره الشئ وليس منه بد هذه العرب تقول لا أبا لك ولا يقصدون الذم وويل امه لامر اذاهم وسبيل ذوى الالباب فى الدخول من هذا الباب ان ينظروا فى القول الى قائله فان كان وليا فهو للولاء وان خشن وان كان عدوا فهو للبلاء وان حسن (ومن انشاء أبى القاسم على بن الحسن المعروف بالمغربى) وصلت الرقعة فاستخففت النسيم بالاضافة الى لطافتها واستثقلت عقود اللؤلؤ بالقياس الى خفة موقعها (ومن بديع انشائه) وغرقت فى هواجس الفكر ووساوس الذكر حتى ذ ستكم من شدة التذكر أو لقيتكم من حدة التصور والله تعالى اسأل ان يسقط بيننا فى تشاكى ألم الفراق اسناد القلم بمشافهة الفم للفم (أبو الحسن بن بسام) من انشائه عارض اذا همع استوشلت البحار ونجم

اذا طلع تضاءلت الشموس والاقمار وسابق لا يمسح وجهه الا بهياداب الغيوم وصارم لا يحلى غمده الا بافراد النجوم (ضياء الدين بن الاثير الجزرى) ودولته هى الضاحكة وان كان نسبها الى العباس وهى خير دولة اخرجت للدهر وربعا باهاخير امة أخرجت للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب الا تفاؤلا بانها الا تهرم وانها لا تزال محبوة من ابكار السعادة بالوصل الذى لا يصرم وله فى القلم فهو الملقب بالجواد المضمر واذا أخذت السوابق فى احضارها بلغ الغاية وما أحضر وله لون تحقق فيه القول النبوى لو جمعت الخيل فى صعيد لسبقها الاشقر (ومن انشاء القاضى تاج الدين بن الاثير) والمنجنيقات تفوق اليهم قسيها وتخيل لهم انها ساعية بحبالها اليهم وعصيها وهى للحصون من آكد الخصوم واذا امت حصنا حكم بانه ليس بامام معصوم ومتى امترى خلق فى آلات الفتوح لم يكن فيها أحد من الممترين واذا نزلت بساحة قوم فساء صباح المنذرين تدعى الى الوغا فتكلم وما أقيمت صلاة حرب عند حصن الا كان ذلك الحصن ممن يسجد ويسلم ولقد سهوت عن الصابئ وكان فى هذا الفن أمة وهو أبو اسحق ابراهيم بن هلال صاحب الرسائل المشهورة والنظم البديع كان كاتب الانشاء ببغداد عند الخليفة وعند معز الدولة بن بويه وكان متشددا فى دينه واجتهد معز الدولة ان يسلم فلم يفعل وكان يصوم شهر رمضان ويحفظ القرآن الكريم أحسن حفظ واستعمله فى رسائله والصابئ عند العرب من خرج عن دين قومه (قيل) للصابئ ان الصاحب بن عباد قال ما بقى من أوطارى وأغراضى الا ان املك العراق واتصدر ببغداد واستكتب الصابئ ويكتب عنى وأغير عليه فقال الصابئ ويغير على وان أصبت (ومن انشائه) ما كتب به الى أبى الخير عن رقعة وصلت تتضمن انه أهدى اليه جملا وصلت رقعتك ففضضتها عن بلاغة يعجز عنها عبد الحميد فى بلاغته وسحبان فى خطابته وتصرف بين جد أمضى من القدر وهزل أرق من نسيم السحر الا ان الفعل قصر عن القول لانك ذكرت جملا جعلته لصفتك جملا وكان المعيدى ان تسمع لا أن تراه صغر عن الكبر وكبر عن القدم يعجب العاقل من حلول الحياة به ومن تأتى الحركة فيه لانه عظم مجلد قد طال للكلا فقده وبعد بالمرعى عهده لم ير القت الا نائما ولا عرف الشعير الا حالما وقد كنت ملت الى استبقائه لما تعرفه من محبتى للتوفير ورغبتى فى التثمير فلم أجد فيه مستبقى لبقاء ولا مدفعا لعناء لانه ليس بانثى فتلد ولا بفتى فينسل ولا بصحيح فيرعى ولا بسليم فيبقى فقلت اذبحه ليكون وظيفة للعيال وأقيم رطبا مقام قديد الغزال فأنشدنى وقد أضرمت النار وحددت الشفار

أعيذها نظرات منك صادقة * ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

ولست بذى لحم فاصلح للاكل لان الدهر قد أكل لحمى ولا بذى جلد يصلح للدباغ لان الايام قد مزقت أدمى ولا بذى صوف يصلح للغزل لان الحوادث قد حصت وبرى الا ان تطالبنى بذحل أو بينى وبينك دم فوجدته صادقا فى مقالته ناصحا فى مشورته ولم أعلم من أى أمريه أعجب أمن مطالبته الدهر بالبقاء أم من صبره على الضر والبلاء أم من قدرتك عليه مع عدم مثله أم من هديتك اياه لصديق مع خساسة قدره ويا ليت شعرى ما كنت مهديا للوافى رجل من عرض الكتاب كأبى على وأبى الخطاب ما كنت مهديا الا كلبا أجرب أو قردا

www.dorat-ghawas.com

أحدب والسلام (وله من رسالة) هو أخفض قدرا ومكانه وأظهر عجزا ومهانه من أن يستقل به قدم في مطاولتنا أو تطمئن له ضلوع في منابذتنا وهو في نشوزه عنا وطلبنا اياه كالضالة المنشوده والظلامة المردوده وكان له عبد اسمه يمن وكان يهواه وله فيه المعاني البديعة فمن ذلك قوله فيه

قد قال يمن وهو أسود للذي * ببياضه استعلى علو الخائن
مالفخر وجهك بالبياض وهل ترى * ان قد أفدت به مزيد محاسن
ولو ان مني فيه خالا زانه * ولو ان منه في خالا شانني

(الصاحب بن عباد) من بلاغاته المخترعة انه قيل له ماهو أحسن السجع قال ماخف على السمع قيل مثل ماذا قال مثل هذا وسئل ابن العميد عن بغداد فقال بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد (وله جواب كتاب) وصل كتاب مولاي فكانت فاتحته أحسن من كتاب الفتح وواسطته أنفس من واسطة العقد وخاتمته أشرف من خاتم الملك (ومن) شعره يرثي كثير بن أحمد الوزير

يقولون قد أودى كثير بن أحمد * وذلك رزء في الانام جليل
فقلت دعوني والعلا نبكه معا * فمثل كثير في الرجال قليل

(القاضي الفاضل أبو علي عبد الرحيم) علم المتقدمين والمتأخرين وزير السلطان صلاح الدين ابن أيوب الملقب بالملك الناصر تمكن منه غاية التمكين وبرز في صناعة الانشاء على المتقدمين قال ابن خلكان في تاريخه (أخبرني) أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره ان مسودات رسائله اذا جمعت ماتقصر عن مائة مجلد وهو مجيد في أكثرها (وذكر) ابن خلكان في تاريخه أيضا ان العماد الكاتب قال في الخريدة هو كالشريعة المحمدية التي نسخت الشرائع وكانت ولادته خامس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة بمدينة عسقلان وولي أبوه القضاء ببيسان فلهذا انسبوه اليها (وقال) الفقيه عمارة اليمني في كتاب النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية في ترجمة العادل بن الصالح بن رزيك ومن أيامه الحسنة التي لاتوارى بل هي اليد البيضاء التي لاتجارى خروج أمره الى والي الاسكندرية باحضار القاضي الفاضل الى الباب واستخدامه بحضرته في الديوان فانه عروس الدولة بل للملة شجرة مباركة متزايدة النماء أصلها ثابت وفرعها في السماء (وتوفي الفاضل) في ليلة الاربعاء سابع ربيع الاول سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن في تربته بسفح المقطم في القرافة الصغرى (قال) ابن خلكان كان القاضي الفاضل من محاسن الدنيا وهيهات أن يخلف الزمان مثله (فمن انشائه المرقص المطرب قوله) وقد كان يقال ان الذهب الابريز لاتدخل عليه آفه وان يد الدهر البخيله به كافه وأنتم يابني أيوب أيديكم آفة نفائس الاموال كما ان سيوفكم آفة نفوس الابطال فلو ملكتم الدهر لامنطيتم لياليه أداهم وقلدتم أيامه صوارم ووهبتم شموسه وأقماره دنانير ودراهم وأيام دولتكم اعراس ومامتم فيها الاعلى الاموال مأتم والجود في أيديكم خاتم ونفس حاتم في نقش ذلك الخاتم (ومن انشائه في كاحل) كأنه غاسل يدخل الى انسان العين بحنوط من كحله المعون لعلة المنون

ويدرجه في كفن من الخرقة السوداء التي يلبسها سواد العيون يتقل العين الى بياض
الثغور ويسلبها سواد اللما وما برحت عصبه مرذودة ولديها عصا الثما قد انتهى الى فوق
ما يضرب به المثل اذ قيل يسرق الكحل من العين فهذا يسرق العين من الكحل وهو لص من
أكابر اللصوص وسموا كحالين وهم صاغة لما يركبون فوق العين من الفصوص قد أودع كحله ١
حزن يعقوب فمن كحل منه ابيضت عيناه وحد مجز القميص اليوسفي فلو مروا به على ناظر
انقرحت جفناه وهو من الذين اذا رفعوا أميالهم فانما هي لشمس العيون مرولة واذا أولج
أحدهم الميل في المكحلة فهو أولى بالرجم ممن أولج الميل في المكحلة (ومن انشائه) سقى الله
ثراه والجو يتنفس عن صدر مسجور كصدر المهجور والحر وصاليه في هذا التهجار
ومجرور والهامه قد نشرت فيها ملاءة السراب وزخرفها بحر ماء ولد لغير رشدة على غير فراش
السحاب وحر الرمل قد منع حث الرمل ونحن في أكثر من جموع صفين الا أنما نخاف وقعة الجمل
ووردنا ماء هذه العيون وهو كالجمار يقترف منه المجرم مثل عمله ويرسله سهما فلا يخطئ نقرة
مقتله وهو مع هذا قليل كأنه مما جادت به الآماق في ساحات المفاق لا في ساعات الفراق
فيالك من ماء لا تميز اوصافه من التراب ولا يرتفع به فرض التيمم كما لا يرتفع بالسراب ولا يعدو
ما وصف به أهل الجحيم في قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس
الشراب فنحن حوله كالعواثد حول المريض يعللون عليلا لا يرد الجواب بل يشدبون ميتا ٢
قد حال بينه وبينهم التراب يجهز للدفن ونعشه المراد ويحفر عليه ايقوم من قبره وذلك
خلاف المعتاد * وفي غير من قدوارت الارض فالمدمع * على أنه لو كان دمعا لما بل
الاجفان ولو كان مالا لما رفع كفة الميزان (ومن انشائه) الى أن يرد كتب العسكر وأعلامها
من مدات الفاته ورؤس العدا قطعات همزاته (ومنه) فنبتت سنابك الخيل سماء من
العجاج نجومها الاسنه وطارت البهم عقبان الخيول قوادمها القوائم ومخالبها الاعنه
ونصوبت عيون السمر الى قلوبهم كأنما تطلب سوادها وقصدت أنهار السيوف صدورهم
لتروي أكبادها (ومنه) وما أحسب الاقلام جعلت ساجدة الا لان طرسه محراب ولا أنها
سميت خرسا الا قبل أن ينفث سيدنا في روعها رائع هذا الصواب ولا أنها اضطجعت الا
لبيبتها ما ينفخ فيها من روحه من مرقدها ولا سودت رؤسها الالانها أعلام عباسية تناولتها
الحضرة بيدها لا جرم أنها تحامي الحمى وتسفك دما وتحقن دما وتتشبه بهابده عنانا وترسلها
فتعلم الفرسان ان في الكتاب لفرسانا وتقوم الخطباء بما كتبت تعلم الالسنة ان في الايدي
كما في الافواه لسانا (قلت ومن مخترعاته قوله) وان ادعى سحر البيان انه يقضي أيسر حقوقه
ويثمر ما يجب من شكر فروعه وعروقه كنت أفصح بالمل سحره وأذيقه وبال أمره وأسلب
انفو المرة السحارة على جذوع الاقلام وأعقد ألسنتها كما تعقد السحرة الالسنة عن
الكلام (ومن أنشائه في وفاء النيل المبارك عن الملك الناصر صلاح الدين نور الله ضريحه)
نعم الله سبحانه وتعالى من أضوئها بزوغا وأصفاها سبوغا وأصفاها ينبوعا وأسناها
منفوعا وأمدها بحر مواهب وأنجحها حسن عواقب النعمة بالنيل المصري الذي يبسط
الآمال ويقبضها مده وجزره ويربي النبات جره ويحيي مطلقه الحيوان ويجني ثمرات

الارض صنوان وغير صنوان و ينشر مطوى حريرها و ينشر مواتها و يوضح معنى قوله عزوجل وبارك فيها وقدر فيها أقواتها وكان وفاء النيل المبارك تاريخ كذا فاسفر وجه الارض وان كانت تنقب وأمن يوم بشراه من كان خائفا يترقب ورأينا الابانة عن لطائف الله التى حققت الظنون ووفت بالرزق المضمون ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقد أعلمناك لتوفى حقه من الاذاعه وتبعده من الاضاعه وتتعرف على ما يصرفك فى الطاعه وتشهر ما أورده البشير من البشرى باباتته وتمده بايصال رسمه مهنأ على عادته (ورسم لى فى الايام المؤيدية وأنا منشئ الديوان الشريف المؤيدى) سنة تسع عشرة وثمانمائة ان انشئ رسالة بوفاء النيل المبارك لم أسبق اليها عمن تقدمنى من المنشئين بالديار المصرية حتى ان المقر الاشرف المرحومى القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى سقى الله ثراه قرأ على المسامع الشريفة هذه الرسالة المسطرة ورسالة من انشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة وكان غرضه فى ذلك اختبار الالفاظ والمعانى من الرسالتين فانشأت بعد المستعان بالله * ونبدى لعلمه الكريم ظهور آية النيل الذى عاملنا فيه بالحسنى وزياده واجراه لنا فى طرق الوفاء على اجمل عاده وخلق أصابعه ليزول الابهام فاعلن المسلمون بالشهادة كسر جسره فامسى كل قلب بهذا الكسر مجبورا واتبعناه بنوروز وما برح هذا الاسم بالسعد المؤيدى مكسورا دق قفا السودان فالراية البيضاء من كل قلع عليه وقبل ثغور الاسلام وارشفها ريقه الحلو فمالت اعطاف غصونها اليه وشبب غريره فى الصعيد بالقصب ومد سبائكه الذهبية الى جزيرة الذهب فضرب الناصرية واتصل بام دينار وقلنا انه صبغ بقوة لما جاء وعليه ذلك الاحمرار وأطال الله عمر زيادته فتردد فى الآثار وعمته البركة فاجرى سواقى مكة الى ان غدت جنة تجرى من تحتها الانهار وحضن مشتهى الروضة فى صدره وحنا عليها حنو المرضعات على الفطيم وارشفه على ظما زلالا * ألذ من المدامة للنديم وراق مديد بحره لما انتظمت عليه تلك الابيات وسقى الارض سلافته الحمرية فخدمته بحلو النبات وادخله الى جنات النخيل والاعناب فالق النوى والحب فارضع جنين النبت واحيا له أمهات العصف والاب وصافحته كفوف الموز فختمها بخواتمه العقيقية والبس الورد تشريفه وقال ارجوان تكون شوكتى فى ايامه قويه ونسى الزهرى بحلاوة لقائه مرارة النوى وهامت به مخدرات الاشجار فارخت ضفائر فروعها عليه من شدة الهوى واستوفى النبات ما كان له فى ذمة الرى من الديون ومازج الحوامض بحلاوته فهام الناس بالسكر والليمون وانجذب اليه الكباد وامتد ولكن قوى قوسه لما حظى منه بسهم لا يرد ولبس شربوش الاترج وترفع الى ان لبس بعده التاج وفتح منثور الارض اعلامه بسعة الرزق وقد نفذ أمره وراج فتناول مقالم الشنبر وعلم باقلامها ورسم لمحبوس كل سد بالافراج وسرح بطائق السفن فخفقت أجنحتها بتعلق بشائره وأشار باصابعه الى قتل المحل فبادر الخصب الى امتثال أوامره وحظى بالمعشوق وبلغ من كل منية مناه فلا سكن على البحر الا تحرك ساكنه بعد ما تقعقع واتقن باب المياه ومد شفاه أمواجه الى تقبيل فم الخور وزاد بسرعته فاستحلى المصريون زائده على الفور ونزل فى بركة الحبش فدخل التكرور فى طاعته وحمل على الجهات البحرية فكسر

المنصورة وعلا على الطويلة بشهامته وأظهر في مسجد الخضر عين الحياة فأقر الله عينه وصار أهل دمياط في برزخ بين المالح وبينه وطلب المالح رده بالصدر وطعن في حلاوة شمائله فما شعر الا وقد ركب عليه ونزل في ساحله وأمست واوات دوائره على وجنات الدهر عاطفه وثقلت أرداف أمواجه على خصور الجواري فاضطربت كالخائفه ومال شبق النخيل اليه فلثم ثغر طلعه وقبل سالفه وامست سود الجواري كالحسنات في حمرة وجناته وكلما زاد زاد الله في حسناته فلا فقير سد الا حصل له من فيض نعماه فتوح ولا ميت خليج الا عاش به ودبت فيه الروح ولكنه أحمرت عينه على الناس بزيادة وترفع فقال له المقياس عندي قباله كل عين اصبع فنشر اعلام قلوعه وحمل وله على ذلك الخرير بحجره ورام ان يهجم على غير بلاده فبادر اليه عزم المؤيدي وكسره وقد أثر دالمقر بهذه البشرى التي عم فضلها برا وبحرا وحدثناه عن البحر ولا حرج وشرحنا له حالا وصدرا ليأخذ حظه من هذه البشارة البحرية بالزيادة الوافرة ويتنشق من طيبها انشراحا فقد حملت له من طيبات ذلك النسيم انفاسا عاطره والله تعالى يوصل بشائرنا الشريفة بسمعه الكريم ليصير بها في كل وقت مشنفا ولا برح من نيلها المبارك وانعامها الشريف على كلا الحالين في وفا (قلت تقدم) قولي ان الشيء بالشيء يذكر وقد ذكرت بوصف النيل المبارك هما رسالتي البحرية التي كتبت بها الى علامة عصرنا الشيخ بدر الدين الدماميني فسح الله في أجله من القاهرة المحروسة الى ثغر الاسكندرية المحروسة عند دخولي اليها من ثغر طرابلس الشأم وقد عضت على انياب الحرب بثغرها شانيا من أهوال برها وبحرها وذلك في منتصف ربيع الآخر سنة اثنين وثمانمائة (وهي) يقبل الارض التي سقى دوحها بنزول الغيث فاثمر الفوائد البدريه وطلع بدر كمالها من المغرب فسلمنا معجزاتها المحمديه وجرى لسان البلاغة في ثغرها فسما على العقد بنظمه المستجاد وأنشد وقد ابتسم عن محاسنه التي لم يخلق مثلها في البلاد

لقد حسنت بك الايام حتى * كأنك في فم الدهر ابتسام

فأكرم به مورد فضل ما برح منهله العذب كثير الزحام ومدينة علم تشرفت بالجناب المحمدي فعلى ساكنها السلام ومجلس حكم ما ثبت للباطل به حجه وعرفات أدب ان وقفت بها وقفة كنت على الحقيقة ابن حجة وأفق معال بالغ في سمو بدره فلم يقنع بدون النجوم وميدان عرشه تجول به فرسان الفصاحة من بني مخزوم وتالله ما لفرسان الشعراء والابلق في هذا الميدان مجال واذا اعترفوا بما حصل للفارس المخزومي عندهم من الفتح كفى الله المؤمنين القتال وينهي بعد أدعية ما برح المملوك منتصبا لرفعها وثغر ثلاثية ما أسجع المطوق في الاوراق النباتية حلاوة سجعها وأشواق برحت بالمملوك ولكن تمسك في مصر بالآثار وابرح ما يكون الدهر يوما اذا دنت الديار من الديار وصول المملوك الى مصر محتميا بكنانتها وهو بسهام البين مصاب مذعور لما شاهده من المصارع عند مقابلة الفرسان في منازل الاحباب مكافحا من ثغر طرابلس الشأم بألسنة الرماح محمولا على جناب غراب وقد حكم عليه البين ان لا يبرح من سفره على جناح

وكان في البين ما كفاني * فكيف بالبين والغراب

(يامولانا) لقد قرعت سن هذا الثغر بأصابع السهام وقلع منه ضرس الامن ولم يبق له بعد ما شعر به البين نظام وكسرت الحرب فى ثناياه عن انياب واقتلعنا منه مع انهم لم يتركوا لنا فيه ثنية ولا ناب وأمست شهب الرماح قافية على آثارنا والسابق منا الجواد ولزمت الروى من دمائنا لئلا يظهر لقافيتها عند نظم الحرب سناد وفسد انسجام تلك الابيات المنظومة على ذلك البحر المديد وبدلت جنتها بنار الحرب التى كم تقول لها هل امتلأت وتقول هل من مزيد ونفذ حكم القضاء وكم جرح خصم السيف فى ذلك اليوم شهودا واتصل الحكم بقضاء القضاة فلم يسلم منهم الا من كان مسعودا ووقع غالبنا فى القبض من عروض حزمهم الطويل وتبدلت محاسن طرابلس الشأم بالوحشة فلم نفارقها على وجه جميل وتالله لم يدخلها الملوك فى هذه الواقعة الا مكرها الابطل وكم قلت لسارية العزم لما كشف لى عن مضيق سهلها ياسارية الجبل ولم يطلق الملوك عروس حماته الاجبرا أظهروا به كسره والعلوم الكريمة محيطة كيف يكون طلاق المكره يامولانا

بوادى حماة الشأم من أيمن الشط * وحملك تطوى شقة الهم بالبسط
بلادا اذا ماذقت كوثر مائها * اهيم كانى قد ثملت باسفنط
ومن يجتهد فى ان بالارض بقعة * تشا كلها قل أنت مجتهد مخطى
وصوب حديثى مائها وهوائها * فان أحاديث الصحيحين ماتخطى
بمعصمها ان دار ملوى سوارها * فذا الشأم بالخلخال أو مصر بالقرط
تنظم بالشطين درثمارها * عقودا لها العاصى رايناه كالسمط
وترخى علينا للغصون ذوائبا * يسرحها كف النسيم بلا مشط
ومذ مد ذاك النهر ساقا مدملجا * وراح بنقش النبت يمشى على بسط
لوينا خلاخيل النواعير فالتوت * وأبدت لنا دورا على ساقة السبط
سقى سفحها ان قل دمعى سحابة * مطنبة بالدمع مهملة النقط
ويا أسطر النبت التى قد تسلسلت * بصفحتها لا زلت واضحة الخط
ولا زال ذاك الخط بالطل معجما * ومن شكل أنواع الازاهر فى ضبط
لويت عنانى فى حماها عن اللوى * وهمت بها لا بالمحصب والسقط
ولذ عناق الفقر لى بفنائها * وفى غيرها لم أرض بالملك والرهط
منازل أحبابى ومنبت شعبتى * وأوطان أوطارى بها ورضا سخطى
نعمت بها دهرا ولكن سلبته * برغمى وهذا الدهر يسلب ما يعطى
وقد جاء شرط البين انى اغيب عن * حماها القدا وفى فؤادى بالشرط
وحط على الدهر عمدا وشالنى * الى غيرها صبرا على الشيل والحط
وسبحة جمع الشمل كانت لنا بها * منظمة لكن نضى الدهر بالفرط
امثل شوقا شكلها فى ضمائرى * فتتبع عينى ذلك الشكل بالنقط
وقد سار يمشى الهم نحوى بسرعة * فياليته لو كان فى مشيه يبطى
وأصبح نظمى راجعا بى الى ورا * كأنى فى الديوان أكتب بالقبطى

(يامولانا) وابتلينا مالقيت من أهوال هذا البحر واحدث عنه ولاحرج فكم وقع المملوك من
من أعار يضه في زحاف تقطع منه القلب لما دخل الى دوائر اللجج وشاهدت منه سلطانا جائرا
يأخذ كل سفينة غصبا ونظرت الى الجواري الحسان وقد رمت أزر قلوعها وهي بين يديه لقلة
رجالها تسبى فتحققت ان رأى من جاء يسعى في الفلك جالسا غير صائب واستصوبت هنا
رأى من جاء يمشي وهو راكب وزاد الظمأ بالمملوك وقد اتخذ بالبحر سبيله وكم قلت من شدة
الظما ياترى قبل الحفرة هل أطوى من البحر هذه الشقة الطويلة

وهل أبا كر بحر النيل منشرحا * واشرب الحلو من أكواب ملاح

بحر تلاطمت علينا أمواجه حين متنا من الخوف وحملنا على نعش الغراب وقامت واوات
دوائره مقام مع فنصبتنا للغرق لما استوت المياه والاخشاب وقارن العبد فيه سوداء استرقت
موالينا وهي جارية وغشيهم منها ما غشيهم فهل أتاك حديث الغاشية واقعها الحرب
فحملت بنا ودخلها الماء فجاءها المخاض وانشق قلبها القعدر جالها وجرى ماجرى على ذلك
القلب وفاض وتوشحت بالسواد في هذا المأتم وسارت على البحر وهي مثل وكم سمع
للغاربة على ذلك التوشيح زجل برج ماتي ولكن تعرب في رفعها وخفضها عن النسر والحوت
وتتشامخ كالجبال وهي خشب مسندة من تبطنها عد من المتصبرين في تابوت تأتي بالطباق
ولكن بالقلوب لان صغيرها كبير وبياضها سواد وتمشي على الماء وتطير مع الهواء وصلاحها
عين الفساد ان نقر الموج على دفوفها العبث أنامل قلوعها بالعود ورقصا على آلتها الحدباء
فتقوم قيامتنا من هذا الرقص الخارج ونحن قعود تتشاءم وهي كما قيل انف في السماء
واست في الماء وكم نطيل الشكوى الى قامة صاريها عند الميل وهي الصعدة الصماء فيها
الهدى وليس لها عقل ولا دين وتتصابى اذا هبت الصبا وهي بنت أربعمائة وثمانين وتوقف
أحوال القوم وهي تجري بهم في موج كالجبال وتدعي براءة الذمة وكم استغرقت امم من
أموال هذا وكم ضعف نحيل خصرها عن تثاقل ارداف الامواج وكم وجلت القلوب لما
صار لاهداب مجاديفها في مقلة البحر اختلاج وكم أسبلت على وجنته طرة قلعها فبالغ
الريح في تشويشها وكم مر على قريتها العامرة فتركها وهي خاوية على عروشها تتعاظم
فتهزل الى ان ترى ضلوعها من السقم تعد ولقد رأيناها بعد ذلك قد تبت وهي حمالة الحطب
في جيدها حبل من مسد وخلص المملوك من كدر المالح الى النيل المبارك فوجده
من أهل الصفا واخوان الوفا وتنصل من ذلك العدو الازرق ذي الباطن الكدر وجمع
من عذوبة النيل ونضارة شطوطه بين عين الحياة والخضر وتلا لسان الحال على المملوك
وأصحابه ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقضي الامر وقيل بعدا للقوم الظالمين (وبعد) فان
المملوك يسأل الاقالة من عثرات هذه الرسالة فقد علم الله انها صدرت من فكر تركه البين
مشتتا وأعضاء مع كثرة بردها قد خرجت من البحر عارية في فصل الشتاء وليستر عوراتها
بستائر الحلم وينظر اليها من الرحمة بعين وليكن ضربها بسيف النقد صفحا فقد كفى ما جرحت
بسيوف البين وتالله لم يسلك المملوك هذه الجادة الا ليجد له سبيلا الى نهلة من عذب تلك الموارد
ويعود على الضعيف الذي قطعت صلاته من صفاء هذا المشرب عائد ويصير العبد مسعودا اذا

عد للابواب العالية من جملة الخدام ويحصل لكبده الحراء من ذلك النسيم الغربي برد وسلام والله تعالى يمن بقرب المثول بين يديه ليحصل للمملوك بعد التخلف من البين حسن الختام (القاضي السعيد) هبة الله بن سناء الملك وان الشوق بحر وقلبه والله الغريق بامواجه وجمر وصدره المظلم بسراجه (ومن انشائه) فالاسلام من طلقاته والكفر مجاهد ولكن باتقائه وسيوفه تحسن في الاجسام البسط وفي الارواح القبض ورماحه تكاد لطولها تمسك السماء ان تقع على الارض (ومن انشائه) وكيف لا يحمد المملوك تلك الاشواق وهي تقربه من المولى بالتخييل اذا أبعدته الايام وتمثل المقام الكريم فيقابله كل ساعة بالسجود ويشافهه بالسلام ويرفع ناظره فلولا نظره اليه لكانت عينه مطرقه وسور اهداية مسبلة وأبواب جفونه مغلقه ولولا اشتغالها بمطالعة طلعته لالتهب من دموعها بمياه محرقه فهو منها في نار وجنه مغلول بغله مطوق بمنه (ومن انشائه) وافقد أذساه فراق مولاه حروف المعجم فما يعرف منها حرفا وعاقب خاطره الذي كفر بالبلاد فاسقط عليه من سمائها كسفا شوق ما خطر مثله على قلب بشر ودمع ما مر على بصر الا ومر كلمح بالبصر ولسان لا ينفك من الدعاء على يوم الفراق ومن دعا على ظالمه فقد انتصر (القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر) خليفة القاضي الفاضل (ومن انشائه قوله) نعلمه بفتوحات استطعم الايمان حلاوتها من اطراف المران واستنطق الاسلام عبارتها من ألسنة الخرصان وذلك بفتح حصن الاكراد الذي كان في حلق البلاد الشامية غصة لم تسغ بمياه السيوف المجرده وشجى في صدرها لم تقومه أدوية العزائم المفرده (ومن انشائه) بابطال الحشيش بعد الخمر نعلمه ان المنكرات أمران تملأ الصحائف بآجرها وتفرغ الصحاف وان لا يخلو بيت من بيوتها من كسر أو زحاف وقد بلغنا الآن انها اختصرت وان كلمة الشيطان بالتعريض عنها ما قصرت وان أم الخبائث ما عقمت وان الجماعة التي كانت ترضع ثدى الكاس عن ثديها ما فطمت وانها في النشوة ما خيب ابليس مسعاها وانها لما أحرج المنع عنها ماء الخمر أخرج لها من الحشيش مرعاها وانها استراحت من الخمار واستغنت بما تشتريه بدرهم عما كانت تبتاعه من الخمر بدينار وان ذلك فشا في كثير من الناس وعرف في عيونهم ما يعرف من الاحمرار في الكاس وساروا كأنهم خشب مسندة سكرا واذا مشوا يقدمون لفساد عقولهم رجلا ويؤخرون أخرى ونحن نأمر بان تجتنب أصولها وتقلع ويؤدب غارسها حتى يحصد الندامة مما زرع وتطهر منها المساجد والجوامع ويشهر متعملها في المحافل والمجامع حتى تنتبه العيون من هذا الوسن وحتى لا تشتهي بعدها خضراء ولا خضراء الدمن (ومن انشائه) عن لسان الشريف الى الفرنج وقد أخذت شواني السلطان وفرق بين من يتصيد بالصقور من الخيل العراب وبين من اذا افتخر قال تصيدت بغراب فلئن أخذتم لنا قرية مكسوره فكم أخذنا لكم قرية معموره وقد قال الملك وقلما وعلم الله ان قولنا من الصحيح وانكل وانكالنا وأين من اتكل على الله ممن اتكل على الريح (ومن انشاء الصدر عز الدين بن سبينا) في بشارة بكسر عساكر الفرنج عن الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة اثنتين وأربعين وستمائة (فلا) روضة الادرع ولا جدول الاحسام ولا غمامة الانقع ولا وبل الاسهام ولا مدامة الادم ولا نغم

www.dorat-ghawas.com

الاصايل ولا معربد الا قاتل ولا سكران الا قتيل حتى أنبت كافور الرمال شقيقا واستحال بلور الحصباء عقيقا وازدحمت الجنائب فى الفضاء فجعلته مضيقا وضرب النقع فى السماء طريقا (شعر)

وضاقت الارض حتى كاد هاربهم * اذا رأى غير شئ ظنه رجلا

(قلت ذكرت) بهذا التلاعب المطرب من انشاء الصدر عز الدين تلاعب القاضى محيى الدين ابن عبد الظاهر فى شفاعة ما نسج على منوالها (وهى) أدام الله نعمة مولانا ولا زال علم علاه مرفوعا أبدا وبناء مجده منصوبا بخفض العدا ولا برحت اقلامه لافعال الشك جازمه ولاعدائه متعدية ولآرائه لازمه (أما بعد) فان فلانا حضر وادّعى انه رخم فى غير النداء وجزم والجزم لا يدخل فى الاسماء واستثنى من غير موجب بخفض والخفض من أدوات الاستثناء وذكر ان العامل الذى دخل عليه منعه من الصرف ولزمه لزوم البناء واجتمع معه فى الشرط وأفرده بالجزاء والمأثور من مكارم مولانا نصب محله على المدح لا على الاغراء ورفع اسمه المعرى من العوامل على الابتداء ففيه من التمييز والظرف ما يوجب العطف ومن المعرفة والعدل ما يمنعه من الصرف لا زال مولانا بابا للعطف والصله ومآثر مكارمه متصلة لا منفصله (قلت) قد انتهت الغاية هنا الى التحلى باقطر النباتى وقدعنّ لى أن أورد هنا حظيرة الانس الى حضرة القدس فانها من بديع انشائه وهى فى رحلته الى القدس الشريف مع الصاحب أمين الدين (وهى) الحمد لله حافظ سر الملك بأمينه وحامى حماه بمن قسم الشكر والاجر بين دنياه ودينه ومن اذا رفعت راية تمجد تلقاها عرابة براعته بيمينه واذا امتدت اليه أجياد الممالك حلاها من عقد التدبير بثمينه واذا نوى فى السيادة فعلا أمضى العزم السنى قبل دخول سينه واذا اخل بنانه القلم روينا عن ابن بحر كتاب بيانه فى الفضل وتبيينه وصلى الله على سيدنا محمد الذى أيد بالروح الامين وعضد بوزراء آله وصحبه الغر الميامين وسلم عليه وعليهم سلاما باقيا الى يوم الدين (أما بعد) فان الله سبحانه وتعالى لما يريد من صلاح عباده وانتظام هذا العالم الارضى فى سلك سداده وتمام أمره بهذا السواد الاعظم بمدبره تماما خط الطرس بسواده جعل لكل دولة قائمة وزيرا قائما بتدبيرها مفرعا غصن القلم بتثميرها منفذا أمر سلطانها ومبلغا أحكام عدلها واحسانها يبنى جمالكها على الاسل من اقلامه ويحوط اطرافها الحالمة الزهر بكمامه ويحفها باوصاف وزيرية يعقد عليها العدل خنصره ويشضح بها أوجه الاستحقاق من ابهامه (وكان) صاحب هذه الدولة التى خضعت لها الدول وفاضل أمرها الجليل وراسخ دوحها الذى ما مال مع الهوى وقديم صحائفها الذى تلا تسديده ما ضل صاحبكم وما غوى وضابط أمورها الذى طال ما استشرفت اليه اسماع وأبصار وانتصرت به تقديم هجرته فلا غرو ان صار من المهاجرين بها والانصار المقر الاشرف الصاحبى الوزيرى الامينى أعلى الله تعالى أبدا شانه ورفع على فرق الفرقدين مكانه وزان باقلامه أقاليم مصر فهذه سهام وهذه كنانه ممن استدعته رواة المحافل وترددا فى المناصب العلية ترددا الاقمار فى المنازل وجمع الاوصاف الوزيرية جمع أبى جاد للحروف وتنبه قلمه ونامت ملء أجفانها السيوف وعرف بالسيادة والزهد فعلى كلا الحالين هو السرى وقدره معروف وكنت أود لو نقلت

الشهادة

الشهادة بصفاته عن الخبر الى المعاينه وجمعت بملازمة مقره الشريف الظاهر الوصف باطنه ورويت الاخبار عن لسنه وجنيت الورد من غصنه بل التبر من معدنه هذا واشغاله بتدبير الدول شاغله وأيام البعد عند فراغه بيني و بين القصد حائله (فلما) عزم بدمشق المحروسة سنة خمس وثلاثين على زيارة القدس الشريف أطلع رأيه الشريف على ما في خاطري وأمرني بالمسير في ظل ركابه فسر على الحقيقة سائري وكاشف ولا ينكر الكشف لمن كثرت زواياه في البلاد ونظر لحالي ولا ينكر النظر في الاحوال لسيد الوزراء والزهاد وكان له في استصحابي مقصد تقبل الله عمله الصالح ومتجره الرابح وذلك اني كنت لابسا ثياب الحزن على ولدي مقيما بين المقابر اقامة تفت حبة قلبي على قطعة كبدي ساقيا روض الحزن بغمائم الجفون باكيا على دينار وجهه عاجلته الايام بصرف المنون أطلب قلبي في التراب وأنشده وأطارح صوت الصدا فينشدني وأنشده شعر

يا لهف قلبي على عبد الرحيم ويا * شوقي اليه و يا شجوي و يا داني

في شهر كانون وافاه الحمام لقد * أحرقت بالنار يا كانون احشائي

وقال أيضا

آها لعقد قد وهي سلكه * وكان ذا در بعبد الرحيم

فليتني لا قيت عنه الردى * وعاد ذاك الدرد رايتيم

فاقتضى تدقيق النظر الصاحبي في اسداء العوارف وابداء عواطف الفضل وفضل العواطف ان ينزع عني بصحبة ركابه الكريم لباس الباس ويشغلني بمشافهة الانس القابل الاهكذا فليصنع الناس و ينهضني بالانعام من حوادث الزمن ويقرب مثلي قربا لا يفطن لمثله الامن ومن فيا لها سفرة قابلها وجه الاقبال بالسفور وتلا فضلها الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ومد فيها الانعام على ظلا ظليلا وملأ بيني وعيني دقيقا وجليلا وأمرني ان أصف له المنازل والطرق وصفا كقصده الجميل جميلا فسرنا وأيدي السعد قد ذللت الطرق بل طوتها وقدمت وعود الآمال بل انجزتها والارض قد شرعت في لباس حليها وحلاها ومراعي الربيع قد وعدت حتى الشمس تحمي حماها والشتاء قد آن أن يقوض الخيام والافق قد شمر للانصراف ذيل الغمام ومبدأ الروض أحق بقول أبي الطيب المتنبي

لقد حسنت بك الايام حتى * كانك في فم الدهر ابتسام

فأتينا الكسوة فلبسنا منها للمسرة ثيابا سابغة الذيول وطفنا منها بكعبة الفضل طوافا واضح الاقبال والقبول وقلنا للمقاصد تباشري بالحظوه ولعيون الاقبال تاملي لها أحسن الكعبة في الكسوة ومررنا والخيل تحمحم زجرا وجزنا بالصنمين فهمت أن تفخر بمواطئ خيلنا على اللات والعزى وصعدنا منزلة رأس الماء فكاد الطرب يهزه هزا ورأينا بينها و بين منزلة المغير أرضا قد اخضر جنابها وطرزت بآثار الطرف ثيابها فأمرت بالقول فقلت

سقى الله أرضا طرقها امثل طرزها * وسائرها برد من الوشي أخضر

تذكرت أحبابي بمثوى بريدها * فعيني رأس الما وجسمي المغير

ووافينا الحصين وقد راغت الخيل روغان أسه وتلقتنا بالبشر والبشرى وجوه أهليه وسألونا
أن نريح عندهم الركاب من الاين وعجلوا بالضيافة على الفتوح ولا ينكر تعجيل الفتوح
للحصين ووجدنا هنالك فقيرا مغربيا حسن التلاوة قد عجز عن المسير وارتد طرف قصده
عن القدس خاسئا وهو حسير فأمرت له الصدقات الصاحبية بمركوب ونفقة تعينه على
السفر والاقامة ولحقه في ذلك فقير عجمي ينشد بلسان حاله في مثل ما بك يا حمامه فلم أر مثلها
صدقات تجود من الزاد والراحلة بالغيث والبرق ولا مثله متصدقا بجالس لخطة واحدة
فيركض نداه في الغرب والشرق وجئنا بجلولون فحشر الناس له ضحى وجاء أهل
المدينة يستبشرون فرحا وارتفعت الاصوات بالادعية الوافيه وأردنا أن نكتم دخولنا البلاد
وكيف تكتمنا وهي ذات عين صافيه ثم نزلنا بالخيام في مرجتها الخضراء تحت قلعتها
الغراء وهي في معارج السحب صاعدة شاذة في الجو كأنها في السحر على عمود الصبح
قاعدة مضيئة بين عقود الانجم كأنها درتها اليتيمة جالسة على سرير الجبل تنادم الفرقدين
كأنها جذيمة فنظر في المصالح وميز بالعدل بين الصالح والطالح وعجل من عجلون المسير فلم
ينظر الغادي الذي هو رائح وأشرفنا على بركات القصد النجية واقتحمنا الى الغور عقبة
سهلها السعد فلا نقل ما أدراك ما العقبة واستفتحنا الزيارات التي نوينا قصدها وطوينا
غورها ونجدها بمشهد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أبو عبيدة بن الجراح
رضي الله عنه فترامينا اليه بالعزم الفاخر وزار أمين هذه الامة الاول أمينها الآخر وأجرى
أمر مشهده على سنن الصلاح ونظر في مرتبه بعين العدل وأعانه يد السماح وجعل والي
الناحية عبيدة وما جعل لشاهده المعروف بالجراح وسلكنا جانب الغور المطور فأعجبنا
ربا ورواء وكانت الماء فيه غورا فوجدنا الغور ماء وخضنا في حديثه وخاضت الخيل
وتركنا عقباته كالمعلقة وملنا الى السهل كل الميل وتلقينا كل ذي قصد ببشر الصباح ولم
نقل أهلك والليل ومازلنا كذلك لا نمر بواد الا أتت مع الابتهال بطول العمر رجاله وأرامله
ولا بناد الا اقامت للدعاء رجاله وأطفاله وحلائله ولا بولاية الا ارتج غدرها ولا ببلدة الازها
على التي بين السماكين بدرها ولا ماش الا حمله المعروف ولا عابر سبيل الا آنسه من النعماء
صنوف ولا جائز الا شملته مجائزه ولا منقطع بمفازة الا وعقباه فائزه ولا ظبية من ظبيات
دمشق الا والمكارم تواليها وتواليها وتوجدها في القفار كأنا توجدها أولياء الله فيها الى
أن قدمنا القدس الشريف نحن والغمام وسبقنا اليه مطرة الصبح تحت أذيال الظلام
وخف بنا جناح الشوق والسوق حين دنت الخيام من الخيام وألقينا بباب حرمه عصا السفر
وألقت هنالك رحالها ركائب المطر وزرنا باب الرحمة من الارض وزارنا باب الرحمة من
السماء وصرنا من الصالحين عند زيارة الاقصى لمشينا على الماء وجددنا الاوطان
والاقطار واستمرت السحب حتى عادت الصخرة كحجر موسى تتفجر منها الانهار وأقمنا
في بيوت أذن الله أن يرفع شأنها ويسبح فيها بالغدو والآصال سكانها وكان معنا شخص
يلقب بالخلد سكن بيتنا حسنا وغض عينه على الرفاق تغميضا بينا (فقال مولانا
الصاحب) ماتقول في بيته فقلت ما أقول في جنة الخلد وشكى قوم عشرة هذا الرجل فكتبت

على

على ورقهم اصبروا على ما يفعلون وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون (ثم) دخل الناس على الابواب الصاحبية افواجا وما ترك احد منهم منها جاذا ناحية الا منها جا ومكثنا في البيوت الى ان صحا الافق من مدامة غمامه وحسر عن وجهه للابصار فضل لثامه وقفنا البقية المشاهد قاصدين واتلك المباني المعظمة شاهدين ومشاهدين فعاودنا الصخرة بقلوب قد لانت ونثرنا على مواطئ القدم دموعا عزت بلمسها ولا نقول هانت ونظرنا آثارا قديمة تذهل عيون النظاره وآثارا متجددة في هذه الدولة القاهرة تقصر عنها العباره ومحاسن يقف في طريق الزيارة متأملها ووقفة في الطريق نصف الزياره فمنها ما هو مخصوص بالحرم الشريف نستلم كالحجاج اركانه ونقلب وجوهنا في سماء سقف يكاد يقطر علينا لجينه وعقيانه ونشاهد رخاما بلغ في الحسن والمحل الاقصى في الاقصى وتمت به في بهجة المكان زيادة تخالف قول النحاة ان في الترخيم نقصا فاما المياه التي تجري في الحرم على رأسها ونطوف على مواضع المنافع بقسها فتلك نعمة مقيمة يكافئ الله عنها في دار المقامه وحسنة في المعنى والصورة جارية الى يوم القيامه ومن المباني المذكورة ما هو مخصوص بمولانا ملك الامراء اعز الله انصاره وابقاه سيفا يقف كل ذي قدر عند حده فلا يتجاوز مقداره من مدرسة علم يدرس ولا يدرس معهده ودار حديث يروي فيروي الاسماع الظامئة مورده وخانقاه تضيء عليها انوار البركات الكوامل ورباط ومكتب هما كما قيل * ثمال اليتامى عصمة للارامل *

وقلت فيهما

بنيت رباطا للنساء ومكتبا * يدر على الايتام سحب الفواضل
فلله من هذا وذلك كما ترى * ثمال اليتامى عصمة للارامل

فجينا من تلك المحاسن بساتين دانية القطوف وحظنا من الظلال السيفية جنة نشأت وكذلك الجنة تحت ظلال السيوف وشرعت صدقات السر والجهر وقوبل السؤال ببحر لا يسمح عنده نهر وغص بفقرائهم المكان والطريق وجاؤا رجالا ونساء وعلى كل ضامر من العصي يأتين من كل فج عميق فوضع في مواضعه النوال وقدرت الكساوى حتى على المستورين والاطفال هذا وكم ثياب صوف أعرض اشرافها عن مقال اللاحين واتخذ الفقراء والاغنياء من أصوافها أثاثا ومتاعا الى حين وجاءت الدراهم بعد التفاصيل بالجمل وقال جودها الحاتم هذى التي لا ناقة لك فيها ولا جمل (ومما قلت في ذلك)

لله كم حال امرئ مقتر * قضيت في القدس بتنفيسه
ودرهم ولى ولكنه * قد أخذ الاجر على كيسه

ثم تليت الختمات التي شرف الله تعالى ذكرها ومواعيد التفاسير والرقائق التي اجرت الاوقاف الصاحبية اجرها وشرع في بناء الرواق على سطح الزاوية الصاحبية بباب الحرم الشريف واخذ راقم الرخام في التوشيع والتفويف فيا لها الواحا كتب فيها من الحسن كل شئ والمردماء رونقها فكان العين منها في ماء وفيء وبالهروا فاشاق وصفه ورواق ورفع محله فقال لسان المتصوف حبذا رفاعي الرواق ثم رتب للشيخ والفقراء ما يحتاجون اليه من كل نوع فريد وأصبح كل أحد وهو للنزول عند ذلك الشيخ مريد وبرزنا في اليوم السابع

من الاقامة وقد قدمنا نقصد الخليل صلوات الله عليه بالنية الجليه وطربنا لتلك المنازل
وكيف لا نطرب لها وهي الخليليه وزرنا قبر يونس عليه السلام في طريقنا ورفعنا الانوار
الجفون وتملى عند الزيارة ذو العين بذي النون ثم نزلنا من محل الخليل على محل القرى
وحمدنا عند صباح ذلك الوجه السرى واستقبلنا بمقام ابراهيم امانا واستلمنا من ضريح
شائد الركن ومن ضرائح أهله اركانا وأكلنا من شهى عدسه لونا ووجدنا من الهناء الوانا
وقلنا لانفاس الشوق كوني بردا وسلاما على ابراهيم ووردنا مورد اللقاء نشفي ظما ابراهيم
وفرقت الهبات ونلنا الختمات وجرت المواعيد على عوائدها المحكمات فقلت

قصدنا خليل الله في ظل صاحب * جلى العلى والمكرمات جليل

فهذا الدنيا نا وهذا الدين فيا حبذا من صاحب وخليل

وسرنا في ظل الصاحب من الخليل وكادت دمشق تمد ايدي اعطافها الجاذبة ركابه ومصر
تتضرع باصابع نيلها الممدة في اقترابه وترضع ثدى هرمها داعية الى الله بعوده اليها وايابه
وهم شباك الوزارة ان يتلقى صاحب فتحه وصدر الخزائن ان يذوق ما اعتاده من رأى عطفه
ومنحه فانه ما جلس فيه أبهر وابهى من الطلعة الامينيه باجماع الآملين المتأملين والخزائن
التي كم قال لها بتدبيره اني حفيظ عليم فقال الملك وانك لدينا مكين أمين ثم عطفتنا الاقدار
الى جهة الرملة وجاءت الوفود كالرمل وخفت اكياس دراهم الصلات وثقلت اكياس
دراهم الحمل واقمنا ثلاثة أيام نكاد ننشد

خرجنا على ان المقام ثلاثة * فطاب لنا حتى اقمنا بها عشرا

ورأينا مسجدا يعرف بالركني قد غير الزمان محاسنه الانيقه وهدم المحراب والموثر كنيه
على الحقيقة فأمر مولانا الصاحب بعمارة ما منه اندثر ولحظت الآراء جارته المنقضة فتبين
ان السعادة تلحظ الحجر ولقد صنع في هذه المنزلة من المعروف ما لا صنع ذو الدهر الطويل مثله
وبني من المكرمات ما ثبت ولولا ابداع سعادته ما ثبت البناء فوق الرمله ورحلنا عن الرملة
بنية الزيارة لمشهد زكريا ويحيى عليهما السلام فمررنا في طريقنا بجهة خير معترضه وبنية
في وجهة القبول مبيضة تحتوي على قبر بنيامين أخي يوسف عليهما السلام فالحقناه
بالزيارة بأخيه وتوكلنا على الله في القبول توكل أبيه وتممنا بنيامين وقرعنا أبواب السماء
بادعية فاتحة فقال النجم عقيب الفاتحة آمين وسرنا والصدور منشرحة والطريق الى
خير الدارين متفتحة وجئنا المشهد وقد ظهرت عليه بنضر يحيين كريمين بهجة الدين والدنيا
وتلا مزارها للقادم انا نبشرك بيحيى وبتنا ليلة طيبة نحييها ونميت النوم ونعصى بالسهر
أمره بجاه سلطان على أعين القوم وأصبحنا وقد امتلأت القلوب سرورا والاعين نورا
وقوينا على قصد جنى الجنان واستقبلنا محاسن بيسان وختمنا الزيارة بمشهد معاذ بن جبل
رضي الله عنه فانفذت أنواره القلوب من الهم أي انفاذ وكدنا نفتتن بالانس حتى نقول افتان
أنت يا معاذ وأمسكنا عنده من الدعاء بعروة لا تنفصم وأوينا من طوفان الذنوب الى جبل
يعصم من به يعتصم وأمر بما يحتاج اليه من تجديد عمارة وانشاء طهارة والحق بكل مزار
وردنا عليه في هذه السيارة فانا لا نفارقه الا عن اقامة صلاة وصلات وتجديد آثار يزين به وجه

القبول

www.dorat-ghawas.com

القبول كاتب الحسنات ثم نهضنا عن الغور نهوض لبنة الملبد وجزنا مقسمين لها بكينا بكاء لبيد يوم فراقه أربد وانتشقنا من تلقاء طيبة الاسم أطيب العرف وسلكنا بحرف واديها مستبشرين فكانت طيبة الاسم والفعل والحرف ثم عاودنا المنازل التي قدمنا ذكرها ورجعنا كما تسترجع منازل الافق زهرها وتقسمنا أرواح دمشق حتى كدنا ننتشق من ذيل الكسوة عطرها واستقبلنا الديار على هذا السعي الجليل وفاصلنا السفر على كل وجه للفضل جميل وقطعنا بالكسوة ليلا طائلا نداؤه * كل ليل للعاشقين طويل * وفي تلك الليلة كان دخولنا الى دمشق المحروسة كدخولنا الى القدس الشريف فسائرين مسرى النجوم في الليل سابقين لغرة الصباح بغرر الخيل موفرين لخواطر المتقين وهيهات وقد سال منهم السيل نازلين من دمشق جنة قد تبسمت لقدومنا عن ثغور الازهار وأجرت امام ركابنا الانهار ولبست من وشي البديع حللا لها من أوائل ما انعقد من الثمار ازرار فائزين من الثناء والثواب بفوق الارادة داعين لمن فضله لنا جامع مترقبين لرتبته باب الزيادة وتمت هذه السفرة على أحسن ما يكون واشتملت من وجوه المحاسن على عيون قضيت المهمات بها بالنهار وقضيت في الليل المذاكره والتقطت من الفوائد الوزيرية ما كنت ارتقب جواهره وازاهره وأردت أن أذكرها في هذه الخطبة لانها جواهر وأضمها بعض العلم في هذه الاوراق فانها أزاهر فكثرت على هذا اللفظ المسجوع واقتضى الحال ان أجمعها في سفر يقال فيه تلك رحلة وهذا تاريخ ومجموع وقد علم الله ان هذه النبذة من القول وردت من قريحة مسها فقد الولد بقرح وأي قرح وقال تفكرها الذي كان حائك الكلام لست اليوم من ذلك الطرح فليبسط الواقف على هذه الرحلة عذري ويعلم السبب في كونها ليست عادة نظمي ونثري واذا كانت القريحة في بقايا ترحها فليت شعري أينهض سجعي وشعري والله تعالى المسؤل ان يجعل في ابقاء الصاحب سلوة عن كل فقيد ويصل أسبابنا أبدا بتحريره الوافر وظله المديد ويرزقنا في شكر نعمه لسانا لفظه ذهب وذهنا بصره حديد

(قلت) ذكرت برحلة الشيخ جمال الدين رحمه الله تعالى الى القدس الشريف صحبة الركاب الصاحبي الاميني رحلتي صحبة الركاب الشريف السلطاني المؤيدي سقى الله ثراه الى البلاد الرومية وبروز أمره الشريف بذكر الفتوحات بها وتسمية البلاد واستيعاب الرحلة الشريفة في البشارة المجهزة الى الديار المصرية وان لا يقرأها بالجوامع المطهرة غير مولانا شيخ الاسلام قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني الشافعي عظم الله شأنه فقرأها بالجامع المؤيدي والازهر في شهر رجب الفرد سنة ست عشرة وثمانمائة وقد عن لي ان اقرنها بالرحلة النباتية فانهما رحلتان (وهي) ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالي ولا زالت طرف أخبارها السارة تسر خاطره وتشنف سمعه وترنحه بنسمات قربنا وتجاور كريم سمعه ليأخذها بالشفعه وان حصل بينه وبين المسرة لبعدنا طلاق لها تلنا الشريف يبشره بالرجعه (صدرت) هذه المكاتبة تهدي اليه من أوراقها ثمرات الفتح ليتفكه بالفواكه الفتحية وتعرب عما أبدته عرباتنا من شواهد التسهيل في فتح البلاد الرومية فانها رحلة مؤيدة تشد اليها الرحال وان كانت دول الاسلام حلة على أعطاف الدهر فهي لها من أطهر

الاذيال ونبدي لكريم علمه تجلي مخدرات الحصون بكل وجه حسن تحت عصابتها المؤيديه واستقرار سيس في هذه الحلبة على قديم عادتها بين الجنائب الحلبيه وفتح قلعتها وقد حرك بابها مصراعي شفتيه وأعلن بسورة الفتح جهرا وتلت اقفاله بعد ما عسرت على الغير فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وصعدت أنفاس الادعية من أفواه مراميها فرحا بنا وسرورا وبدلت صوامعها وتلك البيع بمساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا وأخلصت الطاعة اشيخ ملوك الارض طائفتها الارمينية وانقطعوا في زوايا الطاعة مريدين لهذه المشيخة الشريفة الصوفية ورغب ابن رمضان في طاعتنا الشريفة فجعلناه في ربيع حلاوة الرغائب ورفعنا قواعد بيته الابراهيمي وادنيناه من أرمنة فدنا منها الى أعلى المراتب وتلمظت سيوفنا بحلاوة الفتح ورشفت بالسنتها في كل قطر قطرها ففتحت اياس من بعيد لهذه الحلاوة ثغرها وانسجمت اياتها لما انتظمت على بسيط الطاعة بحرها ومص حصن مصيصة من رحيق هذه الطاعة فاسمى ثغره بأفواه الشكر يقبل وبسط جبين جسره لوالطئ خيلنا فرحة وتهلل وجانس الفتح بين اياس وبانياس ولم ينتظم لبني كندبيت بملطية يقام له وزن ويظهر منه اقتباس وانعكس هذا الاسم بعد الاستحالة وان كان مما لا يستحيل بالانعكاس وتسجر كافرهم وقد أضرمت به النار فخاطبته بلسان جمر لا يفهم

وما هو الا كافر طال عمره * فجاءته لما استبطأته جهنم

وفر الى ملك عثمان فحكمنا بقتله في تلك الارض علما ان الجهاد في اعداء الدين عند العصابة المحمدية من الفرض وسمع العصاة بطرسوس زئير آسادنا من بعيد فادبر مقبلهم وتخيل ان الموت أقرب اليه من حبل الوريد وأعربت أبوابها بعد كسرة عن الفتح وقال أهلها ادخلوها بسلام آمنين وأوى العصاة الى جبل القلعة لما رأوا بعد القتال هذا الفتح المبين وصفق مقبلهم وجهه فبصقت فيه أفواه المدافع وحكم عليه القضاء بالاعتقال ولم يأت عند ذلك الحكم بدافع وشاهد القرمانيون من سيوفنا شدة القرم فخشي كل منهم ان يصير لحما على وضم ورأوا ألسن السهام في أفواه تلك المرامي برأينا الصائب ناطقه وما أظهروا على سماء برج غيوم ستائر الالمعت فيها من بوارق نفوطنا بارقه فخرقوا الاطواق من الحنق فطوقناهم بالحديد وأحيينا الفتح المأمول برأينا الرشيد وماخفي عن كريم علمه وقوع انتقامنا الشريف في اغادر ابن الغادر لما أدبر وقطع الله دابره وظهور السر الابراهيمي لما ادعى انه نمرود تلك الفئة الغادره كله بسيوفنا فاخرسه وتخبطه شيطان الرعب بمسه ورأى فيه تلك الهمة العالية فنجا من تلك الوقعة بفرسه ونفسه وأوى من قبل الى جبل ليعصمه فقال له لا عاصم اليوم من أمر الله ورماه من شاهقه في بحر عساكرنا بعد ما عض عليه بثناياه وسمع الرعد من سيف ابراهيم ففر وقد شاهد من أصيب بصواعقه من عصاة التركمان وصدقت فيه عزائم أتراكنا وما روى أحد في ذلك اليوم من الترك مان وسقوا أوعار تلك الجبال من دمائهم فكادت أحجارها ان تورق وتخصب بعد المحل وجنوا بالعسال عسل النصر وغنموا من الانعام ما زاد في عدد أجناسه على النحل ونفرت عنهم أوانس تلك الظباء والمتيم ينشد لهم في لظبية أنس منكم نفرت وانفطرت كبده لما رأى كواكب الحلى من أفلاك تلك الصدور

قد انتثرت وسن القمر الصارمي فيهم عزمه فقطع بهذا الصارم من عواتقهم أوصالا وحميت
نار حربه فسبكت أوانيهم من الذهب والفضة تحت حوافر خيله نعالا ورخصت أنواع
الديباج فكم من معدني صارم دفن لان قبورهم بعثرت وتلا لسان حال الكتب على السور
وغيره من أصناف الوبر واذا الوحوش حشرت وانقادت ركائبهم الينا وبدور مواطئها في بروج
تلك الجبال قد أشرقت والناظر يتلو متعجبا أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وكانت
نار حرب القوم على القمر الابراهيمي بردا وسلاما فانه رفع قواعد بيته في ذلك اليوم وعلمنا ان الله
قد جعل لابراهيم في هذا البيت الشريف مقاما ورقاه في عمر الابدار الى بروج الكمال فابدر
فيها وسرى وأنشد لسان الحال بهذا المقال

وقد ظهرت فلا تخفى على أحد * الا على أكمه لا يعرف القمرا

وان كان شبلا فهو في الخبر كأسده ومصارع ليوث الحرب قد جعلها الله من صغره تحت يده
ورفع له في هذا المبتدا وسيره في الآفاق خبرا وعلم الاعداء ان دمعهم يجري عند لقائه دما وكذا
جرى وهذه المقابلة تليق بابن الغادر على قبح سريرته وغدره فانه أخرج أهل تلك البلاد من
أرضهم بظلمه لا بسحره وسألنا قبل ذلك في ولده وقد كره العود اليه وألف أبوتنا الشريفة
وتوطن فرددناه الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن عليه فخالف نص الكتاب ومشى في ظلم الطغيان
ولم يعمل بقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان فقابلته سطوات الشريفة على قوله
وفعله وما حاق المكر السيئ الا باهله وحل ركابنا الشريف بالابلستين في العشرين من ربيع
الآخر فجمعنا بحصنها الزاهر بين ربيعين وتممناها بعشر الاقامة لاستبقاء ما لنا في ذمة جيرانها
من الدين فرحبت بنا وبسطت بساطها الاخضر وقالت على الرأس والعين والتفتنا الى درندة
وما العيان من صنع الله في أخذها كالخبر وقد ناصدع صخورها باختلاف الآلات فجاء ما قررناه
نقشا على حجر وادعت ان صخرها أصم فاسمعناه من آذان المرامي نقير المدافع وتحريك الوتر
وطلعت في ظهر الجبل كدمل فطار كل جارح من سهامنا بريشه الى فتحها وظنت صون من بها
لعلو ذلك السفح فطالت سيوفنا الى دماء القوم وسفحها وقرعنا جبلها بسبابات المدافع وكسرنا
منه الثنية وامست حلق مراميها كالخواتم في أصابع سهامنا المستوية وخربكرها الماثعا
فركبنا عليه سفن جسور على الزحف جاسرة واقلعنا الى خشب سفينها المسندة فرقنا قلوع
سائرها وخربنا قريتها العامرة هذا مع ان الملك خطبها لنفسه وأراد ان يعرج اليها فترفعت
عليه ولم ترضه لنقص العرج ان يعلو عليها فرحل عنها ولم يحظ من ديوان وصلها بسموح ولكن
ساعة رؤيتها قالت بكارتها مرحبا بابي النصر وأبي الفتوح وتعلق سكانها باذيال الامان فآمناهم
ولكن كانوا في صدرها غلا فنزعناهم وجاءت مفاتيح جندروس قبل الخلاص منها راغبة
فأحسنا الختام بدرندة والقينا اكبر المدافع على حجرها الذي كان غير مكرم واحسنا التدبير
في الصناعة وسمعت كرتبرت بذلك فالقت من بها من بئر معطلة وزهت فرحة بقصرها
المشيد ووصلت مفاتيحها يوم هذا الفتح مهنئة بلسانها الحديد وغارت عروس بهنسا من ذلك
فخطبتنا لجمالها البارع وجهزت كتابها يشهد لها بالخلو من الموانع وهي أيضا ممن خطبها الملك

انفسه فتمنعت وأراد السمو الى افقها العالى فاستسفلته وترفعت وعوت كلابه فلقمتهم ما ثقل وزنه من احجارها الثقال خلافا لمن أصبح الصخر عنده مثقال الاعتقال وعلم طغرق ان سهامنا فى كل عضو من اعضاء العصاة جارحه وافواه مدافعنا فى اعراض الصخور من سائر القلاع قادحه فثبت يداه عن المنع وجنح الى الاخلاص فسابقه باب القلعة ورفع صوته فى الفاتحه وضحك ناموس ملكنا الشريف على من ادعى بالخطاوكركر ولكن ابكتهم سهامنا دما جرى من محاجر القلعتين ولم يتعثر وقال حصن كختا ان كانت قلعة نجم عقابا فى عقاب فالنسر الطائر يخفق تحت قادمتى باجنحته اوكان الهلال قلامة لا تملها التى علاها من الاصيل خضاب فكف الخضيب يتيم تربى ويمسح بياض جبهته فانا الهيكل الذى ذاب قلب الاصيل على تذهيبه وود دينار الشمس ان يكون من تعاويذه والشجرة التى لولا سمو فرعها تفكهت به حبات الثريا وانتظمت فى سلك عناقيده وتشامخ هذا الحصن ورفع أنف جبله وتشامم فارمدنا عيون مراميه بدم القوم وامیال سهامنا على تكحيلها تتزاحم ووصل النقب بتنقيبه عن مقاتلهم الى الصواب وايقنوا ان بعده لم يضرب بيننا بسور له باب وكان منهل ماثهم عذبا فاكثرنا على منبعه الزحام وتطفلوا على رضاع ثدى دلوفلم ترض أم المنع بغير الفطام وامسى دلوهم كدلو ابى زيد السروجى لا يرجع ببله ولا يجلب نفع غله وحكم المدفع الكبير على سور القلعة فقال له السور دائم النفوذ والاحكام وانقلبوا صاغرين الى الطاعة وقد قابلنا أنف جبلهم بالارغام ورجعوا عن خليلهم الكردى لما قام لهم على جهله الدليل وقالوا الطاعة السلطنة الشريفة ما راعى فيها من العصاة خليل وسألونا الصفح عن حديث جهلهم القديم وسلموا القلعة لرشا خواطرنا الشريفة فجمعوا بذلك بين الرضا والتسليم وتنكرت اكراد كركر بسور القلعة فعرفناهم بلامات القسى والفات السهام وعطست أنوف مراميهم باصوات مدافعنا فكأن بها زكام وتبرؤا من خليلهم الكردى لما شاهدوا الخطب جليلا وقال كل منهم ياليتنى لم اتخذ فلانا خليلا واورت عاديات المدافع بالقلعة قدحا فامست بالزلزلة مهدده وفروا من سطواتنا الشريفة الى البروج فادركهم الموت فى بروجهم المشيده وسألنا كرديهم فى جزيل ماله ليفدو بنفسه الخبيثة ويروح فلم نرض منه على كفره الا بالمال والروح وسجناه فى قلعته وقد أيقن بالموت وارتفع النزاع وجهز المفاتح لتخليص دينه فحصل على سجنه الاجماع وأمسى بها * كريشة فى مهب الريح ساقطة * وتمام البيت معروف عند من له عليه اطلاع وجاءت مفاتيح كل من ديار بكر وقد أزهرت باسمنا الشريف اغصان منابرها وسألت قلعتها التشريف برسول يدوس بنعله محاجرها فاجبناها الى ذلك وأمست بنا بعد التنكر معرفه وصارت ابراجها بالنسبة المؤيدية مشرفه وجهز قرا عثمان مفاتيح الرها وآمد وسأل تشريفه بتشريفهما بتقليدين يرفعان لهما فى الشرف محلا فخلیناه بذلك وكان من العواطل فلت المطابقة بالعاطل المحلى والتهب ابن القادر بحرارة المعصية ففر الى برد الطاعة من غير تقره وهز جذع مراحمنا الشريفة واعترف انه جهل الفرق بين التمرة والجمره واقر بذنوبه وقال التوبة تجب ماقبلها ودوحة المراحم الشريفة قد مد الله على الخافقين ظلها وعلم انهما أحسن البيان عن دربنده فى تخليص ذلك

www.dorat-ghawas.com

المفتاح وسأل ان يحظى من بيان عفونا الشريف باستجلاء عروس الافراح فاذقناه حلاوة قربنا بعد ماذاق مرارة بينه والبسناه تشريفه بنيابة الابلستين فباس الارض وهو لا يصدق انه يرى محاجر تلك العين بعينه وجهزنا ولده داود يدروع من الامن ليأمن بها من يد داود ويتفيأ بظلال جبرنا ويصير بعد حر المعصية فى ظل ممدود وقد تقدم سؤال قيسارية ان يقام بها سوق الامان فاجبناها وسعرت بها نار الخوف بعد ما غلت فجهزنا اليها بضائع الامن وارخصناها وأيقن أهلها انهم ان مشوا فى حدائق عدلنا على غير هذه الطريقة صار على سوسنة كل سنان من دمائهم شقيقة فازلنا عنهم باليناس عدلنا الوحشه وأمست فيساريتهم فى أيامنا الزاهرة هشه وجمعت خطباء منابرها باسمنا الشريف والدهر يهتز فرحة ويترنم ولم يخل من أسمائنا ثناء ودمنبر * ولم يخل دينار ولم يخل درهم * وتقارب الاشتقاق بين سيواس وسيس فتجانسا للطاعه ومات العصيان بتلك البلاد فقالت ارزنكان الصلاة جامعة وصلت لما نعمتم مع الجماعه فلا قلعة الا اقتضضنا بكارتها بالفتح وابتذلنا من ستائرها الحجاب ولا كاس بريج اترعوه بالتحصين الا توجنا رأسه من مدافعنا بالحباب حتى فصلت فى الروم لعساكرنا التى هى عدد النمل قصص وعدنا فكان العود أحمد ولم يبق بتلك البلاد ما تعده القدرة على الفتح من الفرص وجاءت رسل ملوك الشرق بالاذعان لطاعتنا التى اتخذوها الشرف ها قبله وود كل منهم أن يحظى من جهات أعتابنا بقبله وتنوعوا من الهدايا باجناس صدفت من كل نوع مقبول وبالغوا فى الرقة واهدوا من الرقيق ما قام له عندنا سوق القبول وأسفر قرا يوسف من الجمال اليوسفى ونور الطاعة عن بهجتين وأظهر كتاب الطهارة بتطهير الارض ممن ندبنا اليه من أعداء الدولتين ودنت الديار من الديار فكانت سيوفنا فى القرب له حصنا وملاذا ولم يباشر فى اخلاص الطاعة مما يقال له بسببه يوسف أعرض عن هذا وجاءت هداياه التى هبت نسمات القبول على اقبالها وجنينا منها ثمار المحبه وحمل التفاصيل التى وشعها اسناء الملك ببهجة ولم يترك لابنه فى دار الطراز رتبه والنمورة التى يعجم ابن فهد عن وصفها اذا قابل منها السواد والبياض بالمقلتين فانها جمعت لنا من ليلها الحالك ونهارها الساطع بين الآيتين والجواد الذى تميز بأوصاف ما صاحب مجرى السوابق من الفحول التى تجاريها فانه غرة فى جباه الخيل الذى قال قائد الغر المحجلين ان الخير معقود بنواصيها والسروج التى سمت عندنا على السروجى بمقاماتها العاليه ورأيناها أهلة تغنى عن القمر فخضبنا كل سرج منها بالغاشيه والجوارح التى تخشى النسر الطائر ان يصير منها واقعا وصدق فيما تفرس وخافت الشمس لما تسمت بالغزالة ولف سرحان الافق ذنبه على خيشومه ولم يتنفس والقوس الذى أصاب به اغراض المحبة ونال منها أوفر سهم ونصيب وجاء عبارة عن رأى مهديه وكل عندنا بحمد الله مصيب وهو من الاشياء التى وقعت فى محلها ونحن نقيم دلائل ذلك وبرهانه فان القوس اذا اعاذق سهامه بعصر علم أنه وصل الى الكنانه وبالغ المقر الجمالى فى نظم بديع الهدايا ونسج الصفا بكثرة رقيقه وأدار من أوانى الصينى كؤسا اترعها الود بسلاف رحيقه ودخلنا حلب المحروسة وأوصلناها ما استحقاها من ديون الفتح علينا ورددنا ما اغتصب منها

فقالت هذه بضاعتنا ردت الينا وقد آثرنا الجناب بكرامة هذه البشارة التي استبشر بها وجه الزمان بعد قطوبه وتبسم فانه ركن هذا البيت الشريف وذنيب مدحه المقدم فيأخذ منها حظه و يثلج صدرا ابرابا فقيها اهم بردوسلام ويرعاهم بعين الرعاية ليضوع فيهم عرف العدل ويصير مسكا لهذا الختام والله تعالى يمتعه فى ليله ونهاره من أخبارنا السارة بالاعياد والمواسم ويجعل له من صياغة أعماله ان شاء الله حسن الخواتم (قلت وذكرت بهذه الرحلة) أيضا رحلتي من الديار المصريه الى دمشق المحروسة المحميه سنة احدى وتسعين وسبعمائة والملك الناصر قد خرج من الكرك ونزل عليها وتصدى لحصارها وقد اجتمعت عليه العساكر المصريه والشامية وحدث بدمشق المحروسة ما حدث من القتال والحصار والحريق فكتبت الى المقر المرحومي الفخري القاضي ابن مكانس فى شرح ذلك رسالة لم ينسج على منوالها ولم تسمح على غلبة الظن قريحة بمثالها (وهي) يقبل المملوك أرضا من عمها أو تيمم بثراها حصل له الفخر والمجد فلا برح هيام الوفود الى أبوابها أكثر من هيام العرب الى ربا نجد ولا زالت خيول الشعراء تطلق أعنة لفظها فتركض فى ذلك المضمار وتهيم بواديها الذى يجب أن ترفع فيه على اعمدة المدائح بيوت الاشعار وينهي بعد أشواق أمست الدموع بها فى محاجر العين معثره ولولم يقرا نسانها بمرسلات الدمع لقلت قتل الانسان ما أكفره وصول المملوك الى دمشق المحروسة فيا ليته قبض قبل ما كتب عليه ذلك الوصول ودخوله اليها وقد والله تمنى خروج الروح عند ذلك الدخول فنظر المملوك الى قبة يلبغا وقد طار بها الطير الحام وجثت حولها تلك الاسود الضاريه فتطيرت فى ذلك الوقت من القبة والطير وتعوذت بالغاشيه ودخلت بعد ذلك الى القبيبات التى صغر اسمها الاجل التحبيب فوجدتها وقد خلا منها كل منزل كان آنسا بحبيبه فانشدته بلسان الحال قفا نبك من ذكرى حبيب ونظرت بعد القباب الى المصلى وما فعلت به سكان تلك الخيام والتفت الى بديع بيوته التى حسن بناء تاسيسها وقد فسد منها النظام

فقال وقد وقفت عقيق دمعي * على أرض المصلى والقباب

ونظرت الى ذلك الوادى الفسيح وقد ضاق من الحريق بسكانه الفضا فتوهمت ان وادي المصلى قد تبدل بوادي الغضا

فسقى الغضا والساكنيه وان هم * شبوه بين جوانح وقلوب

واصطليت النار وقد أرادت سبي ذلك النادى فشبت عليه من فوارس لهيبها الغاره وركضت فى ميدان الحصى فوجدت أركانه كما قال تعالى وقودها الناس والحجاره ودخلت قصر الحجاج وقد مدت النار يدها من غير ضرورة فى موضع القصر وأصبح أهله فى خسر وكيف لا وقد صاروا عبرة لاهل العصر وتأملت تلك الالسن الجمريه وقد اذ التقت فى ثغور تلك الربوع تكلم السكان وتطاولت بالسنة الاسنة الاتراك فانذهل أهل دمشق وقد كلموا بكل لسان ووصل المملوك بعد الفجر الى البلد وقد تلا بعد زخرفه فى سورة الدخان فوجب ان أجرى الدموع على وجيب كل ربع وأنشد وقد دخل صبري بعد ان كان فى خبر كان * دمع جرى فقضى فى

www.dorat-ghawas.com

الربع ماوجبا * ووقفت أندب عرصاتها التي فجعت بالبين فخابت من أهلها الظنون وكم داروا بقمحها اخيفة من طاحون النار فلم يسلم فصدقت المثل بان القمح يدور ويجيء الى الطاحون ونظرت بعد ذلك الى الحدادين وقد نادتهم النار بلسانها من مكان بعيد آتوني زبر الحديد ولقد كان يوم حر يقها يوما عبوسا قمطريرا أصبح المسلمون فيه من الخيفة وقد رأوا سلاسل واغلالا وسعيرا هذا ولما أصليت نار الحريق وشبت نار الحرب ذكرت ما أشار به مولانا على المملوك من الاقامة بمصر فانشدت من شدة الكرب

آها لمصر أين مصر وكيف لي * بديار مصر مراتعا وملاعبا
والدهر سلم كيفما حاولته * لا مثل دهري في دمشق محاربا

يا مولانا لقد لبست دمشق في هذا المأتم السواد وطبخت قلوب أهلها كما تقدم على نارين وسلقوا من الاسنة بالسنة حداد ولقد نشفت عيونهم من الحريق واستسقوا فلم ينشقوا رائحة الغاديه وكم رؤي في ذلك اليوم وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حاميه وكم رجل تلا عند لهيب بيته تبت يدا أبي لهب وخرج هاربا وامرأته حمالة الحطب وشكا الناس من شدة الوهج وهم في الشتاء وصاروا من هذا الامر يتعجبون فقال لهم لسان النار أتعجبون من الوهج والحريق وأنتم في كانون ولعمري لو عاش ابن نباته ورأى هذه الحال وما تم على أهل دمشق في كانون لترك رثاء ولده عبد الرحيم وقال

يا لهف قلبي على وادي دمشق ويا * حزني عليه ويا شجوي ويا دائي
في شهر كانون وافاه الحريق لقد * أحرقت بالنار يا كانون احشائي

ونظرت بعد ذلك الى القلعة المحروسة وقد قامت قيامة حربها حتى قلنا أزفت الآزفة وستروا بروجها من الطارق بتلك الستائر وهم يتلون ليس لها من دون الله كاشفه واستجليت عروس الطارقة عند زفها وقد تجهزت للحرب ومالها غير الارواح مهر وعقدت على رأسها تلك العصائب وتوشحت بتلك الطوارق وأدارت على معصمها الابيض سوار النهر وغازات بحواجب قسيها فرمت القلوب من عيون مراميها بالنبال وأهدت الى العيون من مكاحل نارها أكحالا كانت السهام لها أميال وطلبها كل من الحاضرين وقد غلا دست الحرب وسمح وهو على فرسه بنفسه الغالية وراموا كشفها وهم في رقعة الارض كأنهم لم يعلموا بأن الطارقة عالية وتالله لقد حرست بقوم لم يتدرعوا بغير آية الحرس في الاسحار وقد استيقظوا لحمل قسيهم ولم تنم أعينهم عن الاوتار فاعيذ رواسيها التي هي كالجبال الشامخة بمن أسس رواسي المجعوج وأحصنها قلعة بالسماء ذات البروج وتطاولت الى السور المشرف وقد فضل في علم الحرب وحفظ أبوابه المقفلات لما وقفنا على باب الا وجدناه لم يترك خلفه لصاحب المفتاح تخليصا لما أبداه من المشكلات وما أحقه بقول القائل

فضائله سور على المجد حائط * وبالعلم هذا السور أضحى مشرفا

كم حملوا عليه وظنوا في طريق حملتهم نصرا ونصبوا دست الحرب ولم يعلموا بأنه قد طبع لهم على كل باب قدرا فلو رأيت لو نظرته يوم الحرب وقد تصاعدت فيه أنفاس الرجال لقلت ونفخ في

الصور ذلك يوم الوعيد والى المحاصرين وقد جاؤا رجالا وفرسانا ليشهدوا القتال فقلت وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد والى كواكب الاسنة وقد انتثرت والى قبور الشهداء وهي من تحت أرجل الخيل قد بعثرت والى كر الفوارس وفرها فقلت علمت نفس ما قدمت وأخرت والى نار النفط وقد نفطت من غيضها والى ذكور السيوف وقد وضعت المنايا السود وتعذرت من شدة الدماء لكثرة حيضها

ومن العجائب ان بيض سيوفهم * تلد المنايا السود وهي ذكور

والى فارس الغبار وقد ركب صهوات الجو ولحق بعنان السماء والى أهداب السهام وقد بكت لما تخضبت بالدماء والى كل هارب سلب عقله وكيف لا وخصمه له تابع والى كل مدفع وماله عند حكم القضاء دافع والى قامات أقلام الخط وقد صار لها في طروس الاجسام مشق فاستصوبت عند ذلك رأى من قال عرج ركابك عن دمشق ونظرت بعد ذلك الى العشير وقد استحل في ذي الحجة المحرم وحمل كل قيسي يمانيا وتقدم فخرج النساء وقد أنكرن منهم هذا الامر العسير فقلت وغير بدع للنسا * اذا تنكرت العشير وتصفحت بعد ذلك فاتحة باب النصر فعوذته بالاخلاص وزدت لله شكرا وحمدا وتأملت أهل الباب وهم يتلون لاهل البلد في سورة الفتح وللمحاصرين وجعلنا من بين أيديهم سدا كم طلبوا فتحه فلم يجدوا لهم طاقة وضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ونظرت الى ما تحت القلعة من أسواق التجار فوجدت كلا قد محت النار آثاره وأهله يتلون قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة فمنهم من همه شانه على صاحبته وبنيه وآخر قد استغنى بشأن نفسه فهم كما قال الله لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه فوقفت أنشد في تلك الاسواق وقد سعرت الا موت يباع فاشتريه * ونظرت الى المؤمنين الركع السجود وهم يتلون على من ترك في بيوتهم اخدودا من وقود النار وقعد حريهم في ذلك اليوم المشهود قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذهم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود هذا وكم مؤمن قد خرج من دياره حذر الموت وهو يقول النجاة وطلب الفرار وكلما دعا قومه لمساعدتهم على الحريق ناداهم وقد عدم الاصطبار ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار ونظرت الى ضواحي البلد وقد انسدت في وجوههم المذاهب وما لهم من الضيق مخرج وضاقت عليهم الارض بما رحبت لما غلق في وجوههم باب الفرج فقلت اللهم اجعل لهم من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ولعدم أموالهم من كل عسر يسرا ولانهتاك مخدراتهم من كل فاحشة سترا ولقطع الماء عنهم الى كل خير سبيل فانت حسبنا ونعم الوكيل هذا وكم نظرت الى سماء ربع غربت شمسه بعد الاشراق فانشدت وقد ازددت كربا من شدة الاحتراق

فديناك من ربع وان زدتنا كربا * فانك كنت الشرق للشمس والغربا

وانتهيت الى الطواقيين وقد أسبل عليهم الحريق شدته فكشفوا الرؤس لعالم السرائر وكم ذات ستر خرجت بفرق مكشوف ورمت العصائب وبعلها بعينه دائر هذا وكم ناهدات أسبلن من ورق النهود ذوائبا * فتركن حبات القلوب ذوائبا

www.dorat-ghawas.com

ووصلت الى ظاهر الفراديس وقد قام كل الى فردوس بيته فاطلع فرآه في سواء الجحيم واندهشت لتلك الانفس التي ماتت من شدة الخوف وهي تستغيث للذي انشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ونظرت الى ظاهر باب السلامة وقد أخفت النار اعلامه ولقد كان أهله من صحة اجسامهم ومن اسمه كما يقال بالصحة والسلامه والى الثلاثة مرة دلبست ثياب الحزن وذابت من أجلها الكبود وقعدوا بعد تلك الربوع على أديم الارض ونضجت منهم الجلود واقسموا بالله عدمت لذة الحواس الخمس وضاقت على الجهات الست فلم ترق لي دمعه وأكلت الانامل من الاسف لما سمعت بحريق الطراف السبعه فاعيذ مابقي من السبعة بالسبع المثاني والقرآن العظيم فكم رأيت بابها يعقوب حزن رأى سواد بيته فاصفر لونه وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ونفرت الى ظاهر الباب الشرقي فتشرقت بالدمع من شدة الالتهاب فلقد كان أهله من دار عينه وكرومه الكريمة في جنتين من نخيل واعناب وتوصلت الى ظاهر باب كيسان فانفقت كيس الصبر لما افتقرت من دنانير تلك الازهار والدراهم رباها وسمعت بعد ذلك بالعين واستخدمت فقلت بسم الله مجراها وكابرت الى الطراف الباب الصغير فوجدت فاضل النار لم يغادر منها صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فيا لهفي على عروس دمشق التي لم تذكر محاسنها اسماء ولا الجيداء لقد كانت ست الشام فاستعبدها ملك النار حتى صارت جارية سوداء ولقد وقفت بين ربوعها وقد التهبت احشاؤها بالاضطرام وفطم جنين نبتها عن رضاع ثدي الغمام فاستسقيت لها بقول ابن أسعد حيث قال

سقى دمشق وأياما مضت فيها * مواطر السحب ساريها وغاديها

ولا يزال جنين النبت ترضعه * حوامل المزن في أحشا أراضيها

فما نضاحها قلبي لنسر بها * ولا قضى نحبه ودى لواديها

ولا تسليت عن سلسال ربوتها * ولا نسيت مبيتي جار جاريها

هذا وكم خائف قبل اليوم آوينا بها الى ربوة ذات قرار وكم كان بها مطرب طير خرج بعد ما كان يطرب على عود وطار وبطل الجنك لما انقطعت أوتار انهاره فلم يبق له مغنى وكسر الدف لما خرج نهر المغنية عن المغنى واستسمع الناس من قال

انهض الى الربوة مستمتعا * تجد من اللذات مايكفي

فالطير قد غنى على عوده * في الروض بين الجنك والدف

واصبحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش الخضل واليسر عسيره ولقد كان أهلها في ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيره فعبس بعد ذلك ثغر روضها الباسم وضاع من غير تورية عطره الباسم ولم ينتظم لزهره المنثور على ذلك الوشي المرقوم رسالة من النسيم سحر يه وكيف لا وقد محى سجع المطوق من طروس تلك الاوراق النباتيه هذا وكم عروس روض سور معصمها النقش فلما انقطع نهرها صح انها كسرت السوار وكم دولاب نهر بطل غناؤه على تشبيب النسيم بالقصب وعطلت نوبته من تلك الادوار فوقفت اندب ذلك العيش الذي كان بذلك التشبيب موصولا وأنشد ولم أجد بعد تلك النوبة المطربة الى الى مغنى الربوة دخولا

لم لا أشيب بالعيش الذي انقرضت * أوقاته وهو باللذات موصول

ونقص بريدنا احترق ولا ينكر لبزيد الحريق على صنعه وانقطع ظهر ثورنا فهلك الحرث والنسل بقطعه وذاب بردى وجرى خراجه لما شعر بالحريق ولم يبق في ثغره الأشنب برد حبابه ما يبل الريق وانقطع وقد اعتل من غيضه بانياس ولم يظهر عند قطعه خلاف ولا بان آس وجرى الدم من شدة الطعن بالقنوات وكسرت قناة المرجة فذاقت مرّ العيش بعد حلاوة تلك القطوف الدانيات وكسر الخلخال لما قام الحرب على ساقه وسقط رأس كل غصن على الجبهة فهاجت البلابل على أوراقه وخر برحص خاضعا وتكدر بعد ما كان يصفى لنا قلبه وافتقر أغنياء غصونه من حبات تلك الثمار فصاروا لا يعلكون حبه طالما كان أهلها كهين ولكنهم اعترفوا بذنوبهم فقالوا وكنا نخوض مع الخائضين وذبلت عوارض تلك الجزيرة التي كانت على وجنات شطوطه مستديره فقلنا بعد عروس دمشق وحماتها لا حاجة لنا بحمص والجزيره فيا لهفي على منازل الشرف وذلك الوادي الذي نعق به غراب البين ويا شوقي الى رأس تلك المرجة التي كانت تجلسنا قبل اليوم على الرأس والعين هذا وقد اسودت الشقراء فأمست كابية لما حصل على ظهرها من الجولان وجانبها العكس فأضحت باكية على فراق الأبلق واخضر ذلك الميدان يا مولانا القصد بكى المملوك من الأسف بدمعة حمراء على ما جرى من أهل الشهباء في الميدان على الشقراء حتى كذب الناس من قال

قل للذي قايس بين حلب * وجلق بمقتضى عيانها

ما تلحق الشهباء في حلبتها * تعثر الشقراء في ميدانها

(فقال) لسان الحال والله ما كذب ولكنه قد يخبو الزناد وقد يكبو الجواد وقد يصاب الفارس بالعين التي تغمز قناته غمزا (وأنشد)

ومن ظن ان سيلاقي الحروب * وان لا يصاب فقد ظن عجزا

ودخلت بعد ذلك الى البلد فوجدت على أهله من دروع الصبر سكينه فقلت يارب مكة والحرم انظر الى أحوال أهل المدينة ولكن ما دخلت بها الى حمام الا وجدته قد ذاق لقطع الماء عنه حماما وعلم القوام والقاعدون بأرضه انها ساءت مستقرا ومقاما وتلى على بيت ناره قلنا يا نار كوني بردا وسلاما (فحسن) ان أنشده قول ابن الجوزي (من كان وكان)

الحار عندك بارد * والنهر أمسى منقطع

والعين لا ماء فيها * ماحيلة القوام

وأتيت بعد ذلك الى الجامع الأموي فاذا هو لأشتات المحاسن جامع وأتيته طالبا لبديع حسنه فظفرت بالاستضاءة والاقتباس من ذلك النور الساطع وتمسكت باذيال حسنه لما نشقت تلك النفحات السحريه وتشوقت الى النظم والنثر لما نظرت الى تلك الشذور الذهبية وآنست من جانب طوره نارا فرجع الى ضياء حسي واندهشت لذلك الملك السليماني وقد زهى بالبساط والكرسي وتلت هذا ملك سعد من وقف في خدمته خاشعا وشقي من لم يدس بساطه ويأته طائعا ولقد صدق من قال

أرى الحسن مجموعا بجامع جلق * وفى صدره معنى الملاحة مشروح
فإن يتغالى بالجوامع معشر * فقل لهم باب الزيادة مفتوح

معبد له قصبات السبق ولكن كسرت عند قطع الماء قناته ورأيته فى القبلة من شدة الظما وقد قوبت من ضجيج المسلمين أناته وخفض النسر جناح الذل وود بأن يكون النسر الطائر وطمست مقل تلك المصابيح فاندهش لذلك الناظر هذا وكم نظرت الى حجر مكرم ليس له بعد الكسر الماء جابر واختفت نجوم تلك الاطباق التى كانت كالقلائد فى جيد الغسق ومرت حلاوة ثمارها بعد ما ركبت طبقا عن طبق وأصبح دوحه وهو بعد تلك النضارة والنعيم ذابل وكادت قناديله وقد سلبت لفقد الماء ان تقطع السلاسل ولم تشر الناس بأصابعها الى فصوص تلك الخواتم المذهبه ولم يبق على ذلك الصحن طلاوة بعد الماء وحلاوة سكبه الطيبه وتذكر المنبر عند قطع الماء أوقاته بالروضه وتكدرت أفراحه لما ذكر أيامه بتلك الغيضه وأنشد لسان حاله

لو ان مشتاقا تكلف فوق ما * فى وسعه لسعى اليك المنبر

وودت العروس ان تكون مجاورة لحماتها لتبل ريقها برحيق الامن اذا نظرت الى عاصى المحمدية وقد دخل جناتها ونظرت الى فوار ابى نواس وقد انقطع قلبه بعد ما كان يثب و يجرى وكاد أن ينشد من شعره لعدم الماء ألا فاسقنى خمرا ودخلت الى الكناسة وقد علاها غبار الحزن فتنهدت من الاسف على كل ناهده ورثيت للنساء وقد فقدن بعد تلك الانعام المائده واستطردت الى باب البريد فوجدت خيول الماء الجارية قد انقطعت عن تلك المراكز ونظرت الى السراج الاكبر وقد انعقد لسانه لما شعر من ممدوح الماء بعدم تلك الجوائز ونظرت الى أهل الصلاة وعليهم فى هذه الواقعة من الصبر دروع وقد استعدوا بسهام من الادعية اطلقوها عن قسى الركوع مريشة بالهدب من جفن ساهر منصلة أطرافها بدموع ونظرت الى الريان من العلم وقد اشتد لفقد الماء ظماه وتبلد ذهنه حتى صار ما يعرف من أين الطريق الى باب المياه ومشيت بحكم القضاء الى الشهود فوجدت كلا منهم قد راجع سهاده وطلق وسنه وتأملت أهل الساعات وقد صار عليهم كل يوم بسنه ونزلت فى ذلك الوقت من الساعات الى الدرج فى دقيقه فانتهيت الى مجاز طريق الفوار فوجدته كان لم يكن له حقيقه كم وردته وهو كأنه سنان يطعن فى صدر الظما أو شجرة كدناء تقول انها الموبى لما ظهرت وأصلها ثابت وفرعها فى السما أو مغترف بيد الماء وقد أفاض عليه عطاياه فيضا فرفع له لاجل ذلك فوق قناته راية بيضا أو عمود وفاء أشارت الناس اليه بالاصابع أو ملك طالب السماء بودائع حتى كان اكليل الجوزاء له من جملة الودائع أو أبيض طائر علا حتى قلنا انه يلتقط حبات النجوم الثواقب أو شجاع ذو همة عالية يحاول ثارا عند بعض الكواكب نخفض لفقد الماء مناره وخفى بعد ما كان به أشهر من علم وجدع انفه وطالما ظهر وفى عرنينه شمم فقلت

لست أنسى الفوار وهو ينادى * غيض مائى وعطل الدهر حالى

فتمنيت من لو يبني لي * اشتري غيضه بروحي ومالي

فلا والله ما كانت الا يسيرة مدة حتى رجع الماء الى مجاريه وابتسم ثغر دمشق عن شنب الري بعدما ذاق فريقه في فيه هذا وقد خمدت نار الحرب وقعدت بعد ما قامت على ساق وقدم وبطلت آلاتها التي كان لها على تحريك الاوتار وجس العيدان نغم واعتقل الرمح بسجن السلم وعلى رأسه لواء الحرب معقود وهجعت مقل السيوف في اجفانها لما علمت ان الزيادة في الحد نقص في المحدود وفاضت غدران الرحمة على رياض الامن فظهر لها من المسرة نبات حسن فالحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وبعد فالمعذرة من فهاهة هذه الرسالة التي هي في رياض الادب باقليه والصفح عن طولها وقصر بلاغتها بين يدي تلك المواقف السحبانيه وليكون محو ولاعلى متن الحلم كلامها الموضوع فقد علم الله انها صدرت من قلب مكسور وفؤاد مصدوع وذهن ضعيف وليس الكثير ضعفه عاصم ولا نافع وراحلة فكر أمست وهي عند سيرها الى غايات المعاني ضالع

فسيروا على سيري فاني ضعيفكم * وراحلتي بين الرواحل ضالع

(هذا) وكم تولد للمملوك في طريق الرمل من عقله وكم ذاق من قطاع الطريق انكادا حتى ظن انه لعدم النصرة ليس له الى الاجتماع وصله وكلما زعق عليه غراب تألم لسهام البين وفقد مصر التي هي نعم الكنانه وأنشد وقد تحير في الرمل لفراق ذلك التخت الذي أعز الله سلطانه

من زعقة الغراب بعد الملتقى * فارقت مصرا وبها أحبابي
وفي طريق الرمل صرت حائرا * مروعا من زعقة الغراب

واستقبل المملوك بعد ذلك بلاد الشام فبئس الحال وبئس الاستقبال فوالرحمن ما وصل بها الى مكان الا وجده قد وقعت فيه الواقعة واشتد القتال وحصدوا سنبل الرشاد فدرست فلا اعيد لعيد دهر بهم دروس وأداروا رحى الحرب بقلوب كالاحجار فطحنت عند ذلك الرؤس وأنشد لسان الحال

من كل عاد كعاد في تجبره * من فوق ذات عماد شاده ارم
لا يجمعون على غير الحرام اذا * تجمعوا كحباب الراح وانتظموا

وانتهت الغاية بالمملوك الى انه شلح بقرب الكسوة في الشتا وانتظرت ملك الموت وقد أمسيت

لي مهجة في النازعات وعبرة * في المرسلات وفكرة في هل أتى

(هذا) والليل قد اطفأت مصابيح أنواره وعسعس حتى أيقنت بموت الصبح وقلت لو كان في قيد الحياة تنفس فذهب المملوك وقد تزود عند قسم الغنيمة بسهم جرح ولم يجد له تعديلا ولكنه صبر على الالم بعدما كاد يدمى من الوهم ولم يلق له مجبرا الا ماقوي أمر ضعف منه الحيل الا أنه دخل تحت ذيل الليل فوصل الى البلد وقد وذنوبه لو تبدل بالامس ولم يسلم له في رقعة الحرب غير الفرس والنفس ولكنه أنشد

ما تفعل الاعداء فى جاهل * ما يفعل الجاهل فى نفسه

فأعاذ الله مولانا و بلاده من هذه القيامة القائمه و بدأه فى الدنيا ببراعة الامن وفى الآخرة بحسن الخاتمه (قلت قد استوعبت هنا تراجم كتاب الانشاء) ونبذة من فوائدهم ونبذة مما تخيرته من انشائهم وقد تعين ان أذكر بعد ذلك ما يحتاج اليه المنشئ الكامل الادوات من المحاسن اللائقة به وبالله المستعان (قال) أبو حيان التوحيدى يجب على المنشئ ان يكون حافظا لكتاب الله لينتزع من آياته الشريفة وان يعرف كثيرا من السنة والاخبار والتواريخ والسير ويحفظ كثيرا من الرسائل والكتب ويكون متناسب الالفاظ متشاكل المعانى عارفا بما يحتاج اليه ماهرا فى نظم بديع الشعر نظيف الثوب لطيف المركب ظريف الغلام أنيق الدواة حاد السكين متوددا الى الناس مخالطهم غير متكبر عليهم دمث الاخلاق رقيق الحواشى ترف الاطراف عذب السجايا حسن المحاضره مليح النادره غير قنف ولا متجرف ولا متشكاف الالفاظ الغريبة ولا متعسف اللغة العويصة (آداب الكتابة) روى الشعبى أنه قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كتب أولها باسمك اللهم فنزلت سورة هود وفيها بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله ثم نزلت سورة بنى اسرائيل وفيها قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت سورة النمل وفيها انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتبها (وروى) ان فصل الخطاب الذى أعطى داود عليه السلام أما بعد (وروى) ان أول من قالها كعب بن لؤى وهو أول من سمى يوم الجمعة (وعن) جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كتب أحدكم كتابا فليتربه فان التراب مبارك وهو أنجح (وروى) عنه عليه الصلاة والسلام انه كتب كتابين الى قريتين فاترب أحدهما ولم يترب الآخر فاسلمت القرية التى أترب كتابها (وقال الحسن بن وهب) كاتب رئيسك بما يستحق ومن دونك بما يستوجب وكاتب صديقك بما تكاتب به حبيبك فان غزل المودة أرق من غزل الصبابة (ورأيت) فى تذكرة الوداعى ان القاضى تاج الدين ابن بنت الاعز كان اذا كتب كتابا بدأ فى تربه بالبسملة لتعم بركتها اثر الكتاب ورمله ويحرز ذلك الرمل و يحترز عليه (وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما) فى قوله تعالى انى ألقى الى كتاب كريم قال مختوم وفض الكتاب اذا كسر ختمه (والعنوان) فيه خمس لغات أفصحها عنوان وجمعه عناوين وعلوان وعلاوين والعنوان الاثر وهو اثر الكتاب ممن والى من هو كما قيل * ضحوا باشمط عنوان السجود به * (والقلم) لا يقال له قلم الا اذا برى والا فهو انبوبة (ومن بديع ما سمعته فى وصف القلم من النظم) قول الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين على بن الآمدى منقول من خط الوداعى

تمشى البراعة والمداد وراءها * ظل على شمس الطروس يتوع
عوض الغوانى لو تلوح لمسلم * هذى المعانى راح وهو صريع
لولم تكن الفاظه خطبية * ما راح سرب اللفظ وهو منيع
ألفاظه رقت بوجنة طرسه * فكأنهن وقد جرين دموع

www.dorat-ghawas.com

قلم يجي الخطاب لنطقه * في المهد من يمناه وهو رضيع
وغدا كيميا وقد ضاهى العصا * فغدا يروق بفعله ويروع
بالنقط حاكته الشموع وبالضيا * حاكته في حلك المداد شموع
قد لازم القرطاس وهو منور * والطل يروى الروض وهو مريع
نور ونور خطه وكلامه * هذا يضيء به وذا يضوع

(وقال فيه وأجاد الى الغاية)

ليمناه ذو طرف كحيل اذا بكى * تبسم ثغر الخط من دمعه عجبا
وقد راح مشقوق اللسان متى جرى * بثغر الدوى المعسول أبدى اللمى العذبا

(وقلت من قصيدة رائية)

له يراع سعيد في تقلبه * ان خط خطا أطاعته المقادير
محبرو بتحبير العلوم اذا * جرى يرى منه تحرير وتحبير
غصن عليه طيور العلم عاكفة * وجانس النور من أوراقه النور
وأشقر يده البيضاء غرته * له الى الرزق فوق الطرس تيسير
بل أسمر عينه السوداء تلحظنا * وهدب أجفانها تلك التشاعير
أو سهم علم باطراف السطور غدا * مريشا وله في الضد تأثير
كذا محابره سود العيون فان * دانت أياديه فهي الاعين الحور

(ويعجبني قول الشيخ شمس الدين بن الزرقي في الدواة)

أنا دواة ينحل الجود من * بكا يراعي جل من قد براه
دلوا على مثلي من شفه * داء من الفقر فاني دواه

(وقلت فيما يكتب على دواة فولاذ)

كأنه الفضل دواتي وانها * سهم يراعي نصله نفاذ
واسمر الخط لديها قاصر * لانها على الجمى فولاذ

(قلت) ويتعين بعد وصف اقلام المنشئين والدواة وصف السكين فانهم أنشأوا في وصف السيف والقلم وما والاهما وهي أحق بذلك من غيرها لقربها من القلم وقد تقدم ان أبا طاهر كمال الدين اسمعيل بن عبد الرزاق الاصفهاني انفرد برسالة القوس والشيخ جمال الدين بن نباتة انفرد برسالة السيف والقلم وقد انفردت برسالة السكين (وهي) يقبل الارض التي قامت حدود مكارمها وقطعت عنا مكروه الفقر بسنون عزائمها و ينهي وصول السكين التي قطع بها أوصال الجفا وأضافها الى الادوية فحصل بها البرء والشفا وتالله ماغابت الا بلغت الاقلام من تعثرها الى الحفا زرقاء وكم شاهدت منها البيض الوان خرساء ومن العجائب أن لها لسانا لكل عنوان ماشاهدها موسى الا سجد في محراب النصاب وذل بعدما خضعت له الروس والرقاب كم أيقظت طرف القلم بعدما خط وعلى الحقيقة ماروى مثلها قط وكم وجدها الصاحب في المضايق نفعا وحكم بصدق محبتها قطعا ماضية العزم قاطعة السن فيها حدة

الشباب من وجهين لانها بالباب والنصاب معلمة من الطرفين أنملة صبيحة مصت بسواد الدجى ولسان برق امتد فى لهوات الليل فتنكرت اشعة الانجم حتى ما عرف منها سهيل هذا وتقطيعها موزون اذلم يتجاوز فى عروض ضربها الحد ومعلوم ان السيف والرمح لم يعرفا غير الجزر والمد

من أجلها تدخل فى مضايق * ليس لسيف قط فيها مدخل.
وكلما تفعله توجزه * والرمح فى تعقيده يطول

ان هجعت بجفنها كانت أمضى من الطيف وكم لها من خاصة جازت بها الحد على السيف تنسى حلاوة العسال فلا يظهر لطوله طائل وتغنى عن آلة الحرب بايقاع ضربها الداخل ان مرت بشكلها المحلى تركت المعادن عاطله ولم يسمع للحديد فى هذه الواقعة مجادله شهد الرمح بعد انه انها أقرب للصواب وحكم بصحة ذلك قبل ان يتشاكل لها النصاب ما طال فى رأس القلم شعرة الاسرحتها باحسان ولا طالعت كتابا الا أزالت غلطه بالكشط من رأس اللسان تعقد عليها الخناصر لانها عدة وعده وتالله ما وقعت فى قبضة الا أطالت لسانها وكانت بحده ان أدخلت الى القراب كانت قد سبكت على الدخول أو أبرزت من غمده كان على طلعتها الهلالية قبول تطرف باشعتها الباهرة عين الشمس وباقامتها الحد حافظت الاقلام على مواظبة الخمس وكم لها من عجائب تركت جدول السيف وهو فى بحر غمده غريق ولو سمع بها من قبل ضربه ما حمل التطريق فلو عاصرها الكمال لعرك من قوسه الادنين وقال له جدت رسالتك ياذا القرنين فان جذبت الى مقاومتها كانت لك يد تمتد وصلت السكين منك العظم وصار عليك قطع وانتهى أمرك الى ذا الحد وهل تعاند السكين صورة ليس لها من تركيب النظم الا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ولو لحظها الفاضل تحقق قوله ان خاطر سكينه كل أو أدركها ابن نباتة ما أقر برسالة السيف وذل وقال اقلم رسالته أطلق لسانك بشكر مواليك واخلص الطاعة لماريك ولم يقصد المملوك الايجاز فى رسالة السكين وتظمها الا لتكون مختصرة لحجمها لازالت صدقات مهديها تتحف بما يذبح نحر فقري وتأتى فى كل وقت بما يبرئ من داء الاحتياج ويبرى (قلت وعلى ما وقع من الغريب فى رسالة السكين) يتعين ان نورد ما وقع من غريب النظم فى السيف فان الشيخ جمال الدين بن نباتة ذكر من نثره فى رسالة السيف بدائع ولكنها مشهورة لتنقيب الناس عنها والاقتباس منها (قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه) لعمرو بن معدى كرب كيف تقول فى الرمح قال أخوك وربما خانك فانقصف قال فالترس قال هو المجن وعليه تدور الدوائر قال فالنبل قال منه ما يخطئ وما يصيب قال فما تقول فى الدرع قال مشغلة للراجل مشغلة للفارس وانها حصن حصين قال فما تقول فى السيف قال هنالك لا أم لك يا أمير المؤمنين فعلاه عمر بالدرة وقال لم تقول لا أم لك قال الحمى أصرعتنى يا أمير المؤمنين (الشريف البياضى) شعر

وأنا اذا الارواح ذابت مخافة * فتحنا باشطان الرماح ركاياها
متى ما أردنا أن يذاق حديدنا * خلقنا بحد المشرفية أفواها

(وقال أبو العلاء المعري)

غرار أراه لسانا مشى في * يقول غرار الموت ارتجالا
ودبت فوقه حمر المنايا * ولكن بعد ما مسخت نمالا
يذيب الرعب منه كل عضب * فلولا الغمد يمسكه اسالا

(وقال النامي)

ذو مدمع من غير ما مستعبر * وتبسم من ثغره متوالى
ويريك من لألائه متوقدا * حنق المنون به على الآجال

(وقال الغزوى)

كأن على افرنده موج لجة * تقاطر في حافاته وتجول
حسام غذاه الروح حتى كأنه * من الله في قبض النفوس رسول

(وقال وحيد الدين بن الذروى)

نتفت بأجياد الاسود لواحظا * رنت للمنايا عن عيون الثعالب
وانطقت أفواها على فم العدا * بالسنة البيض الرقاق المضارب
بحيث الوغى روض تغني ذبابه * وسال على نور الطلا كالمذانب
وقد رشفت وردا الكلوم صغاره * وما شربت الادماء الترائب
وله سكران من شربه خمر الدماء فان * حباه نور الطلا غنى له ساهزجا

(لسان الدين بن الخطيب)

وخليج هند راق حسن صفاته * حتى يكاد يعوم فيه الصيقل
غرقت بصفحته النمال فاوشكت * تبغي النجاة فاوثقتها الارجل
فاصرح منه بمورد والصفح منه مورد والشط منه مهدل

(القاضي الفاضل)

تمد الى الاعداء منها معاصما * فترجع من ماء الكلى باساور

وله من أخرى

ورب هاتفة دعتهم للوغى * جعلوا صليل المرهفات صداها
هي في بحار يديه أمواج ترى * ونفوس من قتلته من غرقاها

(وقال ابن قلاقس وأجاد)

اسهرتهم وشهرتها لجموعهم * مذ احرمت في راحتيك حرام
وكلاهما جفن منعت قراره * لكن ذا عضب وذلك منام

(وقال ابن سناء الملك)

له منصل لا يقتضي فرض حجه * فبالضرب لبى حين بالقتل أحرما
تنسك بالاسلام لكن رأيته * يحل له في الشرع أن يشرب الدما
فكم سل لما سل من بطن غمده * لسان دم من ضربة خلقت فما

www.dorat-ghawas.com

(مجير الدين بن تميم)

لما فنيت من الصوارم اعوجا * يجرى القضاء بنهره المتموج
جبت الفقار وما حملت أوانيا * للماء من تقى بنهر الاعوج

(وقال الغزى)

وقد سلب الطعن الاسنة لونها * فعصفر فى اللبات ما كان أزرقا
واسيافنا فى السابغات كانها * جداول تجرى بين زهر تفتقا

(ابن خفاجة)

موسد تحت ظل السيف تحسبه * مستلقيا فوق شاطى جدول غلا

(جمال الدين بن نباتة)

وصارم كعباب الموج ملتطم * يكاد يغرق رائيه و يحترق
لما غدا جدولا يسقى المنون به * أضحى يشف على حافاته العلق

(برهان الدين القيراطى)

قوم مناديلهم بيض فكم مسحت * رقاب أعدائهم تلك المناديل

(وقلت)

وسيف له فى الحرب حسن تغزل * اذا ما رآنى قد علوت على نهد
فكم خد خدا فوق صدر مدرع * فبان احمرار الورد فى ذلك الخد
وكم مال قد فى الوغى ميل معجب * فقابله ذاك المهند بالقد
وكم أعجموا ألفاظهم ساعة اللقا * فكلمهم ذاك المهند بالهندى

(قلت) وقد وجب ان نذكر هنا ماوقع بعد السيف من غريب النظم فى الرمح (ذكر القاضى الرشيدى) ابن الزبير فى كتابه العجائب والطرف انه كان فى خزانة السلاح أيام السفاح خمسون ألف درع وخمسون ألف سيف وثلاثون ألف جوشن ومائتا ألف رمح (وقال الفضل بن الربيع) لما ولى الامين الخلافة سنة ثلاث وتسعين ومائة أمرنى ان أحصر ما فى خزانة السلاح فكان فيها من السيوف المحلاة بالذهب عشرة آلاف وخمسون ألف سيف للشاكرية والغلمان ومائة وخمسون ألف رمح ومائة ألف قوس وألف درع محلاة وألف درع عامة وعشرون ألف بيضة وعشرون ألف جوشن ومائة ألف وخمسون ألف ترس وأربعة آلاف سرج محلاة بالذهب وثلاثون ألف سرج عامة انتهى (قلت و يعجبنى قول القاضى الفاضل فى بيت من قصيدة)

أمنصل الرمح الطويل بكوكب * من ذا يطاعن والسماك سنان

(ومثله فى الحسن قول ابن سناء الملك)

ملوك يحوزون الغنائم عنوة * بسمر العوالى أو ببيض القواضب
رماح بأيديهم طوال كانما * أرادوا بها تنقيب در الكواكب

(ابن قلاقس وأجاد)

وقد كانت بأميال العوالى * أساة الحرب أحداق الدروع

وشب البأس نيران المواضي * وأسبل غيث أمواه النجيع
فللفرسان من محل ووحل * حديث عن مصيف أو ربيع

ويعجبني أيضا قول القاضي الفاضل من قصيدة

فيا عجبا للات فرقرارة * بجنفانات من قتال السواحر
طواعن اسرار القلوب نواظر * كانك قد نصلتها بنواظر

(ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب وأجاد)

وبكل أزرق ان شكت الحاظه * مرة العيون فبالجاجة تكحل
متأود أعطافه في نشوة * مما يعل من الدماء وينهل
فكأنه ان النجيع بطرفه * رمد ولا يخفى عليه مقتل

(السيد الفاضل شمس الدين ابن الصاحب موفق الدين بن الآمدي)

غصون بها طير النفوس تأفرت * وعهدي ان الطير للغصن يألف
فلا ورق الا من السمر حولها * ولا زهر الا من النصر يقطف

(ابن نباتة السعدي)

وولوا عليها يقدمون رماحنا * وتقدمها أعناقهم والمناكب
خلقنا بأطراف القنا لظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب

(قلت) رسم كافل المملكة الشريفة الشامية وهو المقر المرحومي العلائي تغمده الله برحمته ورضوانه للفضلاء بدمشق المحروسة وغيرهم من الفضلاء بالبلاد الشامية ان ينظموا أبياتا تكتب على أسنة الرماح وتكون عدة الابيات أربعة (فنظم المقر المرحومي الفتحي ابن الشهيد قوله)

اذا الغبار علا في الجو عثيره * فاظلم الجو ما للشمس أنوار
هذا سناني نجم يستضاء به * كأنه علم في رأسه نار
والسيف ان نام ملء الجفن في غلق * فانني بارز للحرب خطار
ان الرماح لأغصان وليس لها * سوى النجوم على العيدان أزهار

(ونظم الرئيس شمس الدين بن المزين)

أنا أسمر والراية البيضاء لي * لا للسيوف وسل من الشجعان
لم يحل لي عيش العداة لانني * نوديت يوم الجمع بالمران
واذا تفاهمت الكماة بجحفل * كلمتهم فيه بكل لسان
فنحا لهم غمام تساق الى الردى * قهر المعظم سطوة الجوبان

(ونظم المقر المرحومي وهو اذ ذاك كاتب السر بحمص المحروسة)

عروس سناني حين تجلى على العدا * وتظهر تبدي ما لهم من بواطن
وقد صبغ من هم فبين صدورهم * مجال له رحب فسيح المواطن
سيلقون يوم الجمع غبنا لموتهم * بطعني ويوم الجمع يوم التغابن

وان

www.dorat-ghawas.com

وان شهدوا بالجورقى وعدلوا * فانى قد بينت فيهم مطاعنى

(ونظم قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى سامحه الله)

النصر مقرون بضرب أسنة * لمعانها كوميض برق يشرق

سبكت لتسبك كل خصم مارد * وتطرقت لمعاند يتطرق

زرق تفوق البيض فى الهيجاء اذ * يحمر من دمه العدو الازرق

ينسجن يوم الحرب كل كتيبة * تحت الغبار فنسجهن محقق

(وقلت)

أنا رمح ورامح الافق يخشى * من هوى اليه يوم الطعان

واذا أنكروا عداة قدى * يوم حكم جرحتهم بلسانى

وسنانى كالبرق بل صارمنه * قلب سيف البروق فى خفقان

رمحه الردين ينسب لكن * صاح لما علاه بالسنان

(مجير الدين بن تميم)

لو كنت تشهدنى وقد حمى الوغا * فى موقف ما الموت فيه بمعزل

لترى أنابيب القناة على يدى * تجرى دما من تحت ظل القسطل

(ابن شرف القيروانى)

وقد وخطت أرماحهم مفرق الدجى * فبان بأطراف الاسنة شائبا

(ذكر الثعالبى) فى لطائف المعارف ان أول من عمل السنان من حديد ذو يزن الحميرى واليه تنسب الرماح اليزنيه وانما كانت أسنة العرب من صياصى البقر (قلت) لم يبق بعد السيف والرمح غير القوس ولو ان رسالة القوس مشتملة بكمالها على اصابة الغرض لا تبتهاهنا ولكن جمع فى نظم عقدها بين الجوهر والعرض وبراعة استهلالها غاية لا تدرك (وهى) ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا فاتبع سببا (ومن) غاياتها بعد ذلك قوله منها صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم الا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ومن أصاب الغرض بالغازه فى القوس الشهاب الاعزازى بقوله

ما عجوز كبيرة بلغت عمرا طويلا وتتقيها الرجال

قد علا جسمها اصفرار ولم تشك سقاما ولا عراها هزال

ولها فى البنين سهم وقسم * وبنوها كبار قدر نبال

(صفى الدين الحلى ملغزا فيه)

وما اسم تراه فى البروج وانما * يحل به المريخ دون الكواكب

اذا قدر البارى عليه مصيبة * عدته وحلت فى صدور الكتائب

(الشيخ بدر الدين بن الصاحب)

لله عملوك اذا * ما قام فى الشغل اعترض

لكنه فى ساعة * يحصل لك الغرض

(ومن الغايات التى لا تدرك لعز قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى رحمه الله تعالى فى المكشتوان)

مار فيق وصاحب لك تلقا * ومعينا على بلوغ المرام
هو للعين واضح وجلى * وتراه فى غاية الابهام

(قلت ومن نظمى فى القوس)

قوسى اذا جذبته يطربنى * بجس عوده وتحريك الوتر
ونجم ذاك السهم ان فوقته * يرى له فى طارة البدر أثر

(الشيخ جمال الدين بن نباتة)

فديتك أيها الرامى بقوس * ولحظ باض قلبى عليه
لقوسك نحو حاجبك انجذاب * وشبه الشئ منجذب اليه

(قلت) لم يبق بعد وصف آلة الحرب وصف غير الخيول المسومة التى لا بد لفحول كتاب الانشاء من الجولان فى ميدان وصفها وجرى السوابق الذى جمعته فى هذا الباب قد تقدم فى الجزء الاول من بلوغ المراد ولكن اذا كنت منشئ دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة يتعين على ان أورد هنا لكتاب الانشاء من فقه هذا الفن ما يحتاجون الى معرفته (قلت) السجع مأخوذ من سجع الحمام واختلف فيه هل يقال فى فواصل القرآن اسجاع أم لا فمنهم من منعه ومنهم من اجازه والذى منع تمسك بقوله تعالى كتاب فصلت آياته فقال قد سماه فواصل فليس لنا ان نتجاوز ذلك والسجع ينقسم الى أربعة أقسام المرصع والمطرف والمتوازى والمشطر (فالمرصع) عبارة عن مقابلة كل لفظة من صدر البيت أو فقرة النثر بلفظة على وزنها ورويها وهو مأخوذ من مقابلة العقد فى ترصيعه ومن أمثلته النثرية فى الكتاب العزيز ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم (ومنه قوله تعالى) ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم (ومنه) قول الحريرى فى المقامات يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه (والمطرف) هو ان يأتى المتكلم فى آخر كلامه أو فى بعضه باسجاع غير متزنة بزنة عروضية ولا محصورة فى عدد معين بشرط أن يكون روى الاسجاع روى القافية كقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا (وكقولهم) جنابه محط الرحال ومخيم الآمال (ومن امثلته الشعرية قول ابى تمام

تجلى به رشدى واثرت به يدى * وفاض به ثمدى واورى به زندى

(الثالث المتوازى) وهو ان تتفق اللفظة الاخيرة من القرينة مع نظيرتها فى الوزن والروى كقوله تعالى فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة (ومنه) قول النبى صلى الله عليه وسلم اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا (ومنه) قول الحريرى فى المقامات وأودى بى الناطق والصامت ورثى لى الحاسد والشامت انتهى (القسم الرابع السجع المشطر) وهو ان يكون لكل نصف من البيت قافيتان مغايرتان لقافيتى النصف الآخر ولكن هذا القسم مختص بالنظم كقول أبى تمام يمدح أمير المؤمنين المعتصم رحمهما الله تعالى

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتقب فى الله مرتغب

انتهى

www.dorat-ghawas.com

انتهى باب السجع قلت وقالت علماء هذا الفن ان قصر الفقرات في الانشاء يدل على قوة
المنشئ وأقل ما تكون من كلمتين كقوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك
فطهر وأمثال ذلك كثيرة في الكتاب العزيز لكن الزائد على ذلك هو الاكثر (وكان)
بديع الزمان يكثر من ذلك كقوله كميت نهد كان راكبه في مهد يلطم الارض بزبر ويغزل من
السماء بخبر لكن قالوا التلذذ السامع بما زاد على ذلك أكثر لتشوقه الى ما يرد منه متزايدا
على سمعه انتهى (وأما الفقر المختلفة) فالاحسن ان تكون الثانية أزيد من الاولى بقدر
غير كثير لئلا يبعد على السامع وجود القافية فتذهب اللذة فان زادت القرائن على اثنتين
فلا يضر تساوي القرينتين الاوليين وزيادة الثالثة عليهما وان زادت الثانية على الاولى
يسيرا والثالثة على الثانية فلا بأس لكن لا يكون أكثر من المثل ومثاله في القرينتين قوله
تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا فالثانية أطول من الاولى (ومثاله) في الثالثة قوله تعالى وأعتدنا لمن
كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا
ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا (ومن فوائد الانشاء) ان تكون كل فاصلة مخالفة لنظيرتها
في المعنى لان اللفظ اذا كان من القرينة بمعنى نظيره من الأخرى لم يحسن كقول الصاحب بن
عباد في وصف منهزمين طاروا واقين بظهورهم صدورهم وبأصلابهم نحورهم فالظهور بمعنى
الاصلاب والصدور بمعنى النحور (ومنه قول الصابئ) يسافر رأيه وهو دان لا يبرح ويسير وهو
باق لا ينزح فلا يبرح ولا ينزح بمعنى واحد ويسافر ويسير كذلك (ومن فوائد الانشاء) التي
يتسع فيها المجال على المنشئ ان السجع مبني على الوقف وكلمات الاسجاع موضوعة على ان
تكون ساكنة الاعجاز موقوفا عليها لان الغرض ان يجانس المنشئ بين القرائن ويزاوج
ولا يتم له ذلك الا بالوقف اذ لو ظهر الاعراب لفات ذلك الغرض وضاق المجال على قاصده فان
قافية السجعة اذا كانت في محل نصب وأختها في محل رفع ساوى بينهما السكون وصار الاعراب
مستترا فلو أثبتوا الاعراب في قول من قال ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت للزم ان تكون التاء
الاولى مفتوحة والثانية مكسورة منونة فيفوت غرض المنشئ (ومن ذلك) ان السجع مبني
على التغيير فيجوز ان يغير لفظ القافية الفاصلة لتوافق أختها فيجوز فيها حالة الازدواج ما لا
يجوز فيها حالة الانفراد (فمن ذلك) الامالة فقد يكون في الفواصل ما هو من ذوات الياء وما هو
من ذوات الواو فيمال التي هي من ذوات الواو وتكتب بالياء حملا على ما هو من ذوات الياء لاجل
الموافقة (كقوله تعالى) والضحى فالضحى ميلت وكتبت بالياء حملا على ما في السورة الشريفة
من ذوات الياء لاجل الموافقة (وكذلك) سورة والشمس وضحاها أميلت فيها ذوات الواو
وكتبت بالياء حملا على ما فيها من ذوات الياء (ومن) ذلك حذف المفعول نحو قوله تعالى
ما ودعك ربك وما قلى الاصل وما قلاك ولكن حذفت الكاف لتوافق الفواصل (ومن
ذلك) صرف ما لا ينصرف كقوله تعالى قواريرا صرفه بعض القراء السبعة ليوافق فواصل
السورة الشريفة ولو تتبع المتأمل ذلك في الكتاب العزيز لوجده كثيرا (ومما جاء) من ذلك
في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم أعيذه من الهامة والسامة ومن كل عين لامة الاصل عين

www.dorat-ghawas.com

حالة (ومنه قوله) صلى الله عليه وسلم مأزورات غير مأجورات الاصل موزورات بالواو لانه من الوزر ولكن همز ليوافق مأجورات (ومنه قوله) صلى الله عليه وسلم دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم الاصل ما وادعوكم ولكن حذفت الالف لتحصل الموافقة (قلت) وهذا نوع من المشاكلة لان المشاكلة في اللغة هي المماثلة وهي في المصطلح ذكر الشيء بغير لفظه لموافقة القرائن ومشاكلتها كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فالجزاء عن السيئة في الحقيقة غير سيئة والاصل وجزاء سيئة عقوبة (ومنه قوله تعالى) تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك والاصل تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما عندك لان الحق تعالى وتقدس لا تستعمل لفظة النفس في حقه الا انها استعملت هنا للمماثلة والمشاكلة كما تقدم (ومنه قوله تعالى) ومكروا ومكر الله والاصل وأخذهم الله (وفي الحديث) قوله صلى الله عليه وسلم فان الله لا يمل حتى تملوا الاصل فان الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا من مسئلته فوضع لا يمل موضع لا يقطع لاجل المشاكلة وهو مما وقع فيه لفظ المشاكلة أولا (ومنه قول الشاعر)

قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

أراد خيطوا لي جبة وقميصا وذكره بلفظ الطبخ لوقوعه في صحبة طبخه انتهى (قلت) ومن غايات الانشاء البلاغة في المقاصد والبلاغة هي ان يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع ايجاز بلا اخلال واطالة من غير املال (والفصاحة) خلوص الكلام من التعقيد وقيل البلاغة في المعاني والفصاحة في الالفاظ يقال معنى بليغ ولفظ فصيح والفصاحة خاصة تقع في المفرد يقال كلمة فصيحة ولا يقال كلمة بليغة ففصاحة المفرد خلوصه من التعقيد وتنافر الحروف والفصاحة أعم من البلاغة لان الفصاحة تكون صفة الكلمة والكلام يقال كلمة فصيحة وكلام فصيح والبلاغة لا يوصف بها الا الكلام فيقال كلام بليغ ولا يقال كلمة بليغة واشتركا في وصف المتكلم بهما فيقال متكلم فصيح بليغ (فمن الانشاء البليغ الفصيح) قول عبد الحميد عند ظهور الخراسانية بشعار السواد فانه نوار يتجلى هذه الغمرة وتصحوا من هذه السكرة فسينضب السيل وتمحى آية الليل (ومثله) قول أبي نصر العتبي دب الفشل في تضاعيف احشائهم وسرى الوهن في تفاريق اعضائهم لجيوب الاقطار عنهم مزروره وذيول الخذلان عليهم مجروره (ومثله) قول الصابي نزغ به شيطانه وامتدت في الغي اشطانه (ومثله) قول بديع الزمان كأني الى البحر وان لم أره فقد سمعت خبره والليث وان لم ألقه فقد تصورت خلقه ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره (ومثله) قول القاضي الفاضل ووافينا قلعة نجم وهي نجم في سحاب وعقاب في عقاب وهامة لها الغمام عمامه وانملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامه (قلت) ويعجبني في هذا الباب من انشاء الشهاب محمود قوله في وصف مقدم سرية كشف الازار في مقاصده أخف من وطأة ضيف وفي مطالبه أخفى من زورة طيف وفي تنقله اسرع من سحابة صيف واروع للعدا من سلة سيف (ومثله في الحسن) قوله في صدر مثال شريف سلطاني اصدرناها والسيوف قد انفت من الغمود ونفرت من قربها والاسنة قد ظمئت الى موارد القلوب وتشوقت الى الارتواء من قلبها والحماة ما منهم الا من افتظهر بامكان قوته وقوة امكانه والابطال ليس فيهم من يسأل عن عدد عدوه بل عن مكانه

(ومثله)

www.dorat-ghawas.com

(ومثله فى الحسن) ما كتبت به جوابا عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله ثراه الى قرا يوسف ملك العراق يتضمن خطاب الايناس نظير ما خاطب فى مكاتبته (لمن) الجواب قولى وهذه الفة خولتنا فى نعم الله وزمام الاخوة منقادا الينا وقد تعين على القران يقول انا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا وقد سرتنا الاشارة الكريمة بالتمكين من أرض العدو ومطابقة الطول بالعرض وهذا الاسم قد شملته العناية قديما بقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض وأما قرا عثمان فقل سيوفنا ما غمضت عنه فى اجفانها وأنامل اسنتنا ما ذكرت نوبته الا شرعت فى جس عبدانها وجوارح سهامنا ما برحت تنفض ريش أجنحتها للطيران اليه وان كان معنى سافلا فلابد لاجل القران تخيم عليه وينزل سلطان قهرنا بأرضه ويغرس فيها عيدان المران وان كانت من الاسماء التى ما أنزل الله بها من سلطان ولم يهمل الا الاشتغال الدولتين بالدخول فى تطهير الارض من الخوارج وايقاع الضرب الداخل من جس العيدان فى كل خارج وبدهمه من ابن أبى النصر ابناء حرب شرف فى انساب الوقائع جدهم ورد الجموع الصحيحة الى التكسير فردهم واذا كثرت الحدود وتوردت بالدماء عذرت بورق الحديد الاخضر مردهم واذا امتدوا الى آمد تلاهم حصنها فى سورة الفتح قبل القتال فانهم مريدون ولهم شيخ منحه الله بكثرة الفتوح والاقبال واذا صرفوا الهمم المؤيدية لم تكن حصونهم عند ذلك الصرف مانعه ولم يسمع اسكانها المجادلة اذا صدموا بالحديد وتلت حصونهم فى الواقعة وما خفى عن كريم علمه ما جمعه الناصر من الجموع التى فرقها الله أيدى سبا وكم سال سائل وقد رآهم فى المنازعات عن ذلك المصر بالنبا وقد أشار منشئ دولتنا الشريفة الى ذلك فى قصيد كامل بحره مديد والقصد هنا من أبيات ذلك القصيد (قوله)

يا حامى الحرمين والاقصى ومن * لولاه لم يسمر بمكة سامر
والله ان الله نحولك ناظر * هذا وما فى العالمين مناظر
زحف على المحبوس نظم عسكرا * والطاعه فى النظم بحر وافر
فانبت منه زحافه فى وقعة * يا من باحوال الوقائع شاعر
وجميع هاتيك البغاة باسرهم * دارت عليهم من سطاك دوائر
وعلى ظهور الخيل ماتوا خيفة * فكأن هاتيك السروج مقابر

(وما) خفى عن علمه الكريم أمر الذين نقضوا بيعتنا واشتروا الضلالة بالهدى ودعوا سيوفهم الصقيلة لما حاق بهم المكر السئ فأجابهم الصدى ولم يكن فى حرارة عزمنا الشريف عند عصيانهم البارد فترة حتى أظهرنا بالوان الشام من دمائهم على تدبيج الدروع الوان البصره وأخذوا سريعا بشبان حرب ما شابت عوارضهم الا بغبار الوقائع وحكم برشدهم ولم يخرجوا من تحت حجر المعامع وقد أسبغ الله ظلال الملك وخيم به على الدولتين ولم يظهر لمحراب بهجة الا بهاتين القبلتين ولو صلت السيوف لغيرهما ما قبلت أو صرفت العوامل الى غير نحوهما ما عملت وقد فهمنا كريم الالتفات الى أن مدار كؤوس الانشاء بيننا ممزوجة بصافى المودة وعلمنا أنها أحكام صحيحة فى شرع الاخوة وهذه الاحكام عندنا عمده وقد سابق القصد اليوسفى بسهام مراده الى الغرض وقضى حاجة فى نفس يعقوب المحبة ليس عنها عوض ولم

يبق الاتصال شمل الاوصال بكل رسالة سطورها في رقاع الاخوة محققة
وتصديق ما بقصه في كريم جوابه فان القصة اليوسفية ما برحت
مصدقه والله تعالى يمتع الابصار والاسماع بمشاهدة أمثلته
وطيب أخباره ويفكهما من بين أوراقها بشهي
ثماره ان شاء الله تعالى انتهى ماذنت
قطوفه من ثمرات الاوراق
وحلا في الاذواق
السليمة
وراق

وهذا ذيل ثمرات الاوراق لابن حجة المذكور ضاعف الله لما أوله الاجور وهي محاضرات لا يستغنى عنها وعليها يعول فلذلك ألحقت الاصل في الطبع وجعلت تتمة للاول

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يحكى) ان هارون الرشيد حج ماشيا وان سبب ذلك ان أخاه موسى الهادي كانت له جارية تسمى غادر وكانت احظى الناس عنده وكانت من أحسن النساء وجها وغناء فغنت يوما وهو مع جلسائه على الشراب اذ عرض له سهو وفكر وتغير لونه وقطع الشراب فقال الجلساء ما شأنك يا أمير المؤمنين قال قد وقع في قلبي ان جاريتي غادر يتزوجها أخي هارون بعدي فقالوا يطيل الله بقاء أمير المؤمنين وكلنا فداؤه قال ما يزيل هذا ما في نفسي وأمر باحضار هارون وعرفه ما خطر بباله فاستعطفه وتكلم عما ينبغي ان يتكلم به في تطييب نفسه فلم يقنع بذلك وقال لا بد أن تحلف لي قال أفعل وحلف له بكل يمين يحلف بها الناس من طلاق وعتاق وحج وصدقة وأشياء مؤكدة فسكن ثم قام فدخل على الجارية فاحلفها بمثل ذلك ولم يلبث الا شهرا ثم مات فلما أفضت الخلافة الى هارون أرسل الى الجارية يخطبها فقالت يا سيدي كيف بايمانك وأيماني فقال احلف بكل شئ حلفت به من الصدقة والعتق وغيرهما الا تزوجتك فتزوجها وحج ماشيا اليمينه وشغف بها أكثر من أخيه حتى كانت تنام فيضع رأسها في حجره ولا يتحرك حتى تنتبه فبينما هي ذات ليلة نائمة اذ انتبهت فزعة فقال لها ما لك قالت رأيت أخاك في المنام الساعة وهو يقول

أخلفت وعدك بعدما * جاورت سكان المقابر
ونسيتني وحنثت في * أيمانك الكذب الفواجر
فظللت في أهل البلا * وغدوت في الحور الغرائر
ونكحت غادرة أخي * صدق الذي سماك غادر
لا يهنك الالف الجديد ولا تدر عنك الدوائر

وطلقت بي قبل الصبا * ح وصرت حيث غدوت سائر

والله يا أمير المؤمنين فكأنها مكتوبة في قلبي ما نسيت منها كلمة فقال الرشيد هذه أضغاث أحلام فقالت كلا والله ما أملك نفسي وما زالت ترتعد حتى ماتت بعد ساعة (وحكى ابن أبي حجلة) في كتابه سلوك السنن الى وصف السكن اخبرني شمس الدين محمد بن فراج الحسيني أخبرنا شيخنا أثير الدين أبو حيان أنبأنا فتح الدين بن الدهان الطيبة قال رأيت في المنام شيخا حسن الصورة والمشية وعليه فرجية وكأنا نمشي في طريق وأنا راكب دابة فقلت له رافقني فقال ليس الماشي برفيق الراكب فقلت اركب أنت وأمشي أنا فقال المسئلة بحالها ثم افضنا في الحديث فسألني ما صنعتك فقلت كاتب فقال كاتب احسان أو كاتب انشاء فقلت شئ من هذا وشئ من هذا فقال ما يدعي دعواك عبد الرحيم ولا عبد الحميد ثم قال هل تنظم الشعر قلت نعم قال أنشدني وكنت قد عملت قصيدة احجازية وكنت استجيده فانشدته الى أن بلغت قولي

تركوا بماء النيل ماء سلسلا * وترشفوا ماء الثمار مكدرا

فقال الى لاشئ فقلت لم قلت ذلك وما عيب هذا البيت فقال لو قلت صافيا لكان حسنا وكان طباقا لان الكدر يقابله الصافي قلت له هذا احسن فمن أنت يرحمك الله قال أبو مرة قلت لا خير ولا مير قال بلى ثم بعد ذلك بشهور رأيته في المنام على الهيئة المتقدمة فسلم علي سلام من يعرفني ثم قال هل تعرف من الشعر المشؤوم شيأ قلت قال نعم قال فانشدني وكنت قد عملت قطعة شعر حال ضعفي بالنزلة فانشدته اياها

لله ما أشكوه من نزلة * قد ضر منها ضيق أنفاسي

ومن صداع ضقت ذرعا به * باتت يدي منه على راسي

فقال هذا والله الشعر ثم قال أضف اليهما

فاعجب الى داءين قد عززا * بثالث من داء افلاس

(وحكى في مرآة الزمان وغيرها في ترجمة شمس الدين توران شاه بن أيوب أخي السلطان صلاح الدين) قال محمد بن علي الحكيم الاديب رأيت شمس الدولة بعد موته فمدحته بأبيات فلف كفنه ورمى به الي وقال

لا تستقلن معروفا سمحت به * ميتا فامسيت منه عاري البدن

ولا تظنن جودا شابه بخل * من بعد بذلي ملك الشام واليمن

اني خرجت من الدنيا وليس معي * من كل ما ملكت كفي سوى الكفن

(حكى) أنه كان ببغداد شخص يعرف بأبي القاسم الطنبوري صاحب نوادر وحكايات وله مداس له مدة سنين كلما انقطع منه موضع جعل عليه رقعة الى أن صار في غاية الثقل وصار يضرب به المثل فيقال أثقل من مداس أبي القاسم الطنبوري فاتفق أنه دخل سوق الزجاج فقال له سمسار يا أبا القاسم قد وصل تاجر من حلب ومعه حمل زجاج مذهب قد كسد فابتعه منه وأنا أبيعه لك بعد مدة فيكسب المثل مثلين فابتاعه بستين دينارا ثم دخل سوق العطارين فقال سمسار آخر قد ورد تاجر من نصيبين بماء ورد في غاية الحسن والرخص ابتعه منه وأنا أبيعه لك بفائدة كثيرة فابتاعه بستين دينارا أخرى ثم جعله في الزجاج المذهب ووضعه على رف في صدر

البيت ثم دخل الحمام بقلبس فقال له بعض أصدقائه يا أبا القاسم اشتهي أن تغير مداسك فانه
في غاية الوحاشة وأنت ذو مال فقال السمع والطاعة ولما خرج من الحمام ولبس ثيابه وجد الى
جانب مداسه مداسا جديدا فلبسه ومضى الى بيته وكان القاضي دخل الحمام يغتسل ففقد
مداسه فقال الذي لبس مداسي ما ترك عوضه شيأ فوجدوا مداس أبي القاسم فانه معروف
فكبسوا بيته فوجدوا مداس القاضي عنده فاخذ منه وضرب أبو القاسم وحبس وغرم جملة
مال حتى خرج من الحبس فاخذ المداس وألقاه في الدجلة فغاص في الماء فرمى بعض الصيادين
شبكته فطلع فيها المداس فقال هذا مداس أبي القاسم والظاهر انه سقط منه فحمله الى بيت
أبي القاسم فلم يجده فرماه من الطاق الى بيته فسقط على الرف الذي عليه الزجاج فتبدد ماء
الورد وانكسر الزجاج فلما رأى أبو القاسم ذلك لطم على وجهه وصاح وافقراه أفقرني هذا
المداس ثم قام يحفر له في الليل حفرة فسمع الجيران حس الحفرة فظنوا أنه نقب فشكوه الى
الوالي فارسل اليه من اعتقله وقال له تنقب على الناس حائطهم احبسوه ففعلوا فلم يخرج
من السجن الى ان غرم جملة مال فاخذ المداس ورماه في مستراح الخان فسد قصبة المستراح
وفاض فكشف الصناع ذلك حتى وقفوا على موضع السد فوجدوه مداس أبي القاسم فحملوه
الى الوالي وحكوا له ما وقع فقال غرموه المصروف جملة فقال ما بقيت أفارق هذا المداس
وغسله وجعله على السطح حتى يجف فرآه كلب ظنه رمة فحمله وعبر به الى سطح آخر فسقط
على امرأة حامل فارتجفت وأسقطت ولدا ذكرا فنظروا ما السبب فاذا مداس أبي القاسم
فرفع الى الحاكم فقال يجب عليه غرة فابتاع ام غلام وخرج وقد افتقر ولم يبق معه شئ فاخذ
المداس وجاء به الى القاضي وحكى له جميع ما اتفق له فيه وقال اشتهي ان يكتب مولانا القاضي
بيني وبين هذا المداس مباراة بانه ليس مني ولست منه واني بريء منه ومهما فعله يؤاخذ به
ويلزمه فقد افقرني فضحك القاضي ووصله بشئ ومضى اهـ

﴿هذه قصيدة ليزيد بن معاوية وهي عزيزة الوجود﴾

وسرب كعين الديك ميل الى الصبا * روائع بالجادي سود المدامع
سمعن غناء بعدما نمن نومة * من الليل يطلعن فوق المضاجع
أيا دهر هل شرخ الشبيبة راجع * مع الخفرات البيض أم غير راجع
قنعت بزور من خيال بعثته * وكنت بوصل منهم غير قانع
اذا رمت من ليلى على البعد نظرة * لتطفي جوى بين الحشا والاضالع
تقول رجال الحي تطمع ان ترى * لليلى وصالا من بداء المطامع
وكيف ترى ليلى بعين ترى بها * سواها وما طهرتها بالمدامع
اجلك يا ليلى عن العين انما * أراك بقلب خاضع لك خاشع
وما سر ليلى ماحبيب بذائع * وما عهد ليلى ان تناءت بضائع

(من غريب ما يحكى) ان عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان والدة يزيد بن عبد الملك بن
مروان حرمت على اثني عشر من الخلفاء من بني أمية معاوية جدها ويزيد أبوها ومروان أبو
زوجها والوليد وسليمان وهشام بنو عبد الملك أولاد زوجها والوليد بن يزيد ابن ابنها ويزيد بن

الوليد ابن زوجها وابراهيم بن مروان بن الوليد ابن زوجها أيضا ويزيد بن عبد الملك ابنها ومعاوية بن يزيد بن معاوية أخوها وزوجها عبد الملك بن مروان ولم يتفق ذلك لامرأة غيرها انتهى (وجد بخط قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر حافظ العصر) قال وجد بخط الشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيي بن أبي حجلة التلمساني قال أنشدني القاضي فخر الدين عبد الوهاب المصري لنفسه في الاهرام سنة خمس وخمسين وسبعمائة وأجاد

امبانى الاهرام كم من واعظ * صدع القلوب ولم يفه بلسانه
أذكرتني قولا تقادم عهده * أين الذي الهرمان من بنيانه
هن الجبال الشامخات تكاد أن * تمتد فوق الافق عن كيوانه
لو أن كسرى جالس في سفحها * لاجل مجلسه على ايوانه
ثبتت على حر الزمان وبرده * مددا ولم تأسف على حدثانه
والشمس في احراقها والريح عنـد هبوبها والسيل في جريانه
هل عابد قد خصها بعبادة * فبنى الاهرام من أوثانه
أو قائل يقضي برجعة نفسه * من بعد فرقته الى جثمانه
فاختارها لكنوزه ولجسمه * قبرا ليأمن من أذى طوفانه
أو انها للسائرات مراصد * يختار راصدها اعز مكانه
أو انها وضعت بيوت كواكب * احكام فرس الدهر أو يونانه
أو انهم نقشوا على حيطانها * علما تحار الفكر في تبيانه
في قلب رائيها العلم نقشها * فكر بعض عليه طرف بنانه

(يحكى) ان القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني كان يمر على الناس ولا يسلم عليهم فلامه بعض أصحابه في ذلك فقال

يقولون لي فيك انقباض وانما * رأوا رجلا عن موقف الذل احجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم * ومن أكرمته عزة النفس اكرما
واني اذا مافاتني الامر لم أكن * أقلب كفي اثره متندما
ولم أقض حق العلم ان كان كلما * بدا مطمع صيرته لي سلما
وما كل برق لاح لي يستفزني * ولا كل من في الارض أرضاه منعما
اذا قيل هذا منهل قلت قد أرى * ولكن نفس الحر تحتمل الظما
انهنهها عن بعض مالا يشينها * مخافة أقوال العدا فيم أولما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي * لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
أأشقى به غرسا واجنيه ذلة * اذا فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو ان أهل العلم صانوه صانهم * ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهان ودنسوا * محياه بالاطماع حتى تجهما

قال شيخ الاسلام تاج الدين عبد الوهاب بن شيخ الاسلام تقي الدين السبكي الشافعي سقى الله عهده لقد صدق هذا القائل لو عظموا العلم عظمهم قال وأنا اقرأ قوله لعظم بفتح العين فان العلم اذا

عظام تعظم وهو فى نفسه عظيم ولكن اهانوه فهانوا ولكن الرواية فهان وعظم بضم العين والاحسن مااشرت اليه انتهى (قال) الشيخ الامام العالم العلامة تاج الدين عبد الوهاب بن السبكى فى اجوبته عن الاعتراضات التى على جمع الجوامع ومن ظريف مايستفاد قول أبى نواس

أباح العراقى النبيذ وشربه * وقال حرامان المدامة والسكر
وقال الحجازى الشرابان واحد * فحلت لنا من بين قوليهما الخمر
سآخذ من قوليهما طرفيهما * وأشربها لافارق الوازر الوزر

وقد سأل الاديب صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى رحمه الله عن معنى هذه الابيات ومعناها ان العراقى وهو أبو حنيفة رحمه الله اباح النبيذ وحرم المدامة وهى الخمر اسكرت أم لم تسكر وحرم أيضا المسكر من كل شئ وان الحجازى وهو الشافعى رحمه الله قال الشرابان واحد فاخذ أبو نواس بالموجب فكأنه قال انهما واحد ولكن فى الحل لا فى الحرمة واليه الاشارة بقوله فحل لنا من بين قوليهما الخمر ثم هذا انما ذكره أبو نواس على عادة الشعراء فى الكيس والظرافة ولا يقصد حقيقته فانه لا يقول به احد ولعله اشار بقوله سآخذ من قوليهما طرفيهما الى آخره انه لا يعتقده بل هو شاعر كما يقول ولا يفعل كذلك لا يعتقد فهو على مازعم يشربها وان لم يعتقد الحل اذ كيف يعتقد مالم يقله مسلم وكيف يمكن ان يقال انه يعتقد الحل وقد قال لافارق الوازر الوزر فهذا ان شاء الله معنى هذه الابيات وهى على كل حال من كلمات الشعراء التى لا يحتج بها فى دين الله تعالى * اعتل ذو الرياستين الفضل بن سهل بخراسان مدة طويلة ثم ابل واستقبل وجلس للناس فدخلوا اليه وهنؤه بالعافية فأنصت لهم حتى انقضى كلامهم ثم اندفع فقال ان فى العلل لنعما لا ينبغى للعقلاء ان يجهلوها منها تمحيص الذنوب وثواب الصبر وايقاظ من الغفلة واذكار بالنعمة فى حال الصحة واستدعاء التوبة وحض على الصدقة ورضاء بقضاء الله وقدره فانصرف الناس بكلامه ونسوا ما قاله غيره اه (حكى) عن ابن المبارك انه قال حججت الى بيت الله الحرام فبينما أنا فى الطواف اذ عييت فجلست استريح ووضعت رأسى على ركبتى فغلبنى النوم فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا ابن المبارك اذا أنت قضيت حجك وحللت عقدك ورجعت الى أرض العراق ودخلت دار السلام فاقصد المحلة التى بها بهرام المجوسى فاذا لقيته فاخبره ان النبى العربى محمدا صلى الله عليه وسلم يسلم عليك وهو يقول لك ابشر فان قصرك فى الجنة غدا من أقرب القصور الى قصرى قال عبد الله فانتبهت لذلك فزعا مرعوبا وتفكرت ساعة فغلبنى النوم ثانيا فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم أيضا يقول يا ابن المبارك لا تشك فى منامك فهو حق والشيطان لا يتمثل بصورتى قط فاذا قضيت حجك وحللت عقدك وانصرفت الى العراق فاطلب هذا المجوسى بهرام وبشره بما قلت لك فانتبهت أيضا فزعا مرعوبا واستعذت بالله واستغفرته وتفكرت ساعة فغلبنى النوم فنمت فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم ثالث مرة وهو يقول يا ابن المبارك أنا محمد رسول الله فلا ترتبك فى ذلك وامتثل أمرى فهو حق فقلت يا رسول الله أريد بذلك علامة القاه بها فاخذ رسول الله كفى بيمينه ثم قال يا ابن المبارك هذا المجوسى شيخ زمن قد أتى عليه مائة وأربعون سنة وقد ضعف بصره وثقل سمعه وابيض شعره ودق عظمه ويبس عصبه وجلده

فاذا

فاذا أتيته وسلمت عليه و بشرته بما قلت لك وطلب منك علامة فامسح بيدك هذه التي أخذتها بيمينى على رأسه وضربها على وجهه وسائر جسده وبدنه فانه يعود شابا ويرجع اليه بصره وسمعه ويسود شعره ويطرى جسده ويقوى عصبه وتعود اليه قوته فانتبهت وأنا كالولهان فلما ان قضيت حجى وحللت عقدى وانصرفت الى العراق ودخلت بغداد سألت عن دار المجوسى فقلت يا غلام استأذن لى على مولاك فقال الغلام اغريب أنت قلت اجل قال ادخل ليس هنا من يحجبك قال فدخلت الى دار لم أر مثلها واذا بكتبة ومجوس وصيارف قعود وهم يقتضون الرهون ويعطون الدنانير والدراهم فقلت يا قوم افيكم بهرام فقيل ادخل الدار الثانية فدخلتها فاذا ليس بينها وبين الدار الاولى نسبة بل تفاوت واذا بشيخ قاعد على دست ومرتبة على الصفة التى وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله جماعة من الكتاب والحساب وبين أيديهم الدنانير والدراهم كالبيادر والصغار وهم فى الحساب فسلمت كما أمرنى النبى صلى الله عليه وسلم فرد على السلام وكان قد شد حاجبه بعصابة فرفعها عن عينه ثم قال من الرجل قلت عبد الله بن المبارك فقال مرحبا بك لقد شممت بك رائحة زال بها الهم عن قلبى ادن منى فجلست الى جانبه فقال هل لك من حاجة قلت نعم قال وما هى قلت أرى أن أخلو بك ساعة فقال نعم وأمر من هناك بالخروج فتهيؤا ثم خرجوا فبقيت أنا وهو وثلاثة شبان قلت هؤلاء اصرفهم يا بهرام كم تعد من السنين قال أعد مائة وأربعين سنة قلت فهل تعرف انك عملت شيأ استوجبت به من الله الجنة قال لا أدرى الا انى رزقت ثلاثة بنين وثلاث بنات فزوجت بعضهم من بعض وأعطيت مهورهن من عندى وأفردت لكل واحد منهم مالا ودارا وعقارا قلت لا تستوجب الجنة بل تستوجب النار فهل عملت شيأ صالحا الآخرتك قال قسمت ليلى ثلاثة اجزاء أما الجزء الاول فانى أقعد للسامرة وتقرأ على سير الاول فانفرج بذلك والجزء الثانى أعبد فيه النار واسجد لها من دون الله الواحد القهار والجزء الثالث أتفكر فيه فى أمر معاشى ومعادى وامنع نفسى عن النوم فى ذلك الجزء فان النوم فيه جهل وخمول ودماء الا اضرورة فقلت هل لك فعل غير هذا قال لا قلت يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فبم استحققت يا بهرام الجنة قال ويحك يا ابن المبارك أتقطع لى بالجنة وأنت عالم المسلمين من أخبرك بذلك قلت أخبرنى الصادق الأمين الذى لا ينطق عن الهوى قال لما القصة فحدثته بالمنام الذى رأيته وبما قاله النبى صلى الله عليه وسلم مرارا فقال يا ابن المبارك وهل لذلك علامة ظاهرة قلت نعم ادن منى فدنا فمسحت بيدى رأسه ووجهه وصدره وبدنه وأولاده ينظرون فصار شابا حسنا طريا سميعا بصيرا واسود شعره وابيضت بشرته فلما عاين ذلك قال امدد يدك يا شيخ أنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ثم قال يا شيخ أخبرك السبب الذى أوجب الله لى به هذه المنزلة قلت نعم قال كنت من مدة قد أولمت وليمة عامة للمسلمين والنصارى واليهود والمجوس على خاصة فأكلوا وانصرفوا وانقضت الوليمة فلما كان فى بعض الليل طرق طارق الباب وقد هدأ الناس ونام الخدام لما أصابهم من التعب بسبب الوليمة وأنا جالس منتبه فقلت من بالباب فقالت يا بهرام أنا امرأة من جيرانك فاوقد لى هذا السراج قال بهرام والمجوس لا ترى اخراج النار من بيوتهم ليلا فتحيرت فى أمرى وقت ولم أنبه أحدا فاسرجت لها السراج فانصرفت واطفأت السراج وعادت وقالت يا بهرام قد انطفأ فاسرجه لى

www.dorat-ghawas.com

فلما أسرجته قالت يا بهرام والله ما جئتك لأجل سراج لكن جئتك من أجل ثلاث بنات
شممن روائح طعامك فهن ملقيات على وجوههن يتضاورون كالمرأة الثكلى أو كالحبة في المقلى
فان كان قد بقي في دارك فضل طعام فاعطني فانك ان شاء الله تنال بذلك الجنة فقلت حبا وكرامة
فاخذت منديلا كبيرا فجعلت فيه من كل شيء كان في البيت من الحلو والحامض وأخرجت كيسا
فيه ألف دينار وكيسا فيه ستة آلاف درهم وستة أثواب من ديباج وستة أثواب مروزية
وشددت الجميع وقلت احملي هذا الى عيالك واقسمي عليهم فمدت يدها فلم تطق حمله لضعفها
فقالت يا بهرام أعني أعانك الله على الوقوف بين يديه وخفف عليك الحساب في ذلك اليوم
الشديد فقلت يا هذه كيف افعل وأنا شيخ كبير وقد مضى على مائة ونيف وثلاثون سنة ثم تفكرت
لحظة وطاب لذلك قلبي فقلت لها اشيلي على رأسي فشالته واستقل على رأسي فسال لذلك عرقي
حتى صرت في منزلها فحطت الطعام ووضعت الرزمة وجعلت القم البنات الى ان شبعن
ونشطن ثم قسمت عليهن الثياب والدراهم والدنانير ففرحن وتبسمن فلما أردت القيام قلن
باجمعهن يا بهرام أصلح الله لك أمورك وادام سرورك كما أصلحت أمورنا وأدمت سرورنا
وفرحك يوم القيامة كما فرحتنا وختم لك بخير وانزلك أقرب قصر من قصر نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم في دار الجنان وانا أقول آمين ومازلت أرجو استجابة دعائهن قلت يا بهرام ابشر فان
الله حقق لك ذلك ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تحقرن من المعروف شيأ ولو انك تفرغ من
دلوك في اناء أخيك ماء قال عبد الله بن المبارك فتصدق بهرام في ذلك بمائة ألف درهم وبمائة
ألف دينار وبمائة ألف ثوب مروزيات وبالفي ثوب ديباج وفرق سائر أمواله على أولاده وبناته
واسلموا جميعا وتفرق الاخوة عن الاخوات وزوج أولاده بالمسلمات وبناته بالمسلمين واسلم
في ذلك اليوم خلق كثير من المجوس ثم انفرد عن أهله ولزم المحراب يعبد الله فلم يلبث الا قليلا
حتى توفي رحمة الله عليه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (روى عن سعد بن
سعيد) انه قال كان في جوار معروف الكرخي رجل مجوسي من ابناء الاغنياء وجد الخليفة
عليه فصادره وأخذ منه ألف ألف دينار فافتقر بعد الغنى وذل بعد العز وكان له اعداء وحساد
فقالوا للخليفة انه قد بقي له مال جسيم فلا تظن انه عديم فأمر بمصادرته ثانيا فلما علم المجوسي ذلك
دخل بيت النار وقصد ما كان يعبده من دون الجبار وقال ان لم تخلصني آمنت برب معروف فلم
يجبه أحد ولم ينتفع بسجوده للنار ولا للنور فلما جن عليه الليل اغتسل وأتى مسجد معروف
الكرخي فلم يجده في المسجد فرفع رأسه وقال يا اله ابراهيم وعيسى ومحمد واله معروف ويا من لا اله
الا هو تحققت ان ما عبدته من دونك باطل لا يضر ولا ينفع واني جئتك تائبا مما فعلت متبرئا مما
عبدت منفصلا عما اعتقدت موقنا بك شاهدا بانك لا اله الا أنت اله الاولين والآخرين وأنت
المعبود الحق تفعل ما تشاء ولا يكون الا ما تريد انك على كل شيء قدير فاغفر لي ما تقدم من ذنبي
وجهلي واسرافي ولا تنظر الى سوء عملي ومعصيتي واصرف شر الخليفة واعوانه عني فقد وجهت
وجهي اليك ثم قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله يا محمد تشفعت بك الى الله
فاقبلني ثم سجد واطال سجوده وهو يناجي ربه ويبكي فاتى معروف المحراب فرآه كذلك فبقي
متفكرا في أمره لا يتحقق من هو واذا هو بغلام من خواص الخليفة قد دخل المسجد يسأل

عن

عن المجوسي باسمه ونسبه فقال معروف بيده في موضع كذا وكذا فقال من هما لك حيث وقيل لي
انه في مسجد معروف فوالله لا باس عليه فان الخليفة قد بعثني اليه برسالة لطيفة تسر قلبه وهو
منتظره على ان يؤمنه ويرد عليه ما أخذ منه وكفى بالله شهيدا فقال معروف لست أرى في المسجد
أحدا يشبه من تذكره الا هذا الساجد لله المناجي لربه فاصبر له حتى يرفع رأسه فوقف صاحب
الخليفة على رأسه ساعة ثم قال يا هذا ارفع رأسك ولا تبك أمير المؤمنين قد قضى حاجتك وبعثني
برسالة لطيفة اتصير اليه حتى يرد عليك ما أخذه منك فرفع رأسه واذا معروف واقف فقال
يا معروف ما اكرم هذا الباب وما أحلم صاحبه وما أقربه الى من دعاه ثم قال يا معروف امدد يدك
اني أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واني رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد
صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وان القرآن كلام الله جاء به محمد بن عبد الله وأنا مؤمن بذلك
كله ثم تبع الرسول وذهب معروف الكرخي معه فلما وصلوا الى دار الخليفة واذا به
واقف على الباب فاستقبلهما وسلم عليهما وصافح كلا منهما ومشى معهما الى مجلسه
وأقعدهما الى جانبه وأقبل يعتذر اليهما مما وقع منه وأمر بالاموال التي أخذت من المجوسي
فأحضرت بين يديه عن آخرها ثم قال له تأمل هذه الاموال أليست هي التي أخذت منك قال نعم
قال تخذها بارك الله لك فيها واجعلني في حل مما وقع مني واستغفر الله لي فقال يغفر الله لك ثم
قال يا أمير المؤمنين أما الاموال فهي لك حلال بعد ان هداني الله الى دين الاسلام ولكن أعلني
ما الذي دعاك الى طلبي في هذا الوقت ورد هذا المال علي قال نعم كنت نائما واذا أنا برسول الله
صلى الله عليه وسلم قد دخل علي ومعه صف من الملائكة وصف من الصحابة فسلم علي وقال ان الله
تبارك وتعالى يقرئك السلام ويقول لك ان عبدنا فلانا المجوسي كان قد دعوناه في الذر فأجابنا
وكان في المجوسية مستترا ولنا معه عناية وقد جاء الآن الى نائبا وعما كان منه تائبا وهو في مسجد
معروف الكرخي مستجير بجنابنا منك فابعث في طلبه ورد عليه ما أخذ منه ولا تقطع المعاملة
بيننا فانتبهت مرعوبا فأرسلت في طلبك وها هو مالك قد رددناه عليك ودفعناه اليك فخر
الرجل ساجدا لله تعالى ثم رفع رأسه وبكى وقال واندماه واأسفاه والهفاه كيف تركت عبادة
الرحمن الرحيم واشتغلت بعبادة النيران وضيعت العمر والزمان ثم قال يا أمير المؤمنين لا حاجة
لي في هذا المال خذه فهو حلال لك فقال أمير المؤمنين لا أرجع بشئ أمرني ربي باخراجه
فقال يا أمير المؤمنين لا حاجة لي في المال أشهدك اني قد جعلته صدقة في فقراء المسلمين لا حظ
لي فيه ولا لاحد من أهلي فقال الخليفة يا معروف بقي الامر اليك فاحمل المال وتصدق به على
الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والايتام والارامل فدعا له معروف وأخذ بيد الرجل وحمل
المال على البغال وصافحهما أمير المؤمنين وسأل الرجل ان يحالله عما وقع منه ولازم الرجل
معروف الكرخي الى أن مات تغمده الله برحمته (وحكى عن معن بن زائدة الشيباني) ان شاعرا
قصده فأقام مدة يريد الدخول اليه فلم يتهيأ له ذلك فلما أعياه ذلك قال لبعض خدمه اذا دخل
الامير البستان فعرفني فلما دخل معن البستان عرفه الخادم عنه فكتب الشاعر بيتا من
الشعر على خشبة وألقاها في الماء الداخل الى البستان فاتفق ان معنا كان جالسا في ذلك
الوقت على رأس الماء فمرت به فأخذها فاذا فيها كتابة فقرأها وهي

أيا جود معن ناج معنا بحاجتي * فمالي الى معن سواك شفيع

فقال من صاحب هذه فدعى بالرجل فقال له كيف قلت فأنشد البيت فأمر له بمائة ألف درهم فأخذها وأخذ الامير الخشبة فوضعها تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني قرأها ودعا بالرجل فدفع له مائة ألف درهم على العادة ثم دعاه ثالث مرة فقرأ البيت ودفع له مائة ألف درهم فلما أخذ الجائزة الثالثة خشي الشاعر أن يندم فيأخذ منه مادفع اليه فسافر فلما كان في اليوم الرابع طلبه معن فلم يجده فقال معن حق علي لومكث لاعطينه حتى لا يبقى في بيتي درهم ولا دينار (وحكى عنه أيضا) انه أتى بجملة من الاسرى فعرضهم على السيف فقال له بعضهم أصلح الله الامير نحن اسراك وبنا جوع وعطش فلا تجمع علينا الجوع والعطش والقتل فأمر لهم بطعام وشراب فأكلوا وشربوا ومعن ينظر اليهم فلما فرغوا قال الرجل أصلح الله الامير كنا اسراك ونحن الآن أضيافك فانظر ماتصنع بأضيافك قال قد عفوت عنكم فقال الرجل أيها الامير ماندري أي يوم أشرف يوم ظفرك بنا أو يوم عفوك عنا فأمر لهم بمال وكسوة (وحكى ان المنصور أهدر دم رجل) كان يسعى في فساد دولته مع الخوارج من أهل الكوفة وجعل لمن دل عليه وجاء به مائة ألف درهم ثم انه ظهر ببغداد فبينما هو يمشي مختفيا في بعض نواحيها اذ بصر به رجل من أهل الكوفة فعرفه فأخذ بمجامع ثيابه وقال هذا بغية أمير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحالة اذ سمع وقع حوافر الخيل فالتفت فاذا معن بن زائدة فقال يا أبا الوليد اجرني أجارك الله فوقف وقال للرجل المتعلق به ماشأنك قال بغية أمير المؤمنين الذي أهدر دمه وجعل لمن دل عليه وأتى به مائة ألف درهم فقال دعه ياغلام انزل عن دابتك واحمل الرجل عليها فصاح الرجل بالناس وقال أيحال بيني وبين من طلبه أمير المؤمنين فقال له معن اذهب اليه وأخبره انه عندي فانطلق الى باب المنصور فأخبره فأمر المنصور باحضار معن فلما أتى الرسول الى معن دعا أهل بيته ومواليه وقال أعزم عليكم لا يصل الى هذا الرجل مكروه وفيكم عين تطرف ثم سار الى المنصور فدخل عليه وسلم عليه فلم يرد عليه السلام وقال يا معن أتتجرأ علي قال نعم يا أمير المؤمنين قال ونعم أيضا واشتد غضبه فقال يا أمير المؤمنين مضت أيام كثيرة قد عرفتم فيها حسن بلائي في خدمتكم لما رأيتموني أهلا ان يوهب الي رجل واحد استجار بي بين الناس وتوهم أني عند أمير المؤمنين من بعض عبيده وكذلك انا فمر بما شئت ها أنا بين يديك فاطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقد سكن مابه من الغضب وقال قد أجرنا من أجرت يا معن قال فان رأى أمير المؤمنين أن يجمع بين الاجرين فيأمر له بصدقة فيكون قد أحياه وأغناه قال قد أمرنا له بخمسين ألف درهم قال يا أمير المؤمنين ان صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فأجزل له الصلة قال قد أمرنا له بمائة ألف درهم قال فعجلها يا أمير المؤمنين فان خير البر عاجله فانصرف معن بالمال للرجل وقال له خذ صلتك والحق بأهلك واياك ومخالفة خلفاء الله في أمورهم (حكى الجاحظ) قال أخبرني فتى من أصحاب الحديث قال دخلت ديرا في بعض المنازل لما ذكر لي ان به راهبا حسن المعرفة بأخبار الناس وأيامهم فصرت له لاسمع كلامه فوجدته في حجرة معتزلة بالدير وهو على أحسن هيئة في زي المسلمين فكلمته فوجدت عنده من المعرفة أكثر مما وصفوا فسألت عن سبب اسلامه فحدثني ان جارية من

بنات

بنات الروم كانت فى هذا الدير نصرانيه كثيرة المال بارعة الجمال عديمة الشكل والمثال فأحبت غلاما مسلما خياطا وكانت تبذل له مالها ونفسها والغلام يعرض عن ذلك ولا يلتفت اليها وامتنع عن المرور بالدير فلما أعيتها الحيلة فيه طلبت رجلا ماهرا فى التصوير وأعطته مائة دينار على أن يصور لها صورة الغلام فى دائرة على شكله وهيئته ففعل المصور ولم يخطئ الصورة شيئا منه غير النطق وأتى بها الى الجارية فلما أبصرتها أغمى عليها فلما أفاقت أعطت المصور مائة دينار أخرى وأخرج الراهب لى الصورة فرأيتها فكاد ان يزل عقلى فلما خلت الجارية بالصورة رفعتها الى حائط حجرتها ومازالت كل يوم تأتى الصورة وتقبلها وتلثم ما تحب منها ثم تجلس بين يديها وتبكى فاذا أمست قبلتها وانصرفت فمازالت على تلك الحال شهرا فمرض الغلام ومات فعملت الجارية مأتما وعزاء سار ذكره فى الآفاق وصارت مثلا بين الناس ثم رجعت الى الصورة وصارت تلثمها وتقبلها الى ان أمست فأتت الى جانبها فلما أصبحنا دخلنا عليها لنأخذ من خاطرها فوجدناها ميتة ويدها ممدودة الى الحائط نحو الصورة وقد كتب عليه هذه الابيات

يا موت حسبك نفسى بعد سيدها * خذها اليك فقد أودت بما فيها
أسلمت وجهى الى الرحمن مسلمة * ومت موت حبيب كان يعصيها
لعلها فى جنان الخلد يجمعها * بمن تحب غدا فى البعث باريها
مات الحبيب وماتت بعده كمدا * محبة لم تزل تشقى محبيها

قال الراهب فشاع الخبر وحملها المسلمون ودفنت الى جانب قبر الغلام فلما أصبحنا دخلنا حجرتها فرأينا تحت شعرها مكتوبا

أصبحت فى راحة مما جنته يدى * وصرت جارة رب واحد صمد
محا الاله ذنوبى كلها وغدا * وقابى خليا من الاحزان والكمد
لما قدمت الى الرحمن مسلمة * وقلت انك لم تولد ولم تلد
أثابنى رحمة منا ومغفرة * وأنعما باقيات آخر الابد

(قيل اجتمع الصوفية) الى أبى القاسم الجنيد وقالوا يا استاذ أنخرج ونسعى فى طلب الرزق قال لهم ان علمتم أين هو فاطلبوه قالوا فنسأل الله أن يرزقنا قال ان علمتم انه ينساكم فذكروه قالوا فنجلس اذا ونتوكل قال التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة (قيل) اجتمع أربعة من الائمة الشافعى وأحمد بن حنبل وأبو ثور ومحمد بن الحكم رضى الله عنهم عند أحمد بن حنبل يتذاكرون فصلوا صلاة المغرب وقدموا الشافعى ثم مازالوا يصلون فى المسجد الى ان صلوا العتمة ثم دخلوا بيت أحمد بن حنبل ودخل أحمد على امرأته ثم خرج على أصحابه وهو يضحك فقال الشافعى مم تضحك يا أبا عبد الله قال خرجت الى الصلاة ولم يكن فى البيت لقمة من طعام والآن فقد وسع الله علينا قال الشافعى فما سببه قال أحمد قالت لى أم عبد الله انكم لما خرجتم الى الصلاة جاء رجل عليه ثياب بيض حسن الوجه عظيم الهيئة ذكى الرائحة فقال يا أحمد بن حنبل فقلنا لبيك فقال ها كم خذوا هذا فسلم الينا زنبيلا أبيض وعليه منديل طيب الرائحة وطبق مغطى بمنديل آخر وقال كلوا من رزق ربكم واشكروا له فقال الشافعى يا أبا عبد الله

لها فى الزنبيل والطبق فقال عشرون رغيفا قد عجنت باللبن واللوز المقشور أبيض من الثلج وأذكى من المسك مارأى الراؤن مثله وخروف مشوى مزعفر حار وملح فى سكرجة وخل فى قارورة على الطبق وبقل وحلواء متخذة من سكر طبرزد ثم أخرج الكل ووضعه بين أيديهم فتعجبوا من شأنه وأكلوا ماشاء الله قال فلم تذهب حلاوة ذلك الطعام والحلواء مدة طويلة وكل من أكل من ذلك الطعام ما احتاج الى طعام غيره مدة شهر فلما ان فرغوا من الاكل حمل أحمد مابقى منه وأدخله الى أهله فاكلوا وشبعوا وبقى منه شئ فأجمع رأيهم على ان الطعام كان من غيب الله وان الرسول كان ملكا من الملائكة قال صالح بن أحمد بن حنبل ما أصابتنا مجاعة قط مادام ذلك الزنبيل فى بيتنا وكان يأتينا الرزق من حيث لا نحتسب رضى الله عنهم وأعاد علينا من بركاتهم (قيل ان عبد الله بن معمر القيسى كان أميرا من امراء العرب) وكان بطلا شجاعا جوادا ذا مروءة وافرة قال حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وصحبت مالا كثيرا ومتجرا عزيزا فلما قضيت حجى عدت لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فبينما أنا ذات ليلة بين القبر والمنبر فى الروضة اذ سمعت أنينا عاليا وحسا باديا فأنصت اليه فاذا هو يقول

أشجاك نوح حمائم الدر * فأهجن منك بلابل الصدر
أم ذاد نومك ذكر غانية * أهدت اليك وساوس الفكر
فى ليلة نام الخلى بها * وخلفت بالاحزان والذكر
ياليلة طالت على دنف * يشكو الغرام وقلة الصبر
أسلمت من يهوى لحر هوى * متوقد كتوقد الجمر
فالبدر يشهد اننى كلف * بجمال شئ مشبه البدر

قال ثم انقطع الصوت ولم أدر من أين جاء فبقيت حائرا واذا به قد أعاد البكاء والنحيب وهو يقول

أشجاك من رياً خيال زائر * والليل مسود الذوائب عاكر
واعتاد مهجتك الهوى بابادها * واهتاج مقلتك المنام الباتر
ناديت ليلى والظلام كأنه * يم تلاطم فيه موج زاخر
والبدر يسرى فى السماء كأنه * ملك تبدى والنجوم عساكر
واذا تعرضت الثريا خلتها * كاسا بها حث السلافة دائر
وترى بها الجوزاء ترقص فى الدجا * رقص الحبيب علاه سكر ظاهر
ياليل طلت على محب ماله * الا الصباح مؤازر ومسامر
فاجابنى مت حتف انفك واعلمن * ان الهوى لهو الهوان الحاضر

قال عبد الله فنهضت عند ابتدائه بالابيات أؤم الصوت فما انتهى الى آخرها الا وأنا عنده فرأيت غلاما جميلا قد نزل عذاره لكن قد علاه اسنه الاصفرار والدموع تجرى على خده كالامطار فقال نعمت ظلاما من الرجل قلت عبد الله بن معمر القيسى فقال ألك حاجة يا فتى قلت انى كنت جالسا فى الروضة فما راعنى فى هذه الليلة الا صوتك فبنفسى أقيك وبروحى أفديك وبمالى أواسيك مالذى تجد قال ان كان ولا بد فاجلس فجلست فقال أنا عتبة بن الحباب ابن المنذر بن الجموح الانصارى غدوت الى مسجد الاحزاب ولم أزل فيه راكعا ساجدا ثم

www.dorat-ghawas.com

اعتزلت غير بعيد فاذا نسوة يتهادين كأنهن القطا وفي وسطهن جارية بديعة الجمال في نشرها بارعة الكمال في عصرها نورها ساطع يتشعشع وطيبها عاطر يتضوع فوقفت علي وقالت يا عتبة ماتقول في وصل من طلب وصالك ثم تركتني وذهبت فلم أسمع لها خبرا ولا وقفت لها أثرا فانا حيران انتقل من مكان الى مكان ثم صرخ صرخة عظيمة وأكب على الارض مغشيا عليه ثم أفاق بعد ساعة وكأنما صبغت ديباجة خده بورس وأنشد يقول

أراك بقلبي من بلاد بعيدة * تراكم تروني بالقلوب على بعد
فؤادي وطرفي يأسفان عليكم * وعندكم روحي وذكركم عندي
ولست ألذ العيش حتى أراكم * ولو كنت في الفردوس أو جنة الخلد

قال فقلت يا أخي تب الى ربك واستقل من ذنبك واتق هول المطلع وسوء المضجع فقال هيهات هيهات ما أنا مبال حتى يكون ما يكون ولم أزل به الى طلوع الصباح فقلت له قم بنا الى مسجد الاحزاب فلعل الله أن يكشف عنك ما بك قال أرجو ذلك ببركة طلعتك ان شاء الله فنزلنا الى ان وردنا مسجد الاحزاب فسمعته يقول

يا للرجال ليوم الاربعاء أما * ينفك يحدث لي بعد النهى طربا
ما ان يزال غزال فيه يظلمني * يهوى الى مسجد الاحزاب منتقبا
يخبر الناس ان الاجر همته * وما أتى طالبا للاجر محتسبا
لو كان يبغي ثوابا ما أتى ظهرا * مضمخا قد نفث المسك مختضبا

فجلسنا ثم حتى صلينا به الظهر فاذا النسوة أقبلن وما الجارية بينهن فلما بصرن به قلن يا عتبة وما ظنك بطالبة وصالك وكاشفة بالك قال وما لها قلن قد أخذها أبوها وارتحل بها الى السماوة فسألتهن عن الجارية فقلن هي ريا ابنة الغطريف السلمي فرفع الشاب رأسه اليهن وأنشد يقول

خليلي ريا قد أجد بكورها * وسارت الى أرض السماوة عيرها
خليلي ما تقضي به ام مالك * علي فانه يعدو على أميرها
خليلي اني قد خشيت من البكا * فهل عند غيري مقلة استعيرها

فقلت يا عتبة طب قلبا وقر عينا فقد وردت الحجاز بمال جزيل وطرف وتحف وقماش ومتاع أريد به أهل الستر ووالله لابذلنه امامك وبين يديك وفيك وعليك حتى أوصلك الى المنى وأعطيك الرضا وفوق الرضا فقم بنا الى مجلس الانصار فقمنا حتى أشرفنا على ناديهم فسلمت فأحسنوا الرد ثم قلت أيها الملا الكرام ما تقولون في عتبة وأبيه قالوا خيران من سادات العرب قلت فانه قد رمي بفؤاده الجوى وما أريد منكم الا المعونة فركبنا وركب القوم حتى أشرفنا على منازل بني سليم من السماوة فقلنا أين منزل الغطريف فخرج بنفسه مبادرا فاستقبلنا استقبال الكرام وقال حييتم بالاكرام والرحب والانعام قلنا وأنت حييت ثم حييت انا لك أضيافا فقال نزلتم أفضل معقل ثم نادى يا معشر العبيد أنزلوا القوم وسارعوا الى الاكرام ففرشت في الحال الانطاع والنمارق والزرابي فنزلنا وأرحنا ثم ذبحت الذبائح ونحرت الجزائر وقدمت الموائد فقلنا يا سيد القوم لسنا بذائقين لك طعاما أو تقضي حاجتنا وترد نا بمسرتنا قال وما حاجتكم أيها السادة

قلنا نخطب عقيلتك الكريمة لعتبة بن الحباب بن المنذر الطيب العنصر العالي المفخر فأطرق وقال يا اخوتاه ان التي تخطبونها أمرها الى نفسها وها أنا داخل اليها أخبرها ثم نهض مغضبا فدخل على ريا وكانت كاسمها فقالت يا أبتاه اني أرى الغضب بيناً عليك فما الخبر قال لها ورد الانصار يخطبونك مني قالت سادات كرام وأبطال عظام استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم فلمن الخطبة منهم قال لفتى يعرف بعتبة بن الحباب قالت بالله لقد سمعت عن عتبة هذا أنه يفي بما وعد ويدرك اذا قصد ويأكل ما وجد ولا يأسف على ما فقد قال الغطريف اقسم بالله لا أزوجك به أبدا فقد نما الي بعض حديثك معه فقالت ما كان ذلك ولكن اذا قسمت فان الانصار لا يردون ردا قبيحا فاحسن لهم الرد وادفع بالتي هي أحسن قال بأي شئ أقول قالت اغلظ لهم المهر ما استطعت فانهم يرجعون ولا يجيبون وقد أبررت قسمك وبلغت مأربك وراعيت أضيافك قال ما أحسن ما قلت ثم خرج مبادرا فقال يا اخوتاه ان فتاة الحي قد أجابت ولكن أريد لها مهر مثلها فمن القائم قال عبد الله فقلت أنا القائم بما تريد فقال أريد ألف مثقال من الذهب الاحمر قلت لك ذلك قال وخمسة آلاف درهم من ضرب هجر قلت لك ذلك قال ومائة ثوب من الابراد والحبر قلت لك ذلك قال وعشرين ثوبا من الوشي المطرز قلت لك ذلك قال وأريد خمسة أكرشة من العنبر قلت لك ذلك قال وأريد مائة نافجة من المسك الاذفر قلت لك ذلك قال فهل أجبت قال أجل ثم أجل قال عبد الله فانفذت نفرا من الانصار أتوا بجميع ما ضمنته وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس لاكل الطعام فأقمنا هنالك نحو أربعين يوما على هذا الحال ثم قال الغطريف يا قوم خذوا فتاتكم وانصرفوا مصاحبين السلامة ثم حملها في هودج وجهز معها ثلاثين راحلة عليها التحف والطرف ثم ودعنا ورجع فسرنا حتى اذا بقي بيننا وبين المدينة مرحلة واحدة خرجت علينا خيل تريد الغارة وأحسب أنها من بني سليم فحمل عليها عتبة بن الحباب فقتل منها عدة من رجالها وردها وانحرف راجعا وبه طعنة تفور دما حتى سقط الى الارض فلم يلبث عتبة أن قضى نحبه فقلنا واعتباه فسمعت الجارية فالقت نفسها عليه وجعلت تقبله وتصيح بحرقة وتقول

تصبرت لا أني صبرت وانما * أعلل نفسي أنها بك لاحقه
ولو أنصفت نفسي لكانت الى الردى * امامك من دون البرية سابقه
فما واحد بعدي وبعدك منصف * خليلا ولا نفس لنفس مصادقه

ثم شهقت شهقة واحدة قضت فيها نحبها فاحتفرنا لهما مكانا وجدثا وواريناهما فيه ورجعت الى ديار قومي وأقمت سبع سنين بعدها ثم عدت الى الحجاز ووردت الى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقلت والله لاعودن الى قبر عتبة فأزوره فأتيت الى القبر فاذا عليه شجرة نابتة عليها أوراق حمر وصفر وخضر وبيض فقلت لارباب الجهة ما يقال لهذه الشجرة فقالوا شجرة العروسين فأقمت عند القبر يوما وليلة وانصرفت (حكي) ان شخصا جاء الى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي سلطان العلماء فقال رأيتك في المنام تنشد

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة * ورجل رمى فيها الزمان فشلت

قال

قال فسكت ثم قال أعيش ثلاثا وثمانين سنة فان هذا الشعر لكثير عزة وقد نظرت فلم أجد بيني وبينه نسبة فاني سني وهو شيعي وطويل وهو قصير وشاعر ولست بشاعر وأنا سلي وهو خزاعي وشامي وهو حجازي فلم يبق الا السن فأعيش مثله فكان كذلك انتهى (ومن ظرف ما يحكى) ان الجاحظ قال عبرت يوما على معلم كتاب فوجدته في هيئة حسنة وقماش مليح فقام الي وأجلسني معه ففاتحته في القرآن فاذا هو ماهر ففاتحته في شيء من النحو فوجدته ماهرا ثم اشعار العرب واللغة فاذا به كامل في جميع ما يراد منه فقلت قد وجب على تقطيع دفتر المعلمين فكنت كل قليل اتفقده وازوره قال فأتيت بعض الايام الى زيارته فوجدت الكتاب مغلقا فسألت جيرانه فقالوا مات عنده ميت فقلت أروح أعزيه فجئت الى بابه فطرقته فخرجت الي جارية وقالت ما تريد فقلت مولاك فقالت مولاي جالس وحده في العزاء ما يعطي لاحد الطريق فقلت قولي له صديقك فلان يطلب يعزيك فدخلت وخرجت وقالت بسم الله فعبرت اليه فاذا هو جالس وحده فقلت أعظم الله أجرك لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وهذا سبيل لابد منه فعليك بالصبر ثم قلت أهذا الذي توفي ولدك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فاخوك قال لا قلت لمن قال حبيبتي فقلت في نفسي هذا أول المناحس وقلت له سبحان الله تجد غيرها وتقع عينك على أحسن منها فقال وكأني بك وقد ظننت اني رأيتها فقلت في نفسي هذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لا رأيته فقال اعلم اني كنت جالسا واذا رجل عابر يغني وهو يقول

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة * ردي على فؤادي أينما كانا

فقلت في نفسي لولا ان أم عمرو هذه ما في الدنيا مثلها ما كان الشعراء يتغزلون فيها فلما كان بعد يومين عبر على ذلك الرجل وهو يغني ويقول

اذا ذهب الحمار بأم عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت أنها ماتت فحزنت عليها وقعدت في العزاء منذ ثلاثة أيام فقال الجاحظ فعادت عزيمتي وقويت على كتابة الدفتر لحكاية أم عمرو (ومن غريب ما يحكى) ما حكاه القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة ان منارة صاحب الخلفاء قال رفع الى هارون الرشيد ان رجلا بدمشق من بقايا بني أمية عظيم المال كثير الجاه مطاع له في البلدان جماعة وأولاد ومماليك وموال يركبون الخيول ويحملون السلاح ويغزون الروم وانه سمح جواد كثير البذل والضيافة وانه لا يؤمن من فتق يبعد رتقه فعظم ذلك على الرشيد قال منارة وكان وقوف الرشيد على هذا وهو بالكوفة في بعض حججه في سنة ١٨٦ وقد عاد من الموسم وبايع للامين والمأمون والمؤتمن أولاده فدعاني وهو خال وقال اني دعوتك لامر يهمني وقد منعني النوم فانظر كيف تعمل ثم قص علي خبر الاموي وقال اخرج الساعة فقد أعددت لك الجائزة والنفقة والآلة ويضم اليك مائة غلام واسلك البرية وهذا كتابي الى أمير دمشق وهذه قيود فادخل فابدأ بالرجل فان سمع وأطاع فقيده وجئني به وان عصى فتوكل به أنت ومن معك وانفذ هذا الكتاب الى نائب الشام ليركب في جيشه ويقبضوا عليه وجئني به وقد أجلتك لذهابك ستا ولمجيئك ستا وهذا محمل تجعله في شقه اذا قيدته وتقعد أنت في الشق الآخر ولا تكل حفظه

الى غيرك حتى تأتيني به في اليوم الثالث عشر من خروجك فاذا دخلت داره فتفقدها وجميع ما فيها وأهله وولده وحشمه وغلمانه وقدر النعمة والحال والمحل واحفظ ما يقوله الرجل حرفا بحرف من ألفاظه من حين وقوع طرفك عليه الى أن تأتيني به واياك ان يشذ عنك شئ من أمره انطلق قال منارة فودعته وخرجت وركبت الابل وسرت أطوى المنازل أسير الليل والنهار ولا أنزل الا للجمع بين الصلاتين والبول وتنفيس الناس قليلا الى ان وصلت دمشق في أول الليلة السابعة وأبواب البلد مغلقة فكرهت الدخول ليلا فنمت بظاهر البلد الى أن فتح الباب فدخلت على هيئتي حتى أتيت دار الرجل وعليه صف عظيم وحاشية كثيرة فلم أستأذن ودخلت بغير اذن فلما رأى القوم ذلك سألوا بعض غلماني فقالوا هذا منارة رسول أمير المؤمنين الى صاحبكم فلما صرت في صحن الدار نزلت ودخلت مجلسا رأيت فيه قوما جلوسا فظننت ان الرجل فيهم فقاموا ورحبوا بي فقلت أفيكم فلان قالوا لا نحن أولاده وهو في الحمام فقلت استعجلوه فمضى بعضهم يستعجله وأنا أتفقد الدار والاحوال والحاشية فوجدتها قد ماجت باهلها موجا شديدا فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد ان طال واستربت به واشتد قلقي وخوفي من ان يتوارى الى ان رأيت شيخا بزي الحمام يمشي في الصحن وحواليه جماعة كهول واحداث وصبيان وهم أولاده وغلمانه فعلمت انه الرجل فجاء حتى جلس فسلم على سلاما خفيا وسألني عن أمير المؤمنين واستقامة أمر حضرته فاخبرته كما وجب وما انقضى كلامه حتى جاؤا باطباق فاكهة فقال تقدم يا منارة فكل معنا فقلت مالي الى ذلك من حاجة فلم يعاودني وأقبل يأكل هو ومن عنده ثم غسل يديه ودعا بالطعام فجاؤا بمائدة عظيمة لم أر مثلها الا للخليفة فقال تقدم يا منارة فساعدنا على الاكل لا يزيدني على ان يدعوني باسمي كما يدعوني الخليفة فامتنعت عليه فما عاودني وأكل هو ومن عنده وكانوا تسعة من أولاده فتأملت أكله في نفسه فوجدته أكل الملوك ووجدت جاشه رابضا وذلك الاضطراب الذي في داره قد سكن ووجدتهم لا يرفعون من بين يديه شيأ قد وضع على المائدة الا نهبا وقد كان غلمانه أخذوا لما نزلت الدار جمالي وجميع غلماني بالمنع من الدخول فما أطاقوا ممانعتهم وبقيت وحدي ليس بين يدي الا خمسة أوستة غلمان وقوف على رأسي فقلت في نفسي هذا جبار عنيد وان امتنع على من الشخوص لم أطق اشخاصه بنفسي ولا بمن معي ولا أطيق حفظه الى ان يلحقني أمير البلد فجزعت جزعا شديدا ورابني منه استخفافه بي في الاكل ولا يسألني عما جئت به ويأكل مطمئنا وأنا مفكر في ذلك فلما فرغ من أكله وغسل يديه دعا ببخور فتبخر وقام الى الصلاة فصلى الظهر وأكثر من الدعاء والابتهال فرأيت صلاته حسنة فلما انتقل من المحراب أقبل علي وقال ما أقدمك يا منارة فقلت أمر لك من أمير المؤمنين وأخرجت الكتاب ودفعته اليه فقرأه فلما استتم قراءته دعا أولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق كثير فلم أشك انه يريد ان يوقع بي فلما تكاملوا ابتدأ فحلف أيمانا غليظة فيها الطلاق والعتاق والحج وأمرهم ان ينصرفوا ويدخلوا منازلهم ولا يجتمع منهم اثنان في مكان واحد ولا يظهروا الى أن يظهر لهم أمر يعملون عليه وقال هذا كتاب أمير المؤمنين يأمرني بالتوجه اليه ولست أقيم بعد نظري فيه لحظة

واحدة

واحدة فاستوصوا بي ورائي من الحرم خيرا ومالي حاجة من ان يحيى غلام هات قيودك يامنارة فدعوت بها وكانت في سفط واحضرت حدادا فدسها فيه فقيدته وأمرت غلماني بحمله في المحمل وركبت في الشق الآخر وسرت من وقتي ولم ألق أمير البلد ولا غيره فسرت بالرجل ليس معه احد الى أن صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يحدثني بانبساط حتى انتهينا الى بستان حسن في الغوطة فقال لي ترى هذا قلت نعم قال انه لي وقال ان فيه من غرائب الاشجار كيت وكيت ثم انتهى الى آخر فقال لي مثل ذلك ثم انتهى الى مزارع حسان وقرى سنية وقال هذه لي فاشتد غيظي منه فقلت له اعلم انى شديد التعجب منك قال ولم تعجب قلت ألبس تعلم ان أمير المؤمنين قد أهمه أمرك حتى أرسل اليك من انتزعك من بين اهلك ومالك وولدك وأخرجك عن جميع مالك فريدا وحيدا مقيدا ماتدري الى مايصير اليه أمرك ولا كيف يكون وأنت فارغ القلب من هذا تصف ضياعك وبساتينك هذا وقد رأيتك وقد جئت وأنت لا تعلم فيم جئت وأنت ساكن القلب قليل الفكر لقد كنت عندي شيخا فاضلا فقال لي مجيبا انا لله وانا اليه راجعون أخطأت فراستي فيك لظنتك رجلا كامل العقل وانك ماحللت من الخلفاء هذا المحل الا بعد ان عرفوك بذلك فاذا والله رأيت عقلك وكلامك يشبه كلام العوام وعقلهم والله المستعان أما قولك في أمير المؤمنين وازعاجه واخراجه اياي الى بابه على صورتي هذه فاني على ثقة من الله عز وجل الذي بيده ناصيتي ولا يملك أمير المؤمنين لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا الا باذن الله ومشيئته ولا ذنب لي عند أمير المؤمنين أخافه وبعد فاذا عرف أمري وعلم سلامتي وصلاح جيبي وبعد ناحيتي وأن الحسدة والاعداء رموني عنده بما ليس في وتقولوا علي الاباطيل الكاذبة لم يستحل دمي وتحلل من أذاي وازعاجي وردني مكرما وأقامني ببابه معظما وان كان سبق في علم الله عز وجل انه يبدر الى منه بادرة سوء وقد حضر أجلي وكان سفك دمي على يده فلو اجتمعت الانس والجن والملائكة وأهل الارض وأهل السماء على صرف ذلك عني ما استطاعوه فلم اتجل الغم واتسلف الفكر فيما قد فرغ الله منه واني حسن الظن بالله عز وجل الذي خلق ورزق وأحيا وأمات وأحسن وأجمل وان الصبر والرضا والتفويض والتسليم الى من يملك الدنيا والآخرة أولى وقد كنت أحسب انك تعرف هذا فاذ قد عرفت مبلغ فهمك فاني لا أكلمك بكلمة واحدة حتى تفرق حضرة أمير المؤمنين بيننا ان شاء الله تعالى قال ثم أعرض عني فما سمعت منه لفظة غير القرآن والتسبيح أو حاجة أو مايجري مجراها حتى شارفنا الكوفة في اليوم الثالث عشر بعد الظهر والنجب قد استقبلتني على فراسخ من الكوفة يتجسسون خبري فحين رأوني رجعوا عني بالخبر الى أمير المؤمنين فانتهينا الى الباب في آخر النهار فحططت ودخلت على الرشيد فقبلت الارض بين يديه ووقفت فقال هات ماعندك يامنارة واياك ان تغفل منه لفظة واحدة فسقت الحديث من أوله الى آخره حتى انتهيت الى ذكر الفاكهة والطعام والغسل والبخور والصلاة وما حدثت به نفسي من امتناعه والغضب يظهر في وجه الرشيد ويتزايد حتى انتهيت الى فراغ الاموي من الصلاة والتفاته ومسئلته عن سبب قدومي ودفعي الكتاب اليه ومبادرته الى احضار ولده وأهله وحلفه عليهم ان لا يتبعه أحد

منهم وصرفه اياهم ومد رجليه حتى قيدته فنظر الى وجه الرشيد يسفر حتى انتهيت الى ما خاطبني به عندنو بيخي اباه لما ركبنا المحمل قال صدق والله ما هذا الارجل محسود على النعمة مكذوب عليه ولعمري اقد ازعجناه وآذيناه وروعنا أهله فبادر بنزع قيوده عنه وائتني به قال فخرجت فنزعت قيوده وادخلته الى الرشيد فما هو الا ان رآه حتى رأيت ماء الحياء يجول في وجه الرشيد فسأله عن حاله ثم قال بلغنا عنك فضل هيئة وأمور احببنا معها ان نراك ونسمع كلامك ونحسن اليك فاذكر حاجتك فاجاب الاموى جوابا جميلا وشكر ودعا فقال مالى الا حاجة واحدة فقال مقضية ماهي قال يا أمير المؤمنين تردني الى بلدي وأهلي وولدي قال نحن نفعل ذلك ان شاء الله تعالى ولكن سل ما تحتاج اليه في مصالح جاهك ومعاشك فان مثلك لا يخلو أن يحتاج الى شئ من هذا فقال عمال أمير المؤمنين منصفون وقد استغنيت بعدله عن مسئلته فاموري منتظمة وأحوالي مستقيمة وكذلك امور أهل بلدي بالعدل الشامل في ظل أمير المؤمنين فقال الرشيد انصرف محفوظا الى بلدك واكتب الينا بامر ان عرض لك فودعه فلما ولى خارجا قال الرشيد يا منارة احمله من وقتك وسر به راجعا الى أهله كما جئت به حتى اذا أوصلته الى محله الذي أخذته منه فدعه فيه وانصرف ففعلت والله اعلم (وحكى في الكتاب المذكور) قال حدثني أبو الربيع سليمان بن داود قال كان في جوار القاضي قديما رجل انتشرت عنه حكاية وظهر في يده مال جليل بعد فقر طويل وكنت اسمع ان أبا عمر حماه من السلطان فسألته عن الحكاية فاطرق طويلا ثم حدثني قال ورثت مالا جزيلا فأسرعت في اتلافه وأتلفته حتى أفضيت الى بيع أبواب داري وسقوفها ولم يبق لي حيلة وبقيت مدة لا قوت لي الا من بيع والدتي اما تغزله وتطعمني وتأكل منه فتمنيت الموت فرأيت ليلة في منامي كأن قائلا يقول لي غناك بمصر فاخرج اليها فبكرت الى دار أبي عمر القاضي وتوسلت اليه بالجوار وبالخدمة وكان أبي قد خدمه أياما وسألته أن يزودني كتابا الى مصر لا تصرف فيها ففعل وخرجت فلما حصلت بمصر أوصلت الكتب وسألت التصرف فسد الله علي باب الرزق حتى لم أظفر بتصرف ولا لاح لي شغل ونفدت نفقتي فبقيت متفكرا في أن أسأل الناس فلم استح المسئلة ولم يحملني الجوع عليها وأنا ممتنع الى ان مضى من الليل صدر صالح فلقيني الطائف فقبض علي ووجدني غريبا فأنكر حالي فسألني فقلت رجل ضعيف فلم يصدقني وبطحني وضربني مقارع فصحت وقلت أنا أصدقك فقال هات فقصصت عليه قصتي من أولها الى آخرها وحديث المنام فقال ما رأيت أحمق منك والله لقد رأيت منذ كذا وكذا سنة في النوم كأن رجلا يقول لي ببغداد في الشارع الفلاني في المحلة الفلانية قال فذكر شارعي ومحلتي وأصغيت فتم الشرطي الحديث فقال دار يقال لها دار فلان فذكر داري واسمي وفيها بستان وفيه سدرة تحتها مدفون ثلاثون ألف دينار فامض وخذها فما فكرت في هذا الحديث ولا التفت اليه وأنت يا أحمق فارقت وطنك وجئت الى مصر بسبب منام قال فقوى قلبي وأطلقني الطائف فبت في مسجد وخرجت من الغد من مصر وقدمت بغداد فقطعت السدرة وأثرت مكانها فوجدت جرابا فيه ثلاثون ألف دينار فأخذتها وأمسكت يدي ودبرت أمري وأنا أعيش من تلك الدنانير ومن فضل

www.dorat-ghawas.com

ما اتبعته منها من ضبع وعقار الى الآن (وحكى القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي في كتابه
اخبار المذاكرة ونشوان المحاضرة) قال حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن فهمة قال حدثني بعض
الكتاب قال سافرت أنا وجماعة من أصدقائي نريد مصر للتصرف فلما حصلنا بدمشق وكان معنا
عدة بغال عليها ثقل غلمان لنا ونحن على دوابنا اقبلنا نخترق الطرق لا ندري أين ننزل فاجتزنا
برجل شاب حسن الوجه جالس على باب دار شاهقة وبناء فسيح وغلمان بين يديه فقام الينا وقال
أظنكم سفرا ورودتم الآن فقلنا نحن كذلك قال فتنزلون علينا والح علينا فاستحيينا من محله وحسن
ظاهره وهيئته فحططنا على بابه ودخلنا واقبل أولئك الغلمان يحملون ثقلنا ويدخلونه
الدار ولا يدخلون احدا من غلماننا يخدمنا حتى حملوه باسره في أسرع وقت وجاؤنا بالطسوت
والاباريق فغسلنا وجوهنا وأجلسونا في مجلس حسن مفروش بانواع الفرش التي لم نر مثلها
واذا الدار في نهاية الحسن والفخر والكبر وفيها دور وبستان عظيم وصاحب يخدمنا بنفسه
وعرض علينا الحمام فقلنا نحن اليه محتاجون فادخلنا الى الحمام في الدار في غاية السرور ودخل
الينا غلامان أمردان وصبيان في نهاية الحسن فخدمونا بدلا من القيم واخرجنا من الحمام الى
غير ذلك المجلس فقدم الينا مائدة حسنة جليلة عليها من الحيوان وفاخر الطعام والالوان ونادر
الخبز وغريب البوادر من كل شيء واذا بغلامين أمردين في نهاية الحسن والزي قد دخلوا الينا
فغمزوا أرجلنا فلحقنا من ذلك مع الغربة وطول العهد بالجماع عنت فأمرناهم بالانصراف
وفينا من لم يستحل التعرض لهم وتعففنا عن ذلك لنزولنا على صاحبهم ثم انتهينا الى مجلس في
بستان حسن وأخرج الينا من آلات النبيذ كل ظريف وأحضر من الانبذة كل شيء طيب
حسن وشربنا أقداحا يسيرة ثم ضرب بيده على ستارة ممدودة واذا جوار خلفها فقال غنين
فغنت الجواري اللواتي كن خلفها أحسن غناء واطيبه فلما توسطنا الشرب قال ما هذا
الاحتشام لاضيافنا أعزهم الله اخرجن وهتك الستارة قال فخرج علينا جوار لم ير قط أحسن
ولا أملح ولا أظرف منهن ما بين عوادة وطنبورية وزامرة وصناجة ورقاصة ودفافة بفاخر الثياب
والحلي فغنيننا واختلطن بنا في المجلس فاشتدت محبتنا ولكن ضبطنا أنفسنا فلما كدنا أن
نسكر ومضى قطعة من الليل أقبل صاحب الدار علينا وقال يا سادة ان تمام الضيافة وحقها
الوفاء بشرطها وان يقوم المضيف بحق الضيف في جميع ما يحتاج اليه من طعام وشراب
وجماع وقد أنفذت اليكم نصف النهار الغلمان فأخبروني بعفافكم عنهم فقلت هم اصحاب نساء
فأخرجت هؤلاء فرأيت من انقباضكم عن ممازحتهن مالو خلوتم بهن كانت الصورة واحدة
لما هذا فقلنا يا سيدي اجلالك عن تبذل ما في دارك وفينا من لم يستحل الحرام فقال هؤلاء
مماليكي وهن أحرار لوجه الله تعالى ان كان بد من ان يأخذ كل واحد منكم بيد واحدة يتمتع بها
ليلة فمن شاء زوجته بها ومن شاء غير ذلك فهو أبصر لاكون قد قضيت حق الضيافة فلما سمعنا
بهذا وقد انتشينا طربا أخذ كل واحد منا بيد واحدة فاجلسها الى جانبه واقبل يقبلها ويفرصها
ويمازحها فتزوجت أنا بواحدة منهن وغيري ممن رغب في ذلك وبعضنا لم يفعل وجلس معنا
بعد ذلك ساعة ثم نهض فاذا بخدم قد جاؤا فادخلوا كل واحد وصاحبته الى بيت في نهاية الحسن

والطيب مفروش بفاخر الفرش الوطيئة فبخرونا عليها وعمنا والجوارى الى جنوبنا وتركوا معنا شمعة فى البيت وما نحتاج اليه من آلة البيت وأغلقوا علينا وانصرفوا فبتنا فى أرغد عيش ليلتنا فلما كان السحر بادر الخدم فقالوا امار أيكم فى الحمام فقد أصلح فقمنا ودخلنا ودخل المردان معنا لخدمتنا من أطلق نفسه معهم فيما كان امتنع منه بالامس وخرجنا فبخرنا بالند العتيق وأعطينا الماورد والمسك والكافور وقدمت الينا المرآة المحلاة وأخبرنا غلماننا ان صورتهم فى ليلتهم كصورتنا وانهم أتوا بجوارى الخدمة الروميات فوطئوهن فأقبل بعضنا على بعض يعجب من قضيتنا وبعضنا يقول هذا فى النوم نراه ونحن فى الحديث اذ أقبل صاحب الدار فقمنا اليه وعظمناه فأكبر ذلك وأخذ يسألنا عن ليلتنا فوصفنا ما هاله وسألنا عن خدمة الجوارى لنا فاجبناه بحسنها فقال أيما أحب اليكم الركوب الى بعض البساتين للتفرج الى ان يدرك الطعام أو اللعب بالشطرنج والنرد أو النظر فى الدفاتر فقلنا أما الركوب فلا نؤثره ولكن الشطرنج والنرد والدفاتر فأحضر لنا ذلك وتشاغل كل منا بما اختاره ولم يكن الا ساعتان أو ثلاثة من النهار حتى أحضر لنا مائدة كالمائدة الامسية فأكلنا وقمنا الى الفرش وجاء المردان فغمزونا وغمزهم منا من كان يدخل فى ذلك وزالت المراقبة فلما انتبهنا حملنا الى الحمام وخرجنا فبخرنا وجلسنا فى مجالسنا بالامس وجاء أولئك الجوارى ومعهن غيرهن ممن هو أحسن منهن وقصدت كل واحدة صاحبها بالامس بغير احتشام وشربنا الى نصف الليل وحملوا معنا الى الفراش وكانت هذه حالنا مدة الإسبوع فقلت لاصحابى و يحكم أرى الامر متصلا ومن المحال ان يقول لنا الرجل ارتحلوا عنى وقد استطبتم أنتم مواضعكم وانقطعتم عن سفركم فى هذا فقالوا ما ترى فقلت أرى ان نستأنس الرجل فننظر أى شئ هو فان كان ممن يقبل هدية أو برا عملنا على تكرمته وارتحلنا عنه وان كان بخلاف ذلك كنا معتقدين له المكافأة فى وقت ثان وسألنا أن يحضر لنا من نكرى منه ورحلنا فتقرر رأينا على ذلك فلما جلسنا تلك الليلة على الشرب قلنا له قد طال مقامنا عندك وما أضاف أحد أحدا أحسن مما أضفتنا ونريد الرحيل الى مصر لما أردناه من طلب التصرف وأنا فلان بن فلان نعرفه نفسى والجماعة وقد حملتنا من أياديك ومننك مالا يسعنا معه ان نجهلك ونحب ان تعرفنا بنفسك لنأتى بشكرك ونقضى حقك ونعمل على الرحيل فقال انا فلان بن فلان أحد أهل دمشق فلم نعرفه فقلنا ان رأيت ترعدنا فى الشرح فقال جعلت فداءكم ان لقيادى خبرا أظرف مما شاهدتموه فقلت ان رأيت ان تخبرنا فقال نعم أنا رجل كان أبى تاجرا عظيم النعمة والاموال وانتهت النعمة اليه وكان ممسكا شرا ونشأت له فكنت متخرقا مبذرا محبا للفساد والنساء والمغنيات والشراب فأتلفت مالا عظيما من مال أبى الا انه لم يؤثر فى ماله لعظمه ثم اعتل وأيس من نفسه فدعانى فقال يا بنى انى قد خلفت لك النعمة وقيمتها مائة ألف دينار بعد ان أتلفت على خمسين ألف دينار وان الانفاق لا آخر له اذا لم يكن بازائه داخل ولو أردت ان اتلف هذا المال عليك فى حياتى أو الآن حتى لا تصل الى شئ منه لفعلت ولكن هو ذا أتركه عليك فاقضى حق بحاجة تقضيها الى لاضرر عليك فيها فقلت افعل فقال أنا اعلم انك ستتلف المال فى مدة يسيرة فعرفنى

اذا افتقرت ولم يبق معك شئ أتقتل نفسك ولا تعيش فى الدنيا فقلت لا قال فعرفنى من أين تعيش قال ففكرت ساعة فلم يقع لى الا أن قلت أصير قوادا قال فبكى ساعة ثم مسح عينيه وقال لست بصارف عنك هذه الصناعة فانها ما جرت على لسانك الا وقد دارت فى فكرك ولا دارت فى فكرك الا وأنت لا تنصرف عنها أبدا بعدى ولكن اخبرنى كيف يتم لك المعاش منها فقلت قد تدبرت بكثرة دعواتى القحبات والمغنيات ومعاشرتى لشراب النبيذ فاجمعهم على الرسم فيقيمون فى بيتى ويعملون ما يريدون وآخذ انا منهم الدراهم وأعيش بها فقال اذا يبلغ السلطان خبرك فى جمعة فيحلقون رأسك ولحيتك وينادى عليك ويفرق جمعك ويبطل معاشك ويقول أهل بلدك انظروا الى فلان كيف ينادى عليه وقد صار بعد موت أبيه قوادا ولكن اذا أردت هذه الصناعة فانا أعلمك وان كنت لا أحسنها فلا تستغنى فيها ولا تفتقر ولا يتطرق عليك السلطان بشئ فقلت افعل قال اذا انا مت فاعمل على انك قد أنفقت جميع مالك وافتقرت وتكون قوادا ولك ضياع وعقار واثاث ودور وجوار وآلة وقماش وخدم وجاه وتجارات واعمل على ما كان فى نفسك ان تعمله اذا افتقرت فاعمله وأنت مستظهر على زمانك بما معك وهبه عند اخوانك واعمل انك قد انفقته واجعل معيشتك ما تريد ان تجعله اذا افتقرت فانك تستفيد بذلك أمورا منها انك تبتدئ أمرك بهذا فلا ينكر عليك فى آخره ومنها انك تفعل ذلك بجاه وعقار وضياع وأحوال قوية فلا يطمع فيك سلطان وان طمع فيك سلطان بذلت وأعطيت من نار الذ فتخلصت فقلت كيف أفعل قال تجلس اذا انا مت ثلاثة أيام للعزاء الى ان تنقضى المصيبة فاذا انقضت نفذت وصيتى وتجملت بذلك عند الناس وقضيت حقى ثم تظهر انك قد تركت اللعب وانك تريد حفظ مالك مع ضرب من اللذة ثم تبتدئ فتشترى من الجوارى المغنيات والسرارى كل لون ومن الغلمان المردان والخدم السود والبيض ما تحتاج اليه وتشتهيه ودارك كما تحب فى السرور وتتوف على سرور من تريد أن تعاشره ولا تداخل الا الامير والعاقل وادعهما مرة فى شهر أو شهرين وهادهما ايام الاعياد بالالطاف الحسنة والقهما فى كل أسبوع مرة واجتهد ان تعاشرهما على النبيذ فى دورهما والقهما بالسلام وقضاء الحاجة واتخذ فى كل يوم مائدة حسنة وادع القوم ومن يتفق معهم وليكن ذلك بعقل وترتيب فان ذلك أولا لا يظهر مدة فاذا ظهر صدق به أعداؤك وكذب به اخوانك وقالوا هذه على سبيل المجون والشهوة وعلى طريق التخالع أو مساحة الاخوان والاغاى لذته فى ذلك وليس هو مجنونا ولا مخنثا ولا فقيرا ولا محتاجا الى هذا فيبقى الخلاف فيك مدة أخرى وقد اتصلت مع سلطانك ولعل العشرة بينكما قد وقعت فيستدعى مغنياتك ويسمعهن فى منزله فيصير لك بمنادمته رسم وجاه باق بملاقاتك لهم فهم يحتاجون اليك ويحافظ عليك الامير فتصير فى مراتب ندمائه وفى جملته وتصير قيادتك نفعا عليك بغير ضرر وتخرج عن حد القواد المحض الذين يؤذون وتكبس منازلهم قال فاعتقدت فى الحال ان الصواب ما قاله ومات فى علته فجلست ثلاثة أيام ثم انفذت وصيته وفرقتها كما أمرنى ثم بيضت الدور وهى هذه وزدت فيها ما اشتهيت واستزدت فى الآلات والفرش والابنية كما أردت وابتعت هذه الجوارى والغلمان والخدم من

بغداد ودبرت أمرى على ما قاله لى من غير مخالفة لشئ منه وأنا أفعل هذا منذ سنين كثيرة ما لحقنى
منه ضرر ولا خسران ولا فيه أكثر من اسقاط المروءة وقلة الاكتراث بالعيب وأنا أعيش أطيب
عيش وأهنأه أمر معاشى عليهم ودخلى بهم أكثر من خرجى ونعمتى الموروثة باقية بأسرها
ما بعت منها شيأ بحبة فما فوقها وقد اشتريت من هذه الصناعة عقارا جليلا أضفته الى
ما خلف على وأمرى يمشى كما ترون فقلنا يا هذا افترحت والله عنا وأريتنا طريقا الى قضاء حقك
وأخذنا نمازحه ونقول فضلك فى هذه الصناعة غير مدفوع لانك قواد ابن قواد وما كان الشيخ
ليدبر لك هذا الامر الا وهو بالقيادة أحذق منك فضحك وضحكنا وكان الفتى أديبا خفيف
الروح وبتنا ليلتنا على تلك الحالة فلما كان من الغد جمعنا له من بيننا ثلثمائة دينار وحملناها
اليه ورحلنا عنه (وحكى أحمد بن يحيى بن فضل العمرى) فى كتابه المسمى مسالك الابصار فى
ممالك الامصار فى ترجمة صفى الدين عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر الموسيقى قال ذكر العم حسن
الاربلى فى تاريخه قال جلست مع صفى الدين عبد المؤمن بالمدرسة المستنصرية وجرى ذكر واقعة
بغداد فأخبرنى ان هلاكو طلب رؤساء البلد وعرفاءه وطلب منهم ان يقسموا دروب بغداد
ومحالها وبيوت ذوى يسارها على امراء دولته فقسموها وجعلوا كل محلة أو محلتين أو سوقين
باسم أمير كبير فوقع الدرب الذى كنت اسكنه فى حصة أمير مقدم على عشرة آلاف فارس اسمه
نانونوين وكان هلاكو قد رسم لبعض الامراء ان يقتل ويأسر وينهب مدة ثلاثة أيام ولبعضهم
يومين ولبعضهم يوما واحدا على حسب طبقاتهم فلما دخل الامراء الى بغداد كان أول درب جاء
اليه الامير الدرب الذى أنا ساكنه وقد اجتمع فيه خلق كثير من ذوى اليسار واجتمع عندى نحو
خمسين جارية من أرباب المغانى وذوات الحسن والجمال فوقف نانونوين على باب الدرب وهو
متترس بالاخشاب والتراب وطرقوا الباب وقالوا افتحوا لنا وادخلوا فى الطاعة ولكم الامان
والا أحرقنا الباب وقتلناكم ومعه النجارون وخلافهم وأصحابه بالسلاح قال صفى الدين عبد
المؤمن فقلت السمع والطاعة أنا أخرج اليه ففتحت الباب وخرجت اليه وحدى وعلى أثواب
وسخة وأنا أنتظر الموت فقبلت الارض بين يديه فقال للترجمان قل له أنت كبير هذا الدرب فقلت
نعم فقال ان أردتم السلامة من الموت فاحملوا لنا كذا وكذا وطلب شيئا كثيرا فقبلت الارض
مرة ثانية وقلت كل ما طلبه الامير يحضر وصار كل ما فى هذا الدرب بحكمك ومن تريد من
خواصك فانزل لاجمع لك كل ما طلبت فشاور أصحابه ونزل فى نحو ثلاثين رجلا من خواصه
فأتيت به دارى وفرشت له الفرش الخليفية الفاخرة والسرر المطرزة بالزركش وأحضرت له
فى الحال أطعمة فاخرة وشواء وحلواء وجعلتها بين يديه فلما فرغ من الاكل عملت له مجلسا
ملوكيا وأحضرت الاوانى المذهبة من الزجاج الحلبى وأوانى فضة فيها شراب مروق فلما دارت
الاقداح وسكر قليلا أحضرت عشر مغنيات كل واحدة تغنى بملهاة غير ملهاة الاخرى فغنين
كلهن فارتج المجلس وطرب وانبسطت نفسه فضم واحدة من المغنيات أعجبته فواقعها فى
المجلس ونحن نشاهده وأتم يومه فى غاية الطيبة فلما كان وقت العصر وحضر أصحابه بالنهب
والسبايا قدمت له ولاصحابه الذين كانوا معه تحفا جليلة من أوانى الذهب والفضة ومن النقد

ومن

www.dorat-ghawas.com

ومن الاقمشة الفاخرة شيئا كثيرا سوى العليق ووهبت له الغوانى التى كن بين يديه واعتذرت
من التقصير وقلت جاء الامير على غفلة لكن غدا ان شاء الله تعالى أعمل للامير دعوة أحسن
من هذه فركب وقبلت ركابه ورجعت فجمعت أهل الدرب من ذوى النعمة واليسار وقلت لهم
انظروا لانفسكم هذا الرجل غدا عندى وكذا بعد غد وكل يوم أزيد أضعاف اليوم المتقدم
فجمعوا الى من بينهم ما يساوى خمسين ألف دينار من أنواع الذهب والاقمشة الفاخرة والسلاح
فما طلعت الشمس الا وقد وافانى فرأى ما أذهله وجاء فى هذا اليوم ومعه نساؤه فقدمت له
ولنسائه من الذخائر والذهب النقد ما قيمته عشرون ألف دينار وقدمت له فى اليوم الثالث
لآلئ نفيسة وجواهر ثمينة و بغلة جليلة بآلات خليفية وقلت هذه من مراكب الخليفة
وقدمت لجميع من معه وقلت هذا الدرب صار بحكمك وان تصدقت على أهله بأرواحهم
فيكون لك وجه أبيض عند الله وعند الناس فما بقى عندهم سوى أرواحهم فقال قد عرفت
ذلك من أول يوم ووهبتهم أرواحهم وما حدثتنى نفسى بقتلهم ولا سلبهم لكن أنت تجهز معى الى
حضرة الامير فقد ذكرتك وقدمت له شيئا من المستظرفات التى قدمتها الى فأعجبته ورسم
بحضورك فخفت على نفسى وعلى أهل الدرب وقلت هذا يخرجنى الى خارج بغداد ويقتلنى
و ينهب الدرب فظهر على الخوف وقلت يا خوند هلاكو ملك كبير وأنا رجل حقير مغن أخشى
منه ومن هيبته فقال لا تخف ما يصيبك الا الخير فانه رجل يحب أهل الفضائل فقلت فى ضمانك
أنه ما يصيبنى مكروه قال نعم فقلت لاهل الدرب ما عندكم من النفائس فأتونى بكل ما تقدرون
عليه فأخذت معى من المغنيات الجليلة ومن النقد الكثير من الذهب والفضة وهيأت مأ كل
كثيرة طيبة وشرابا كثيرا عتيقا فائقا وأوان فاخرة كلها من الفضة المنقوشة بالذهب وأخذت
معى ثلاث جوار مغنيات من أجل من كان عندى وأنفسهن للضرب واستبدلة من القماش
الخليفى وركبت بغلة جليلة كنت أركبها اذا رحت الى الخليفة فلما رآنى نانونوين بهذه الحالة
قال لى أنت وزير قلت لا أنا مغنى الخليفة ونديمه لكن لما خفت منك لبست القماش الوسخ ولما
صرت من رعيتك أظهرت نعمتى وأمنت وهذا الملك هلاكو ملك عظيم وهو أعظم من الخليفة
فما ينبغى أن أدخل عليه الا بالحشمة والوقار فأعجبه منى هذا وخرجت معه الى مخيم هلاكو
فدخل عليه وأدخلنى معه وقال لهلاكو هذا الرجل الذى ذكرته لك وأشار الى فلما وقعت عين
هلاكو على قبلت الارض وجلست على ركبتى كما هو من عادة التتار فقال نانونوين هذا كان
مغنى الخليفة وقد فعل معى كذا وكذا وقد أتاك بهدية فقال قد قبلتها فقبلت الارض مرة ثانية
ودعوت له وقدمت له ولخواصه الهدايا التى كانت معى فكلما قدمت شيئا منها يفرقه ثم فعل
بالمأكول كذلك ثم قال لى أنت مغنى الخليفة فقلت نعم فقال أى شئ أجود ما تعرف قلت
أحسن أن أغنى غناء اذا سمعه الانسان ينام فقال غن لى الساعة حتى أنام فندمت وقلت ان
غنيت له ولم ينم قال هذا كذاب وربما قتلنى ولا بد من الخلاص منها بحيلة فقلت يا خوند
الطرب بأوتار العود لا يطيب الا بشرب الخمر ولا بأس بأن يشرب الامير قدحين أو ثلاثة حتى يقع
الطرب فى موقعه فقال انا مالى فى الخمر رغبة لانه يشغلنى عن مصالح ملكى ولقد أعجبنى من

www.dorat-ghawas.com

نبيكم فحرّمه ثم شرب ثلاثة أقداح كبار فلما احمر وجهه أخذت عوداً وغنيته وكان من مغنية
اسمها صبا لم يكن في بغداد أحسن منها صورة ولا أطيب صوتاً فأصلحت أنغام العود وضربت
ضرباً جالباً للنوم مع زمر رخيم الصوت وغنيت فلم أتم النوبة حتى رأيته قد نعس فقطعت
الغناء بغتة ونويت ضرب الأوتار فانتبه فقبلت الأرض وقلت نام الملك فقال صدقت تمنّ
علي فقلت أتمنى على الملك أن يطلق لي على السمكية قال وأي شيء هي السمكية قلت بستان
للخليفة فتبسم وقال لأصحابه هذا مسكين مغن قصير الهمة وقال الترجمان قل له لم لا تمنيت قلعة
أو مدينة أي شيء هذا البستان فقبلت الأرض وقلت يا ملك العالم هذا البستان يكفيني وأنا
ما يجيء مني صاحب قلعة ولا صاحب مدينة فرسم لي بالبستان وبجميع ما كان لي من الراتب
في أيام الخليفة وزادني علوفة تشتمل على خبز ولحم وعليق دواب تساوي دينارين وكتب
بذلك فرماناً مكمل العلائم وخرجت من بين يديه وأخذ لي نانونوين أميراً بخمسين فارساً
ومعهم علم أسود وكان علم هلاكو الخاص به برسم حماية داري فجلس الأمير على باب الدرب
ونصب العلم الأسود على أعلى باب الدرب فبقي الأمر كذلك إلى أن رحل هلاكو عن بغداد قال
الأربلي فقلت له كم نابك من المغارم في النائبة قال أكثر من ستين ألف دينار وذهب أكثرها
عمن كان انزوى إلى داري من ذوي اليسار والباقي من نعم موفرة كانت عندي من صدقات
الخليفة فسألته عن المرتب والبستان فقال البستان أخذه مني أولاد الخليفة وقالوا هذا إرث
من أبينا والعلوفة قطعها عني الصاحب شمس الدين الجويني وعوضني عنها وعن البستان
في السنة مائة ألف درهم (وقال) كان بمدينة السلام مغن يعرف بالغيور وكان عنده من الجواري
عدد كثير ذوات حسن وكان خبره فاشياً يقصده المتصون وغيره فبلغ رجلاً من الكتاب
المشهورين خبره فتشوقت نفسه إلى قصده ثم تجنبته لما اشتهر به فحمل نفسه على أن جعل بينه
وبين الرجل حالاً بان دعاه وبره ووصله وكان قصد الناس منزله آثر عندهم من دعاء من يدعونه
من جوار به لما يجتمع لهم فيه قال الكاتب فكان يسألني المصير إليه وأشعر لشناعة لقبه إلى
أن لقيني بالقرب من منزله فحلف علي أن لا أفارقه فكان ذلك صادف مني موافقة فمضيت معه
فرأيت أحسن منزل وآلة فلما استقر بنا الجلوس قال لغلماني إذا كان في غد بكروا واجيئوا
بالدواب فاستوحشت وقلت بل يقيم بعضهم عندي ويعود الباقون ليلاً للانصراف إلى منزلي
فأبى وحلف فاتبعت ما أراد فأحضر أحسن طعام وألطفه وأكلنا وأتى بأنواع الأشربة
والفواكه والرياحين وأخذنا في أمرنا وخرجت وجوه كالشموس وكنت عند دخولي إلى الدار
قد رأيت على بعض الأبواب طبلاً معلقاً فظننته لبعض الجواري فلم أسأل عنه فلما صرنا على
حالنا وأخذ النبيذ منا أحضر عموداً فجعله بين يديه فأوحشني جداً وقلت رجل غيور كما لقب
وجوار حسان ونبيذ شديد ولست آمن أن أعبث بهن فيضربني بالعمود وقال أخبرك يا أخي
أني رجل غيور كما قد بلغك ويحضر منزلي قوم معهم سوء أدب فما هو إلا أن تغني الجارية حتى
أرى الواحد منهم قد لاحظها وضحك في وجهها وضحكت في وجهه فأقول أقوم بهذا العمود
فإنما هي ضربة له وضربة لها فأقتلهما وأستريح إلا أني على ما ترى رجل معي تأن شديد فأقول

شرب

www.dorat-ghawas.com

شرب الرجل فسر وضحك ولعله بعد يعرفها وتعرفه فضحكت اليه وضحكت اليها قال فلما
ذكر هذا الحديث طابت نفسي وأصغيت الى حديثه فقلت ثم ماذا قال ثم ان الامر يزيد حتى
أراه قد دنا فسارها وسارته فتقوم على القيامة وأقول ضحكت اليها وضحكت اليه لامر عرفته في
وضع السر ثم أهم بالعمود والتأني الذي في يقول لعله طالبها بصوت تغنيه فامسك فلا يطول
الامر بينهما حتى أراه قد أدخل يده في ثوبها فقرصها وعبث بثديها فقد دخلني الغيرة وأقول
ما بعد هذا شيء واهم بضربهما بالعمود لكن على ما ترى عندي تأن فاقول بعد لم يبلغ الامر بهما
الى القتل وهي أوائل وسيكون لها أواخر فان أتيا بما يوجب القتل قتلتهما فاسترحت فامسك
فيطول الامر حتى أرى الواحدة قد قامت وقام الرجل في أثرها فيدخلان ذلك البيت وبابه
وثيق جدا فاسعى خلفهما بهذا العمود لاقتلهما البتة فيسبقاني فيغلقان الباب وابقى أنا خارجه
وأنا غيور كما قد علمت فاقول متى علمت حركتهما مت أو قتلت نفسي فلا يكون والله يا أخي لي
اعتصام الا بذلك الطبل المعلق فاتناوله واضعه في عنقي فلا ازال أضرب ابدا حتى يخرجا قال فما
قمت والله وأنا أرى أوفى منه قولا وفعلا (قال صلاح الدين الصفدي في الجزء الخامس والثلاثين
من التذكرة) ومن خطه نقلت حجت جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة أبي محمد بن حمدان
أخت أبي ثعلب سنة ست وثمانين وثلثمائة فسقت أهل الموسم كلهم السويق بالطبرزد
والثلج واستصحبت البقول المزروعة في المراكب وعلى الجمال وأعدت خمسمائة راحلة
للمنقطعين ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ولم تستصبح عندها وفيها الا بشموع العنبر
واعتقت ثلثمائة عبد ومائتي جارية واغنت الفقراء والمجاورين وحج عبد الله بن جعفر ومعه
ثلاثون راحلة وهو يمشي على رجليه حتى وقف بعرفات فاعتق ثلاثين مملوكا وحملهم على ثلاثين
راحلة وأمر لهم بثلاثين ألفا وقال اعتقهم لله لعل الله ان يعتقني من النار وكان حكيم بن حزام
رضي الله عنه يقيم عشية عرفة مائة بدنة ومائة رقبة فيعتق الرقاب عشية عرفة وينحر البدن يوم
النحر وكان يطوف بالبيت ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له نعم الرب ونعم الاله أحبه
ملكشاه (عمر بن زر الهمداني) لما قضى مناسكه أسند ظهره الى الكعبة الشريفة ثم قال
مودعا للبيت مازلنا نحل لك عروة ونشد أخرى ونصعد أكمة ونهبط واديا وتخفضنا أرض
وترفعنا أخرى حتى أتيناك غير محجوبين فليت شعري بم يكون منصرفنا أبذنب مغفور فاعظم
بها من نعمة أم بعمل مردود فاعظم بها من مصيبة فيا من اليه خرجنا واليه قصدنا وبحرمه
انخنا ارحم أملاق الوفد لفنائك فقد أتيناك بعيسنا معراة جلودها ذابلة أسنمتها نقبة
أخفافها وان أعظم الرزية ان ترجع وقد اكتنفتنا الخيبة اللهم وان للزائرين حقا فاجعل
حقنا غفران ذنوبنا فانك جواد ماجد لا ينقصك نائل ولا يبخلك سائل (ونقلت من خط الشيخ
صلاح الدين الصفدي) من الجزء الثامن والثلاثين من تذكرته ما صورته نقلت من خط شيخنا
الشيخ الامام الحافظ علم الدين البرزالي رحمه الله تعالى ما صورته قرأت في بعض الكتب الواردة
من القاهرة المحروسة أنه لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الآخرة في سنة اثنتين
وسبعمائة ظهرت دابة عجيبة من بحر النيل الى أرض المنوفية صفة لونها لون الجاموس بلا

شعر وآذانها كآذان الجمال وعيناها وفرجها مثل الناقة يغطى فرجها ذنب طوله شبر ونصف طرفه كذنب السمكة ورقبتها مثل غلظ التيس المحشو تبنا وفمها وشفاهها مثل الكربال ولها أربعة أنياب اثنان من فوق واثنان من أسفل طول الواحد دون الشبر وعرض اصبعين وفي فمها ثمانية وأربعون ضرسا وسنا مثل بيادق الشطرنج وطول يدها من باطنها الى الارض شبران ونصف ومن ركبتها الى حافرها مثل بطن الثعبان أصفر مجعد ودورحافرها مثل السكرجة بأربعة أظافير مثل أظافير الجمل وعرض ظاهرها مقدار ذراعين ونصف وطولها من فمها الى ذنبها خمسة عشر قدما وفي بطنها ثلاث كروش ولحمها أحمر وزفرته مثل السمك وطعمه كطعم الجمل وغلظ جلدها أربعة أصابع ما تعمل فيه السيوف وحمل جلدها على خمسة جمال في مقدار ساعة من ثقله على جمل بعد جمل واحضروه الى القلعة المعمورة بحضرة السلطان وحشوه تبنا وأقاموه بين يديه (ونقلت منه أيضا) كتب الى زين الدين الرحبي انه وجد بالقاهرة بالقرب من المشهد كلبة ميتة وابها جروان يرضعان مقدار عشرين يوما بعد موتها والثعبان حولها واللبن يخرج من ابزازها من الجانب الاعلى وأما الجانب الاسفل فانه يبس وكان الناس يمرون بها ويتعجبون فسبحان من لا يعجزه شيء وهو على كل شيء قدير (وذكر الشيخ في حوادث سنة ٧٣٦) قال قال شيخنا علم الدين رحمه الله تعالى نقلت من خط الصدر بدر الدين الفرازى قال في السابع من ذى الحجة سنة (٧٢١) أخبرنى شخص ان كلبة ولدت بالقاهرة ثلاثين جروا وانها أحضرت بين يدي السلطان فلما رآها أعجب من أمرها وسأل المنجمين عن ذلك فاعترفوا انهم ليس لهم علم بذلك (يحكى) أن المهدى خرج يتصيد فلقيه الحسين بن مطير الاسدى فانشده

أضحت يمينك من جود مصورة * لا بل يمينك منها صورة الجود
من حسن وجهك تضحى الارض مشرقة * ومن بنانك يجرى الماء في العود

فقال المهدى كذبت يا فاسق وهل تركت في شعرك موضعا لاحد مع قولك في معن بن زائدة

ألما بمعن ثم قولا لقبره * سقتك الغوادى مربعا ثم مربعا
فيا قبر معن كنت أول حفرة * من الارض خطت للمكارم مضجعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا
ولكن حويت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
وما كان الا الجود صورة وجهه * فعاش ربيعا ثم ولى فودعا
فلما مضى معن مضى الجود والندى * وأصبح عرنين المكارم اجدعا

فاطرق الحسين وقال يا أمير المؤمنين وهل معن الا حسنة من حسناتك فرضى عنه وأمر له بالفى دينار (قال سعيد بن مسلم) لما ولى المنصور معن بن زائدة اذربيجان قصده قوم من أهل الكوفة فلما صاروا ببابه استأذنوا عليه فدخل الآذن فقال أصلح الله الامير وفد من أهل العراق قال من أى أهل العراق قال من الكوفة قال ائذن لهم فدخلوا عليه فنظر اليهم معن في هيئة زرية فوثب على اريكته وأنشد يقول

اذا نوبة نابت صديقك فاغتنم * مرمتها فالدهر بالناس قلب
فاحسن ثوبيك الذي هو لابس * وافره مهريك الذي هو راكب
وبادر بمعروف اذا كنت قادرا * زوال اقتدار فهو عنك يعقب

قال فوثب اليه رجل من القوم فقال أصلح الله الامير الا أنشدك أحسن من هذا قال لمن قال لابن عمك هرمة قال هات فأنشد يقول

وللنفس تارات تحل بها العرى * وتسخو عن المال النفوس الشحائح
اذا المرء لم ينفعك حيا فنفعه * أقل اذا ضمت عليك الصفائح
لأية حال يمنع المرء ماله * غدا فغدا والموت غاد ورائح

فقال معن أحسنت والله وان كان الشعر لغيرك يا غلام أعطهم أربعة آلاف يستعينون بها على أمورهم الى ان يتهيأ لنا فيهم ما نريد فقال الغلام أجعلها دنانير أم دراهم فقال معن والله لا تكون همتك أرفع من همتي (مدح) مطيع بن اياس معن بن زائدة فقال له معن ان شئت مدحتك وان شئت أثبتك فاستحيى من اختيار الثواب وكره اختيار المدح فقال

ثناء من أمير خير كسب * لصاحب مغنم وأخي ثراء
ولكن الزمان برى عظامي * وما مثل الدراهم من دواء

فأمر له بالف دينار (ولما) قدم معن بن زائدة أتاه الناس فأتاه ابن أبي جفنة فاذا المجلس غاص باهله فدق بعصاه الباب ثم قال

وما أحجم الاعداء عنك تقية * عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
له راحتان الجود والحتف فيهما * أبى الله الا أن يضر وينفعا

فقال معن احتكم يا أبا السمط فقال عشرة آلاف فقال معن ونزيدك ألفا (أتى) اعرابي الى معن بن زائدة ومعه قطع فيه صبي حين ولد فاستأذن عليه فلما دخل جعل الصبي بين يديه وقال

سميت معنا بمعن ثم قلت له * هذا سمي فتى في الناس محمود
أنت الجواد ومنك الجود نعرفه * ومثل جودك فينا غير معهود
أمست يمينك من جود مصورة * لا بل يمينك منها صورة الجود

قال كم الابيات قال ثلاثة قال أعطوه ثلثمائة دينار ولو كنت زدتنا لزدناك فقال حسبك ما سمعت وحسبي ما أخذت (أخبرنا) الشيخ الجليل العدل الاصيل شهاب الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن غانم بن وافد المهدي قال أخبرنا المشايخ الثلاثة الامام فخر الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد البخاري وأبو العباس أحمد بن شيبان بن تغلب الشيباني وأم حبيبة زينب بنت مكي بن علي بن كامل الحراني قالوا أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن أبي نصر الحميدي قال أنشدني أبو غالب محمد بن سهل النحوي الواسطي المعروف بابن شيران بواسط قال أنشدني الامير أبو الهيجاء محمد بن عمران بن شاهين قال أنشدني علي بن زريق الكاتب البغدادي لنفسه هذه القصيدة الى آخرها وقد أنشدنيها جماعة بالمغرب وقال لي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد وغيره يقال من تختم بالعقيق وقرأ لابي عمرو وحفظ قصيدة ابن زريق فقد استكمل

الظرف وهي

لا تعذليه فان العذل يولعه * قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه
جاوزت في لومه حدا أضربه * من حيث قدرت ان اللوم ينفعه
فاستعملي الرفق في تأنيبه بدلا * من عنفه فهو مضنى القلب موجعه
قد كان مضطلعا بالبين يحمله * فضلعت بخطوب البين اضلعه
يكفيه من لوعة التفنيد ان له * من النوى كل يوم ما يروعه
ما آب من سفر الا وأزعجه * رأي الى سفر بالرغم يتبعه
كانما هو في حل ومرتحل * موكل بفضاء الارض يذرعه
اذا الزماع أراه بالرحيل غنى * ولو الى السد أضحى وهو يزمعه
تأبى المطامع الا ان تجشمه * للرزق كدا وكم ممن يودعه
وما مجاهدة الانسان واصلة * رزقا ولا دعة الانسان تقطعه
والله قسم بين الناس رزقهم * لم يخلق الله مخلوقا يضيعه
لكنهم ملئوا حرصا فلست ترى * مسترزقا وسوى الغايات تقنعه
والحرص في المرء والارزاق قد قسمت * بغي الا ان بغي المرء يصرعه
والدهر يعطي الفتى ما ليس يطلبه * حقا ويطمعه من حيث يمنعه
استودع الله في بغداد لي قمرا * بالكرخ من فلك الازرار مطلعه
ودعته وبودي لو يودعني * طيب الحياة وأني لا أودعه
كم قد تشفع بي ان لا أفارقه * وللضرورات حال لا تشفعه
وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى * وأدمعي مستهلات وأدمعه
لا أكذب الله ثوب العذر منخرق * عني بفرقته لكن أرقعه
اني أوسع عذري في جنايته * بالبين عنه وقلبي لا يوسعه
أعطيت ملكا فلم أحسن سياسته * كذا من لا يسوس الملك يخلعه
ومن غدا لابسا ثوب النعيم بلا * شكر عليه فان الله ينزعه
اعتضت من وجه خلي بعد فرقته * كاسا تجرع منها ما أجرعه
كم قائل لي ذنب البين قلت له * الذنب والله ذنبي لست أدفعه
الا أقمت مكان الرشد أجمعه * لو انني يوم بان الرشد اتبعه
اني لاقطع أيامي وانفدها * بحسرة منه في قلبي تقطعه
بمن اذا هجع النوام بت به * بلوعة منه ليلي لست اهجعه
لا يطمئن بجنبي مضجع وكذا * لا يطمئن له مذ بنت مضجعه
ما كنت أحسب ريب الدهر يفجعني * به ولا أظن بي الايام تفجعه
حتى جرى البين فيما بيننا بيد * عسراء تمنعني حظي وتمنعه
وكنت من ريب دهري جازعا فرقا * فلم أوق الذي قد كنت اجزعه

بالله

بالله يا منزل الانس الذى درست * آثاره وعفت مذ بنت اربعه
هل الزمان معيد فيك لذتنا * أم الليالى التى امضت ترجعه
فى ذمة الله من أصبحت منزله * وجاد غيث على مغناك يمرعه
من عنده لى عهد لا يضيع كما * عندى له عهود لا أضيعه
ومن يصدع قلبى ذكره واذا * جرى على قلبه ذكرى يصدعه
لا صبرن لدهر لا يمتعنى * به ولا بى فى حال يمتعه
علما بان اصطبارى معقب فرجا * فاضيق الامر ان فكرت أوسعه
عسى الليالى التى أضنت بفرقتنا * جسمى ستجمعنى يوما وتجمعه
وان تنل أحدا منا منيته * فما الذى بقضاء الله يصنعه

(يحكى) أنه وقع فى ليلة الجمعة خامس عشر المحرم سنة (١٠٣١) ان حضرت صلاة العشاء بالجامع النورى بحماة فتقدم امامه للصلاة بعد الاقامة وكبر تكبيرة الافتتاح وقرأ دعاء الافتتاح والفاتحة ثم قرأ الم السجدة ولما أتى على آية السجدة سجد ثم أتمها الى آخرها وركع وسجد السجدتين ثم قام الى الركعة الثانية وقرأ الفاتحة ثم قرأ سورة النحل وبنى اسرائيل والكهف ومريم وجانبا من طه فارتج عليه فركع ثم اعتدل واقفا ثم سجد السجدتين وتشهد وسلم على رأس الركعتين (حكى) الدينورى فى المجالسة فى ترجمة أبى عبد الله سعيد بن يزيد البناجى قال سمعت أبى يقول قال خالى أحمد بن محمد بن يوسف سمعت محمد بن يوسف يقول كان أبو عبد الله البناجى مجاب الدعوة وله آيات وكرامات بينما هو فى بعض أسفاره اما حاجا واما غازيا على ناقة وكان فى الطريق رجل عائن قلما ينظر الى شئ الا أتلفه واسقطه وكانت ناقة أبى عبد الله ناقة فارهة فقيل له احفظها من العائن فقال أبو عبد الله ليس له الى ناقتى سبيل فأخبر العائن بقوله فتحين غيبة أبى عبد الله فجاء الى رحله وعان ناقته فاضطربت وسقطت تضطرب فأتى أبو عبد الله فقيل قد عان ناقتك وهى كما تراها تضطرب قال دلونى على العائن فدل عليه فقال بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت عين العائن عليه وعلى أحب الناس اليه فى كليته رشيق وفى ماله يليق فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير فخرجت حدقة العائن وقامت الناقة لا بأس بها وله فى أسماء الولائم

وليمة اعراس وخرس ولادة * عقيقة مولود نقيعة قادم
وضيمة حزن والبناء وكيرة * عذيرة ختن مأدبات المكارم

(وله أيضا فى أسماء أيام العجوز على الترتيب)

بصن وصنبر ووبر معلل * بمطفئ جمر آمر نعم مؤتمر
تولت عجوز ثم أعقب بعدها * شباب ربيع زهره يانع نضر

(ولغيره فى أسماء خيل الحلبة)

سبق المجلى والمصلى والمسلى بعد تاليه ترى المرتاحا
وبعاطف وبفسكل وحطيه * حلب اللطيم على الكميت صباحا

(لابى العلاء المعرى)

www.dorat-ghawas.com

سألن فقلت مقصدنا سعيد * فكان اسم الامير لهن فالا
اذا ما الغيم لم يمطر بلادا * فان له على يده اتكالا
ولو ان الرياح تهب غربا * وقلت لها هلا هبت شمالا
واقسم لو غضبت على ثبير * لازمع عن محلته ارتحالا

(نبذة لغوية يفتقر كل متأدب اليها) البلج هو ان ينقطع الحاجبان فلا يكون بينهما تضام للشعر وكانت العرب تمدح البلج ويقال رجل أبلج وامرأة بلجاء (ثم العين) فجملة العين المقلة وهي الشحمة التى تجمع البياض والحدقة والناظر وهو موضع البصر وفيه الانسان والانسان ليس بخلق له جسم والجسم ما وجدت مسه والعين كالمرآة اذا استقبلتها بشئ رأيت شخصه فيها وفيها الناظران وهما عرقان على حرفى الانف يسيلان من الموقين الى الوجه وفيها الاجفان وهى غطاء المقلة من أعلى وأسفل وفيها الاشفار وهى حروف الاجفان التى تلتقى عند الغمض الواحد شفر والشفر الذى ينبت فيه الهدب الواحد هدبة فاذا طالت الاهداب قيل رجل أهدب وامرأة هدباء ورجل أوطف وامرأة وطفاء وكذلك أذن هدباء اذا كانت كثيرة الشعر ووطفاء والكل دليل على الطول والحجر ما خرج من النقاب من الرجل والمرأة من الجفن الاسفل وفى العين الحماليق والواحد حملاق والحماليق النواحى وفيها اللحاظ وهى مؤخرها الذى يلى الصدغ والموق طرفها الذى يلى الانف وهو مخرج الدمع وفى العين الخوص وهو ضيق فى مؤخرها يقال رجل احوص وامرأة حوصاء وفيها النجل وهو سعة العين وعظم المقلة وكثرة البياض وفيها الخنس وهو ضعف فى النظر وفيها الكحل وهو سواد العين بين الحمرة والسواد والدعج السواد فى العين بين الحمرة والسواد والشهل أن يشوب سوادها زرقة يقال رجل أشهل وامرأة شهلاء ويقال نظر الى شزرا وذلك اذا نظر عن يمينه أو عن شماله ولم يستقبله بنظره وفى النظر الاغضاء وهو ان يطبق جفنه على حدقته فيقال رأيته مغضيا (ثم الفم) وفى الفم الثنايا والرباعيات والضواحك والارحاء والنواجذ فالضواحك أربعة اضراس تلى الانياب الى جنب كل ناب من أسفل الفم وأعلاه ضاحك وأما الارحاء فهى ثمانية أضراس من أسفل الفم وأعلاه وفى الاسنان الظلم ساكن وهو ماء الاسنان وفى الاسنان الشنب وهو برد وعذوبة فى المذاقة والفلج تباعد ما بين الاسنان (ثم اللثة) وهو اللحم ينبت فيه الاسنان وفى اللثة اللحمى وهو سمرة تضرب الى سواد وكذلك الحوة واللهاة اللحمة الحمراء المعلقة على الحنك (نقلت من الجزء الثالث والعشرين من التذكرة للصفدى) ان شهاب الدين أحمد الحموى النقاش ورد الى القاهرة سنة ٧٣٢ وكتب الختمة الشريفة على خوصة من أولها الى آخرها مفصلة الاجزاء والسور أخبرنى بذلك الموالى السادة الموقعون بالباب الشريف وقدمها لمولانا السلطان الملك الصالح وسألته عن مولده فقال فى سنة ٦٩٩ وله نظم رائق (عن على بن أبى طالب) رضى الله عنه عشر تورث النسيان كثرة الهم والحجامة فى النقرة والبول فى الماء الراكد وأكل التفاح الحامض وأكل الكسفرة وأكل سؤر الفأرة وقراءة الواح القبور والنظر الى المصلوب والمشى بين القطارين والقاء القملة حية والله أعلم هذا آخر التذييل

وهذا

﴿وهذا تذييل آخر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أما بعد حمد الله على نعمائه والصلاة والسلام على خير أنبيائه فيقول العبد الفقير الى عفو مولاه الكريم ابراهيم بن الحاج على الاحدب قد رأيت أن أذيل الثمرات بما جنيته من الثمار الدانية والفوائد العالية وبالله التوفيق (فمن ذلك ما حكى) ان الصاحب بدر الدين وزير اليمن كان له أخ بديع الجمال وكان شديد الحرص عليه فأتى له بشيخ ذى دين وعفة وهيبة وعقل ليعلمه فأسكنه فى منزل قريب منه فأقام على ذلك مدة ثم ان الشيخ امتحن بمحبة ذلك الشاب وقوى غرامه فيه فشكا وماله حاله فقال له ما حيلتى وانا لا أستطيع مفارقة أخى لا ليلا ولا نهارا أما الليل فان سريرى بجانب سريره وأما النهار فكما ترى تلازمنا فقال الشيخ ان منزلى ملاصق لداركم فيمكن اذا غمضت عين أخيك ان تقوم لتستعمل ماء فتأتى الى الحائط وأنا أتناولك من وراء الجدار فتجلس عندى لحظة لطيفة من غير ان يشعر أخوك بشئ فقال السمع والطاعة وتواعدا على ليلة فهيأ له الشيخ من التحف والظرف ما يليق بمقامه فلما نام الصاحب واستغرق فى النوم وأمن انتباهه قام الشاب وتمشى خطوات وفتح بابا يتوصل منه الى الحائط فوجد شيخه واقفا ينتظره فتناوله وصار عنده فى المنزل وكانت ليلة البدر وتنادما ودارت بينهما كؤس الشراب ممزوجة ببرد الرضاب وانتشى الشيخ وأخذ فى الغناء وقد رمى القمر جرمه عليهما وانتبه الصاحب فلم يجد أخاه فقام فزعا مرعوبا ووجد الباب الذى استطرق منه أخوه مفتوحا فقال من ههنا جاء الشر فدخل منه وصعد الحائط فوجد نورا ساطعا من البيت ونظر فرآهما على هذه الحالة والكاس بيد الشيخ وهو ينشد بأحسن صوت

سقانى خمرة من ريق فيه * وحيا بالعذار وما يليه
وبات معانقى خدا بخد * غزال فى الانام بلا شبيه
وبات البدر مطلعا علينا * سلوه لا ينم على أخيه

فكان من لطافة الصاحب ان قال والله لا أنم عليكما وتركهما وانصرف اﻫ (ومن بديع ذلك ما حكاه ابن خلكان فى تاريخه) فى ترجمة شرف الدين المعروف بابن المستوفى قال قد وصل الى اربل بعض الشعراء وهو الشريف عبد الرحمن بن أبى الحسين بن عيسى بن على بن يعرب فى سنة ثمان وعشرين وستمائة وشرف الدين يومئذ وزير فسيرله مثلوما على يد شخص كان فى خدمته يقال له الكمال بن الشعار الموصلى صاحب التاريخ والمثلوم عبارة عن دينار يقطع منه قطعة صغيرة وقد جرت عادتهم فى العراق وتلك البلاد ان يفعلوا مثل هذا لانهم يتعاملون بالقطع الصغار ويسمونها القراضة ويتعاملون أيضا بالمثلوم وهذا كثير الوجود بايديهم فجاء الكمال الى ذلك الشاعر وقال له الصاحب يقول لك أنفق الساعة هذا حتى يجهز لك شيأ فتوهم الشاعر ان الكمال يكون قد قرض القطعة من الدينار وان شرف الدين ما سيره الا كاملا وقصد استعلام الحال من جهة شرف الدين فكتب اليه

يا أيها المولى الوزير ومن به * فى الجود حقا تضرب الامثال
أرسلت بدرا التم عند كماله * حسنا فوافى العبد وهو هلال

ماغاله النقصان الا انه * بلغ الكمال كذلك الآجال

فاعجب شرف الدين بهذا المعنى وحسن الاتفاق وأجاز الشاعر وأحسن اليه اه (ومنه ماحكى) ان ابراهيم بن سهل الاشبيلى كان يهوديا فاسلم وحسن اسلامه حتى انه مدح النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يسلم وكان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم وكان يحب يهوديا اسمه موسى وأكثر شعره فيه فلما أسلم أحب شابا اسمه محمد وترك هوى اليهودى فقيل له فى ذلك فانشد

تركت هوى موسى بحب محمد * هديت ولولا الله ما كنت اهتدى
وماعن قلى تركى هواه وانما * شريعة موسى عطلت بمحمد

وكان ابراهيم هذا شاعرا مجيدا اتفق له فى صباه ان الهيثم نظم قصيدة مدح بها المتوكل على الله ابن يوسف بن هود ملك الاندلس وقد كانت اعلامه سودا لانه كان بايع الخليفة ببغداد فارسل اليه بالتولية والالوية والنيابة ولا يعلم أحد من ملوك الاندلس قبله ولا بعده بايع بنى العباس قط فوقف ابراهيم بن سهل والهيثم ينشد قصيدته لبعض أصحابه فقال ابراهيم للهيثم زد بين البيت الفلانى والبيت الفلانى

اعلامه السوداء اعلام بسودده * كانهن بخد الملك خيلان

فقال الهيثم أهذا البيت شئ ترويه أم نظمته فقال بل نظمته الساعة فقال الهيثم ان عاش هذا الغلام فسيكون اشعر أهل الاندلس (ومنه مااتفق) سنة ثمان وستمائة ان الملك المعظم عيسى سار الى أخيه الملك الاشرف واستعطفه على أخيه الكامل محمد وكان فى نفسه موجدة عليه مازالها وسارا جميعا نحو الديار المصرية لمعاونة الكامل على الافرنج الذين قد أخذوا دمياط واستحكم أمرهم هناك من سنة أربعة عشر بعد حروب كثيرة يطول شرحها حتى عرض عليهم فى بعضها ان يرد عليهم بيت المقدس وجميع ماكان صلاح الدين فتحه فى الساحل ويتركوا دمياط فامتنعوا من ذلك فقدر الله سبحانه وتعالى ان شاعت عليهم مراكب فيها ميرة لهم فاخذتها مراكب المسلمين وأرسلت من أراضى دمياط المياه من كل ناحية فلم يمكن الافرنج ان يتصرفوا بانفسهم وحصرهم المسلمون من الجهة الاخرى حتى اضطروهم الى أضيق الاماكن فعند ذلك أنابوا الى المصالحة من غير مفاوضة فجاء مقدمهم الى الملك الكامل وعنده اخواه المذكورات وكانا قائمين بين يديه وكان يوما مشهودا وأمرا محمودا فوقع الصلح على ماأراد الكامل محمد وملوك الافرنج والعساكر كلها واقفة بحضرته ومد سماطا عظيما اجتمع عليه المؤمن والكافر والبر والفاجر فقام الحلى الشاعر وأنشد

هنيئا فان السعد راح مخلدا * وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حبانا اله الخلق فتحا به المنى * مبينا وانعاما وعزا مؤبدا
تهلل وجه الارض بعد قطوبه * وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا
ولما طغا البحر الخضم باهله الطغاة وأضحى بالمراكب مزبدا
أقام لهذا الدين من سل عزمه * صقيلا كما سل الحسام مجردا
فلم ينج الا كل شلو مجدل * ثوى منهم أو من تراه مقيدا
ونادى لسان الكون فى الارض رافعا * عقيرته فى الخافقين مشيدا

www.dorat-ghawas.com

أعباد عيسى ان عيسى وقومه * وموسى جميعا يخدمون محمدا

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة بلغني انه وقت الانشاد أشار عند قوله عيسى الى المعظم وعند قوله موسى الى الاشرف وعند قوله محمد الى الكامل وهذا من أحسن الاتفاق انتهى (ومنه ماحكى عن جمال الدين) كاتب سر الملك المعظم عيسى انه كان بينه وبين السلطان مداعبة ومنادمة فاتفق انه حضر في بعض الليالي عنده فلما رجع الى منزله قالت له زوجته أين انعام السلطان فقال ماأنعم علي الليلة بشئ فقالت أنا أعوض عنه وقامت اليه هي وجواريها في الحال وتناولته بالخفاف الثقال الى ان ألانت أعطافه وأدارت في حانة الصفع سلافه فكتب للمعظم رقعة في ذلك منها

وتحالفت بيض الاكف كأنها * المستصفيق عند مجالس الاعراس
وتتابعت سود الخفاف كأنها * وقع المطارق من يدي نحاس

وقال أجب عنها فأجابه بما في آخره

فاصبر على أخلاقهن ولا تكن * متخلقا الا بخلق الناس
واعلم ان اختلفت عليك بانه * مافي وقوفك ساعة من باس

وشهد أبو جعفر الاندلسي فقال

ومورد الوجنات دب عذاره * فكأنه خط على قرطاس
لما رأيت عذاره مستعجلا * قد رام يخفي الورد منه بآس
ناديته قف كي أودع ورده * مافي وقوفك ساعة من باس

(ومن البديع مايحكى) ان الشيخ ابن كثير صاحب التاريخ كان له صفة على باب داره يجلس ويطالع فيها استئناسا بالمارة لسآمة الوحدة والى جواره جار له رث الثياب وكان اذا رأى الشيخ جالسا على الصفة يجيء ويركب أكتافه فتفوح له رائحة فيتأذى منها ويستحيي أن يصرفه فاشتد غيظه يوما فقال له ياشيخ أما تستحي كلما تراني جالسا تجيء تركب أكتافي وأنت لست تعرف ما أطالعه ولا لك شعور به فلما أجابه بهذا التعنيف قال له ياسيدي الشيخ ماهذا الذي تطالع فيه من العلوم فقال شئ في الاقتباس فقال له انشدني منه شيأ فافتكر ابن كثير ساعة واقتبس في مطالعة الحال وقال

كيد حسودي وهنا * ولي سرور وهنا
الحمد لله الذي * أذهب عنا الحزنا

فلما فرغ من انشاده قال له هذا الذي أفكرت فيه وتستكثر به اسمع ماأقول فأنشد ارتجالا من غير وقفة

قلبي الى الرشد يسير * وعنده النظم يسير
الحمد لله الذي * فضلنا على كثير

فقام الشيخ له اجلالا وأجلسه واعتذر له فقال له اياك ان تزدري بأحد فان مواهب الله تعالى في الصدور لا في الثياب اه (ومن اللطائف ماحكى) ان بعض الملوك حاصر ملكا وأطال في حصاره فلما اشتدت به المحاصرة استدعى بوزرائه فقال ماترون وقد تأخرت بنا هذه الحال هل

نسله أم تخرج عليه ليلا و يفعل الله بنا ما يشاء فقال بعض وزرائه قد بدا لي رأي أرى انهم يصرفون به عنا من غير قتال فقال ما هو قال يجمع مولاي ما في خزائنه من الذهب و يحضره فلما أحضره استدعى بالصياغ وأمرهم ان يصيغوه جميعه سهاما زنة كل سهم قدر معلوم فعملت على الامر المذكور فكتب الوزير على كل نصل سطرين ثم أمر ان تركب السهام فلما ركبت أمر حاشية الملك بأن يأخذ كل واحد سهما وأمرهم ان يرموها عن قوس واحد على العسكر المحتاط بهم فتلألأ لمعان ذهالها حتى أدهش العيون فأمر الملك ان تجمع فلما جمعت بين يديه أمر ان يقرأ ما عليها فاذا هو مكتوب

ومن جوده يرمي العفاة بأسهم * من الذهب الابريز صيغت نصولها
لينفقها مجروحها في دوائه * و يشتري الاكفان منها قتيلها

فلما سمع ذلك أمر بالرحيل من ساعته وقال مثل هذا لا يحاصر ولا يقاتل (ومن ذلك ما يحكى) ان الشيخ شمس الدين المعروف بالدجوي رحمه الله تعالى كان يتعشق مليحا فرآه بعد مدة وهو يتوجع من دمل طلعت في دبره فسأله فقال دمل في ذلك المحل فضحك الشيخ ضحكا شديدا وقال ما رأيت أعجب من هذا الدمل فقال له الشاب ولم قال الدمامل تطلع في اضيق المواضع وهذا على غير القياس جاء في أوسع المواضع فتبسم الشاب خجلا ومضى اه (لطيفة) يحكى أن نقيب الاشراف ببغداد كان يهوى غلاما اسمه صدقة فأخذه ابن المنير الطرابلسي يوما وأضافه وجلس في طبقة له فذهب اليهم على خفية وقال

يا من هم في الطبقه * هل عندكم من شفقه
لسائل متيم * يطلب منكم صدقه

فأجابه ابن المنير ارتجالا في الحال بقوله

يا من أتانا سرقه * بهيبة مخترقه
جدك يا ذا الهيبة * أخذك منا صدقه

فخجل الشريف وذهب اه (ومن المستعذب ما يحكى) عن الفضل قال دخلت على الرشيد و بين يديه طبق ورد وعنده جارية مارية وكانت تحسن الشعر والادب مع الحسن والجمال فقال يا فضل قل في هذا الورد فانشدته بديها

كأنه فم محبوب يقبله * فم المحب وقد أبدى به خجلا

فقال الرشيد ما تقولين يا مارية فأنشدته

كأنه لون خدي حين تدفعني * كف الرشيد لامر يوجب الغسلا

فقال الرشيد قم يا فضل فقد هيجتني هذه الماجنة فقمت وقد أرخيت الستور اه (ومن الغايات التي لا تدرك) ما حكاه الشريف المقري في شرح بديعيته ان صائغا نصرانيا اسمه نجم صاغ خاتما لبعض أولاد وزراء بيت المقدس وكان اسمه يحيى فنقش عليه نجم عشق يحيى ودفعه له فلما قرأه طاش عقله وامتلأ غيظا وذهب الى أبيه وقال له اقرأ ما على هذا الخاتم فلما قرأه حصل في نفسه تأثير فأرسل خلفه وعقد مجلسا لدى القاضي وأراد قتله فلما حضر أعلم بذلك فقال ما ذنبي وأنتم تروون عن نبيكم من قتل ذميا كنت خصمه يوم القيامة فقيل له أو تتكلم

وحطك

وخطك يشهد عليك كيف تكتب نجم عشق يحيى فقال والله ما كتبت الا ما تبين كونه
فى كتابكم فكتبت نجم عشق يحيى فطرب المجلس لذلك واستحسنوا ذكاءه وأشاروا عليه
بالاسلام فهذا من الاتفاق العجيب اه (ومثل ذلك قول أبى نواس يهجو خالصة جارية
الرشيد)

لقد ضاع شعرى على بابكم * كما ضاع در على خالصه

فلما بلغ الرشيد أنكر عليه وهدده فقال لم أقل الا ضاء فاستحسن مواربته وقال بعض من حضر
هذا البيت قلعت عينه فأبصر اه (حكى عن أبى العيناء انه قال) رأيت جارية مع النخاس
وهى تحلف ان لا ترجع لمولاها فسألتها عن ذلك فقالت ياسيدى انه يواقعنى من قيام ويصلى
من قعود ويشتمنى باعراب ويلحن فى القرآن ويصوم الخميس والاثنين ويفطر رمضان
ويصلى الضحى ويترك الفرض فقلت لا أكثر الله مثله فى المسلمين اه (وقيل) زنى رجل
بجارية فأحبلها فقيل له يا عدو الله هلا اذ ابتليت بفاحشة عزلت قال قد بلغنى ان العزل مكروه
قالوا فما بلغك ان الزنا حرام (وقيل لاعرابى) كان يتعشق قينة ما يضرك لو اشتريتها ببعض
ما تنفق عليها قال فمن لى اذ ذاك بلذة الخلسة ولقاء المسارقة وانتظار الموعد (وحكى) ان علية
بنت المهدى كانت تهوى غلاما خادما اسمه طل فحلف الرشيد ان لا تكلمه ولا تذكره فى شعرها
فاطلع الرشيد يوما عليها وهى تقرأ فى سورة البقرة فان لم يصبها وابل فالذى نهى عنه أمير
المؤمنين (قيل) دخلت امرأة على هرون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت
يا أمير المؤمنين اقر الله عينك وفرحك بما آتاك وأتم سعدك لقد حكمت فقسطت فقال لها
من تكونين أيتها المرأة فقالت من آل برمك ممن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم
فقال أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ونفذ فيهم قدره وأما المال فمردود اليك ثم التفت
الى الحاضرين من اصحابه فقال أتدرون ما قالت المرأة فقالوا ما نراها قالت الا خيرا قال
ما أظنكم فهمتم ذلك أما قولها أقر الله عينك أى اسكنها عن الحركة واذا أسكنت العين عن
الحركة عميت وأما قولها وفرحك بما آتاك فأخذته من قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما أوتوا
أخذناهم بغتة وأما قولها وأتم الله سعدك فأخذته من قول الشاعر

اذا تم أمر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

وأما قولها لقد حكمت فقسطت فأخذته من قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا
فتعجبوا من ذلك (وحكى ان المأمون) ولى عاملا على بلاد وكان يعرف منه الجور فى حكمه فأرسل
اليه رجلا من أرباب دولته ليمتحنه فلما قدم عليه أظهر له انه قدم فى تجارة فى نفسه ولم يعلمه
ان أمير المؤمنين عنده علم منه فأكرم نزله وأحسن اليه وسأله ان يكتب كتابا الى أمير المؤمنين
المأمون يشكر سيرته عنده ليزداد فيه أمير المؤمنين رغبة فكتب كتابا فيه بعد الثناء على أمير
المؤمنين أما بعد فقد قدمنا على فلان فوجدناه آخذا بالعزم عاملا بالحزم قد عدل بين رعيته
وساوى فى أقضيته أغنى القاصد وأرضى الوارد وأنزلهم منه منازل الاولاد واذهب ما بينهم من
الضغائن والاحقاد وعمر منهم المساجد الداثره وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخره
يعنى ان الكل صاروا فقراء لا يملكون شيأ من الدنيا يريدون النظر الى وجه أمير المؤمنين أى

www.dorat-ghawas.com

انشكوا احالهم ومازل بهم فلما جاء الكتاب الى المأمون عزله عنهم لوقته وولى عليهم غيره
(وحكى) ان بعض الملوك طلع يوما الى أعلى قصره يتفرج فلاحت منه التفاتة فرأى امرأة على
سطح دار الى جانب قصره لم ير الراؤن احسن منها فالتفت الى بعض جواريه فقال لها لمن هذه
فقالت يا مولاى هذه زوجة غلامك فيروز قال فنزل الملك وقد خامره حبها وشغف بها فاستدعى
بفيروز وقال له خذ هذا الكتاب وامض به الى البلد الفلانية واتنى بالجواب فأخذ فيروز الكتاب
وتوجه الى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه فلما أصبح ودع أهله وسار طالبا لحاجة الملك ولم يعلم
بما قد دبره الملك فانه لما توجه فيروز قام مسرعا وتوجه مختفيا الى دار فيروز فقرع الباب قرعا
خفيفا فقالت امرأة فيروز من بالباب قال أنا الملك سيد زوجك ففتحت له فدخل وجلس فقالت
له أرى مولانا اليوم عندنا فقال جئت زائرا فقالت أعوذ بالله من هذه الزيارة وما اظن فيها
خيرا فقال لها ويحك انني أنا الملك سيد زوجك وما أظنك عرفتني فقالت يا مولاى لقد علمت انك
الملك ولكن سبقتك الاوائل فى قولهم

سأترك ماءكم من غير ورد * وذاك لكثرة الوراد فيه
اذا سقط الذباب على طعام * رفعت يدى ونفسى تشتهيه
وتجتنب الاسود ورود ماء * اذا كان الكلاب ولغن فيه
ويرتجع الكريم خميص بطن * ولا يرضى مساهمة السفيه

وما أحسن يا مولاى قول الشاعر

قل للذى شفه الغرام بنا * وصاحب الغدر غير مصحوب
والله لاقال قائل أبدا * قد أكل الليث فضلة الذيب

ثم قالت أيها الملك تاتى الى موضع شرب كلبك تشرب منه فاستحى الملك من كلامها وخرج وتركها
فنسى نعله فى الدار هذا ما كان من الملك وأما فيروز فانه لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده
معه فى رأسه فتذكر انه نسيه تحت فراشه فرجع الى داره فوافق وصوله عقب خروج الملك
من داره فوجد نعل الملك فى الدار فطاش عقله وعلم ان الملك لم يرسله فى هذه السفرة الا لامر
يفعله فسكت ولم يبد كلاما وأخذ الكتاب وسار الى حاجة الملك فقضاها ثم عاد اليه فانعم عليه
بمائة دينار فمضى فيروز الى زوجته فسلم عليها وقال لها قومى الى زيارة بيت أبيك قالت وماذاك
قال ان الملك انعم علينا وأريد ان تظهرى لاهلك ذلك قالت حبا وكرامة ثم قامت من ساعتها
الى بيت أبيها ففرحوا بها وبما جاءت به معها فاقامت عند أهلها مدة شهر فلم يذكرها
زوجها ولا ألم بها فأتى اليه أخوها وقال له يا فيروز اما ان تخبرنا بسبب غضبك واما ان تحاكمنا
الى الملك فقال ان شئتم الحكم فافعلوا فما تركت لها على حقا فطلبوه الى الحكم فأتى معهم
وكان القاضى اذذاك عند الملك جالسا الى جانبه فقال أخو الصبية أيد الله مولانا قاضى
القضاة انى أجرت هذا الغلام بستانا سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة وأشجار مثمرة
فأكل ثمره وهدم حيطانه وأخرب بئره فالتفت القاضى الى فيروز وقال له ما تقول يا غلام
فقال فيروز أيها القاضى قد استلمت هذا البستان وسلمته اليه أحسن ما كان فقال القاضى
هل سلم اليك البستان كما كان قال نعم ولكن أريد منه السبب لرده قال القاضى ما قولك قال

والله يا مولاي ما رددت البستان كراهية فيه وانما جئت يوما من الايام فوجدت فيه أثر الاسد
فخفت أن يغتالني فحرمت دخول البستان اكراما للاسد قال وكان الملك متكئا فاستوى
جالسا وقال يا فيروز ارجع الى بستانك آمنا مطمئنا فوالله ان الاسد دخل البستان ولم يؤثر فيه
أثرا ولا التمس منه ورقا ولا ثمرا ولا شيئا ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة وخرج من غير بأس ووالله
ما رأيت مثل بستانك ولا أشد احترازا من حيطانه على شجره قال فرجع فيروز الى داره ورد
زوجته ولم يعلم القاضي ولا غيره بشئ من ذلك اه (وحكي) ان الحجاج سأل يوما الغضبان
ابن القبعثري عن مسائل يمتحنه فيها من جملتها ان قال له من أكرم الناس قال أفقههم في الدين
وأصدقهم لليمين وأبذلهم للمسلمين وأكرمهم للمهانين وأطعمهم للمساكين قال فمن ألأم الناس
قال المعطي على الهوان المقتر على الاخوان الكثير الالوان قال فمن شر الناس قال أطولهم
جفوة وأدومهم صبوة وأكثرهم خلوة وأشدهم قسوة قال فمن أشجع الناس قال أضربهم
بالسيف وأقراهم للضيف وأتركهم للحيف قال فمن أجبن الناس قال المتأخر عن الصفوف
المنقبض عن الزحوف المرتعش عند الوقوف المحب ظلال السقوف الكاره لضرب السيوف
قال فمن أثقل الناس قال المتفنن في الملام الضنين بالسلام المهذار في الكلام المقبقب على
الطعام قال فمن خير الناس قال أكثرهم احسانا وأقومهم ميزانا وأدومهم غفرانا وأوسعهم
ميدانا قال لله أبوك فكيف يعرف الرجل الغريب احسيب هو أم غير حسيب قال أصلح الله
الامير ان الرجل الحسيب يدلك أدبه وعقله وشمائله وعزة نفسه وكثرة احتماله وبشاشته
وحسن مداراته على أصله فالعاقل البصير بالاحساب يعرف شمائله والنذل الجاهل يجهله
فمثله كمثل الدرة اذا وقعت عند من لا يعرفها ازدراها واذا نظر اليها العقلاء عرفوها
وأكرموها فهي عندهم لمعرفتهم بها حسنة عظيمة فقال الحجاج لله أبوك فما العاقل والجاهل
قال أصلح الله الامير العاقل الذي لا يتكلم هذرا ولا ينظر شزرا ولا يضمر غدرا ولا يطلب عذرا
والجاهل هو المهذار في كلامه المنان بطعامه الضنين بسلامه المتطاول على امامه الفاحش
على غلامه قال لله أبوك فمن الحازم الكيس قال المقبل على شأنه التارك لما لا يعنيه قال فمن
العاجز قال المعجب بآرائه الملتفت الى ورائه قال هل عندك من النساء خبر قال أصلح الله الامير
اني بشأنهن خبير ان شاء الله ان النساء من أمهات الاولاد بمنزلة الاضلاع ان عدلتها انكسرت
ولهن جوهر لا يصلح الا على المداراة فمن داراهن انتفع بهن وقرت عينه ومن شاورهن
كدرن عيشته وتكدرت عليه حياته وتنغصت لذاته فاكرمهن اعفهن وأفخر
أحسابهن العفة فاذا زلن عنها فهن أنتن من الجيفة فقال له الحجاج يا غضبان اني موجهك الى
ابن الاشعث وافدا فماذا أنت قائل له قال أصلح الله الامير أقول ما يرديه ويؤذيه ويضنيه فقال
اني أظنك لا تقول له ما قلت وكأني بصوت خلاخلك يتجلجل في قصري هذا قال كلا أصلح الله الامير
سأحدده لساني وأجريه في ميداني فعند ذلك أمره بالمسير الى كرمان فلما توجه الى ابن الاشعث
وهو على كرمان بعث الحجاج عينا عليه أي جاسوسا وكان يفعل ذلك مع جميع رسله فلما قدم
الغضبان على ابن الاشعث قال له ان الحجاج قد هم بخلعك وعزلك فخذ حذرك وتغده قبل ان
يتعشى بك فأخذ حذره عند ذلك ثم أمر للغضبان بجائزة سنية وخلع فاخرة فأخذها وانصرف

راجعا فاتى الى رملة كرمان فى شدة الحر والقيظ وهى رملة شديدة الرمضاء فضرب قبته فيها وحط عن رواحله فبينما هو كذلك اذا باعرابى من بنى بكر بن وائل قد أقبل على بعير قاصدا نحوه وقد اشتد الحر وحميت الغزالة وقت الظهيرة وقد ظمئ ظمأ شديدا فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال الغضبان هذه سنة وردها فريضة فاز تاليها وخسر تاركها ما جاءك يا اعرابى قال أصابتنى الرمضاء وشدة الحر والظمأ فتيممت قبتك أرجو بركتها قال الغضبان فهلا تيممت قبة أكبر من هذه وأعظم قال ايتهن تعنى قال قبة الامير ابن الاشعث قال تلك لا يوصل اليها قال ان هذه امنع منها فقال الاعرابى ما اسمك يا عبد الله قال آخذ فقال وما تعطى قال أكره ان يكون لى اسمان قال بالله من أين أنت قال من الارض قال فأين تريد قال امشى فى مناكبها فقال الاعرابى وهو يرفع رجلا ويضع أخرى من شدة الحر اتقرض الشعر قال انما يقرض الشعر الفأر فقال أفتسجع قال انما تسجع الحمامة فقال يا هذا ائذن لى ان ادخل قبتك قال خلفك أوسع لك فقال قد احرقتنى الشمس قال مالى عليها من سلطان فقال الرمضاء أحرقت قدمى قال بل عليها تبرد فقال انى لا أريد طعامك ولا شرابك قال لا تتعرض لما لا تصل اليه ولو طلعت روحك فقال الاعرابى سبحان الله قال نعم من قبل أن تطلع أضراسك فقال الاعرابى ما رأيت رجلا أقسى منك اتيتك مستغيثا فحجبتنى وطردتنى هلا أدخلتنى قبتك وطارحتنى القريض قال مالى بمحادثتك من حاجة فقال الاعرابى بالله ما اسمك ومن أنت فقال أنا الغضبان بن القبعثرى فقال اسمان منكران خلقا من غضب قال قف متوكئا على باب قبتى برجلك هذه العوجاء فقال قطعها الله ان لم تكن خيرا من رجلك هذه الشلاء فقال الغضبان لو كنت حاكما لجرت فى حكومتك لان رجلى فى الظل قاعدة ورجلك فى الرمضاء قائمة فقال الاعرابى انى لاظنك حروريا قال اللهم اجعلنى ممن يتحرى الخير ويريده فقال انى لاظن عنصرك فاسدا قال ما اقدرنى على اصلاحه فقال الاعرابى لا أرضاك الله ولا حياك ثم ولى وهو يقول

لا بارك الله فى قوم تسودهم * انى أظنك والرحمن شيطانا
أتيت قبته أرجو ضيافته * فأظهر الشيخ ذو القرنين حرمانا

فلما قدم الغضبان على الحجاج وقد بلغه ما الجاسوس ماجرى بينه وبين الاشعث وبين الاعرابى قال له الحجاج يا غضبان كيف وجدت أرض كرمان قال أصلح الله الامير أرضا يابسة الجيش بها ضعاف هزلاء ان كثروا جاعوا وان قلوا ضاعوا فقال له الحجاج ألست صاحب الكلمة التى بلغتنى انك قلتها لابن الاشعث تغد بالحجاج قبل ان يتعشى بك فوالله لاحبسنك عن الوساد ولأنزلنك عن الجياد ولاشهرنك فى البلاد قال الامان أيها الامير فوالله ما ضرت من قيلت فيه ولا نفعت من قيلت له فقال له ألم أقل لك كأنى بصوت خلاخلك تجلجل فى قصرى هذا اذهبوا به الى السجن فذهبوا به فقيد وسجن فمكث ماشاء الله ثم ان الحجاج ابتنى الخضراء بواسط فأعجب بها فقال لمن حوله كيف ترون قبتى هذه وبناءها فقالوا أيها الامير انها حصينة مباركة منيعة نضرة بهجة قليل عيبها كثير خيرها قال لم لم تخبرونى بنصح قالوا لا يصفها لك الا الغضبان فبعث الى الغضبان فاحضره وقال له كيف ترى قبتى هذه وبناءها قال أصلح الله الامير بنيتها

في غير بلدك لا لك ولا لولدك لا تدوم لك ولا يسكنها وارثك ولا تبقى لك وما أنت لها بباق فقال الحجاج قد صدق الغضبان ردوه الى السجن فلما حملوه قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فقال أنزلوه فلما أنزلوه قال رب انزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين فقال اضربوا به الارض فلما ضربوا به الارض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال جروه فأقبلوا يجرونه وهو يقول بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم فقال الحجاج ويلكم اتركوه فقد غلبني دهاء وخبثا ثم عفا عنه وانعم عليه وخلى سبيله (وقيل بينما) كثير عزة مار بالطريق يوما اذا هو بعجوز عمياء على قارعة الطريق تمشي فقال لها تنحي عن الطريق فقالت له ويحك ومن تكون قال انا كثير عزة قالت قبحك الله وهل مثلك يتنحى له عن الطريق قال ولم قالت ألست القائل

وما روضة بالحسن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها
باطيب من أردان عزة موهنا * اذا أوقدت بالمجمر اللدن نارها

ويحك يا هذا لو تبخر بالمجمر اللدن مثلي ومثل أمك لطاب ريحها لا قلت مثل سيدك امرئ القيس

وكنت اذا ما جئت بالليل طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فقطعته ولم يرد جوابا (حكى عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى) قال خرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا في الطريق اذا أنا بسواد على الطريق فميزت ذلك فاذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت سلام قولا من رب رحيم قال فقلت لها رحمك الله ما تصنعين في هذا المكان قالت ومن يضلل الله فلا هادي له فعلمت انها ضالة عن الطريق فقلت لها اين تريدين قالت سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فعلمت انها قد قضت حجها وهي تريد بيت المقدس فقلت لها أنت منذ كم في هذا الموضع قالت ثلاث ليال سويا فقلت ما أرى معك طعاما تأكلين قالت هو يطعمني ويسقين فقلت فبأي شئ تتوضئين قالت فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا فقلت لها ان معي طعاما فهل لك في الاكل قالت ثم أتموا الصيام الى الليل فقلت قد ابيح لنا الافطار في السفر قالت وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون فقلت لم لا تكلميني مثل ما اكلمك قالت ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فقلت لها من أي الناس أنت قالت ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فقلت قد اخطأت فاجعليني في حل قالت لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم فقلت فهل لك ان احملك على ناقتي فتدركي القافلة قالت وما تفعلوا من خير يعلمه الله قال فأنخت الناقة قالت قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم فغضضت بصري عنها وقلت لها اركبي فلما أرادت ان تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فقلت لها اصبري قالت سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون قال فأخذت بزمام الناقة وجعلت اسعى واصيح فقالت واقصد في مشيك واغضض من صوتك فجعلت أمشي رويدا رويدا وأترنم بالشعر فقالت فاقرؤا ما تيسر من القرآن فقلت لها لقد أوتيت خيرا كثيرا قالت وما يذكر الا أولوا الالباب

فلما مشيت بها قليلا قلت ألك زوج قالت يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت المال والبنون زينة الحياة الدنيا فعلمت ان لها أولادا فقلت وما شأنهم في الحج قالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون فعلمت انهم أدلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت واتخذ الله ابراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما يا يحيى خذ الكتاب بقوة فناديت يا ابراهيم يا موسى يا يحيى فاذا أنا بشبان كأنهم الاقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه فمضى أحدهم فاشترى طعاما فقدموه بين يدي فقالت كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية فقلت الآن طعامكم علي حرام حتى تخبروني بأمرها فقالوا هذه امنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم الا بالقرآن مخافة ان تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء فقلت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (قيل ان معن بن زائدة) دخل على المنصور فقال له هيه يا معن تعطي مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على قوله

معن بن زائدة الذي زادت به * شرفا على شرف بنو شيبان

فقال كلا يا أمير المؤمنين انما أعطيته على قوله

ما زلت يوم الهاشمية معلنا * بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه * من وقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت والله يا معن وأمر له بالجوائز والخلع (ووفد ابن أبي محجن على معاوية) فقام خطيبا فأحسن فحسده معاوية فقال له أنت الذي أوصاك أبوك بقوله

اذا مت فادفني الى جنب كرمة * تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني في الفلاة فانني * أخاف اذا مامت ان لا اذوقها

قال بل انا الذي يقول أبي

لا تسأل الناس ما مالي وكثرته * وسائل الناس ما جودي وما خلقي
أعطي الحسام غداة الروع حصته * وعامل الرمح أرويه من العلق
وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض * وأكتم السر فيه ضربة العنق
ويعلم الناس اني من سراتهم * اذا سما بصر الرعديد بالفرق

فقال له معاوية أحسنت والله يا ابن أبي محجن وأمر له بصلة وجائزة (وقيل) دخل مجنون الطاق يوما الى الحمام وكان بغير مئزر فرآه أبو حنيفة رضي الله عنه وكان في الحمام فغمض عينيه فقال له المجنون متى أعماك الله قال منذ هتك سترك (ومن ذلك ما حكي) ان الحجاج خرج يوما متنزها فلما فرغ من نزهته انصرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه فاذا هو بشيخ من بني عجل فقال له من أين أيها الشيخ قال من هذه القرية قال كيف ترون عمالكم قال شر عمال يظلمون الناس ويستحلون أموالهم قال فكيف قولك في الحجاج قال ذاك ما ولي العراق شر منه قبحه الله وقبح من استعمله قال أتعرف من أنا قال لا قال أنا الحجاج قال جعلت فداك أوتعرف من أنا قال لا قال أنا فلان بن فلان مجنون بني عجل اصرع في كل يوم مرتين قال فضحك الحجاج منه وأمر له بصلة (وحكى

ابو

أبو محمد الحسين بن محمد الصالحي) قال كنا حول سرير المعتضد بالله ذات يوم نصف النهار فنام بعد
أن أكل فانتبه منزعجا وقال يا خدم فأسرعنا الجواب فقال ويلكم أعينوني والحقوا بالشط
فأول ملاح ترونه منحدرا في سفينة فارغة فاقبضوا عليه وائتوني به ووكلوا بالسفينة من يحفظها
فأسرعنا فوجدنا ملاحا في سفينة فجئنا به المعتضد فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه صيحة
عظيمة كادت روحه تذهب منها وقال أصدقني يا ملعون عن قضيتك مع المرأة التي قتلتها اليوم والا
ضربت عنقك فتلعثم وقال نعم كنت سحرا في الشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم أر مثلها عليها
ثياب فاخرة وحلي كثير وجواهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى سددت فاها وغرقتها
وأخذت جميع ما كان عليها ثم طرحتها في الماء ولم أجسر على حمل سلبها الى داري لئلا يفشو
الخبر على فعولت على الهروب والانحدار الى واسط فصبرت الى أن خلا الشط في هذه الساعة
من الملاحين فأخذت في الانحدار فتعلق بي هؤلاء القوم فحملوني اليك فقال وأين الحلي والسلب
قال في صدر السفينة تحت البواري قال المعتضد علي به الساعة فحضروا به فأمر بتغريق الملاح
ثم أمر أن ينادي ببغداد من خرجت له امرأة الى المشرعة الفلانية سحرا وعليها ثياب فاخرة
وحلي فليحضر فحضر في اليوم الثاني أهلها وأعطوا أوصافها وصفة ما كان عليها فسلم ذلك اليهم
قال فقلت يا مولاي من أعلمك أو أوحى اليك بهذه الحالة وأمر هذه الصبية فقال بل رأيت في
منامي رجلا شيخا أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادي يا أحمد أول ملاح ينحدر الساعة
فاقبض عليه وقرره على المرأة التي قتلها اليوم ظلما وسلبها ثيابها وأقم عليه الحد ولا يفتك
فكان ما شهدتم (وحكي ان بهرام الملك) خرج يوما للصيد فانفرد عن أصحابه فرأى صيدا
فتبعه طامعا في لحاقه حتى بعد عن عسكره فنظر الى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه يبول وقال
للراعي احفظ علي فرسي حتى أبول فعمد الراعي الى العنان وكان ملبسا ذهبا كثيرا فاستغفل
بهرام وأخرج سكينا فقطع أطراف اللجام وأخذ الذهب الذي عليه فرفع بهرام نظره اليه
فرآه فغض بصره وأطرق برأسه الى الارض وأطال الجلوس حتى أخذ الرجل حاجته ثم قام
بهرام فوضع يده على عينيه وقال للراعي قدم الي فرسي فانه قد دخل في عيني من سافي الريح فلا
أقدر على فتحهما فقدمه اليه فركب وسار الى أن وصل الى عسكره فقال لصاحب مراكبه
ان أطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها أحدا (قيل) مرض أحمد بن أبي دواد فعاده المعتصم
وقال نذرت ان عافاك الله تعالى ان أتصدق بعشرة آلاف دينار فقال له أحمد يا أمير المؤمنين
ما جعلها في أهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الاسعار شدة فقال نويت ان أتصدق بها على من
ههنا وأطلق لاهل الحرمين مثلها فقال أحمد متع الله الاسلام وأهله بك يا أمير المؤمنين فانك كما
قال النميري لابيك الرشيد رحمة الله تعالى عليه

ان المكارم والمعروف أودية * أحلك الله منها حيث تجتمع
من لم يكن بأمين الله معتصما * فليس بالصلوات الخمس ينتفع

(ومن محاسن الاخلاق) ما حكي عن القاضي يحيى بن أكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند
المأمون فعطش فامتنع أن يصيح بغلام يسقيه وأنا نائم فينغص علي نومي فرأيته قد قام يمشي على
أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء وبينه وبين المكان الذي فيه الكيزان نحو من ثلثمائة

خطوة فأخذ منها كوزا فشرب ثم رجع على أطراف أصابعه حتى قرب من الفراش الذى أنا عليه فخطى خطوات خائفا لئلا ينبهنى حتى صار الى فراشه ثم رأيته آخر الليل قام يبول وكان يقوم فى أول الليل وآخره فقعد طويلا يحاول ان أتحرك فيصيح بالغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح ياغلام وتأهب للصلاة ثم جاءنى فقال لى كيف أصبحت يا أبا محمد وكيف كان مبيتك قلت خير مبيت جعلنى الله فداءك يا أمير المؤمنين قد خصك الله تعالى بأخلاق الانبياء وأحب لك سيرتهم فهناك الله تعالى بهذه النعمة وأتمها عليك فأمر لى بألف دينار فأخذتها وانصرفت (قال) وبت عنده ذات ليلة فانتبه وقد عرض له السعال حتى غلبه فسعل وراكب على الارض لئلا يعلو صوته فانتبه (وكنت) معه يوما فى بستان ندور فيه فجعلنا نمر بالريحان فيأخذ منه الطاقة والطاقتين ويقول لقيم البستان اصلح هذا الحوض ولا تغرس فى هذا الحوض شيأ من البقول قال يحيى ومشينا فى البستان من أوله الى آخره وكنت أنا مما يلى الشمس والمامون مما يلى الظل فكان يجذبنى ان أتحول أنا فى الظل ويكون هو فى الشمس فامتنع من ذلك حتى بلغنا آخر البستان فلما رجعنا قال يا يحيى والله لتكونن فى مكانى ولأكونن فى مكانك حتى آخذ نصيبى من الشمس كما أخذت نصيبك وتأخذ نصيبك من الظل كما أخذت نصيبى فقلت والله يا أمير المؤمنين لو قدرت ان اقيك يوم الهول بنفسى لفعلت فلم يزل بى حتى تحولت الى الظل وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقى وقال بحياتى عليك الا وضعت يدك على عاتقى مثل ما فعلت انا فانه لا خير فى صحبة من لا ينصف اهـ (وحكى) ان أحمقين اصطحبا فى طريق فقال أحدهما تعال نتمن على الله فان الطريق تقطع بالحديث فقال أحدهما انا أتمنى قطعا من غنم انتفع بلبنها ولحمها وصوفها وقال الآخر انا أتمنى قطعا من ذئاب أرسلها على غنمك حتى لا تترك منها شيأ قال ويحك أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة فتصايحا واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالاطواق ثم تراضيا على ان أول من يطلع عليهما يكون حكما بينهما فطلع عليهما شيخ بحمار عليه زقان من عسل فحدثاه بحديثهما فنزل بالزقين وفتحهما حتى سال العسل على التراب ثم قال صب الله دمى مثل هذا العسل ان لم تكونا أحمقين (وقال الاصمعى) بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة اذ رأيت شابا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول

يا من يجيب دعا المضطر فى الظلم * يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا * وأنت ياحى ياقيوم لم تنم
أدعوك ربى حزينا هائما قلقا * فارحم بكائى بحق البيت والحرم
ان كان جودك لا يرجوه ذو سفه * فمن يجود على العاصين بالكرم

ثم بكى بكاء شديدا وأنشد يقول

الا أيها المقصود فى كل حاجة * شكوت اليك الضر فارحم شكايتى
الا يا رجائى أنت تكشف كربتى * فهب لى ذنوبى كلها واقض حاجتى
أتيت بأعمال قباح رديئة * وما فى الورى عبد جنى كجنايتى
أتحرقنى بالنار ياغاية المنى * فأين رجائى ثم أين مخافتى

ثم سقط على الارض مغشيا عليه فدنوت منه فاذا هو زين العابدين على بن الحسين بن على بن

www.dorat-ghawas.com

أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين فرفعت رأسه في حجري وبكيت فقطرت دمعة من دموعي على
خده ففتح عينيه وقال من هذا الذي يهجم علينا قلت عبيدك الاصمعي سيدي ما هذا البكاء
والجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله تعالى يقول انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال هيهات هيهات يا أصمعي ان الله خلق الجنة
لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا أليس الله تعالى يقول
فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون
ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون انتهى (وكان أبو العباس
السفاح) يعجبه السمر ومنازعة الرجال بعضهم بعضا فحضر عنده ذات ليلة ابراهيم بن مخرمة
الكندي وخالد بن صفوان بن الاهتم فخاضوا في الحديث وتذاكروا مضر واليمن فقال ابراهيم
ابن مخرمة يا أمير المؤمنين ان أهل اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا ولم يزالوا ملوكا ورثوا
الملك كابرا عن كابر وآخرا عن اول منهم النعمان والمنذر ومنهم عياض صاحب البحرين ومنهم
من كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس من شيء له خطر الا اليهم ينسب ان سئلوا أعطوا وان نزل
بهم ضيف اقروه فهم العرب العاربة وغيرهم المتعربة فقال أبو العباس ما أظن التميمي رضي
بقولك ثم قال ما تقول أنت يا خالد قال ان أذن لي أمير المؤمنين في الكلام تكلمت قال تكلم ولا
تهب احدا قال اخطأ المقتحم بغير علم ونطق بغير صواب وكيف يكون ذلك لقوم ليس لهم ألسن
فصيحة ولا لغة صحيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة يفتخرون علينا بالنعمان والمنذر ونفتخر
عليهم بخير الانام وأكرم الكرام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فلله المنة به علينا وعليهم
فمنا النبي المصطفى والخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور وزمزم والحطيم والمقام والحجابة
والبطحاء وما لا يحصى من المآثر ومنا الصديق والفاروق وذو النورين والوصي والولي وأسد
الله وسيد الشهداء وبنا عرفوا الدين وأتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم
أقبل خالد على ابراهيم فقال الك علم بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين عندكم قال الجمجمة
قال فما اسم السن قال الميدن قال فما اسم الاذن قال الصنارة قال فما اسم الاصابع قال الشناتير
قال فما اسم الذئب قال الكنع قال أفعالم أنت بكتاب الله عز وجل قال نعم قال فان الله تعالى
يقول انا أنزلناه قرآنا عربيا وقال بلسان عربي مبين وقال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان
قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا انزل الم تر ان الله تعالى قال والعين بالعين ولم يقل والجمجمة
بالجمجمة وقال تعالى والسن بالسن ولم يقل والميدن بالميدن وقال تعالى والاذن بالاذن ولم يقل
والصنارة بالصنارة وقال تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم ولم يقل شناتيرهم في صناراتهم وقال
تعالى فأكله الذئب ولم يقل فأكله الكنع ثم قال لابراهيم اني أسألك عن أربع ان اقررت بهن
قهرت وان جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول منا أو منكم قال منكم قال والقرآن أنزل
علينا أو عليكم قال عليكم قال المنبر فينا أو فيكم قال فيكم قال فالبيت لنا أو لكم قال لكم قال
فاذهب فما كان بعد هؤلاء فهو لكم بل ما أنت الا سائس قرد أو دابغ جلد أو ناسج برد قال فضحك
أبو العباس وأمر لخالد وحباهما جميعا (وحكي ان الحجاج) أخذ يزيد بن المهلب بن أبي صفرة
وعذبه واستأصل موجوده وسجنه فتوصل يزيد بحسن تلطفه وارغب السجان واستماله وهرب

www.dorat-ghawas.com

هو والسجان وقصد الشأم الى سليمان بن عبد الملك فلما وصل يزيد بن المهلب الى سليمان بن
عبد الملك أكرمه وأحسن اليه وأقامه عنده فكتب الحجاج الى الوليد يعلمه ان يزيد هرب من
السجن وانه عند سليمان بن عبد الملك أخي أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين وان أمير المؤمنين
أعلى رأيا فكتب الوليد الى اخيه سليمان بذلك فكتب سليمان الى أخيه يقول يا أمير المؤمنين
اني ما اجرت يزيد بن المهلب الا لانه هو وأبوه واخوته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجر عدوا
لامير المؤمنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه وغرمه أربعة آلاف ألف درهم ظلما ثم طالبه
بثلاثة آلاف ألف درهم وقد صار الي واستجار بي فأجرته وانا أغرم عنه هذه الثلاثة آلاف
ألف درهم فان رأى أمير المؤمنين ان لا يخزيني في ضيفي فليفعل فانه أهل الفضل والكرم فكتب
اليه الوليد انه لابد ان ترسل الي يزيد مغلولا مقيدا فلما ورد ذلك على سليمان أحضر ولده أيوب
فقيده ودعا يزيد بن المهلب فقيده ثم شد قيد هذا الى قيد هذا بسلسلة وغلهما جميعا بغلين
وأرسلهما الى أخيه الوليد وكتب اليه أما بعد يا أمير المؤمنين فقد وجهت اليك يزيد وابن
أخيك أيوب بن سليمان ولقد هممت ان أكون ثالثهما فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد
فبالله عليك ابدأ بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلني اذا شئت ثالثا والسلام فلما دخل
يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان في سلسلة واحدة أطرق الوليد استحياء وقال لقد أسأنا الى أبي
أيوب اذ بلغنا به هذا المبلغ فأخذ يزيد ليتكلم ويحتج لنفسه فقال له الوليد ما نحتاج الى الكلام
فقد قبلنا عذرك وعلمنا ظلم الحجاج ثم انه أحضر حداد وأزال عنهما الحديد وأحسن اليهما
ووصل أيوب ابن أخيه بثلاثين ألف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين ألف درهم وردهما
الى سليمان وكتب كتابا الى الحجاج يقول له لا سبيل لك على يزيد بن المهلب فاياك ان تعاودني
فيه بعد اليوم فسار يزيد الى سليمان بن عبد الملك وأقام عنده في اعلى المراتب وأرفع المنازل
اه (وحكى أبو علي المصري) قال كان لي جار شيخ يغسل الموتى فقلت له يوما حدثني بأعجب
ما رأيت من الموتى فقال جاءني شاب في بعض الايام مليح الوجه حسن الثياب فقال لي أتغسل
لنا هذا الميت قلت نعم فتبعته حتى أوقفني على باب فدخل هنيهة فاذا بجارية هي أشبه الناس
بالشاب قد خرجت وهي تمسح عينيها فقالت أنت الغاسل قلت نعم قالت بسم الله ادخل ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فدخلت الدار واذا بالشاب الذي جاءني يعالج سكرات الموت
وروحه في لبته وقد شخص بصره وقد وضع كفنه وحنوطه عند رأسه فلم أجلس اليه حتى قبض
فقلت سبحان الله هذا ولي من أولياء الله تعالى حيث عرف وقت وفاته فأخذت في غسله وأنا
ارتعد فلما أدرجته أتت الجارية وهي أخته فقبلته وقالت أما اني سألحق بك عن قريب فلما
أردت الانصراف شكرت لي وقالت أرسل الي زوجتك ان كانت تحسن ما تحسنه أنت
فارتعدت من كلامها وعلمت أنها لاحقة به فلما فرغت من دفنه حدثت أهلي فقصصت عليها
القصة وأتيت بها الى تلك الجارية فوقفت بالباب واستأذنت فقالت بسم الله تدخل زوجتك
فدخلت زوجتي فاذا بالجارية مستقبلة القبلة وقد ماتت فغسلتها زوجتي وأنزلتها على أخيها
رحمة الله عليهما

أأحبابنا بنتم عن الدار فاشتكت * لبعدكم آصالها وضحاها

وفارقتم الدار الانيسة فاستوت * رسوم مبانيها وفاح كلاها
كأنكم يوم الفراق رحلتم * بنومي فعيني لا تصيب كراها
وكنت شحيحا من دموعي بقطرة * فقد صرت سمحا بعد كم بدماها
يراني بساما خليلي يظن بي * سرورا واحشائي السقام ملاها
وكم ضحكة في القلب منها حرارة * يشب لظاها لو كشفت غطاها
رعى الله أياما بطيب حديثكم * تقضت وحياها الحيا وسقاها
فما قلت ايها بعدها لمسامر * من الناس الا قال قلبي آها

قيل لقيس بن سعد هل رأيت قط أسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فجاء زوجها فقالت له انه نزل بنا ضيفان فجاء بناقة فنحرها وقال شأنكم فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها وقال شأنكم فقلنا ما أكلنا من التي نحرت البارحة الا القليل فقال اني لا أطعم ضيفاني البائت فبقينا عنده اياما والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار في بيته وقلنا للمرأة اعتذري لنا اليه ومضينا فلما ارتفع النهار اذا برجل يصيح خلفنا قفوا فوقفنا فلما دنا منا قال خذوا دنانيركم فاني لا آخذ لي على اكرامي ثمنا وان لم تأخذوها طعنتكم برمحي هذا فأخذناها وانصرفنا (وكان) يزيد بن المهلب من الاجواد الاسخياء وله اخبار في الجود عجيبة من ذلك ما حكاه عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما أراد يزيد بن المهلب الخروج الى واسط أتيته فقلت أيها الامير ان رأيت ان تأذن لي فاصحبك قال اذا قدمت واسطا فائتنا ان شاء الله تعالى فسافر وأقمت فقال لي بعض اخواني اذهب اليه فقلت كان جوابه فيه ضعف قال أتريد من يزيد جوابا أكثر مما قال فسرت حتى قدمت عليه فلما كان في الليل دعيت الى السمر فتحدث القوم حتى ذكروا الجواري فالتفت الى يزيد وقال ايه يا عقيل فقلت

افاض القوم في ذكر الجواري * فأما الاعزبون فلن يقولوا

قال انك لا تبقى عزبا فلما رجعت الى منزلي اذا أنا بخادم قد أتاني ومعه جارية وفرش بيت وبدرة عشرة آلاف درهم وفي الليلة الثانية كذلك فمكثت عشر ليال وأنا على هذه الحالة فلما رأيت ذلك دخلت عليه في اليوم العاشر فقلت أيها الامير قد والله أغنيت وأقنيت فان رأيت ان تأذن لي في الرجوع فقد كبت عدوي وسر صديقي فقال انما اخيرك بين خلتين اما ان تقيم فنوليك أو ترحل فنغنيك فقلت أولم تغنني أيها الامير قال انما هذا آثاث المنزل ومصلحة القدوم فنالني من فضله ما لا أقدر على وصفه (وحدث أبو اليقظان) عن أبيه قال حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا يحلق رأسه فجاؤه بحلاق فحلق رأسه فأمر له بخمسة آلاف درهم فتحير الحلاق ودهش وقال آخذ هذه الخمسة آلاف وامضي الى أم فلان أخبرها اني قد استغنيت فقال أعطوه خمسة آلاف أخرى فقال امرأته طالق ان حلقت رأس أحد بعدك (وقيل) ان الحجاج حبسه على خراج وجب عليه مقداره مائة ألف درهم فجمعت له وهو في السجن فجاءه الفرزدق يزوره فقال للحاجب استأذن لي عليه فقال انه في مكان لا يمكن الدخول عليه فيه فقال الفرزدق انما أتيت متوجعا لما هو فيه ولم آت ممتدحا فاذن له فلما أبصره قال

أباخالد ضاقت خراسان بعدكم * وقال ذوو الحاجات اين يزيد
فما قطرت بالشرق بعدك قطرة * ولا اخضر بالمروين بعدك عود
وما لسرور بعد عزك بهجة * وما لجواد بعد جودك جود

فقال يزيد للحاجب ادفع اليه المائة ألف درهم التى جمعت لنا وادع الحجاج وليحى يفعل فيه مايشاء فقال الحاجب لاقر زدق هذا الذى خفت منه لما منعتك من دخولك عليه فأخذها وانصرف (ومر يزيد بن المهلب) عند خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه بعجوز أعرابية فذبحت له عنزا فقال لابنه ما معك من النفقة قال مائة دينار قال ادفعها اليها فقال هذه يرضيها اليسير وهى لا تعرفك قال ان كان يرضيها اليسير فأنا لا ارضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفنى فأنا أعرف نفسى (وقال أبو العيناء) تذاكروا السخاء فاتفقوا على آل المهلب فى الدولة المروانية وعلى البرامكة فى الدولة العباسية ثم اتفقوا على ان أحمد بن داود اسخى منهم جميعا وأفضل (وسئل) اسحق الموصلى عن سخاء أولاد يحيى بن خالد فقال أما الفضل فيرضيك فعله وأما جعفر فيرضيك قوله وأما محمد فيفعل بحسب ما يجد وفى يحيى يقول القائل

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكننى عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثنى عن والد بعد والد

وفى الفضل يقول القائل

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة * رأيت بها غيث السماحة ينبت
فليس بسعال اذا سيل حاجة * ولا بمكب فى ثرى الارض ينكت

وفى محمد يقول القائل

سألت الندى والجود مالى أراكما * تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد أمسى مهدما * فقالا أصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته * وقد كنتما عبديه فى كل مشهد
فقالا أقمنا كى نعزى بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه فى غد

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه من كانت له الى حاجة فليرفعها الى فى كتاب لاصون وجهه عن المسئلة (وجاءه) رضى الله عنه اعرابى فقال له يا أمير المؤمنين ان لى اليك حاجة الحياء يمنعنى ان أذكرها فقال خطها فى الارض فكتب انى فقير فقال يا قنبر اكسه حلتى فقال الاعرابى

كسوتنى حلة تبلى محاسنها * فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
انى أبا حسن قد نلت مكرمة * ولست تبغى بما قد نلته بدلا
ان الثناء ليحيى ذكر صاحبه * كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر فى عرف بدأت به * كل امرئ سوف يجزى بالذى فعلا

فقال يا قنبر زده مائة دينار فقال يا أمير المؤمنين لو فرقتها فى المسلمين لاصلحت بها من شأنهم فقال رضى الله عنه صه يا قنبر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكروا لمن اثنى عليكم

www.dorat-ghawas.com

واذا أتاكم كريم قوم فأكرموه (وسئل اسحق الموصلي) عن المخلوع فقال كان أمره كله عجبا
كان لا يبالي أين يقعد مع جلسائه وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر كان عنده سليمان بن
أبي جعفر يوما فأراد الرجوع الى أهله فقال له سفر البر أحب اليك أم سفر البحر قال البحر ألين
علي فقال أوقروا له زورقه ذهبا وأمر له بألف ألف درهم وشكا سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان
موسى بن شهوان الى سليمان بن عبد الملك وقال قد هجاني يا أمير المؤمنين فاستحضره سليمان وقال
لا أم لك اتهجو سعيدا قال يا أمير المؤمنين أخبرك الخبر عشقت جارية بمدينة وأتيت سعيدا
فقلت اني أحب هذه الجارية وان مولاتها أعطيت فيها مائتي دينار وقد أتيتك فقال لي بورك
فيك قال فأتيت يا أمير المؤمنين سعيد بن خالد فذكرت له حالي فقال يا جارية هاتي مطرفا فأتته
بمطرف خز فصر لي في زاويته مائتي دينار فخرجت وأنا أقول

أبا خالد أعني سعيد بن خالد * أخا العرف لا أعني ابن بنت سعيد
ولكنني أعني ابن عائشة الذي * أبو أبويه خالد بن أسيد
عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى * فان مات لم يرض الندى بعقيد
ذروه ذروه انكم قد رقدتموا * وما هو عن احسانكم برقود

فقال سليمان قل ما شئت وكتب كلثوم بن عمر الى بعض الكرماء رقعة فيها

اذا تكرهت ان تعطي القليل ولم * تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال ولا تمنعك قلته * فكل ما سد فقرا فهو محمود

فشاطره ماله حتى بعث اليه بنصف خاتمه وفردة نعله (ودخل) طلحة بن عبد الله بن عوف
السوق يوما فوافق فيه الفرزدق فقال يا أبا فراس اختر عشرا من الابل ففعل فقال ضم اليها
مثلها فلم يزل يقول مثل ذلك حتى بلغت مائة فقال هي لك فقال

يا طلح أنت أخو الندى وعقيده * ان الندى ما مات طلحة ماتا
ان الندى ألقى اليك رحاله * فبحيث بت من المنازل باتا

(ووفد أبو الشمقمق) الى مدينة سابور يريد محمد بن عبد السلام فلما دخلها توجه الى منزله فوجده
في دار الخراج يطالب فدخل عليه يتوجع فلما رآه محمد قال

ولقد قدمت على رجال طالما * قدم الرجال عليهم فتمولوا
اخنى الزمان عليهم فكأنما * كانوا بأرض اقفرت فتحولوا

فقال أبو الشمقمق

الجود أفلسهم وأذهب مالهم * فاليوم ان راموا السماحة بخلوا

قال فخلع محمد ثوبه وخاتمه ودفعهما اليه فكتب بذلك مستوفي الخراج الى الخليفة فوقع الى عامله
باسقاط الخراج عن محمد بن عبد السلام تلك السنة واسقاط ما عليه من البقايا وأمر له بمائة
ألف درهم معونة على مروته (وحكي عن أبي العيناء انه قال) حصلت لي ضيقة شديدة فكتمتها
عن أصدقائي فدخلت يوما على يحيى بن اكثم القاضي فقال ان أمير المؤمنين المأمون جلس
للظالم وأخذ القصص فهل لك في الحضور قلت نعم فمضيت معه الى دار أمير المؤمنين فلما دخلنا

عليه أجلسه وأجلسني ثم قال يا أبا العيناء بالالفة والمحبة ما الذي جاء بك في هذه الساعة فانشدته

لقد رجوتك دون الناس كلهم * وللرجاء حقوق كلها تجب
ان لم يكن لي أسباب أعيش بها * ففي العلا لك اخلاق هي السبب

فقال يا سلامة انظر أي شيء في بيت مالنا دون مال المسلمين فقال بقية من مال قال فادفع له مائة ألف درهم وادمث له بمثلها في كل شهر فلما كان بعد أحد عشر شهرا مات المأمون فبكى عليه أبو العيناء حتى تقرحت أجفانه فدخل عليه بعض أولاده فقال يا أبتاه بعد ذهاب العين ماذا ينفع البكاء فانشأ أبو العيناء يقول

شيآن لو بكت الدماء عليهما * عيناي حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

(وقال الاعمش) كانت عندي شاة فمرضت وفقدت الصبيان لبنها فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسألني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد أجلس عليه فكان اذا خرج يقول خذ ما تحت اللبد حتى وصل الي من علة الشاة أكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرأ (وحكى أبو القدامة العشيري) قال كنا مع يزيد بن مزيد يوما فسمع صائحا يقول يا يزيد بن مزيد فطلبه فأتى به اليه فقال ما حملك على هذا الصياح قال فقدت دابتي ونفدت نفقتي وسمعت قول الشاعر

اذا قيل من للجود والمجد والندى * فنادِ بصوت يا يزيد بن مزيد

فامر له بفرس الملق كان محبا له وبمائة دينار وخلعة سنية فأخذها وانصرف (ومن الغرائب ما حكى) ان قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض اسخيائهم يزورونه فباتوا عند قبره فرأى رجل منهم صاحب القبر في المنام وهو يقول له هل لك ان تبيعني بعيرك بنجيبي وكان الميت قد خلف نجيبا وكان للرائي بعير سمين فقال نعم وباعه في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما عقد البيع عمد صاحب القبر الى البعير فنحره في النوم فانتبه الرائي من نومه فوجد الدم يسيح من نحر بعيره فقام واتم نحره وقطع لحمه وطبخوه وأكلوه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق سائرون استقبلهم ركب فتقدم منهم شاب فنادى هل فيكم فلان بن فلان فقال صاحب البعير نعم ها أنا فلان بن فلان فقال هل بعت من فلان الميت شيأ قال نعم بعته بعيري بنجيبه في النوم فقال هذا نجيبه فخذه وأنا ولده وقد رأيته في النوم وهو يقول ان كنت ولدي فادفع نجيبي الى فلان فانظر الى هذا الرجل الكريم كيف أكرم أضيافه بعد موته (قيل ان شاعرا) قصد خالد بن يزيد فانشد شعرا يقول فيه

سألت الندى والجود حران انتما * فقالا يقينا اننا لعبيد
فقلت ومن مولاكما فتطاولا * الي وقالا خالد ويزيد

فقال يا غلام أعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فانشد يقول

كريم كريم الامهات مهذب * تدفق كفاه الندى وشمائله

هو البحر من أي الجهات أتيته * فلجته المعروف والجود ساحله
جواد بسيط الكف حتى لوانه * دعاها القبض لم تجبه أنامله

فقال ياغلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فأنشد يقول

تبرعت لي بالجود حتى نعشتني * وأعطيتني حتى حسبتك تلعب
وأنبت ريشا في الجناحين بعدما * تساقطمني الريش أو كاد يذهب
فانت الندى وابن الندى وأخو الندى * حليف الندى ما للندى عنك مذهب

فقال ياغلام أعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فقال حسب الامير ما سمع وحسبي ما أخذت وانصرف (وجاء الى خالد بن عبد الله) بعض الشعراء ورجله في الركاب يريد الغزو فقال له اني قلت فيك بيتين من الشعر فقال في مثل هذا الحال قال نعم فقال هاتهما فانشد يقول

ياواحد العرب الذي * ما في الانام له نظير
لو كان مثلك آخر * ما كان في الدنيا فقير

فقال ياغلام اعطه عشرين ألف دينار فاخذها وانصرف (وحيث ذكرنا نبذة من أخبار الكرماء فلنذكر نبذة من أخبار البخلاء) فمن ذلك ان رجلا من البخلاء اشترى دارا وانتقل اليها فوقف ببابه سائل فقال له فتح الله عليك ثم وقف ثان فقال له مثل ذلك ثم وقف ثالث فقال له مثل ذلك ثم التفت الى ابنته فقال لها ما أكثر السؤال في هذا المكان فقالت يا أبت مادمت متمسكا لهم بهذه الكلمة فما تبالي كثروا ام قلوا (والأم اللئام وأبخلهم) حميد الاقط الذي يقال له هجاء الاضياف وهو القائل في ضيف له يصف أكله من قصيدة

مابين لقمته الاولى اذا انحدرت * وبين أخرى تليها قيد اظفور

وقال فيه أيضا

تجهز كفاه ويحدر حلقه * الى الزور ماضمت عليه الانامل

(وأكل اعرابي مع أبي الاسود) رطبا فاكثر ومد أبو الاسود يده الى رطبة ليأخذها فسبقه الاعرابي اليها فسقطت منه في التراب فأخذها أبو الاسود وقال لا ادعها للشيطان يأكلها فقال الاعرابي والله ولا لجبريل وميكائيل لو نزلا من السماء ماتركتها (وقال اعرابي) لتزيل نزل به نزلت بواد غير ممطور ورجل بك غير مسرور فأقم بعدم أو ارحل بندم (وللحمدوني)

رأيت أبازرارة قال يوما * لحاجبه وفي يده الحسام
لئن وضع الخوان ولاح شخص * لاختطفن رأسك والسلام
فقال سوى أبيك فذا شيخ * بغيض ليس يردعه الكلام
فقام وقال من حنق عليه * بيت لم يرد فيه القيام
أبي وابنا أبي والكلب عندي * بمنزلة اذا حضر الطعام
وقال له أبن لي يا ابن كلب * على خبزي اصادر او اشام
اذا حضر الطعام فلا حقوق * على لوالدي ولا ذمام

فما فى الارض أقبح من خوان * عليه الخبز يحضره الزحام

(و يعجبنى قول بعضهم)

زففت الى نبهان من صفو فكرتى * عروسا غدا بطن الكتاب لها صدرا
فقبلها عشرا وهام بحبها * فلما ذكرت المهر طلقها عشرا

(ومن أخبار البخلاء) ما حكاه بعضهم قال كنت فى سفر فضللت الطريق فرأيت بيتا فى الفلاة فأتيته فاذا به اعرابية فلما رأتنى قالت من تكون قلت ضيف قالت أهلا ومرحبا بالضيف انزل على الرحب والسعة قال فنزلت فقدمت لى طعاما فأكلت وماء فشربت فبينما أنا على ذلك اذ اقبل صاحب البيت فقال من هذا فقالت ضيف فقال لا اهلا ولا مرحبا ما لنا وللضيف فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتى وسرت فلما كان من الغد رأيت بيتا فى الفلاة فقصدته فاذا فيه اعرابية فلما رأتنى قالت من تكون قلت ضيف قالت لا أهلا ولا مرحبا بالضيف ما لنا وللضيف فبينما هى تكلمنى اذ اقبل صاحب البيت فلما رآنى قال من هذا قالت ضيف قال مرحبا وأهلا بالضيف ثم أتى بطعام حسن فأكلت وماء فشربت فتذكرت ما مر بى بالامس فتبسمت فقال مم تبسمك فقصصت عليه ما اتفق لى مع تلك الاعرابية وبعلها وما سمعت منه ومن زوجته فقال لا تعجب ان تلك الاعرابية التى رأيتها هى اختى وان بعلها اخو امرأتى هذه فغلب على كل طبع أهله (وقال عمر بن ميمون) مررت ببعض طرق الكوفة فاذا أنا برجل يخاصم جاره فقلت ما بالكما فقال أحدهما ان صديقا لى زارنى فاشتهى راسا فاشتريته وتغدينا وأخذت عظامه فوضعتها على باب دارى اتجمل بها فجاء هذا فأخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس انه هو الذى اشترى الرأس (وقال رجل من البخلاء) لاولاده اشتروا لى لحما فاشتروه فامر بطبخه فلما استوى أكله جميعه حتى لم يبق فى يده الا عظمة وعيون أولاده ترمقه فقال ما أعطى أحدا منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها فقال ولده الاكبر امششها يا أبت وامصها حتى لا أدع للذر فيها مقيلا قال لست بصاحبها فقال الاوسط الوكها يا أبت والحسها حتى لا يدرى أحد ألعام هى أم لعامين قال لست بصاحبها فقال الاصغر يا أبت امصها ثم أدقها وأسفها قال انت صاحبها وهى لك زادك الله معرفة وحزما (وقيل خرج اعرابى) قد ولاه الحجاج بعض النواحى فأقام بها مدة طويلة فلما كان فى بعض الايام ورد عليه اعرابى من حيه فقدم اليه الطعام وكان اذ ذاك جائعا فسأل عن أهله وقال ما حال ابنى عمير قال على ما تحب قد ملأ الارض والحى رجالا ونساء قال فما فعلت أم عمير قال صالحة أيضا قال فما حال الدار قال عامرة بأهلها قال وكلبنا ايقاع قال قد ملأ الارض نباحا قال فما حال جملى زريق قال على ما يسرك قال فالتفت الى خادمه وقال ارفع الطعام فرفعه ولم يشبع الاعرابى ثم أقبل عليه يسأله وقال يا مبارك الناصية أعد على ما ذكرت قال سل عما بدا لك قال فما حال كلبى ايقاع قال مات قال وما الذى أماته قال اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات قال أومات جملى زريق قال نعم قال وما الذى أماته قال كثرة نقل الماء الى قبر أم عمير قال أوماتت أم عمير قال نعم قال وما الذى أماتها قال كثرة بكائها على عمير قال أومات عمير قال نعم قال وما الذى أماته قال سقطت عليه الدار قال أوسقطت

الدار

الدار قال نعم قال فقام له بالعصا فشار بأفولي من بين يديه هاربا (وقال دعبل) كنا عند سهل بن هارون فلم نبرح حتى كاد يموت من الجوع فقال ويلك يا غلام آتنا غداءنا فأتى بقصعة فيها ديك مطبوخ تحته ثريد قليل فتأمل الديك فرآه بغير رأس فقال لغلامه وأين الرأس فقال رميته فقال والله انى لأكره من يرمى برجله فكيف برأسه ويحك أما علمت ان الرأس رئيس الاعضاء ومنه يصيح الديك ولولا صوته ما أريد وفيه فرقه الذى يتبرك به وعينه التى يضرب بها المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم نر عظما أهش تحت الاسنان من عظم رأسه وهبك ظننت أنى لا آكله ما قلت عنده من يأكله انظر فى أى مكان رميته فائتنى به فقال لا أعرف أين رميته فقال لكنى أنا أعرف أين رميته قد رميته فى بطنك الله حسيبك (واشتكى رجل مروزى) صدره من سعال فوصفوا له سويق اللوز فاستثقل النفقة ورأى الصبر على الوجع أخف عليه من الدواء فبينما هو يماطل الايام ويدفع الآلام أتاه بعض اصدقائه فوصف له ماء النخالة وقال له انه يجلو الصدر فأمر بالنخالة فطبخت له وشرب من مائها فجلى صدره ووجده يعصم فلما حضر غداؤه أمر به فرفع الى العشاء وقال لامرأته اطبخى لاهل بيتنا النخالة فانى وجدت ماءها يعصم ويجلو الصدر فقالت لقد جمع الله لك بهذه النخالة بين دواء وغذاء فالحمد لله على هذه النعمة (وعن خاقان بن صبيح) قال دخلت على رجل من أهل خراسان ليلا فاذا أنا بمسرجة فيها فتيلة فى غاية الرقة وقد علق فيها عودا بخيط فقلت له ما بال هذا العود مربوطا قال قد شرب الدهن واذا ضاع ولم نحفظه احتجنا الى غيره فلا نجد الا عودا عطشان ونخشى ان يشرب الدهن قال بينما أنا أتعجب وأسأل الله العافية اذ دخل علينا شيخ من أهل مرو فنظر الى العود فقال للرجل يا فلان لقد فررت من شئ ووقعت فيما هو شر منه أما علمت ان الريح والشمس يأخذان من سائر الاشياء وينشفان هذا العود لم لا اتخذت مكان هذا العود ابرة من حديد فان الحديد املس وهو مع ذلك عسر نشاف والعود أيضا ربما تعلق به شعرة من قطن الفتيلة فينقصها فقال له الرجل الخراسانى أرشدك الله ونفع بك فلقد كنت فى ذلك من المسرفين (وقال الهيثم بن عدى) نزل على أبى حفصة الشاعر رجل من اليمامة فأخلى له المنزل ثم هرب مخافة أن يلزمه قراه فى هذه الليلة فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب له

يا أيها الخارج من بيته * وهاربا من شدة الخوف

ضيفك قد جاء بزاد له * فارجع وكن ضيفا على الضيف

(وكان أبو العتاهية ومروان بن أبى حفصة) بخيلين يضرب ببخلهما المثل قال مروان ما فرحت بشئ أشد مما فرحت بمائة ألف درهم وهبها الى المهدى فوزنتها فرجحت درهما واشترى لحما بدرهم فلما وضعه فى القدر دعاه صديقه فرد اللحم على القصاب بنقصان دانقين فجعل القصاب ينادى على اللحم ويقول هذا لحم مروان واجتاز يوما باعرابية فأضافته فقال ان وهب الى أمير المؤمنين مائة ألف درهم وهبت لك درهما فوهبه سبعين ألف درهم فوهبها أربعة دوانق (ومن الموصوفين بالبخل آل مرو) يقال ان من عادتهم اذا ترافقوا فى سفر ان يشترى كل واحد

منهم قطعة لحم و يشبكها في خيط ويجمعون اللحم كله في قدر ويمسك كل واحد منهم طرف
خيطه فاذا استوى جر كل منهم خيطه وأكل لحمه وتقاسموا المرق (وكان عمر بن يزيد الاسدى
بخيلا جدا) أصابه القولنج في بطنه فحقنه الطبيب بدهن كثير فانحل ما في بطنه في الطست
فقال لغلامه اجمع الدهن الذي نزل من الحقنة وأسرج به (وكان المنصور) شديد البخل جدا
مر به مسلم الحادي في طريقه الى الحج فحدا له يوما بقول الشاعر

اغر بين الحاجبين نوره * يزينه حياؤه وخيره
ومسكه يشوبه كافوره * اذا تغدى رفعت ستوره

فطرب حتى ضرب برجله المحمل وقال يا ربيع أعطه نصف درهم فقال نصف درهم يا أمير
المؤمنين والله لقد حدوت لهشام فامر لى بثلاثين ألف درهم فقال تأخذ من بيت مال المسلمين
ثلاثين ألف درهم يا ربيع وكل به من يستخلص منه هذا المال قال الربيع فما زلت أمشي
بينهما واروضه حتى شرط مسلم على نفسه ان يحدوله في ذهابه وايابه بغير مؤنة وأخبار
البخلاء كثيرة وفيما أوردناه كفاية (نادرة) قيل لابي الحرث ما تقول في الفالوذجة قال وددت
لو أنها وملك الموت اختصما في صدري والله لو أن موسى لقي فرعون بالفالوذجة لآمن به ولكنه
لقيه بعصا (ودخل ابن قزعة يوما) على عز الدولة وبين يديه طبق فيه موز فتأخر عن استدعائه
فقال ما بال مولانا اليسر يدعوني الى الفوز بأكل الموز فقال صفه حتى أطعمك منه فقال ما الذي
اصف من حسن لونه فيه سبائك ذهبية كأنها حشيت زبدا وعسلا أطيب الثمر كأنه مخ الشحم
سهل المقشر لين المكسر عذب المطعم بين الطعوم سلس في الحلقوم ثم مد يده وأكل (وسمع)
رجل يذم الزبد فقال له ما الذي ذممت منه سواد لونه أم بشاعة طعمه أم صعوبة مدخله أم
خشونة ملمسه (وقيل) له ما تقول في الباذنجان قال أذناب المحاجم و بطون العقارب وبزور
الزقوم قيل له انه يحشى باللحم فيكون طيبا فقال لو حشي بالتقوى والمغفرة ما أفلح (وصنع
الحجاج وليمة) واحتفل فيها ثم قال لزاذان هل عمل كسرى مثلها فاستعفاه فاقسم عليه فقال
اولم عبد عند كسرى فاقام على رؤس الناس ألف وصيفة في يد كل واحدة ابريق من ذهب
فقال الحجاج أف والله ما تركت فارس لمن بعدها من الملوك شرفا (وقال معاوية) لرجل
على مائدته خذ الشعرة من لقمتك فقال وانك تراعيني مراعاة من يرى الشعرة في لقمتي
لا أكلت لك طعاما أبدا (وحضر اعرابي على مائدة بعض الخلفاء) فقدم جدى مشوى فجعل
الاعرابي يسرع في أكله منه فقال له الخليفة أراك تأكله بحرد كأن أمه نطحتك فقال أراك
تشفق عليه كأن أمه أرضعتك (ودعت أبا الحرث حبيبة له) فحادثته ساعة فجاع فطلب الاكل
فقالت له أما في وجهي ما يشغلك عن الاكل قال جعلت فداءك لو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة
لا يأكلان لبصق كل منهما في وجه صاحبه وافترقا (وقال الشمردل) وكيل عمرو بن العاص
قدم سليمان بن عبد الملك الطائف فدخل هو وعمر بن عبد العزيز الى وقال يا شمردل ما عندك
ما تطعمني قلت عندى جدى كأعظم ما يكون سمنا قال عجل به فأتيته به كأنه عكة سمن فجعل يأكل
منه ولا يدعو عمر حتى اذا لم يبق منه الا فخذا قال هلم يا أبا جعفر فقال اني صائم فأكله ثم قال

ياشمردل ويلك أما عندك شئ قلت ست دجاجات كأنهن أفخاذ نعام فأتيته بهن فأتى عليهن ثم قال ياشمردل أما عندك شئ قلت سويق كأنه قراضة الذهب فأتيته به فعبه حتى أتى عليه ثم قال ياغلام أفرغت من غدائنا قال نعم قال ماهو قال نيف وثلاثون قدرا قال ائتني بقدر قدر فأتاه بها ومعه الرقاق فأكل من كل قدر ثلثه ثم مسح يده واستلقى على فراشه وأذن للناس فدخلوا وصف الخوان وأكل مع الناس (ونزل رجل بصومعة راهب) فقدم اليه الراهب أربعة أرغفة وذهب ليحضر اليه العدس فحمله وجاء فوجده قد أكل الخبز فذهب وأتى بخبز فوجده قد أكل العدس ففعل معه ذلك عشر مرات فسأله الراهب أين مقصدك قال الى الاردن قال لماذا قال بلغني ان بها طبيبا حاذقا أسأله عما يصلح معدتي فاني قليل الشهوة للطعام فقال له الراهب ان لي اليك حاجة قال وماهي قال اذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك من ههنا (يحكى) ان زيادا أمر بضرب عنق رجل فقال أيها الامير ان لي بك حرمة قال وماهي قال ان أبي جارك بالبصرة قال وما أبوك قال يامولاي اني نسيت اسم نفسي فكيف لا أنسي اسم أبي فرد زياد كمه على فمه وضحك وعفا عنه (وحكى) عن جعفر الصادق رضي الله عنه ان غلاماله وقف يصب الماء على يديه فوقع الابريق من يد الغلام في الطست فطار الرشاش في وجهه فنظر جعفر اليه نظر مغضب فقال يامولاي والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي قال والعافين عن الناس قال عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فأنت حر لوجه الله الكريم (وقيل) لما قدم نصر بن منيع بين يدي الخليفة وكان قد أمر بضرب عنقه قال ياأمير المؤمنين اسمع مني كلمات أقولهن قال قل فأنشأ يقول

زعموا بأن الصقر صادف مرة * عصفور برساقه التقدير
فتكلم العصفور تحت جناحه * والصقر منقض عليه يطير
اني لمثلك لا أتمم لقمة * ولئن شويت فانني لحقير
فتهاون الصقر المدل بصيده * كرما وأفلت ذلك العصفور

قال فعفا عنه وخلى سبيله (وكتب) عبد الملك بن مروان الى الحجاج يأمره ان يبعث اليه برأس عباد بن أسلم البكري فقال له عباد أيها الامير أنشدك الله لا تقتلني فوالله اني لاعول أربعا وعشرين امرأة مالهن كاسب غيري فرق لهن واستحضرهن فاذا واحدة منهن كالبدر فقال لها الحجاج ما أنت منه قالت أنا ابنته فاسمع ياحجاج مني ما أقول ثم قالت

احجاج اما ان تمن بتركه * علينا وأما ان تقتلنا معا
احجاج لاتفجع به ان قتله * ثمان وعشروا ثنتين وأربعا
احجاج لاتترك عليه بناته * وخالاته يندبنه الدهر أجمعا

فبكى الحجاج ورق له واستوهبه من أمير المؤمنين عبد الملك وأمر له بصلة (وحكى) ان رجلا زور ورقة عن خط الفضل بن الربيع تتضمن انه أطلق له ألف دينار ثم جاء بها الى وكيل الفضل فلما وقف الوكيل عليها لم يشك انها خط الفضل فشرع في ان يبذل له الالف دينار واذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله في تلك الساعة في أمرهم فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها ثم نظر في وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجل والخجل

www.dorat-ghawas.com

فأطرق الفضل بوجهه ثم قال للوكيل أتدرى لم أتيتك فى هذا الوقت قال لا قال حشمت لاستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل اعطاء المبلغ الذى فى هذه الورقة فأسرع عند ذلك الوكيل فى وزن المال وناوله الرجل فقبضه وصار متحيرا فى أمره فالتفت اليه الفضل وقال له طب نفسا فقال له سترتنى سترك الله فى الدنيا والآخرة ثم أخذ المال ومضى (ومن اللطائف والغرائب الدالة على الوفاء بالذمم ماحكاه بعض خدم أمير المؤمنين المأمون قال) طلبنى أمير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لى خذ معك فلانا وفلانا وسماهما أحدهما على بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما أقول لك فانه قد بلغنى ان شيخا يحضر ليلا الى دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم ويبكى عليهم ثم ينصرف فامض الآن أنت وعلى ودينار حتى تردوا هذه الخرابات فاستتروا فى بعض الجدران فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد شيأ فأتونى به قال فأخذتهما ومضينا حتى أتينا الخرابات واذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسى جديد واذا بشيخ وسيم له جمال وعليه مهابة بوقار قد أقبل فجلس على الكرسى وجعل يبكى وينتحب ويقول

ولما رأيت السيف جندل جعفرا * ونادى مناد للخليفة فى يحيى

بكيت على الدنيا وزاد تأسفى * عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع أبيات أطال اوردها فلما قبضنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين فزع فزعا شديدا وقال دعونى حتى أوصى وصية فانى لا أوقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين فاستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية ودفعها الى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدى أمير المؤمنين زجره وقال له ومن أنت وبماذا استوجبت البرامكة منك ماتفعله فى خرائب دورهم وماتقوله فيها فقال يا أمير المؤمنين ان للبرامكة عندى ايادى خطيرة أفتأذن لى ان أحدثك حديثى معهم قال قل قال يا أمير المؤمنين انا المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عنى نعمتى كما تزول عن الرجال فلما ركبنى الدين واحتجت الى بيع مسقط رأسى ورؤس أهلى أشاروا على بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعى نيف وثلاثون امرأة وصبى وصبية وليس معنا مايباع ولا مايوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا فى بعض المساجد فدعوت بثوبيات لى كنت قد أعددتها لاستتر بها عن الناس فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لا شئ عندهم ودخلت شوارع بغداد اسائل عن دور البرامكة فاذا أنا بمسجد مزخرف وفيه مائة شيخ باحسن زى وزينة وعلى الباب خادمان فطمعت فى القوم وولجت المسجد وجلست بين أيديهم وأنا أقدم وأؤخر والعرق يسيل منى لانها لم تكن صناعتى واذا بخادم قد أقبل فدعا القوم فقاموا وأنا معهم فدخلوا دار يحيى بن خالد ودخلت معهم واذا بيحيى جالس على دكة له فى وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحدا وبين يديه عشرة من ولده واذا غلام أمرد قد عذر خداه أقبل من بعض المقاصير بين يديه مائة خادم ممنطقون فى وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف مثقال ومع كل خادم مجمرة من ذهب فى كل مجمرة قطعة من عود كهيئة الفهر قد قرن بها مثلها من العنبر السلطانى فوضعوه بين يدى الغلام الى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضى تكلم وزوج بنتى عائشة من ابن عمى هذا فخطب القاضى وزوجه وشهد أولئك الجماعة واقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك

والعنبر

والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين ملء كمي ونظرت فاذا نحن في المكان ما بيني والمشايخ وولده والغلام مائة واثنا عشر رجلا فخرج الينا مائة واثنا عشر خادما مع كل خادم صينية من فضة عليها ألف دينار فوضعوا بين يدي كل رجل منا صينية فرأيت القاضي والمشايخ يصبون الدنانير في اكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم ويقوم الاول حتى بقيت وحدي بين يدي يحيى لا أجسر على أخذ الصينية فغمزني الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب في كمي واخذت الصينية في يدي وقمت وجعلت التفت الى ورائي مخافة ان أمنع من الذهاب بها فبينما أنا كذلك في صحن الدار ويحيى يلحظني اذ قال للخادم ائتني بذلك الرجل فرددت اليه فأمر بصب الدنانير والصينية وما كان في كمي ثم أمرني بالجلوس فجلست فقال لي ممن الرجل فقصصت عليه قصتي فقال للخادم ائتني بولدي موسى فأتى به فقال يا بني هذا رجل غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض موسى على يدي وادخلني الى دار من دوره فأكرمني غاية الاكرام وأقمت عنده يومي وليلتي في ألذ عيش واتم سرورا فلما أصبح دعا بأخيه العباس وقال ان الوزير قد أمرني بالعطف على هذا الرجل وقد علمت اشتغالي في دار أمير المؤمنين فاقبضه اليك وأكرمه ففعل ذلك وأكرمني غاية الاكرام فلما كان من الغد تسلمني أخوه ثم لم أزل في أيدي القوم يتداولونني عشرة أيام لا اعرف خبر عيالي وصبياني أفي الاموات هم أم في الاحياء فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا لي قم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية وأخرج الى عيالي على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع الستر الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الاخير قال لي مهما كان لك من الحوائج فارفعها الي فاني مأمور بقضاء جميع ما تأمرني به فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك واذا بصبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل الي ألف ألف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشورين بضيعتين وتلك الصينية التي كنت اخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق وأقمت يا أمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس امن البرامكة أنا أم رجل غريب اصطفوني فلما جاءتهم البلية ونزل بهم من أمير المؤمنين الرشيد ما نزل اجحفني عمرو بن مسعدة وألزمني في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفي دخلهما به فلما تحامل علي الدهر كنت في أواخر الليل أقصد خرابات القوم فاندبهم وأذكر حسن صنيعهم الي وأشكرهم على احسانهم فقال المأمون علي بعمرو بن مسعدة فلما أتي به قال له يا عمرو أتعرف هذا الرجل قال نعم يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم ألزمته في ضيعتيه قال كذا وكذا قال رد له كل ما استاديته منه في مدته ووقع له بهما ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل وبكاؤه فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال له يا هذا قد أحسنا اليك فلم تبكي قال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من صنائع البرامكة اذ لو لم آت خراباتهم واندبهم حتى اتصل خبري بأمير المؤمنين ففعل بي ما فعل فمن أين كنت اصل الى أمير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فلقد رأيت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمري هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابك واياهم فاشكر ولهم فاوف ولاحسانهم فاذكر (ومن ذلك انه) خرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد

ابن المهلب فى بعض جبانات الشام فاذا امرأة جالسة على قبر تبكى قال سليمان فرفعت البرقع عن وجهها فكشفت شمساعن متون غمامة فوقفنا متحيرين ننظر اليها فقال لها يزيد بن المهلب ياأمة الله هل لك فى أمير المؤمنين فنظرت الينا ثم انشأت تقول

فان تسألانى عن هواى فانه * يحول بهذا القبر يافتيان
وانى لاستحييه والترب بيننا * كما كنت استحييه وهو يرانى

(ومن ذلك ماذكره عبد الله بن عبد الكريم) قال ان أحمد بن طولون وجد عند سقاية طفلا مطروحا فالتقطه ورباه وسماه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان أكثر الناس ذكاء وفطنة وأحسنهم زيا وصورة فصار يرعاه ويعلمه حتى تهذب وتمرن فلما حضرت أحمد بن طولون الوفاة أوصى ولده أبا الجيش خمارويه به فاخذه اليه فلما مات أحمد بن طولون أحضره الامير أبو الجيش اليه وقال له أنت عندى بمكانة أرعاك بها ولكن عادتى انى آخذ العهد على كل أحد اعرفه ان لا يخوننى فى شئ فعاهده ثم حكمه فى أمواله وقدمه فى أشغاله فصار أحمد اليتيم مستحوذا على المقام حاكما على جميع الحاشية الخاص والعام والامير أبو الجيش بن طولون يحسن ليه فلما رأى أحواله متصفة بالنصح ومساعيه متسمة بالنجح ركن اليه واعتمد فى أمور بيوته عليه فقال له يوما يا أحمد امض الى الحجرة الفلانية ففى المجلس حيث أجلس سبحة جوهر فائتنى بها فمضى أحمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من مغنيات الامير وحظاياه مع شاب من الفراشين ممن هم من الامير بمحل قريب فلما رأياه خرج الفتى وجاءت الجارية الى أحمد وعرضت نفسها عليه ودعته الى قضاء وطره فقال لها معاذ الله ان أخون الامير وقد أحسن الى وأخذ العهد على ثم تركها وأخذ السبحة وانصرف الى الامير وسلمها اليه وبقيت الجارية شديدة الخوف من أحمد بعد ما أخذ السبحة وخرج من الحجرة لئلا يذكر حالها للامير فاقامت أياما تجد من الامير ما غيره عليها ثم اتفق ان الامير اشترى جارية وقدمها على حظاياه وغمرها بعطاياه واشتغل بها عمن سواها وأعرض لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يراها وكان أولا مشغولا بتلك الجارية الخائنة العاهرة فلما أعرض عنها اشتغالا بالجارية الجديدة وصرف اليها بهجة محاسنها وكثرة آدابها وجهه عن ملاعبة أترابها وشغلته بعذوبة رضابها عن ارتشاف ضرب اضرابها وكانت تلك الجارية الاولى لحسنها متأمرة على تامره لا تخاف من وليه ولا نصيره كبر عليها اعراضه عنها ونسبت ذلك الى أحمد اليتيم لاطلاعه على ما كان منها فدخلت على الامير وقد ارتدت من الكآبة بجلباب تنكرها واعلنت بالبكاء بين يديه لاتمام كيدها ومكرها وقالت ان أحمد اليتيم راودنى عن نفسى فلما سمع الامير ذلك استشاط غضبا وهم فى الحال بقتله ثم عاوده حلم عقله وتأنى فى فعله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال له اذا أرسلت اليك انسانا ومعه طبق من ذهب وقلت لك على لسانه املأ هذا الطبق مسكا فاقتل ذلك الانسان واجعل رأسه فى الطبق وأحضره مغطى ثم ان الامير أبا الجيش جلس لشربه وأحضر عنده ندماءه الخواص وادناهم لمجلس قربه وأحمد اليتيم واقف بين يديه آمن فى سربه لم يخطر بخاطره شئ فلما مثل بين يدى الامير وأخذ منه الشراب شرع فى التدبير فقال يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به الى فلان الخادم وقل له يقول لك أمير المؤمنين املأ هذا

www.dorat-ghawas.com

الطبق مسكا فاخذه أحمد اليتيم ومضى فاجتاز فى طريقه بالمغنين وبقية الندماء والخواص فقاموا اليه وسألوه الجلوس معهم فقال أنا ماض فى حاجة الامير أمرنى باحضارها فى هذا الطبق فقالوا له أرسل من ينوب عنك فى احضارها وخذها أنت وادخل بها على الامير فادار عينيه فرأى الفتى الفراش الذى كان مع الجارية فاعطاه الطبق وقال له امض الى فلان الخادم وقل له يقول لك الامير املأ هذا الطبق مسكا فمضى ذلك الفراش الى الخادم فذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغطاه وجعله فى الطبق واقبل به فناوله لاحمد اليتيم فاخذه وليس عنده علم من باطن الامر فلما دخل به على الامير كشفه وتامله وقال ما هذا فقص عليه خبره وقعوده مع المغنين وبقية الندماء وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان من انفاذ الطبق وارساله مع الفراش وانه لا علم عنده غير ما ذكر قال أتعرف لهذا الفراش خبرا يستوجب به ما جرى عليه فقال أيها الامير ان الذى تم عليه بما ارتكبه من الخيانة وقد كنت رأيت الاعراض عن اعلام الامير بذلك وأخذ أحمد يحدثه بما شاهده وما جرى له من حديث الجارية من أوله الى آخره لما أنفذه لاحضار السبحة الجوهر فدعا الامير أبو الجيش بتلك الجارية واستقررها فاقرت بصحة ما ذكره أحمد فاعطاه اياها وأمره بقتلها ففعل وازدادت مكانة أحمد عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه وجعل أزمة جميع ما يتعلق به بيديه (قلت ويقرب من ذلك ما حكى) ان ملكا من ملوك الفرس يقال له ازدشير وكان ذا مملكة متسعة وجند كثير وكان ذا بأس شديد قد وصف له بنت ملك بحر الاردن بالجمال البارع وان هذه البنت بكر ذات خدر فسير ازدشير من يخطبها من أبيها فامتنع من اجابته ولم يرض بذلك فعظم ذلك على أزدشير وأقسم بالايمان المغلظة ليغزون الملك أبا البنت وليقتلنه هو وابنته شر قتلة وليمثلن بهما أخبث مثلة فسار اليه أزدشير فى جيشه فقاتله فقتله أزدشير وقتل سائر خواصه ثم سأل عن ابنته المخطوبة فبرزت اليه جارية من القصر من أجمل النساء وأكمل البنات حسنا وجمالا وقدا واعتدالا فبهت أزدشير من رؤيته اياها فقالت له أيها الملك انى ابنة الملك الفلانى ملك المدينة الفلانية وان الملك الذى قتلته أنت قد غزا بلدنا وقتل أبى وقتل سائر أصحابه قبل ان تقتله أنت وانه اسرنى فى جملة الاسارى وأتى بى فى هذا القصر فلما رأتنى ابنته التى أرسلت تخطبها احبتنى وسألت اباها ان يتركنى عندها اتأنس بى فتركنى لها فكنت أنا وهى كانا روحان فى جسد واحد فلما أرسلت تخطبها خاف أبوها عليها منك فارسلها الى بعض الجزائر فى البحر الملح عند بعض أقاربه من الملوك فقال أزدشير وددت لو انى ظفرت بها فكنت أقتلها شر قتلة ثم انه تامل الجارية فرآها فائقة فى الجمال فمالت نفسه اليها فاخذها للتسرى وقال هذه أجنبية من الملك ولا أحنث فى يمينى باخذها ثم انه واقعها وازال بكارتها فحملت منه فلما ظهر عليها الحمل اتفق انها تحدثت معه يوما وقد رأته منشرح الصدر فقالت له أنت غلبت أبى وأنا غلبتك فقال لها ومن أبوك فقالت له هو ملك بحر الاردن وأنا ابنته التى خطبتها منه وانى سمعت انك أقسمت لتقتلنى فتحيلت عليك بما سمعت والآن هذا ولدك فى بطنى فلا يتهيأ لك قتلى فعظم ذلك على أزدشير اذ قهرته امرأة وتحيلت عليه حتى تخلصت من يديه فانتهرها وخرج من عندها مغضبا وعول على قتلها ثم ذكر لوزيره ما اتفق له معها فلما رأى الوزير عزمه قويا على قتلها خشى ان

www.dorat-ghawas.com

يحدث الملوك عنه بمثل هذا وانه لا يقبل فيها شفاعة شافع فقال أيها الملك ان الرأي هو الذي خطر لك والمصلحة هي التي رأيتها أنت وقتل هذه الجارية في هذا الوقت أولى وهو عين الصواب لانه أحق من ان يقال ان امرأة قهرت رأي الملك وحنثته في يمينه لاجل شهوة النفس ثم قال أيها الملك ان صورتها امرحومة وحمل الملك معها وهي أولى في الستر ولا أرى في قتلها أهون ولا أستر عليها من الغرق فقال له الملك نعم ما رأيت خذها غرقها فاخذها الوزير ثم خرج بها ليلا الى بحر الاردن ومعه ضوء ورجال واعوان فتحيل الى ان طرح شيأ في البحر أوهم من كان معه انها الجارية ثم انه اخفاها عنده فلما أصبح جاء الى الملك فاخبره انه غرقها فشكره على فعله ثم ان الوزير ناول الملك حقا مختوما وقال أيها الملك اني نظرت مولدي فرأيت اجلي قد دنا على ما يقتضيه حساب حكماء الفرس في النجوم وان لي أولادا وعندي مال قد ادخرته من نعمتك فخذه اذا مت ان رأيت وهذا الحق فيه جوهر اسأل الملك ان يقسمه بين أولادي بالسوية فانه ارثي الذي قد ورثته من أبي وليس عندي شيء اكتسبته منه الا هذا الجوهر فقال الذي له الملك يطول الرب في عمرك ومالك لك ولاولادك سواء كنت حيا أو ميتا فالح عليه الوزير ان يجعل الحق عنده وديعة فاخذه الملك وودعه عنده في صندوق ثم مضت أشهر الجارية فوضعت ولدا ذكرا جميلا حسن الخلقة مثل القمر فلاحظ الوزير جانب الادب في تسميته فرأى انه ان اخترع له اسما وسماه به وظهر لوالده بعد ذلك فيكون قد أساء الادب وان هو تركه بلا اسم لم يتهيأ له ذلك فسماه شاه بور ومعناه بالفارسية ابن ملك فان شاه ملك وبور ابن ولغتهم مبنية على تأخير المتقدم وتقديم المتاخر وهذه تسمية ليس فيها مؤاخذة ولم يزل الوزير يلاطف الجارية بتربية الولد الى أن بلغ الولد حد التعليم فعلمه كل ما يصلح لاولاد الملوك من الخط والحكمة والفروسية وهو يوهم انه مملوك له ابعه شاه بور الى أن راهق البلوغ هذا كله واردشير ليس له ولد وقد طعن في السن وأقعده الهرم فمرض وأشرف على الموت فقال للوزير أيها الوزير قد هرم جسمي وضعفت قوتي واني أرى اني ميت لا محالة وهذا الملك يأخذه بعدي من قضي له به فقال الوزير لو شاء الله أن يكون للملك ولد كان قد ولي بعده الملك ثم ذكره بامر بنت ملك بحر الاردن وبحملها فقال الملك لقد ندمت على تغريقها ولو كنت أبقيتها حتى تضع فلعل حملها يكون ذكرا فلما شاهد الوزير من الملك الرضا قال أيها الملك انها عندي حية وقد ولدت ذكرا من أحسن الغلمان خلقا وخلقا فقال الملك احق ما تقول فاقسم الوزير ان نعم ثم قال أيها الملك ان في الولد روحانية تشهد بابوة الاب وفي الولد روحانية تشهد ببنوة الابن لا يكاد ذلك ينخرم أبدا واني آتي بهذا الغلام بين عشرين غلاما في سنه وهيئته ولباسه وكلهم ذوو آباء معروفين خلا أباه واني أعطي كل واحد منهم صولجانا وكرة وآمرهم ان يلعبوا بين يديك في مجلسك هذا ويتامل الملك صورهم وخلقتهم وشمائلهم فكل من مالت اليه نفسك وروحانيتك فهو هو فقال الملك نعم التدبير الذي قلت فاحضرهم الوزير على هذه الصورة ولعبوا بين يدي الملك فكان الصبي فيهم اذا ضرب الكرة وقربت من مجلس الملك تمنعه الهيبة ان يتقدم ليأخذها الا شاه بور فانه كان اذا ضربها وجاءت عند مرتبة أبيه تقدم فاخذها ولا تاخذه الهيبة منه فلاحظ أزدشير ذلك منه مرارا فقال أيها الغلام ما اسمك قال شاه بور فقال له صدقت أنت ابني حقا ثم ضمه اليه وقبله

www.dorat-ghawas.com

بين عينيه فقال له الوزير هذا ابنك أيها الملك ثم أحضر بقية الصبيان ومعهم عدول فاثبت لكل صبي منهم والدا بحضرة الملك فتحقق الصدق في ذلك ثم جاءت الجارية وقد تضاعف حسنها وجمالها فقبلت يد الملك فرضي عنها فقال الوزير أيها الملك قد دعت الضرورة في الوقت الى احضار الحق المختوم فامر الملك باحضاره ثم أخذه الوزير ووقف ختمه وفتحه فاذا فيه ذكر الوزير وانثياه مقطوعة مضمانة فيه من قبل أن يتسلم الجارية من الملك وأحضر عدولا من الحكماء وهم الذين كانوا فعلوا به ذلك فشهدوا عند الملك بان هذا الفعل فعلناه به من قبل أن يتسلم الجارية بليلة واحدة قال فدهش الملك ازدشير وبهت لما أبداه هذا الوزير من قوة النفس في الخدمة وشدة نصحه فزاد سروره وتضاعف فرحه اصيانة الجارية واثبات نسب الولد ولحوقه به ثم ان الملك عوفي من مرضه الذي كان به وصح جسمه ولم يزل يتقلب في نعمه وهو مسرور بابنه الى أن حضرته الوفاة ورجع الملك الى ابنه شابور بعد موت أبيه وصار ذلك الوزير يخدم ابن الملك ازدشير وشابور يحفظ مقامه ويرى منزلته حتى توفاه الله تعالى (قلت ومن بديع ماجاء في المكافأة على الصنيع) ماحكى عن الحسن بن سهل قال كنت عند يحيى بن خالد البرمكي وقد خلا في مجلسه لاحكام أمر من أمور الرشيد فبينما نحن جلوس اذ دخل عليه جماعة من أصحاب الحوائج فقضاها لهم ثم توجهوا لشأنهم فكان آخرهم قياما أحمد بن أبي خالد الاحول فنظر يحيى اليه والتفت الى الفضل ابنه وقال يابني ان لابيك مع أبي هذا الفتى حديثا فاذا فرغت من شغلي هذا فاذكرني أحدثك به فلما فرغ من شغله قال له ابنه الفضل أعزك الله بأبي أمرتني أن أذكرك حديث أبي خالد الاحول قال نعم يابني لما قدم أبوك من العراق أيام المهدي كان فقيرا لايملك شيئا فاشتد بي الامر الى أن قال لي من في منزلي انا قد كتمنا حالنا وزاد ضررنا ولنا ثلاثة أيام ماعندنا شئ نقتاته قال فبكيت يابني لذلك بكاء شديدا وبقيت ولهان حيران مطرقا مفكرا ثم تذكرت منديلا كان عندي فقلت لهم ماحال المنديل فقالوا هو باق عندنا فقلت ادفعوه الي فأخذته ودفعته الى بعض أصحابي وقلت له بعه بما تيسر فباعه بسبعة عشر درهما فدفعتها الى أهلي وقلت انفقوها الى أن يرزق الله غيرها ثم بكرت من الغد الى باب أبي خالد وهو يومئذ وزير المهدي فاذا الناس وقوف على داره ينتظرون خروجه فخرج عليهم راكبا فلما رآني سلم علي وقال كيف حالك فقلت يا أبا خالد ماحال رجل يبيع من منزله بالامس منديلا بسبعة عشر درهما فنظر الي نظرا شديدا وما أجابني جوابا فرجعت الى أهلي كسير القلب وأخبرتهم بما اتفق لي مع أبي خالد فقالوا بئس والله مافعلت توجهت الى رجل كان يرتضيك لامر جليل فكشفت له سرك وأطلعته على مكنون أمرك فازريت عنده بنفسك وصغرت عنده منزلتك بعد ان كنت عنده جليلا لحابرالك بعد اليوم الا بهذه العين فقلت قد قضي الامر الآن بما لايمكن استدراكه فلما كان من الغد بكرت الى باب الخليفة فلما بلغت الباب استقبلني صاحب أبي خالد فقال لي أين تكون قد أمرني أبو خالد باجلاسك الى أن يخرج من عند أمير المؤمنين فجلست حتى خرج فلما رآني دعاني وأمرني بركوب فركبت وسرت معه الى منزله فلما نزل قال علي بفلان وفلان الحناطين فاحضرا فقال لهما ألم تشتريا مني غلات السواد بثمانية عشر ألف ألف درهم قالا نعم قال ألم أشترط عليكما شركة رجل معكما قالا بلى

قال هو هذا الرجل الذي اشترطت شركته لك ثم قال لي قم معهما فلما خرجنا قالا لي ادخل معنا
بعض المساجد حتى نكلمك في أمر يكون لك فيه الربح الهني فدخلنا مسجدا فقالا لي انك
تحتاج في هذا الامر الى وكلاء وامناء وكيالين وأعوان ومؤن لم تقدر منها على شيء فهل لك ان
تبيعنا شركتك بمال نعجله لك فتنتفع به ويسقط عنك التعب والكلف فقلت لهما وكم تبذلان
لي فقالا مائة ألف درهم فقلت لا أفعل فما زالا يزيدانني وأنا لا أرضى الى أن قالا لي ثلثمائة
ألف درهم ولا زيادة عندنا على هذا فقلت حتى أشاور أبا خالد قالا ذلك لك فرجعت اليه وأخبرته
فدعا بهما وقال لهما أهما وافقتماه على ما ذكر قالا نعم قال اذهبا فاقبضاه المال الساعة ثم قال لي
أصلح أمرك وتهيأ فقد قلدتك العمل فاصلحت شأني وقلدني ما وعدني به فما زلت في زيادة حتى
صار أمري الى ما صار ثم قال لولده الفضل يا بني فما تقول في ابن من فعل بأبيك هذا الفعل وما
جزاؤه قال حق لعمري وجب عليك له فقال والله يا ولدي ما أجد له مكافأة غير أن أعزل نفسي
وأوليه ففعل ذلك وهكذا تكون المكافأة (ومن ذلك ما حكي عن العباس صاحب شرطة
المأمون) قال دخلت يوما الى مجلس أمير المؤمنين ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد فلما رآني
قال لي يا عباس قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال خذ هذا اليك فاستوثق منه واحتفظ به وبكر به الي
في غد واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدر ان يتحرك فقلت
في نفسي مع هذه الوصية التي أوصاني بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا ان يكون معي
في بيتي فأمرتهم فتركوه في مجلس لي في داري ثم أخذت أسأله عن قضيته وعن حاله ومن أين هو
فقال من دمشق فقلت جزى الله دمشق وأهلها خيرا فمن أنت من أهلها قال وعمن تسأل قلت
أتعرف فلانا قال ومن أين تعرف ذلك الرجل فقلت وقع لي معه قضية فقال ما كنت بالذي أعرفك
خبره حتى تعرفني قضيتك معه فقال ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فبغى أهلها وخرجوا
علينا حتى ان الوالي تدلى في زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وأصحابه وهربت في جملة القوم
فبينما أنا هارب في بعض الدروب واذا بجماعة يعدون خلفي فما زلت أعدو أمامهم حتى فتهم
فمررت بهذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغثني أغاثك الله قال لا
بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل
على باب الدار فما شعرت الا وقد دخل الرجال معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار
ففتشوها ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فيها فقالوا ههنا فصاحت بهم
المرأة ونهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرجف ما تحملني
رجلاي من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل
الرجل فقال لا تخف قد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى
فقلت له جزاك الله خيرا فما زال يعاشرني أحسن معاشرة وأجملها وافرد لي مكانا في داره ولم
يحوجني الى شيء ولم يفتر عن تفقد احوالي فأقمت عنده أربعة اشهر في أرغد عيش واهنئه الى
ان سكنت الفتنة وهدأت وزال أثرها فقلت له أتأذن لي في الخروج حتى أتفقد حال غلماني
فلعلي أقف منهم على خبر فأخذ علي المواثيق بالرجوع فخرجت وطلبت غلماني فلم أر لهم أثرا
فرجعت اليه واعلمته الخبر وهو مع هذا كله لا يعرفني ولا يسألني ولا يعرف اسمي ولا يخاطبني

الا

www.dorat-ghawas.com

الا بالكنية فقال لي غلام تعزم فقلت قد عزمت على التوجه الى بغداد فقال ان القافلة بعد
ثلاثة أيام تخرج وها أنا قد اعلمتك فقلت له انك قد تفضلت على هذه المدة ولك على عهد الله انى
لا أنسى لك هذا الفضل ولا وفينك مهما استطعت قال فدعا غلاما له أسود وقال له أسرج الفرس
الفلاني ثم جهز آلة السفر فقلت في نفسي أظن انه يريد ان يخرج الى ضيعة له أو ناحية من
النواحي فاقاموا يومهم ذلك في كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاءني في السحر وقال لي
يافلان قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره ان تنفرد عنها فقلت في نفسي كيف أصنع وليس معي
ما أتزود به ولا ما أكرى به مركوبا ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان بقجة من أفخر الملابس وخفين
جديدين وآلة السفر ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في وسطي ثم قدم بغلا فحمل عليه
صندوقين وفوقهما فرش ورفع الى نسخة ما في الصندوقين وفيهما خمسة آلاف درهم وقدم الى
الفرس الذي كان جهزه وقال اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك ويسوس مركوبك وأقبل
هو وامرأته يعتذران الي من التقصير في أمري وركب معي يشيعني وانصرفت الى بغداد وأنا
أتوقع خبره لأفي بعهدى له في مجازاته ومكافاته واشتغلت مع أمير المؤمنين فلم أتفرغ ان أرسل اليه
من يكشف خبره فلهذا أنا أسال عنه فلما سمع الرجل الحديث قال لقد أمكنك الله تعالى من
الوفاء له ومكافاته على فعله ومجازاته على صنعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت وكيف
ذلك قال انا ذلك الرجل وانما الضر الذي أنا فيه غير عليك حالي وما كنت تعرفه مني ثم لم يزل
يذكرلي تفاصيل الاسباب حتى أثبت معرفته فما تمالكت ان قمت وقبلت رأسه ثم قلت له
فما الذي آل بك الى ما أرى فقال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التي كانت في أيامك فنسبت
الي وبعث أمير المؤمنين بجيوش فاصلحوا البلد وأخذت أنا وضربت الى أن أشرفت على الموت
وقيدت وبعث بي الى أمير المؤمنين وأمري عنده عظيم وخطبي لديه جسيم وهو قاتلي لامحالة
وقد أخرجت من عند أهلي بلا وصية وقد تبعني من غلماني من ينصرف الى أهلي بخبري وهو
نازل عند فلان فان رأيت ان تجعل من مكافاتك لي ان ترسل من يحضره لي حتى أوصيه بما
أريد فاذا أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافاة وقمت لي بوفاء عهدك قال العباس قلت يصنع
الله خيرا ثم أحضر حدادا في الليل ففك قيوده وأزال ما كان فيه من الانكال وأدخله حمام داره
وألبسه من الثياب ما احتاج اليه ثم أرسل من أحضر اليه غلامه فلما رآه جعل يبكي ويوصيه
فاستدعى نائبه وقال على بالفرس الفلاني والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم عشرة ومن
الصناديق ومن الكسوة كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضرلي بدرة
عشرة آلاف درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لنائبه في الشرطة خذ هذا الرجل
وشيعه الى حد الانبار فقلت له ان ذنبي عند أمير المؤمنين عظيم وخطبي جسيم وان أنت
احتججت باني هربت بعث أمير المؤمنين في طلبي كل من على بابه فاردوا وقتلي فقال لي انج بنفسك
ودعني أدبر أمري فقلت والله لا أبرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فان احتجت
الى حضوري حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان الامر على ما يقول فليكن في موضع كذا
فان أنا سلمت في غداة غد أعلمته وان أنا قتلت فقد وقيته بنفسي كما وقاني بنفسه وأنشدك الله ان
لا يذهب من ماله درهم وتجتهد في اخراجه من بغداد قال الرجل فاخذني صاحب الشرطة

www.dorat-ghawas.com

وصيرني في مكان أثق به وتفرغ العباس لنفسه وتحفظ وجهزله كفنا قال العباس فلم أفرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون في طلبي يقولون يقول لك أمير المؤمنين هات الرجل معك وقم قال فتوجهت الى دار أمير المؤمنين فاذا هو جالس عليه ثيابه وهو ينتظرنا فقال أين الرجل فسكت فقال ويحك أين الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع مني فقال لله على عهد ان ذكرت انه هرب لاضربن عنقك فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ماهرب ولكن اسمع حديثي وحديثه ثم شأنك وما تريد ان تفعله في أمري فقال قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته انني أريد ان أوفي له وأكافئه على ما فعله معي وقلت أنا وسيدي ومولاي أمير المؤمنين بين أمرين اما ان يصفح عني فأكون قد وفيت وكافأت واما ان يقتلني فأقيه بنفسي وقد تحنطت وها كفني يا أمير المؤمنين فلما سمع المأمون الحديث قال ويلك لا جزاك الله عن نفسك خيرا انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لا غيره هلا عرفتني خبره فكنا نكافئه عنك ولا نقصر في وفائنا له فقلت يا أمير المؤمنين انه ههنا قد حلف أن لا يبرح حتى يعرف سلامتي فان احتجت الى حضوره حضر فقال المأمون وهذه منة أعظم من الاولى اذهب الآن اليه فطيب نفسه وسكن روعه وائتني به حتى أتولى مكافأته قال العباس فأتيت اليه وقلت له ليزل خوفك ان أمير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء سواه ثم قام فصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين أقبل عليه وأدناه منه وحدثه حتى حضر الغداء وأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى فأمر له المأمون بعشرة أفراس بسروجها ولجمها وعشرة بغال بآلاتها وعشر بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة مماليك بدوابهم وكتب الى عامله بدمشق بالوصية به واطلاق خراجه وأمره بمكاتبته بأحوال دمشق فصارت كتبه تصل الى المأمون وكلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لي يا عباس هذا كتاب صديقك والله تعالى أعلم (ومن عجائب هذا الاسلوب وغرائبه) ما أورده محمد بن القاسم الانباري رحمه الله تعالى ان سوار صاحب رحبة سوار وهو من المشهورين قال انصرفت يوما من دار الخليفة المهدي فلما دخلت منزلي دعوت بالطعام فلم تقبله نفسي فأمرت به فرفع ثم دعوت جارية كنت أحبها وأحب حديثها واشتغل بها فلم تطب نفسي فدخل وقت القائلة فلم يأخذني النوم فنهضت وأمرت ببغلة لي فأسرجت فركبتها فلما خرجت من المنزل استقبلني وكيل لي ومعه مال فقلت ما هذا فقال ألفا درهم جبيتها من مستغلك الجديد قلت أمسكها معك واتبعني وأطلقت رأس البغلة حتى عبرت الجسر ثم مضيت في شارع دار الرقيق حتى انتهيت الى الصحراء ثم رجعت الى باب الانبار وانتهيت الى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب خادم فعطشت فقلت للخادم أعندك ماء تسقينيه قال نعم ثم دخل واحضر قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها منديل فناولني فشربت وحضر وقت العصر فدخلت مسجدا على الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتي اذا أنا بأعمى يلتمس فقلت ما تريد يا هذا قال اياك أريد قلت فما حاجتك فجاء حتى جلس الى جانبي وقال شممت منك رائحة طيبة فظننت أنك من أهل النعيم فأردت أن أحدثك بشيء فقلت قل قال ألا ترى الى باب هذا القصر قلت نعم قال هذا القصر كان

لابي

لابى فباعه وخرج الى خراسان وخرجت معه فزالت عنا النعم التى كنا فيها وعميت فقدمت هذه المدينة فأتيت صاحب هذه الدار لاسأله شيئا يصلني به وأتوصل الى سوار فانه كان صديقا لابى فقلت ومن أبوك قال فلان بن فلان فعرفته فاذا هو كان من أصدق الناس الى فقلت له ياهذا ان الله تعالى قد أتاك بسوار منعه من الطعام والنوم والقرار حتى جاء به فاقعده بين يديك ثم دعوت الوكيل فاخذت الدراهم منه فدفعتها اليه وقلت له اذا كان الغد فسر الى منزلي ثم مضيت وقلت ما احدث أمير المؤمنين بشيء أطرف من هذا فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لى فلما دخلت عليه حدثته بما جرى لى فأعجبه ذلك وأمر لى بألفى دينار فأحضرت فقال ادفعها الى الاعمى فنهضت لاقوم فقال اجلس فجلست فقال أعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت خمسون ألفا فحادثنى ساعة وقال امض الى منزلك فمضيت الى منزلى فاذا أنا بخادم معه خمسون ألفا وقال يقول لك أمير المؤمنين اقض بها دينك قال فقبضت منه ذلك فلما كان من الغد أبطأ على الاعمى وأتانى رسول المهدى يدعونى فجئته فقال قد فكرت البارحة فى أمرك فقلت يقضى دينه ثم يحتاج الى القرض أيضا وقد أمرت لك بخمسين ألفا أخرى قال فقبضتها وانصرفت فجاءنى الاعمى فدفعت اليه الالفى دينار وقلت له قد رزقك الله تعالى بكرمه وكافأك على احسان أبيك وكافأنى على اسداء المعروف اليك ثم أعطيته شيئا آخر من مالى فاخذه وانصرف والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن ذلك ما حكاه القاضى يحيى بن اكثم) رحمة الله تعالى عليه قال دخلت يوما على الخليفة هارون الرشيد ولد المهدى وهو مطرق مفكر فقال لى أتعرف قائل هذا البيت

الخير أبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

فقلت يا أمير المؤمنين ان لهذا البيت شأنا مع عبيد بن الابرص فقال على بعبيد فلما حضر بين يديه قال له أخبرنى عن قضية هذا البيت فقال يا أمير المؤمنين كنت فى بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية فى يوم شديد الحر سمعت ضجة عظيمة فى القافلة ألحقت أولها بآخرها فسألت عن القصة فقال لى رجل من القوم تقدم تر ما بالناس فتقدمت الى أول القافلة فاذا أنا بشجاع أسود فاغر فاه كالجذع وهو يخور كما يخور الثور ويرغو كرغاء البعير فهالنى أمره وبقيت لا أهتدى الى ما أصنع فى أمره فعدلنا عن طريقه الى ناحية أخرى فعارضنا ثانيا فعلمت انه لسبب ولم يجسر احد من القوم ان يقربه فقلت أفدى هذا العالم بنفسى وأتقرب الى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا فأخذت قربة من الماء تقلدتها وسللت سيفى وتقدمت فلما رآنى قربت منه سكن وبقيت متوقعا منه وثبة يبتلعنى فيها فلما رأى القربة فتح فاه فجعلت فم القربة فى فيه وصببت الماء كما يصب فى الاناء فلما فرغت القربة تسيب فى الرمل ومضى فتعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لحجنا ثم عدنا فى طريقنا ذلك وحططنا فى منزلتنا تلك فى ليلة مظلمة مدلهمة فاخذت شيئا من الماء وعدلت الى ناحية عن الطريق فقضيت حاجتى ثم توضأت وصليت وجلست أذكر الله تعالى فأخذتنى عينى فنمت مكانى فلما استيقظت من النوم لم أجد للقافلة حسا وقد ارتحلوا وبقيت منفردا لم أر أحدا ولم اهتد الى ما افعله واخذتنى حيرة وجعلت اضطرب فاذا بصوت هاتف اسمع صوته ولا أرى شخصه يقول

يا أيها الشخص المضل مركبه * ما عنده من ذي رشاد يصحبه
دونك هذا البكر منا تركبه * وبكرك الميمون حقا تجنبه
حتى اذا ما الليل غاب غيهبه * عند الصباح في الفلا نسيبه

فنظرت فاذا أنا ببكر قائم عندي وبكري الى جانبي فانخته وركبته وجنبت بكري فلما سرت قدر عشرة اميال لاحت لي القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر فعلمت انه قد حان نزولي فتحولت الى بكري وقلت

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب * ومن هموم تضل المدلج الهادي
الا تخبرني بالله خالقنا * من الذي جاء بالمعروف في الوادي
وارجع حميدا فقد أبلغتنا مننا * بوركت من ذي سنام رائح غادي

فالتفت البكر الي وهو يقول

أنا الشجاع الذي الفيتني رمضا * والله يكشف ضر الحائر الصادي
فجدت بالماء لما ضن حامله * تكرما منك لم تمنن بانكاد
فالخير يبقى وان طال الزمان به * والشر اخبث ما اوعيت من زاد
هذا جزاؤك مني لا امن به * فاذهب حميدا رعاك الخالق الهادي

فعجب الرشيد من قوله وأمر بالقصة والابيات فكتبت عنه وقال لا يضيع المعروف أين وضع (موعظة) حكى انه كان بمدينة بغداد رجل يعرف بأبي عبد الله الاندلسي وكان شيخا لكل من بالعراق وكان يحفظ ثلاثين الف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ القرآن بجميع الروايات فخرج في بعض السنين الى السياحة ومعه جماعة من أصحابه مثل الجنيد والشبلي وغيرهما من مشايخ العراق قال الشبلي فلم نزل في خدمته ونحن مكرمون بعناية الله تعالى الى أن وصلنا قرية من قرى الكفار فطلبنا ماء نتوضأ به فلم نجد فجعلنا ندور بتلك القرية واذا نحن بكنائس وبها شمامسة وقساقسة ورهبان وهم يعبدون الاصنام والصلبان فتعجبنا منهم ومن قلة عقلهم ثم انصرفنا الى بئر في آخر القرية واذا نحن بجوار يستقين الماء على البئر وبينهن جارية حسنة الوجه ما فيهن أحسن ولا أجمل منها وفي عنقها قلائد الذهب فلما رآها الشيخ تغير وجهه وقال هذه ابنة من فقيل له هذه ابنة ملك هذه القرية فقال الشيخ فلم لا يدللها أبوها أو يكرمها ولا يدعها تستقي الماء فقيل له أبوها يفعل ذلك بها حتى اذا تزوجها رجل أكرمته وخدمته ولا تعجبها نفسها فجلس الشيخ ونكس رأسه ثم أقام ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا يكلم أحدا غير انه يؤدي الفريضة والمشايخ واقفون بين يديه ولا يدرون ما يصنعون قال الشبلي فتقدمت اليه وقلت له يا سيدي ان أصحابك ومريديك يتعجبون من سكوتك ثلاثة أيام وأنت ساكت لم تكلم أحدا قال فأقبل علينا وقال يا قوم اعلموا أن الجارية التي رأيتها بالامس قد شغفت بها حبا واشتغل قلبي بها وما بقيت أقدر أفارق هذه الارض قال الشبلي فقلت له يا سيدي أنت شيخ أهل العراق ومعروف بالزهد في سائر الآفاق وعدد مريديك اثنا عشر ألفا فلا تفضحنا واياهم بحرمة الكتاب العزيز فقال يا قوم جرى القلم بما حكم ووقعت في بحار العدم وقد انحلت مني عرى الولاية وطويت اعلام الهداية ثم انه بكى بكاء شديدا وقال

يا قوم

يا قوم انصرفوا فقد نفذ القضاء والقدر فتعجبنا من أمره وسألنا الله تعالى ان يجيرنا من مكره
ثم بكينا وبكى حتى أروى التراب ثم انصرفنا عنه راجعين الى بغداد فخرج الناس الى لقائه
ومريدوه في جملة الناس فلم يروه فسألونا عنه فعرفناهم بما جرى فمات من مريديه جماعة كثيرة
حزنا عليه وجعل الناس يبكون ويتضرعون الى الله تعالى ان يرده عليهم وأغلقت الرباطات
والزوايا والخوانق ولحق الناس حزن عظيم فاقمنا سنة كاملة وخرجت مع بعض أصحابي نكشف
خبره فأتينا القرية فسألنا عن الشيخ فقيل لنا انه في البرية يرعى الخنازير قلنا وما السبب في
ذلك قالوا انه خطب الجارية من أبيها فأبى أن يزوجها الا ممن هو على دينها ويلبس العباءة
ويشد الزنار ويخدم الكنائس ويرعى الخنازير ففعل ذلك كله وها هو في البرية يرعى الخنازير
قال الشبلي فانصدعت قلوبنا وانهملت بالبكاء عيوننا وسرنا اليه واذا به قائم قدام الخنازير فلما
رآنا نكس رأسه واذا عليه قلنسوة النصارى وفي وسطه زناره وهو متوكئ على العصا التي كان
يتوكأ عليها اذا قام في الخطبة فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا يا شيخ ماذا الذي وماذا وما هذه
الكروب والهموم بعد تلك الاحاديث والعلوم فقال يا اخواني ليس لي من الامر شيء سيدي
تصرف في كيف شاء وحيث أراد ابعدني عن بابه بعد ان كنت من جملة احبابه فالحذر الحذر
يا أهل وداده من صده وابعاده والحذر الحذر يا أهل المودة والصفا من القطيعة والجفا ثم
رفع طرفه الى السماء وقال يا مولاي ما كان ظني فيك هذا ثم جعل يستغيث ويبكي ونادى يا شبلي
اتعظ بغيرك فنادى الشبلي باعلى صوته بك المستعان وأنت المستغاث وعليك التكلان اكشف
عنا هذه الغمة بحلمك فقد دهمنا أمر لا كاشف له غيرك قال فلما سمعت الخنازير بكاءهم
وضجيجهم أقبلت اليهم وجعلت تمرغ وجوهها بين أيديهم وزعقت زعقة واحدة دويت منها
الجبال قال الشبلي فظننت ان القيامة قد قامت ثم ان الشيخ بكى بكاء شديدا قال الشبلي فقلنا له
هل لك ان ترجع معنا الى بغداد فقال كيف لي بذلك وقد استرعيت الخنازير بعد ان كنت أرعى
القلوب فقلت يا شيخ كنت تحفظ القرآن وتقرؤه بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيأ فقال
نسيته كله الا آيتين فقلت وما هما قال قوله تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل
ما يشاء والثانية قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل فقلت يا شيخ
كنت تحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل تحفظ منها شيأ قال
حديثا واحدا وهو قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه قال الشبلي فتركناه وانصرفنا
ونحن متعجبون من أمره فسرنا ثلاثة أيام واذا به امامنا قد تطهر من نهر وطلع وهو يشهد شهادة
الحق ويجدد اسلامه فلما رأيناه لم نملك أنفسنا من الفرح والسرور فنظر الينا وقال يا قوم
اعطوني ثوبا طاهرا فاعطيناه ثوبا فلبسه ثم صلى وجلس فقلنا له الحمد لله الذي ردك علينا
وجمع شملنا بك فصف لنا ما جرى لك وكيف كان أمرك فقال يا قوم لما وليتم من عندي سألته
بالوداد القديم وقلت له يا مولاي أنا المذنب الجاني فعفا عني بجوده وبستره غطاني فقلنا له بالله
نسألك هل كان لمحنتك من سبب قال نعم لما وردنا القرية وجعلتم تدورون حول الكنائس
قلت في نفسي ما قدر هؤلاء عندي وأنا مؤمن موحد فنوديت في سري ليس هذا منك ولو شئت
عرفناك ثم احسست بطائر قد خرج من قلبي فكان ذلك الطائر هو الايمان قال الشبلي ففرحنا

به فرحا شديدا وكان يوم دخولنا يوما عظيما مشهودا وفتحت الزوايا والرباطات والخوانق ونزل الخليفة للقاء الشيخ وأرسل اليه الهدايا وصار يجتمع عنده لسماع علمه أو يدعون ألفا وأقام على ذلك زمانا طويلا ورد الله عليه ما كان نسيه من القرآن والحديث وزاده على ذلك فبينما نحن جلوس عنده في بعض الايام بعد صلاة الصبح اذا بطارق يطرق باب الزاوية فنظرت من الباب فاذا شخص ملتف بكساء أسود فقلت له ما الذى تريد فقال قل لشيخكم ان الجارية الرومية التى تركتها بالقرية الفلانية قد جاءت لخدمتك قال فدخلت فعرفت الشيخ فاصفر لونه وارتعد ثم أمر بدخولها فلما دخلت عليه بكت بكاء شديدا فقال لها الشيخ كيف مجيئك ومن أوصلك الى ههنا قالت يا سيدى لما وليت من قريتنا جاءنى من أخبرنى بك فبت ولم يأخذنى قرار فرأيت في منامى شخصا وهو يقول ان أحببت ان تكونى من المؤمنات فاتركى ما أنت عليه من عبادة الاصنام واتبعى ذلك الشيخ وادخلى فى دينه فقلت وما دينه قال دين الاسلام قلت وما هو قال شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقلت كيف لى بالوصول اليه قال اغمضى عينيك واعطينى يدك ففعلت فمشى قليلا ثم قال افتحى عينيك ففتحتهما فاذا أنا بشاطئ دجلة فقال امضى الى تلك الزاوية واقرئى الشيخ منى السلام وقولى له ان أخاك الخضر يسلم عليك قال فادخلها الشيخ الى جواره وقال تعبدى ههنا فكانت أعبد أهل زمانها تصوم النهار وتقوم الليل حتى نحل جسمها وتغير لونها فمرضت مرض الموت وأشرفت على الوفاة ومع ذلك لم يرها الشيخ فقالت قولوا للشيخ يدخل على قبل الموت فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليها فلما رأته بكت فقال لها لا تبكى فان اجتماعنا غدا فى القيامة فى دار الكرامة ثم انتقلت الى رحمة الله تعالى فلم يلبث الشيخ بعدها الا اياما قلائل حتى مات رحمة الله تعالى عليه قال الشبلى فرأيته فى المنام وقد تزوج بسبعين حوراء وأول ما تزوج بالجارية وهما مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما اه فليتأمل العاقل فى ذلك ولا يرى له فضلا على أحد من خلق الله تعالى فهو الفاعل المختار يعطى من يشاء ويمنع فالكل منه واليه (موعظة) قيل عشش ورشان فى شجرة فى دار رجل فلما همت أفراخه بالطيران زينت امرأة ذلك الرجل له أخذ أفراخ ذلك الورشان ففعل ذلك مرارا وكلما خرج الورشان أخذ أفراخه فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه السلام وقال يا رسول الله أردت ان يكون لى ولد يذكرون الله تعالى من بعدى فأخذها الرجل بأمر امرأته ثم أعاد الورشان الشكوى فقال سليمان لشيطانين اذا رأيتماه يصعد الشجرة فشقاه نصفين فلما أراد الرجل ان يصعد الشجرة اعترضه سائل فأطعمه كسرة من خبز شعير ثم صعد وأخذ الافراخ على عادته فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه السلام فقال للشيطانين ألم تفعلا ما أمرتكما به فقالا اعترضنا ملكان فطرحانا فى الخافقين اه (وكان الحسن بن صالح) اذا جاء سائل فان كان عنده ذهب أو فضة أو طعام أعطاه فان لم يكن عنده من ذلك شئ أعطاه دهنا أو غيره مما ينتفع به فان لم يكن عنده شئ أعطاه كحلا أو أخرج ابرة وخيطا فرقع بهما ثوب السائل (وحكى) ان رجلا جلس يوما يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج اليه وانتهره فذهب فاتفق بعد ذلك ان الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق

روجته

زوجته وتزوجت بعده برجل آخر فجلس يأكل معها في بعض الايام وبين أيديهما دجاجة مشوية وإذا بسائل يطرق الباب فقال الرجل لزوجته ادفعي اليه هذه الدجاجة فخرجت بها اليه فاذا هو زوجها الاول فدفعت اليه الدجاجة ورجعت وهي باكية فسألها زوجها عن بكائها فأخبرته ان السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذي انتهره زوجها الاول فقال لها أنا والله ذلك السائل (ومما وقفت عليه) ما حكي ان بعضهم قال دخلت البادية فاذا أنا بعجوز بين يديها شاة مقتولة والى جانبها جرو ذئب فقالت أتدري ما هذا فقلت لا قالت هذا جرو ذئب أخذناه صغيرا وأدخلناه بيتنا وربيناه فلما كبر فعل بشاتي ما ترى وأنشدت

بقرت شويهتي وفجعت قومي * وأنت لشاتنا ابن ربيب
غذيت بدرّها ونشأت معها * فمن انباك ان أباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء * فلا أدب يفيد ولا أديب

(قيل) مر عمرو بن عبيد بجماعة وقوف فقيل ما هذا قيل السلطان يقطع سارقا فقال لا اله الا الله سارق العلانية يقطع سارق السر (ومن ذلك ما حكي) ان رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل على حريمه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوي وحسده وقال في نفسه ان لم احتل على هذا البدوي في قتله أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدني منه فصار يتلطف بالبدوي حتى أتى به الى منزله فطبخ له طعاما وأكثر فيه من الثوم فلما أكل البدوي منه قال له احذر ان تقرب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى من ذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى أمير المؤمنين فخلا به وقال يا أمير المؤمنين ان البدوي يقول عنك للناس ان أمير المؤمنين ابخر وهلكت من رائحة فمه فلما دخل البدوي على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة ان يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنين كتب كتابا الى بعض عماله يقول له فيه اذا وصل اليك كتابي هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوي ودفع اليه الكتاب وقال له امض به الى فلان وائتني بالجواب فامتثل البدوي ما رسم به أمير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو بالباب اذ لقيه الوزير فقال أين تريد قال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين الى عامله فلان فقال الوزير هذا البدوي يحصل له من هذا التقليد مال جزيل فقال له يا بدوي ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذي يلحقك في سفرك ويعطيك ألفي دينار فقال له أنت الكبير وأنت الحاكم ومهما أردت افعل فقال أعطني الكتاب فدفعه اليه فأعطاه الوزير ألفي دينار وسار بالكتاب الى المكان الذي هو قاصده فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعد أيام تذكر الخليفة في أمر البدوي وسأل عن الوزير فأخبر بان له أياما ما ظهر وان البدوي بالمدينة مقيم فتعجب من ذلك وأمر باحضار البدوي فحضر فسأله عن حاله فأخبره بالقصة التي اتفقت له مع الوزير من أولها الى آخرها فقال له أنت قلت للناس عني اني ابخر فقال يا أمير المؤمنين انا أتحدث بما ليس لي به علم انما كان ذلك مكرا منه وحسدا وأعلمه كيف دخل به الى بيته وأطعمه الثوم وما جرى له معه فقال أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه ثم اتخذ البدوي وزيرا وراح الوزير بحسده اه (وحكي) ان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لما مرض مرضه الذي مات فيه دخل عليه بعض بني هاشم

ليعوده فلما استأذن عليه قام وجلس وأظهر القوة والتجلد وأذن للهاشمي فدخل عليه ثم قال متمثلا بقول أبي ذؤيب الهذلي من قصيدة رثى بها أولاده ماتوا بالطاعون

وتجلدي للشامتين أريهم * أني لريب الدهر لا أتضعضع

فأجابه الهاشمي على الفور من القصيدة المذكورة بعينها

وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

(ومما يشاكل ذلك) ما حكاه لي سيدي ومولاي عمدة العلماء الاعلام ونتيجة فضلاء الادباء الفخام الشيخ عبد الغني افندي الرافعي حفظه الله تعالى انه حكى له عبد الله افندي ابن قاضي الموصل ان بعض علماء بغداد وفد على دار الخلافة العلية في أيام السلطان سليم بن السلطان عثمان خان ونزل في دار صاحب المشيخة العظمى اذ ذاك فاتفق له ان رأى السلطان سليما في القائق بين أسكي دار واسلامبول لمرقائق الشيخ بالقرب من قائق السلطان فلما وقع عليه نظر الملك ورأى عليه سيما أهل العلم أحب ان يداعبه فقال عندما داناه

فيم اقتحامك لج البحر تركبه * وأنت يكفيك منه مصة الوشل

فأجابه على الفور من القصيدة

أريد بسطة كف استعين بها * على قضاء حقوق للعلا قبلي

فعند ذلك سأله عن مكانه فاخبر انه نزيل شيخ الاسلام ثم مر كل منهما بقائقه وبعد أيام اجتمع السلطان سليم بشيخ الاسلام وسأله عن الشيخ وذكر له صفته ثم أمره ان يسأله عن مراده فسأله من غير ان يعلمه ان ذلك عن أمر الملك فقال بغيتي القرية الفلانية في محل كذا ان أقطعنيها كفتني ولا أريد سواها فاخبر الملك بذلك فاقطعه القرية وعاد وقد ربحت تجارته ببضاعة أدبه (ومن هذا القبيل) ما وقع في عصرنا العرض بيك الاسعد رحمه الله تعالى انه حين بدا تغير ابراهيم باشا سرعسكر الدولة المصرية على بكوات عكا وكان جالسا على دكان في سوق العقادين من طرابلس الشام وكان أحد امراء الالايات جالسا على دكان يقابله فكتب له أمير الالاي يهدده ضمنا بقول عنترة من قصيدة وأرسل يقول له انظر خطي وهو

لي النفوس وللطير اللحوم وللـوحش العظام وللخيالة السلب

فأجابه بقوله من القصيدة بعينها وأرسل يقول له انظر خط من أحسن

ان كنت تعلم يا نعمان ان يدي * قصيرة عنك فالاحوال تنقلب

(وكتب العلامة زين الدين بن الوردي) الى قاضي القضاة الكمال البارزي وقد كان عزله من منصب القضاء وولى أخاه

حملتني وأخي تباريح البلا * وتركتنا ضدين مختلفين

يا حي عالم عصرنا وزماننا * ألك التصرف في دم الاخوين

فأجابه بقوله

أبا عمر انزجر عن مثل هذا * فاحمد بالولاية مطمئن

فان يك فيك معرفة وعدل * فاحمد فيه معرفة ووزن

(قال صاحب التالد والطريف) واذكر لك هنا حكاية لطيفة فيها لفظ أمرع من كلام الخصيب

أبي محمد أغرب فيه وأبدع كنت أقرأ عليه زمن الحداثة فذكرله أنني أوزن الشعر فاختبرني بكلام هذا نصه أدام الله عزك إن بيني و بينك ما شددت عليه من بعد ذلك راحتي ويحق ذا كم علينا فاعلوا من وذا مرع والحمد لله وقال لي أخرج من هذا الكلام بيتين تامين فقلت له هذا الشعر من بحر الوافر وآخر البيت الاول حرف العين من بعده وآخره أمرع فقال أحسنت اه

(وذكر ابن خلكان في تاريخه) انه كان بين الملك العادل نور الدين وبين أبي الحسن سنان صاحب قلاع الاسماعيلية ومقدم الفرق الباطنية مكاتبات ومحاورات فكتب اليه نور الدين كتابا يهدده فيه ويتوعده بسبب اقتضى ذلك فشق على سنان فكتب جوابه نثرا وأبياتا منها

يا ذا الذي بقراع السيف هددني * لا قام مصرع جنبي حين تصرعه

قام الحمام الى البازي يهدده * واستيقظت لاسود البر أضبعه

وقفنا على تفصيله وجمله وعلمنا ما هددنا به من قوله وعمله فيا لله العجب من ذبابة تطن في أذن فيل وبعوضة تعض في التماثيل ولقد قالها من قبلك قوم آخرون فدمرنا عليهم وما كان لهم ناصرون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وهي عجيبة طويلة غريبة (قال صاحب التالد والطريف) أنشدت بعض الاخوان الظرفاء بيتي ذي القرنين بن حمدان الحمداني وهما

اني لاحسد لا في اسطر الصحف * اذا رأيت اعتناق اللام للالف

وما أظنهما طال اعتناقهما * الا لما لقيا من شدة الشغف

فلما سمعهما قال وقد وقع لي في هذين البيتين حكاية لطيفة غريبة ظريفة وهي اني كنت أحب غلاما لطيفا أديبا ظريفا فكتبت له صورة لام ألف لا وقصدت بها ما قاله الشاعر في البيتين فكتب لا ا مفترقين هكذا وقصد أذيتي بها وأرسلها الي كأنه يقول لا املك من عناقي أبدا فكتبت له لفظ لام هكذا وأردت مقلوب ذلك فكتب لا متصلة هكذا وأرسلها الي فعلمت بذلك رضاه وتعجبت من فهمه وحذقه فلما اجتمعنا عتب علي وقال عميت الامر علي وأتعبتني قلت مثلك يصلح للمنادمة والمجالسة اه (قلت) وهذه الحكاية تشبه أن تكون عن أبي زيد السروجي أو من باب التجريد (قلت) ومثل هذين البيتين المتقدمين قول القائل

يا من اذا قرأ الانجيل ظل به * قلب الحزين يعف عن الاسلام منحرفا

اني رأيتك في نومي تعانقني * كما تعانق لام الكاتب الالفا

وقولي من قصيدة

ان تنأ عمن يعاني فيك كل عنا * فسبه صوب دمع للنوى وكفا

يا الحب صبرت لا ما قامتي أترى * يوما تعانق من أعطافك الالفا

وما أرق قول بعضهم في المعنى

حكت قامتي لاما وقامته منيتي * حكت ألفا للوصل قلت مسائلا

اذا اجتمعت لامي مع الالف التي * حكيتك قوالا ما بصبر فقال لا

(ذكر ابن خلكان في تاريخه) انه اجتمع الامام أبو بكر محمد بن الامام داود الظاهري وأبو

www.dorat-ghawas.com

العباس بن شريح في مجلس الوزير ابن الجراح فتناظرا فقال له ابن شريح أنت الذي تقول من كثرت لحظاته دامت حسراته أنا أبصر منك بالكلام فقال له أبو بكر لئن قلت ذلك فاني أقول

أنزه في روض المحاسن مقلتي * وامنع نفسي ان تنال المحرما
وأحمل من ثقل الهوى مالواته * يصب على الصخر الاصم تهدما
وينطق طرفي عن مترجم خاطري * فلولا اختلاسي رده لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم * فما ان أرى حبا صحيحا مسلما

فقال له ابن شريح ولم تفتخر علي ولو شئت أنا أيضا لقلت

ومسامر بالغنج من لحظاته * قد بت أمنعه لذيذ سناته
ضنا بحسن حديثه وغنائه * واكرر اللحظات في وجناته
حتى اذا ما الصبح لاح عموده * ولى بخاتم ربه وبراته

فقال أبو بكر يحفظ الوزير عليه ذلك حتى يقيم شاهدي عدل انه ولى بخاتم ربه فقال أبو العباس بن شريح يلزمني من ذلك ما يلزمك في قولك

أنزه في روض المحاسن مقلتي * وامنع نفسي ان تنال المحرما

فضحك الوزير وقال جمعتما لطفا وظرفا وفهما وعلما اه (وذكر أبو بكر الخطيب) انه كان في مدينة بغداد محلة تسمى باب الطاق كان بها سوق الطير يزعمون انه من عسر عليه أمر أطلق طيرا فيتيسر امره فحرعبد الله بن طاهر وقد طال مكثه في بغداد ولم يأذن له الخليفة بالذهاب فمر بذلك السوق فرأى قمرية تنوح فأمر بشرائها فامتنع صاحبها فدفع له بها خمسمائة درهم فاشتراها وأطلقها في ذلك السوق وأنشد يقول

ناحت مطوقة بباب الطاق * فجرت سوابق دمعي المهراق
كانت تغرد بالاراك وربما * كانت تغرد في فروع الساق
فرمى الفراق بها العراق فأصبحت * بعد الاراك تنوح في الاسواق
فجعت بافراخ فاسبل دمعها * ان الدموع تبوح بالاشواق
تعس الفراق وبت حبل متينه * وسقاه من سم الاساود ساقي
ماذا أراد بقصده قمرية * لم تدر ما بغداد في الآفاق
بي مثل ما بك يا حمامة فاسألي * من فك اسرك ان يحل وثاقي

قيل انه في ثاني يوم أطلق ورجع الى بلاده (وحكي عن خالد الكاتب) انه قال جاءني يوما رسول ابراهيم فسرت اليه فوجدته على فرش قد غاص فيها فاستجلى وقال أنشدني من أجود شعرك ما أنشدته

رأت منه عيني منظرين كما رأت * من الشمس والبدر المنير على الارض
عشية حياني بورد كأنه * خدود أضيفت بعضهن الى بعض
ونازعني كأسا كأن حبابها * دموعي لما صد عن مقلتي غمضي

www.dorat-ghawas.com

وراح فكل الراح فى حركاته * كفعل نسيم الريح فى الغصن الغض

فزحف حتى صار فى ثلثى الفراش وقال يافتى شبهوا الخدود بالورد وأنت شبهت الورد بالخدود فزدنى فأنشدته

عاتبت نفسى فى هوا * ك فلم أجدها تقبل
وأطعت داعيها اليـ * ـك ولم أطع من يعذل
لا والذى جعل الوجو * ه بحسن وجهك تمثل
لا قلت ان الصبر عنـ * ـك من الصبابة أجمل

فزحف حتى انحدر من الفراش واستخف طربا ثم قال للخادم كم معك لنفقتنا قال ثمانمائة وخمسون درهما فقال له اقسمها بينى و بين خالد فدفع لى نصفها وانصرفت (لطيفة) جاز بعض الظفاء على باب دار فعزمه شيخها وأدخله عنده وأجلسه فى المكان منفردا ثم استدعى بجاريتين احداهما صفراء والاخرى سوداء ودفع لكل واحدة مزهرا وقال لهما اضربا له عليهما وغنيا واشغلاه ثم ذهب الشيخ و بقى الضيف والجاريتان فلما اشتد به الجوع ومضى النهار ولم ير للطعام رائحة كتب فى مكان الشيخ هذين البيتين

يادعوة كانت علينا دعوة * عز الطعام بها وغيض الماء
سودا وصفرا كلما غنين لى * لعبت بى السوداء والصفرا

(يحكى) ان شهاب الدين الخفاجى المصرى شرب الدخان هو وجماعة فاعترض عليهم شيخى زاده فكتب له الشهاب بقوله

اذا شرب الدخان فلا تلمنا * وجد بالعفو يا روض الامانى
تريد مهذبا لاعيب فيه * وهل عود يفوح بلا دخان

فأجابه شيخى أفندى بقوله

اذا شرب الدخان فلا تلمنى * على لومى لابناء الزمان
أريد مهذبا من غير ذنب * كريح المسك فاح بلا دخان

(وحكى) عن شرف الدين بن الشريحى أنه اجتمع هو وشهاب الدين فى ليلة أنس عند الملك الناصر فاتفق ان قام شرف الدين الى الطهارة وعاد فأمره الناصر بالاشارة ان يصفع شهاب الدين فلما صفعه أمسك التلعفرى بذقن شرف الدين وأنشد سريعا وذقنه بيده

قد صفعنا بذا المحل الشريف * وهو ان كان يرتضى تشريفى
فارث للعبد من مصيف طباع * يا ربيع الندى والاحرى فى

فانقلب المجلس ضحكا (وروى) ان ابن القطان الشاعر البغدادى دخل ذات يوم على الوزير الرضى وعنده الحيص بيص الشاعر المشهور فقال ابن القطان قد نظمت بيتين لايمكن أن يعمل لهما ثالث لانى قد استوفيت المعنى فيهما فقال له الوزير هاتهما فانشده

زار الخيال بخيلا مثل مرسله * فما شفانى منه الضم والقبل
مازارنى قط الا كى يوافقنى * على الرقاد فينفيه و يرتحل

فقال الوزير للحيص بيص

ومادرى ان نومى حيلة نصبت * لطيفة حين أعيا اليقظة الحيل

(ومما يشاكل ذلك) ما اتفق للوزير القوصي وقد أنشد ابن الرصص بيتين بين يديه نظمهما في جارية حسناء كاملة المعاني والاوصاف وزعم انه لا ثالث لهما وهما

تبدت فهذا البدر منكسف بها * وحقك مثلي في دجا الليل حائر

وماست فشق الغصن غيظا ثيابه * ألست ترى أوراقه تتناثر

فاطرق الوزير يسيرا وقال

وفاحت فألقى العود في النار نفسه * كذا نقلت عنه الحديث المجامر

وقالت نغار الدر واسفر لونه * كذلك ما زالت تغار الضرائر

وكان في المجلس النواجي الشاعر فأنشد ارتجالا

وغنت فظل الجنك يطرق نفسه * وجادت لها بالروح منها المزامر

ومن لحظها الهندي في غمده اختفى * وظبي الفلا في القفر وهو نافر

ومن وجنتيها الورد راح بخجلة * ألست تراه أحمرا وهو فاتر

ومن ريقها الصهباء شكت نار شوقها * فاطفأها بالماء ساق مسامر

(ذكر ابن شاكر الكتبي) في تاريخه في ترجمة شمس الدين بن عفيف الدين التلمساني ان جماعة من أهل الادب اجتمعوا وعملوا سماعا وفيهم غلمان حسان فبعثوا منهم غلاما مليحا الى الشيخ عفيف الدين يطلبون شمس الدين للحضور فلما جاء الرسول كتب عفيف الدين على يده

أرسلتها الى رسولا في رسالته * حلو المراشف والاعطاف والهيف

وقد تمادى يسيرا اذ الك أنكما * أوقدتما النار في أحشاء ذي دنف

فلما حضر والده شمس الدين وأخبر بالقضية كتب الى والده

مولاي كيف انثنى عنك الرسول ولم * تسكن لوردة خديه بمقتطف

جاءتك من بحر ذاك الحسن لؤلؤة * فكيف ردت بلا ثقب الى الصدف

(ومما تضمن التاريخ المذكور) ان علية بنت المهدي العباسية أخت أمير المؤمنين هارون الرشيد كانت من أحسن خلق الله وجها وأظرف النساء واعقلهن ذات صيانة وأدب بارع تزوجها موسى بن عيسى العباسي وكان الرشيد يبالغ في اكرامها واحترامها ولها ديوان شعر عاشت خمسين سنة وتوفيت سنة عشر ومائتين وكان سبب موتها ان المأمون سلم عليها وضمها الى صدره وجعل يقبل رأسها ووجهها مغطى فشرقت من ذلك وماتت بعد أيام يسيرة وكانت تتغزل بشعرها في خادمين اسم الواحد طل والآخر رشا فمن قولها في طل وصحفت اسمه

أيا سروة البستان طال تشوقي * فهل لي الى ظل لديك سبيل

متى يلتقي من ليس يقضي خروجه * وليس لمن يهوى اليه وصول

فبلغ الرشيد ذلك فحلف أنها لا تذكره أبدا ثم تسمع عليها الرشيد يوما فوجدها وهي تقرأ في آخر سورة البقرة حتى بلغت قوله تعالى فان لم يصبها وابل فقالت فان لم يصبها وابل فالذي نهى

قوله فقال الوزير الخ هكذا بالاصل وفي غير هذا الكتاب ان الذي قال البيت الثالث هو الحيص بيص اه

عنه أمير المؤمنين فدخل الرشيد وقبل رأسها وقال لها قد وهبتك طلا ولا منعتك بعد هذا
عماتريدين وكانت من أعف الناس كانت اذا طهرت لازمت المحراب وان لم تكن طاهرة غنت
ولما خرج الرشيد الى الرى أخذها معه فلما وصل الى المرج نظمت قولها

ومغترب بالمرج يبكى لشجوه * وقد غاب عنه المسعدون على الحب
اذا ما أتاه الركب في نحو أرضه * تنشق يستشفى براحة الركب

وغنت بهما فلما سمع الرشيد الصوت علم انها قد اشتاقت الى العراق وأهلها فامر بردها ومن
شعرها

انى كثرت عليه فى زيارته * فمل والشئ مملول اذا كثرا
ورابنى منه أنى لا ازال أرى * فى طرفه قصراً عنى اذا نظرا

اه (لطيفة) يحكى ان عبد الملك بن مروان جمع عمر بن أبى ربيعة وكثير عزة وجميل بثينة
وأحضر لديه نادقة موقرة دراهم وقال لينشد كل واحد منكم بيتا فى الغزل فأيكم كان أبدع فهى
له بما عليها فقال جميل

ولو ان راقى الموت يرقى جنازتى * بمنطقها فى العالمين حييت

وقال كثير

وسعى الى بعيب عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالها

وقال عمر بن أبى ربيعة

فليت الثريا فى المنام ضجيعتى * لدى الجنة الخضراء اوفى جهنم

فقال له عبد الملك خذها يا صاحب جهنم والثريا هى بنت على بن عبد الله الاموية تزوجها سهل
ابن عبد الرحمن بن عوف الزهرى فقال فيه عمر

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمانى

وكان يتشبب بذكرها كثيرا حكى أنها واعدته يوما فجاءت فى الوقت الذى وعدته به فصادفت
أخاه الحرث قد نام مكانه ولم يشعر الحرث الا والثريا قد ألقت نفسها عليه فانتبه وجعل يقول
اعزبى عنى فلست بالفاسق أخزاكما الله فانصرفت فلما جاء عمر وأخبره الحرث بذلك فاغتم
لفواتها وقال له أيم الله لا تمسك أبدا وقد ألقت نفسها عليك فقال له الحرث عليك وعليها لعنة
الله ومات عمر بعد ان تاب وأحسن التوبة وقد عاش ثمانين سنة ويقال انه تغزل أربعين سنة
وتنسك أربعين سنة رحمه الله تعالى (روى) أنه عرضت جارية على الرشيد ليشتريها فطلب
بها البائع مبلغا جليلا فقال الرشيد أنا أعرض عليها بيتا ان أجابت عنه أعطيتك ما تقول
وزدتك والتفت اليها وقال

ماذا تقولين فيمن شفه أرق * من أجل حبك حتى صار حيرانا

فقالت بديها

اذا رأينا محبا قد أضر به * أمر الصبابة أوليناه احسانا

فأعجبه جوابها واشتراها (ومن اللطائف) ما حكى عن الشيخ يحيى الساحلى انه لما قدم دمشق

الشأم وقرأ في الجامع الاموي نظر الى غلام بديع الجمال فوقع حبه في قلبه فافتتن به فسأل عنه فأخبر عن أبيه وكان ممن يتردد الى الشيخ فاجتمع معه وقال له لم لا تحضر ولدك يتعلم عندي العلم فقال له انه يحضر علم الحساب عند بعض المشايخ فقال أنا أقرأ قبل شيخه فاذا حضر عندي يكون محصلا للفضيلتين فاجابه لذلك وأمر ابنه بما ذكر فتوجه الغلام عند الشيخ يحيي فاجلسه بجانبه وأطال القراءة في ذلك اليوم أكثر من الايام الماضية فلما انقضى الدرس وأراد الغلام الانصراف لقراءة علم الحساب دفع له الشيخ يحيي رقعة وقال ادفعها الى شيخك فلما حضر قال له ما أبطأك عن الحضور فاخبره بالقصة ودفع له الرقعة فاذا فيها

يا جاهلا علم الحساب وسيلة * تصطاد فيه فاتن الالباب
ان كنت في علم الحساب رزقته * فالله يرزقنا بغير حساب

فكتب له على ظهر الرقعة وأمره أن لا يحضر عنده بعدها فاخذ الغلام الرقعة ودفعها للشيخ يحيي فاذا فيها

لهوت به ظبيا اغر يرامه فيفا * ومذ صار تيا ابعثه للساخي

(ومما نقلته) ان أحد امراء العرب كان عنده جماعة من أجلاء العرب فقام صاحب المنزل الى الطهارة وعاد وهو قابض بيده على شيء من تحت ثوبه كهيئة المستبرئ من البول ودخل على الجماعة وهو على تلك الصفة وقال من يأخذ الذي بيدي الى زوجته فاطرق القوم خجلا فقام رجل منهم وقال زوجتي أولى به يا أمير العرب فاطلق الامير يده وقال هو لك خذه واذا بعقد جوهر في يده فبهت القوم وحسدوا الرجل فقال الامير للرجل ما أجرأك على ذلك قال ثقتي انه لا يظهر منك الا الكمال فدفع له ألف دينار (ذكر ابن خلكان) في تاريخه في ترجمة يحيي بن أكثم ما نصه رأيت في بعض المجاميع انه أي يحيي بن أكثم مازح الحسن بن وهب وهو يومئذ صبي ثم جمشه فغضب الحسن فانشد يحيي

أيا قمرا جمشته فتغضبا * واصبح لي من تيهه متجنبا
اذا كنت للتجميش والعض كارها * فكن أبدا يا سيدي متنقبا
ولا تظهر الاصداغ للناس فتنة * وتجعل منها فوق خديك عقربا
فتقتل مشتاقا وتفتن ناسكا * وتترك قاضي المسلمين معذبا

(قال صاحب التالد والطريف) أنشد الشيخ أبو اسحق الشيرازي امام الشافعية لنفسه

جاء الربيع وحسن ورده * ومضى الشتاء وقبح برده
فاشرب على وجه الحبيب * ووجنتيه وحسن خده

قال ابن السمعاني قال لي المظفر شعيب بن الحسين القاضي أنشدني الشيخ أبو اسحق الشيرازي هذين البيتين لنفسه ثم بعد مدة كنت جالسا عند الشيخ فذكر بين يديه ان هذين البيتين أنشدا عند القاضي عين الدولة حاكم صور بلد على ساحل بحر الروم فقال لغلامه احضر ذلك الشأن يريد الشراب فقد افتانا به الامام أبو اسحق فبكى الشيخ ودعا على نفسه وقال ليتني لم أقل هذين البيتين ثم قال لي كيف نردهما من أفواه الناس فقلت يا سيدي هيهات قد سارت بهما

www.dorat-ghawas.com

الركبان أورد ذلك ابن النجار في تاريخه واسمه محمد ويلقب محب الدين اهـ (لطيفة) حكى الصفدي بالوافي بالوفيات ان أبا الحسين الجزار رحمه الله ساله طلبته يوما أن تنزه فقالوا له ياسيدي أنت اجدر بشراء اللحم منا فتقدم للجزار وأطلعه من مكانه ووقف هو وأخذ السكين وقطع قطعا ثم انه قطع قطعة رديئة فقالوا له ياسيدي هذه ليست جيدة فقال الشيخ معتذرا والله يا أولادي لما وقفت خلف القرمة أدركني لؤم الجزارين (قصد ابن عيينة) قبيصة المهلبي واستماحه فلم يسمح له بشئ فانصرف مغضبا فتوجه اليه داود بن زيد بن حاتم فترضاه وأحسن اليه فقال في ذلك

داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذاك وانتما من عود
ولرب عود قد يشق لمسجد * نصفا وباقيه لحش يهودي
فالحش أنت له وذاك بمسجد * كم بين موضع مسلح وسجود

وله هجاء في خالد

أبوك لنا غيث نعيش بوبله * وأنت جراد لست تبقي ولا تذر
له أثر في المكرمات يسرنا * وأنت تعفي دائما ذلك الاثر

(ولما قتل) جعفر بن يحيى بكى عليه أبو نواس فقيل له اتبكي على جعفر وأنت تهجوه فقال كان ذلك لركوبه الهوى وقد بلغه والله اني قلت

ولست وان أطنبت في وصف جعفر * باول انسان خرى في ثيابه

فكتب يدفع اليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه (ودخل أبو دلامة على المهدي) وعنده اسمعيل بن علي وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بني هاشم فقال له المهدي والله ان لم تهج واحدا ممن في هذا البيت لاقطعن لسانك فنظر الى القوم وتحير في أمره وجعل ينظر الى كل واحد فيغمزه بان عليه رضاه قال أبو دلامة فازددت حيرة فما رأيت أسلم لي من أن اهجو نفسي فقلت

الا ابلغ لديك أبا دلامه * فلست من الكرام ولا كرامه
جمعت دمامة وجمعت لوما * كذاك اللؤم تتبعه الدمامه
اذا لبس العمامة قلت قرد * وخنزيرا اذا نزع العمامه

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد الا أجازه (وكان لاعرابي) امرأتان فولدت احداهما جارية والأخرى غلاما فرقصته أمه يوما وقالت معيرة لضرتها

الحمد لله الحميد العالي * انقذني اليوم من الجوالي
من كل شوهاء كشن بالي * لاتدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فاقبلت ترقص ابنتها وتقول

وما علي ان تكون جاريه * تغسل رأسي وتكون الفاليه
وترفع الساقط من خماريه * حتى اذا مابلغت ثمانيه
أزرتها بنقبة يمانيه * انكحتها مروان أو معاويه

www.dorat-ghawas.com

* أسهار صدق ومهور غاليه *

قال فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال وقال ان أمها حقيقة ان لا يكذب ظنها ولا تخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها لاضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة فبعث اليها بمائة ألف درهم (قيل) ان رجلا قال لولده وهو في المكتب في أى سورة أنت فقال لا أقسم بهذا البلد ووالدى بلا ولد فقال لعمرى من كنت ولده فهو بلا ولد (وأرسل رجل ولده) يشترى له رشاء للبئر طوله عشرون ذراعا فوصل الى نصف الطريق ثم رجع فقال يا أبت عشرون ذراعا فى عرض كم قال فى عرض مصيبتى فيك يا بنى (وكان لرجل من الاعراب) ولد اسمه حمزة فبينما هو يوما يمشى مع أبيه اذا برجل يصيح بشاب يا عبد الله فلم يجبه ذلك الشاب فقال ألا تسمع فقال يا عم كلنا عبيد الله فأى عبد الله تعنى فالتفت أبو حمزة اليه وقال يا حمزة فقال حمزة ابن الاعرابى كلنا حمير الله فأى حمزة تعنى فقال أبوه أعنيك يا من أخمد الله به ذكر أبيه (ويعجبنى قول الصفدى)

لولا شفاعة شعره فى صبه * ما كان زار ولا أزال سقاما
لكن تنازل فى الشفاعة عنده * وغدا على أقدامه يترامى

وقول ابن الصائغ

ثنى غصنا ومدّ عليه فرعا * كحظى حين أطلب منه وصلا
وبلبله على الارداف منه * فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

وقول الآخر

بدت ثريا قرطها وشعرها * متصل بكعبها كما ترى
يا عجبا لشعرها لما ابتدى * من الثريا فانتهى الى الثرى

وقول ابن نباتة

ويهيجنى رشأ يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

وقوله أيضا مضمنا

وضعت سلاح الصبر عنه لأنه * يغازل بالالحاظ من لا يغازله
وسال عذار فوق خديه سائل * على خده فليتق الله سائله

ولبعضهم فى ذم العذار

غدا لما التحى لبلائهما * وكان كأنه قمر منير
وقد كتب السواد بعارضيه * لمن يقرا وجاء كم النذير

وللآخر

مازال ينتف ريحانا بعارضه * حتى استطال عليه صار يحلقه
كأنما الموسى فوق عارضه * طول الزمان لموسى لا يفارقه

برهان الدين القيراطى

شبه السيف والسنان بعيني * من لقتلى بين الانام استحلا
فأبى السيف والسنان وقالا * حدّنا دون ذاك حاشا وكلا

ابن الصائغ

لمثلى من لواحظها سهام * لها فى القلب فتك أى فتك
اذا رامت تشك به فؤادا * يموت المستهام بغير شك

الصلاح الصفدى

يا عاذلا لى على عين محجبة * خف سحر ناظرها فالسحر فيه خفى
وخذ فؤادى ودعه نصب مقلتها * لا ترم نفسك بين السهم والهدف

آخر
أنفقت كنز مدامعى فى ثغره * وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة * فقضى وراح تغزلى فى البارد

عز الدين الموصلى

كالزرد المنظوم أصداغه * وخده كالورد لما ورد
بالغت فى اللثم وقبلته * فى الخد تقبيلا يفك الزرد

ابن نباتة

انسية فى مثال الجن تحسبها * شمس ابدت بين تشريق وتغميم
شفت لها الشمس ثوبا من محاسنها * فالوجه للشمس والعينان للريم

آخر
بصدرها كوكبا در كأنهما * ركنان لم يدنسا من لمس مستلم
صانتهما بستور من غلائلها * فالناس فى الحل والركنان فى الحرم

الصلاح الصفدى

تقول له الاغصان مذ هز عطفه * أتزعم ان اللين عندك ماقوى
فقم نحتكم للروض عند نسيمه * ليقضى على من مال منا الى الهوى

وكأنه ينظر الى قول السراج

ومهفهف عنى يميل ولم يمل * يوما الى فصحت من ألم الجوى
لم لا تميل الى يا غصن النقا * فأجاب كيف وأنت من جهة الهوى

(أراد ملك الروم ان يباهى أهل الاسلام) فبعث الى معاوية برجلين أحدهما طويل والثانى قصير شديد القوة فدعا للطويل بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت ثديه فلاموا قيسا على نزع السراويل فقال

أردت لكى مايعلم الناس انها * سراويل قيس والوفود شهود
وكيلا يقولوا غاب قيس وهذه * سراويل عادى نمته ثمود
وانى من القوم اليمانين سيد * وما الناس الا سيد ومسود

ثم دعا معاوية للرجل الشديد القوة محمد بن الحنفية فخيره بين ان يقعد فيقيمه أو يقوم فيقعده فغلبه فى الحالتين وانصرفا مغلوبين (وحكى الجاحظ) ما أخجلنى قط الا امرأة مرت بى الى صائغ فقالت له اعمل مثل هذا فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة أرادت ان

أعمل لها صورة شيطان فقلت لا أدري كيف أصوره فأتت بك الي لاصوره على صورتك وفي الجاحظ يقول بعضهم

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا * ما كان الا دون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه * وهو القذى في عين كل ملاحظ
ولو ان مرآة جلت تمثاله * ورآه كان له كاعظم واعظ

(قيل انه قدم تاجر الى المدينة) يحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود فشكا الى الدارمي وقد تنسك وتعبد فعمل بيتين وأمر من يغني بهما في المدينة وهما

قل للمليحة في الخمار الاسود * ماذا فعلت براهب متعبد
قد كان شمر للعبادة ذيله * حتى وقفت له بباب المسجد

فشاع الخبر في المدينة ان الدارمي رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم تبق في المدينة مليحة الا اشترت لها خمارا أسود فلما أنفذ التاجر ما كان معه رجع الدارمي الى تعبده وعمد الى ثياب نسكه فلبسها (ومر رجل أشمط) بامرأة عجيبة في الجمال فقال يا هذه ان كان لك زوج فبارك الله لك فيه والا فاعلمينا فقالت كأنك تخطبني قال نعم فقالت ان في عيبا قال وما هو قالت شيب في رأسي فثنى عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله ما بلغت عشرين سنة ولكنني أحببت ان أعلمك اني أكره منك مثل ما تكره مني (وقال عبد الله الماجشون) وهو من فقهاء المدينة قال لي المهدي يوما يا ماجشون ما قلت حين فارقت أحبابك قال قلت يا أمير المؤمنين

لله بالك على أحبابه جزعا * قد كنت أحذر هذا قبل ان يقعا
ما كان والله شؤم الدهر يتركني * حتى يجرعني من بعدهم جرعا
ان الزمان رأى الف السرور لنا * فدب بالبين فيما بيننا وسعى
فليصنع الدهر بي ما شاء مجتهدا * فلا زيادة شئ فوق ما صنعا

فقال والله لاعينك فأعطاه عشرة آلاف دينار (وحكى بعضهم) قال دخلنا الى دير هرقل فنظرنا الى مجنون في شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له أحسنت فأومأ بيده الى حجر يرمينا به وقال لمثلي يقال أحسنت ففررنا منه فقال أقسمت عليكم الا ما رجعتم حتى أنشد كم فان أنا أحسنت فقولوا أحسنت وان أنا أسأت فقولوا أسأت فرجعنا اليه فأنشد يقول

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم * وحملوها وسارت بالدمى الابل
وقلبت بخلال السجف ناظرها * ترنو الي ودمع العين ينهمل
وودعت ببنان زانها عنم * ناديت لاحملت رجلاك يا جمل
يا حادي العيس عرج كي أودعهم * يا حادي العيس في ترحالك الاجل
اني على العهد لم انقض مودتهم * يا ليت شعري لطول البعد ما فعلوا

فقلنا له ماتوا فقال وأنا والله أموت ثم شهق شهقة فاذا هو ميت (قيل لما ورد المهدي من الري الى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة

اني نذرت لئن رأيتك قادما * أرض العراق وأنت ذو وفر

لتصلين على النبي محمد * ولتملان دراهما بجرى

فقال المهدى صلى الله على محمد فقال أبودلامة ما أسرعك للاولى وابطأك عن الثانية فجعل وأمر ببدرة فصبت في حجره (وتزوج مغن) بنائحة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا في الرزق فقال لها ياهذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفى ذلك فان كان فرح دعوتي وان كان حزن دعوتك (وكان عروة بن الزبير صبورا حين يبتلى) حكى انه خرج الى الوليد بن يزيد فوطئ عظما فما بلغ الى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الاطباء فاجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقدا فقال ما أحب ان أغفل عن ذكر الله تعالى فاحمى له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدي ولم يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت في عضو فقد عوفيت في أعضاء فبينما هو كذلك اذ اتاه خبر ولده انه اطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينهما فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحدا لقد أبقيت جماعة (وقدم) على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعي مالي وعيالي ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالي فعرسنا في بطن واد فطرقنا سيل فذهب ما كان لي من أهل ومال وولد غير صبي صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الارض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب في بطنه وهو يأكل فيه فرجعت الى البعير فحطم وجهي برجليه فذهبت عيناي فاصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم ان في الدنيا من هو أعظم مصيبة منه (ومما نقلته) ما حكى عن مسلم ابن الوليد انه قال كنت يوما جالسا عنده خباء لي بازاء منزلي اذ مر بي انسان اعرفه فقمت اليه وسلمت عليه وجئت به الى منزلي لاضيفه وليس معي درهم بل كان عندي زوج اخفاف فارسلتهما مع جارية لي لبعض معارفي فباعهما بتسعة دراهم واشترى بها ما قلته لها من الخبز واللحم فجلسنا نأكل واذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب واذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم بن الوليد قلت نعم واستشهدت له بالضيف على ذلك فاخرج لي كتابا وقال هذا من الامير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتسكون في منزلك وثلاثة آلاف درهم تتجمل بها لقدومك علينا فادخلته الى داري وزدت في الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فاكلنا ثم وهبت لضيفي شيئا يشتري به هدية لاهله وتوجهنا الى باب يزيد بالرقة فوجدناه في الحمام فلما خرج استؤذن لي عليه فدخلت فاذا هو جالس على كرسي وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد أحسن رد وقال ما الذي اقعدك عنا قلت ذات اليد وانشدته قصيدة مدحته بها قال اتدرى لم أحضرتك قلت لا ادرى قال كنت عند الرشيد منذ ليال احادثه فقال لي يا يزيد من القائل فيك هذه الابيات

سل الخليفة سيفا من بني مضر * يمضي فيخترق الاجسام والهاما

كالدهر لا ينثني عما يهم به * قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا ادري يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله ايقال فيك مثل هذا ولا تدرى من قاله فسألت فقيل لي هو مسلم بن الوليد فارسلت اليك فانهض بنا الى الرشيد فسرنا اليه واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلنا الارض وسلمت فرد على السلام فانشدته مالي فيه من شعر فامر لي بمائتي

ألف درهم وأمر لي بزيد بعبائة وتسعين ألف درهم وقال ما ينبغي لي ان أساوي أمير المؤمنين
في العطاء اه (نادرة) قيل ترافق رجلان في طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال أحدهما
للآخر قد صار لي عليك حق واني رجل من الجان ولي اليك حاجة قال وما هي قال اذا وصلت
الى المكان الفلاني من هذه المدينة فهناك عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر
وأنا أيضا لي اليك حاجة قال وما هي قال اذا ركب الجني انسانا ما يعمل له قال تشد ابهاميه بسير
من جلد اليحمور وتقطر في أذنيه من ماء السداب أربعا وفي اليسرة ثلاثا فان الراكب له يموت ثم
تفرقا ودخل الانسي ففعل ما أمره به الجني من شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد أيام الا وقد
أحاط به أهل صبية من تلك البلدة وقالوا له أنت ساحر ومن حين ذبحت الديك سلبت صبية
عندنا عقلها فلا ندلك الا الى صاحب المدينة قال فقلت لهم ائتوني بسير من جلد اليحمور
وقليل من ماء السداب ودخلت على الصبية فربطت ابهاميها وقطرت ماء السداب في أذنيها
فسمعت صوتا يقول آه علمتك على نفسي ثم مات من ساعته وشفى الله تلك الشابة واليحمور دابة
وحشية لها قرنان طويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالايل يلقي قرنيه كل
سنة وهما صامتان وقال الجوهري هو الحمار الوحشي (ومن اللطائف ما حكاه أبو الفرج في كتاب
النساء) وابن الكرديوس في الاكتفاء قالا كانت عند أبي العباس السفاح أم سلمة بنت
يعقوب بن عبد الله المخزومي وكان قد أحبها حبا شديدا ووقعت في قلبه موقعا عظيما فحلف لها
ان لا يتخذ عليها سرية ولا يتزوج عليها امرأة فوفى لها بذلك فخلا به خالد بن صفوان يوما وقال له
يا أمير المؤمنين فكرت في أمرك وسعة ملكك وانك قد ملكت نفسك امرأة واقتصرت عليها
فاذا مرضت مرضت واذا حاضت حضت وحرمت نفسك التلذذ بالسراري واستطراف
الجواري ومعرفة اختلاف حالاتهن والتمتع بما تشتهي منهن فمنهن يا أمير المؤمنين
الطويلة الغيداء والعيقة الادماء والرهيفة السمراء والمولدات المغنيات اللواتي يفتن
بحلاوتهن ولو رأيت يا أمير المؤمنين السمراء واللعساء من مولدات البصرة والكوفة وذوات
الالسن العذبة والقدود المهفهفة والاوساط المخصرة والثدي النواهد المحققة وحسن زيهن
وشكلهن لرأيت فتنا ومنظرا حسنا وأين أنت يا أمير المؤمنين من بنات الاحرار والنظر الى
ما عندهن من الحياء والتخفر والدلال والتعطر ولم يزل خالد يجيد في الوصف ويكثر في الاطناب
بحلاوة لفظه وجودة كلامه فلما فرغ قال له أبو العباس ويحك والله ما سلك مسامعي قط كلام
أحسن مما سمعته منك فاعده علي فاعاده عليه وزاد فيه ثم انصرف خالد وابقى العباس متفكرا
مغموما فدخلت عليه أم سلمة وكانت تبره كثيرا وتتحرى مسرته وموافقته في جميع ما أراده فقالت
له مالي أراك مغموما يا أمير المؤمنين فهل حدث أمر تكرهه أو أتاك أمر ارتعت له قال لم يكن
شيء من ذلك قالت فما قصتك فجعل يكتم عنها فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد قالت فما قلت
لابن الفاعلة قال سبحان الله ينصحني وتشتمينه فخرجت من عنده وأرسلت الى خالد عبيدا
وأمرتهم بضربه والتنكيل به قال خالد وانصرفت الى منزلي مسرورا بما رأيت من اصغاء أمير
المؤمنين الى كلامي واعجابه بما ألقيت اليه وأنا لا اشك في الصلة فلم ألبث ان جاء العبيد فلما
رأيتهم أقبلوا نحوي أيقنت بالجائزة فوقفوا علي وسألوا عني فعرفتهم نفسي فاهوى الى أحدهم

بعمود

www.dorat-ghawas.com

بعمود كان في يده فبادرت الى الدار وأغلقت الباب ومكثت أياما لا أخرج من منزلي وطلبني أمير المؤمنين طلبا شديدا فلم أشعر ذات يوم الا بقوم هجموا علي فقالوا أجب أمير المؤمنين فأيقنت بالموت وقلت لم أر دم شيخ أضيع من دمي وركبت فلم أصل الى الدار حتى استقبلني عدة رسل فدخلت على أمير المؤمنين فوجدته جالسا فأومأ الي بالجلوس فثاب الي عقلي وفي المجلس باب عليه ستور قد أرخيت وخلفه حركة فقال لي يا خالد مذ ثلاث لم أرك قلت كنت عليلا يا أمير المؤمنين قال انك وصفت في آخر دخلة لي من أمر النساء والجواري ما لم يطرق سمعي قط كلام أحسن منه فأعده علي قال نعم يا أمير المؤمنين أعلمك ان العرب انما اشتقت اسم الضرة من الضرر وان أحدا لم يك عنده امرأتان الا كان في ضرر وتنغيص قال ويحك لم يكن هذا في حديثك قلت نعم يا أمير المؤمنين ان الثلاث من النساء كأثافي القدر تغلي عليها أبدا وان الاربع شر مجموع لصاحبه يهرمنه ويسقمنه ويضعفنه وان أبكار الاماء رجال ولكن لا خصي لهن قال فقال أبو العباس برئت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سمعت منك من هذا شيأ قط قال خالد بلى والله يا أمير المؤمنين وعرفتك ان بني مخزوم ريحانة قريش وان عندك ريحانة الرياحين وأنت تطمح بعينك الى الاماء والسراري قال خالد فقال لي أبو العباس ويحك أتكذبني قلت أتقتلني يا أمير المؤمنين قال فسمعت ضحكا من وراء الستر وقائلا يقول صدقت والله يا عماه هذا الذي حدثته ولكنه بدل وغير ونطق على لسانك بما لم تنطق به قال خالد فقمت عنهما وتركتهما يتراوضان في أمرهما فما شعرت الا برسل أم سلمة معهم المال وتخوت ثياب فقالوا لي تقول لك أم سلمة اذا حدثت أمير المؤمنين فحدثه بمثل حديثك هذا انتهى (ومن البدائع ما يحكى) ان السلطان الملك الكامل أصبح متمرضا فأشار عليه الاطباء باستعمال شراب ليمون شتوي فأمر بعض الخدام باحضاره لمفضي الخادم وأحضر شراب ليمون سائل فقال الطبيب ما طلبت الا شتويا وهذا سائل ردوه فقال الامير صلاح الدين والله ما من عادة مولانا السلطان أن يرد سائلا فقال السلطان والله ما أرد سائلا هاتوه أحسنت والله يا صلاح الدين فأكله وكان الشفاء فيه (ونظير ذلك ما حكي) انه كان بالقاهرة شاب حسن الوجه يسمى بركن الدين وله معلم اسمه ابراهيم وكان ممن يتهم به وكان بعض الادباء يميل الى هذا الصبي وله فيه غزل حسن قال الناقل فركبت يوما مع الامير صلاح الدين فمررنا على باب ذلك الصبي فوجدت ذلك الاديب قريبا من الباب فقلت له أي شيء تصنع ههنا فقال أطوف بالبيت فلعلي استلم الركن أو أصل الى مقام ابراهيم فاستحسنت ذلك منه وسألني الامير صلاح الدين ما معنى ذلك فغالطته في الجواب فأقسم ان لا بد ان أخبره فأخبرته فاستحسن ذلك منه وأمر باحضاره الى مجلسه ونال منه راحة (ذكر ابن الجوزي في كتاب تلقيح فهوم الادباء) عن محمد بن عثمان بن أبي خيثمة السلمي عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف ذات ليلة في سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فأشربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى ماجد الاعراق مقتبل * سهل المحيا كريم غير ملجاج
تنميه أعراق صدق حين تنسبه * أخي وفاء عن المكروب فراج

www.dorat-ghawas.com

فقال عمر رضي الله عنه لا أدري معي بالمدينة رجل تهتف به العواتق في خدورهن علي بنصر ابن حجاج فلما أصبح أتي بنصر بن حجاج فاذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لتأخذن من شعرك فأخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه فقال له عمر والله لا تساكني في بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ما ذنبي قال هو ما أقول لك ثم سيره الى البصرة وخشيت المرأة التي سمع منها عمر ما سمع ان يبدر من عمر اليها شئ فدست اليه أبياتا وهي

قل للامام الذي تخشى بوادره * مالي وللخمر أو نصر بن حجاج

لا تجعل الظن حقا ان تبينه * ان السبيل سبيل الخائف الراجي

ان الهوى زم بالتقوى لتحبسه * حتى يقر بالجام واسراج

قال فبكى عمر رضي الله عنه وقال الحمد لله الذي زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد خرج في ازار ورداء وبيده الدرة فقالت يا أمير المؤمنين والله لاقفن أنا وأنت بين يدي الله تعالى وليحاسبنك الله أيبيتن عبد الله وعاصم الى جنبيك وبيني وبين ابني الفيافي والاودية فقال لها ان ابني لم تهتف بهما العواتق في خدورهن ثم ارسل عمر الى البصرة بريدا الى عتبة فقال عتبة من أراد أن يكتب الى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فاسمع مني هذه الابيات

لعمري لئن سيرتني أو حرمتني * وما نلت من عرضي عليك حرام

فأصبحت منفيا طويا بحنية * وبعض أماني النساء غرام

ظننت بي الظن الذي ليس بعده * بقاء ومالي جرمه فألام

فيمنعني مما تقول تكرمي * وآباء صدق سالفون كرام

ويمنعها مما تقول صلاتها * وحال لها في قومها وصيام

فهاتان حالانا فهل أنت راجعي * فقد جب مني كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر رضي الله عنه هذه الابيات قال أما ولي السلطان فلا وأقطعه دارا بالبصرة في سوقها فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة اه (قيل دخل بعض الشعراء) على الاديب جمال الدين بن نباتة فرأى في نواحي منزله نملا كثيرا فأنشد يقول

مالي أرى منزل المولى الاديب به * نملا تجمع في ارجائه زمرا

فأجابه ابن نباتة بقوله

لا تعجبن اذن من نمل منزلنا * فالنمل من شأنها ان تتبع الشعرا

هذا آخر ما أردت ايراده في هذا الذيل مما وقفت عليه من المستظرف والنكات المفتخرة والزند الواري والتالد والطريف وغير ذلك والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(هذا*

www.dorat-ghawas.com

(هذا كتاب تأهيل الغريب للامام تقي الدين بن حجة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي هدانا لتأهيل الغريب فأكرمنا مثواه وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله فله الحمد على هذه النعمة التي هي عن كثير من الناس بمعزل اذ غريب الادب لم يتأهل بقفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بل وقر في صدور وهبت عليها نسمات الالهام فتكاملت بالنفس العالي (وأعرضت عن)

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالي

(ولكنها خيمت على)

سموت اليها بعد ما نام أهلها * سمو حباب الماء حالا على حال

نعم هذا البيت نعم السكن لتأهيل الغريب فدعني بالله من سقط اللوى وذكرى حبيب فنشكر الحمد على علو الدرجات من فهم هذه الدقائق في كل ساعه (ونشهد) أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة معترف بجابر الالهام في تدبير هذه الصناعه (ونشهد) أن محمدا عبده ورسوله الذي أدبه ربه فأدبنا حسن تأديبه وأرشدنا جزاه الله تعالى عنا خيرا الى معرفة بديع الادب وغريبه (فصلى) الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تأدبوا بآدابه وثبتوا أوتاد بيوته من غير فاصلة وتمسكوا بأسبابه وسلم تسليما كثيرا (وبعد) فان غريب الادب قد مزقته الشتات أيدي سبا ونظمه بعد تأهيل غربته في اسلاك الغربا وقد هزتني حمية الادب الى لم شمله واجتماعه بالنسيب من أهله (ولما) جعلت لهذا الكتاب جامعا أصلت أقلام التأليف في قبلته (وقد سميته تأهيل الغريب) والمرجو من الله حسن المطابقة في تسميته اذ غريب الادب قد صار في هذا العصر من العنقاء أغرب وكم شن عليه الغارة متأدب ولم يتأدب (ولما) حصل في بديعه هذه البدعه ابتدأت أغاليه وأخرج من بيوته وعزت مطالبه الرجعه (ولهذا قال المصائي)

أحب الشعر يبتدع ابتداعا * وأكره منه مبذولا مشاعا

(وقد) أنفت ان افتح باب بيت عقده البذل وان كان بديعا ولم ارض من هذا النحو بغير التسهيل ليسير الاعراب عنه مرفوعا (فقد قال بديع الزمان) قد يوحش اللفظ وكله ود ويكره الشيء وليس منه بد (والعرب) تقول لا أبا لك ولا يقصدون الذم وويل امه لامر اذا هم (قلت) وهذا الشمل ما أظن أحدا قبلي لمه في كتاب ولا نحا هذا النحو ولا اعرب هذا الاعراب فاذا قدمت متأخرا وأخرت متقدما ولم أرتب الانواع فالقصد انني اذا ظفرت بغريب أهلته على الفور وأضعت نشره بعد ما ضاع اذ رب الجمال في كل محل ينظر الحسن تجميله وعلى كل حال أم عمرو جميله (والله تعالى) يؤلف قلوب أهل الذوق على حلاوة تأليفه ويعين على جمع أصناف المحاسن في تصنيفه بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى (ذكر الاصمعي) ان أغرب بيت نظم في اغزال العرب (قول جميل)

خليلي فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

(ومن هنا) أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

www.dorat-ghawas.com

أبكي اشتياقا اليها وهي قاتلتي * يا من رأى قاتلا يبكيه مقتول

(ومن غريب) الاغزال المحمسة (قول عنترة)

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * مني وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

(هذا النوع) سماه علماء البديع الافتنان لاشتماله على فني الغزل والحماسة (كقول أبي دلف)

أحبك يا ظلوم فانت مني * مكان الروح في صدر الجبان

ولواني أقول مكان روحي * خشيت عليك بادرة الطعان

(وأبدع منه وأغرب قول الارجاني)

كم طعنة نجلاء تعرض بالحمى * من دون نظرة مقلة نجلاء

فتحدثا سرا فحول قبابها * سمر الرماح يملن للاصغاء

(الذي) يظهر لي ان الصاحب فخر الدين بن مكانس من هنا ولد معنى شجرة السرح (وقال)

مالت على النهر اذ جاش الخرير به * كأنها أذن مالت لاصغاء

(شيخ شيوخ حماة المحروسة)

ونحن معاشر نلقى الدنايا * ونلبس من صوان العرض سردا

نعانق من رماح الخط بانا * ونشق من سيوف الهند وردا

(وقال مهيار في بيت واحد وأجاد)

وأتعب من حاولت يا قلب وصله * حبيب سنان السمهري رقيبه

(وممن) تفنن بين رقة الغزل وفخامة الحماسة ابراهيم بن محمد الانصاري المنبوز بطويجن (فمن ذلك) قوله الذي أجاد فيه الى الغاية

خطرت كمياد القنا المتأطر * ورنت بالحاظ الغزال الاعفر

وأتتك بين تطاعن وتذاعن * في قدها قسورة وعطفه جوذر

وبملعب الصدغين مطرد وجنة * زحفت عليه كتائب ابن المنذر

(ومثله في الحسن قوله)

زارت وفي كل مرمى لحظ محترس * وحول كل كناس لحظ محترس

وان تلاحظها الزاهي الضحي نطقت * سيوف آبائها عن آية الحرس

(ابن الساعاتي وأجاد)

يهوى قوام الرمح وهو مهفهف * والسيف في وجناته توريد

فكأنما سمر الرماح معاطف * والهام فوق صدورهن نهود

(ويعجبني هنا قول نصر الله بن قلاقس)

عقدوا الشعور معاقد التيجان * وتقلدوا بصوارم الاجفان

ومشوا وقد هزوا الرماح قدودهم * هز الكماة عوالي المران

وتدرعوا زردا فخلت أراقما * جعلت ملابسها على الغزلان

(ومن)

(ومن) لطائف المتأخرين في هذا الباب أعني الغزل المحمس قول الوداعي

لقيتني بصدرها فتوهمت عناقا أهدى الى اللقاء
وعداني يا قوم ان العوالي * عند اشراعها تراق الدماء

(ومن بديع الفاضل وغريبه)

تلقى عروس المنايا وهي حاسرة * وخدها فيه من فيض الدما خفر
والضرب بالبيض من آثاره عكن * والطعن بالسمر من آثاره سرر

(ومثله قوله في ضرب ممدوحه بالسيوف)

تمد الى الاعداء منها معاصما * فترجع من ماء الكلا باساور

(ومثله قوله سقى الله ثراه)

وخدود الارض مشرقة * من دم والخيل خيلان

(ابن قلاقس وأجاد)

وغزال لدن المعاطف كالخو * طرقيق الخدود كالجريال
عسكري يصول في معرك الحب بما فيه من سلاح الجمال

(ومثله قول مجير الدين بن تميم)

بروحي من الاتراك ظبي تخافه * اذا ما سطا أسد الشرى وتحاذره
فما حيلتي فيمن اذا رمت وصله * ثني طرفه نحو الحسام يشاوره

(قلت هذا التضمين بعد من المرقص والمطرب (ومثله قول سبط التعاويذي)

بين السيوف وعينيه مشاكلة * من أجلها قيل للاغماد أجفان

(ومن ناصح ابن قلاقس هنا قوله)

تقفوها من القدود رماحا * وانتضوها من الجفون صفاحا
يا لها سالة من الطلى حالت * فاستحالت من بعد ذاك كفاحا
صح اذ وردت العيون دماء * انهم أثخنوا القلوب جراحا

(وما أحلى ما قال بعده)

يا فؤادي وقد أخذت أسيرا * أتقطرت أم وضعت السلاحا

(ومن مدائحه في الملك المعظم قوله)

ولقد أشبهت الثغر منك مهندا * خلناه ذاك العضب رد لغمده
فكأن ثغرك اقحوانة ثغره * وكأن باسك جلنارة خده

(صفوان المريسي وأجاد)

يرى اعتناق العوالي في الوغى غزلا * لان خرصانها من فوقها مقل

(وقلت) من قصيدتي التي كتبت بها جوابا عن صاحب تونس الى صاحب الاندلس

وسال عذار السيف فوق خدودهم * فأظهر بعد الشيب خدا موردا
وكم زرد قد فك فوق مسبله * الى ان رأسا عذارا مزردا

(انتهى) ما أوردته من تأهيل الغريب في الغزل المحمس ولم أكثر منه الالانه عزيز الوجود

www.dorat-ghawas.com

جداً غير أني أعرضت في هذا الكتاب عن كثير من البديع الغريب المختلف الانواع والغيته لعقادة وجدتها في تركيبه وسفالة في ألفاظه (كقول) عنترة في معلقته يصف روضة بديعة رأى فيها (ذبابا)

وخلا الذباب بها فليس ببارح * غردا كفعل الشارب المترنم
هزجا يحك ذراعه بذراعه * قدح المكب على الزناد الاجذم

(فهذا) التشبيه معدود من التشابيه العقم وهذا مسلم غير ان عقادة التركيب هنا في تقديم الالفاظ وتأخيرها اسفرت عن أقطع يحك ذراعه بذراعه (وقول امرئ القيس في معلقته)

وتعطو برخص غير شثن كأنه * أسارير ظبي أو مساويك اسحل

(فغاية) امرئ القيس انه هنا شبه أنامل محبوبته بأسارير وهي دواب تكون في الرمل ظهورها ملس ومساويك اسحل والاسحل شجر أغصانه ناعمة (أين هذا من قول الراضي بالله)

قالوا الرحيل فأنشبت اظفارها * في خدها وقد اعتقلن خضابا
فكأنها بأنامل من فضة * غرست بارض بنفسج عنابا

(فالتشابيه) التي تقادم عهدها للعرب رغب المولدون عنها فانها مع عقادة التركيب وخشونة الالفاظ لم تسفر عن معنى بديع الا فيما قل وندر (وقال أبو محجن الثقفي في وصف قينة)

ترجع الصوت أحيانا وتخفضه * كما يطن ذباب الروضة الغرد

قال ابن رشيق خولفت العرب في كثير من الشعر الى ما هو أليق منه وأمس بالوقت وأليق باهله فان القينة الجميلة لم ترض ان تشبه بنفسها بالذباب كما قال ابو محجن (قلت) والعرب عذرها واضح في ذلك فانه لم يسعها أن تذكر غير ما وجدته في المهامه المقفرة من الذباب والاساريع وشجر الاسحل وما أشبه ذلك ومن أين للعرب أن تقول (كقول ابن المعتز في الهلال)

فانظر اليه كزورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

(وهي) عن الزورق والعنبر وعن كثير من ذلك بمعزل (قلت) وأين وصف عنترة لروضته بالذباب والاجذم من وصف العلامة يحيى بن هذيل المغربي لروضته الاريضة حيث أتى ببديع الغريب وقال

نام طفل النبت في حجر النعاما * لاهتزاز الطل في مهد الخزامى
وسقى الوسمي أغصان النقا * فهوت تلثم أفواه الندامى
كحل الفجر لهم جفن الدجى * وغدا في وجنة الصبح لثاما
تحسب البدر محيا ثملا * قد سقته راحة الصبح مداما
حوله الزهر كؤوس قد غدت * مسكة الليل عليهن ختاما

(ومثله في الحسن والغرابة)

وتحدث الماء الزلال مع الحصا * فجرى النسيم عليه يسمع ماجرى
فكأن فوق الماء وشيا ظاهرا * وكأن تحت الماء درا مضمرا

(ويعجبني هنا قول الشيخ محمد الارموي)

كم للنسيم على الربا من نعمة * وفضيلة بين الورى لن تجحدا

www.dorat-ghawas.com

ما زارها وشكت اليه مفاقة ❊ الا وهزلها الشمائل بالندى

(ومن بديع القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر وغريبه)

وبطحاء في وادي وقلت روضها ❊ ولا سيما ان جاد غيث مبكر
بها فاض نهر من لجين كأنه ❊ صفائح أضحت بالنجوم تسمر
فكم غازلته للغزالة مقلة ❊ تسارق أوراق الغصون فتنظر
تلاحظها عين تفيض بأدمع ❊ ترقرقها منه هناك محجر
اذا ما خرته الريح ولت عليلة ❊ باذيال كثبان الربا تتعثر
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا ❊ به الروض يحيي وهو لا شك جعفر

(قلت) التورية جاءت هنا في الفضل والربيع ويحيي وجعفر فهي من غريب لا عن قصد في تأليف اذا القصد في الغرابة في المعنى وربما ينتظم معي في هذا السلك جانب لغرابة المعاني (وأما) مجرد التورية وأقسامها وأنواعها فتجده في كتابي المسمى بكشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام (ومن بديع الغريب قول أبي اسحق ابراهيم بن خفاجة)

وقد نظرت شمس الاصيل الى الربا ❊ باضعف من طرف المريب وأفتر
ولاح على بلوره من غديرها ❊ شعاع شراب كالعشية أصفر
وصفرة مسواك الاصيل تروقني ❊ على لعس من مسقط الشمس أسمر

(قلت ومن الاستعارات التي تحصل النشوة بغريبها قول القائل)

والشمس لا تشرب خمر الندى ❊ في الروض الا بكؤس الشقيق

(ونظير هذه الاستعارة في الحسن قول ابن رشيق)

باكر الى اللذات واركب لها ❊ سوابق اللهو ذوات المراح
من قبل أن ترشف شمس الضحى ❊ ريق الغوادي من ثغور الاقاح

ومن مرقص الاستعارات ومطربها قول القائل

بحيرة جدول وسماء آس ❊ وأنجم نرجس وشموس ورد
ورعد مثالث وسحاب كاس ❊ وبرق مدامة وضباب ند

(ومن الغايات أيضا في هذا الباب قول مجير الدين بن تميم)

وليلة بت أسقي في غياهبها ❊ راحا تسل شبابي من يد الهرم
ما زلت أشربها حتى نظرت الى ❊ غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

(ومن ذلك قول ابن قلاقس وأجاد)

وفي طي أبراد النسيم خميلة ❊ باعطافها نور المنى يتفتح
تضاحك في مسرى المعاطف عارضا ❊ مدامعه في وجنة الروض تسفح
وتوري به كف الصبا زند بارق ❊ شرارته في فحمة الليل تقدح

(وتلطف هنا مجد الاربلي بقوله في الاستعارة المرشحة)

أصغي الى قول العذول بجملتي ❊ مستفهما عنكم بغير ملال
لتلقط زهرات ورد حديثكم ❊ من بين شوك ملامة العذال

www.dorat-ghawas.com

(ونظير ذلك قول مجير الدين بن تميم هنا)

كيف السبيل للثم من أحببته * من بعد ما نامت عيون الحرس
وأصابع المنثور تومي نحونا * حسدا وتغمزها عيون النرجس

(وقال محيي الدين بن قرناص في الاستعارة المرشحة وأجاد)

قد أتينا الرياض حين تجلت * وتحلت من الندى بجمان
ورأينا خواتم الزهر لما * سقطت من أنامل الأغصان

(ومنه قول بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي)

هلم يا صاح الى روضة * يجلو بها العاني صدا همه
نسيمها يعثر في ذيله * وزهرها يضحك في كمه

(ويعجبني هنا قول ابن النبيه)

تبسم ثغر الزهر عن شنب القطر * ودب عذار الظل في وجنة النهر

(ومن البديع الغريب في هذا الباب قول ابن سناء الملك)

سرى طيفه لا بل سرى لي سرابه * وقد طار من وكر الظلام غرابه
أتت مع نفس الليل صفحة وجهه * فقلت حبيب قد أتاني كتابه

(ومنه قوله)

بشوك القنا يحمون شهد رضابها * ولا بد دون الشهد من ابر النحل

(ومنه قوله)

ألقى حبائل صيد من ذوائبه * فصاد قلبي باشراك من الشعر

(وأبدع منه وأغرب قوله)

خصر ادير عليه معصم قبلة * فكأن تقبيلي له تعنيق

(والغاية التي لا تدرك في هذا الباب قوله)

بعثت لي على فم الطيف قبله * فأتاني بعض المسرة جمله

(ومن الاستعارات الحسنة قول شمس الدين بن العفيف في مديح النبي صلى الله عليه وسلم)

حياك يا تربة الهادي الرسول حيا * بمنطق الرعد باد من فم السحب

(وقال ابن قلاقس وأجاد)

هدتنا للسرور نجوم راح * بها قذفت شياطين الهموم
وكف الصبح يلقط ما تبدى * بجيد الليل من درر النجوم

(قلت) ويعجبني في الاستعارات المرشحة قول ابن أسعد الموصلي يتشوق الى دمشق المحروسة ويذكر أيامه بها

سقى دمشق وأياما مضت فيها * مواطر السحب ساريها وغاديها
ولا يزال جنين النبت ترضعه * حوامل المزن في أحشا أراضيها

(ومن بديع الاستعارات قول ابن زيدون من قصيدته المشهورة)

سران في خاطر الظلماء يكتمنا * حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

www.dorat-ghawas.com

(قد تقدم) ما صدرنا به من كلام العرب في الغزل ولكن الميل الى زخارف المتأخرين أطلق عنان القلم الى هذا الاستطراد (وقد تعين) ان نشرع في تكميل ماسبقوا اليه اذهم ولاة هذا الشأن والسابقون الى حلبة هذا الميدان ثم بعد ذلك نذكر مازخرفه المتأخرون بعدهم من بديع الغريب في كل نوع لا أتقيد بنوع واحد ولا بتقديم متأخر وتأخير متقدم قيل أمدح بيت قالته العرب (قول أبي الطمحان القيني)

أضاءت لهم احسابهم ووجوههم * دجا الليل حتى نظم الجذع ثاقبه

(وقيل بل قول جرير)

ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح

(وقال الاصمعي بل قول حسان بن ثابت)

يغشون حتى ماتهر كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل

(قلت) واحشم المدائح قول حسان بن ثابت في النبي صلى الله عليه وسلم

ما ان مدحت محمدا بمقالتي * لكن مدحت مقالتي بمحمد

(ومن بديع مدائح العرب وغريبها قول العرندس أحد بني بكر بن كلاب)

لا ينطقون عن الفحشاء ان نطقوا * ولا يمارون ان ماروا باكثار

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التي يسري بها الساري

(ومنه قول الحطيئة)

كسوب ومتلاف اذا ماسألته * تهلل واهتز اهتزاز المهند

متى تأته تعشو الى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد

(الاخينس الطائي)

نزلت على آل المهلب شاتيا * غريبا عن الاوطان في زمن محل

فما زال بي اكرامهم وافتقادهم * وبرهم حتى حسبتهم أهلي

(زهير بن أبي سلمى)

فما كان من خير أتوه فانما * توارثه آباء آبائهم قبل

وهل ينبت الخطي الا وشيجه * وتغرس الا في منابتها النخل

(وقال يمدح هرم بن سنان المري وأجاد)

أخو ثقة لا يهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك معطيه الذي أنت سائله

(وقال آخر وأجاد)

قوم اذا اشتجر القنا * جعلوا الصدور لها مسالك

اللابسين قلوبهم * فوق الدروع لدفع ذلك

(ولبعضهم)

يبيتون في المشتى خماصا وعندهم * من الزاد فضلات تعد لمن يقري

اذا ضل عنهم ضيفهم رفعوا له * من النار في الظلماء ألوية حمرا

(قال ابن الاعرابي وقول أبي نواس أمدح شعر قاله المحدثون حيث قال)

أنت الذي تأخذ الايدي بحجزته * اذا الزمان على أنيابه كلحا
وكلت بالدهر عينا غير غافلة * من جود كفك تأسو كلما جرحا

(مسلم بن الوليد)

أعطى فأنأى المنى أدنى عطيته * وأرهق الوعد نجحا غير مكدود
يجود بالنفس ان ضن البخيل بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود

(ومن هنا ولد القائل وهو أبو تمام)

ولو ان ما في كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

(البحتري) ومصعد في هضاب المجد يقرعها * كأنه لسكون الجاش منحدر
ما زال يسبق حتى قال حاسده * له طريق الى العلياء مختصر

(أبو نواس يمدح الفضل بن الربيع)

قولا لهارون امام الهدى * عند احتفال المجلس الحاشد
أنت على ما بك من قدرة * فلست مثل الفضل بالواجد
أوجده الله فما مثله * لطالب ذاك ولا ناشد
وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

(مسلم بن الوليد يمدح المأمون وأجاد)

بأبي وأمي أنت ما أندى يدا * وأبر ميثاقا وما أزكالك
يغدو عدوك خائفا فاذا رأى * ان قد قدرت على العقاب رجالك

(أشجع السلمي يمدح الرشيد)

وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا غفا * سلت عليه سيوفك الاحلام

(العكوك يمدح أبا دلف)

انما الدنيا أبو دلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

(وقال فيه أيضا)

الله أجرى من الارزاق أكثرها * على يديك بعلم يا أبا دلف
ما خط لا كاتباه في صحيفته * كما تخطط لا في سائر الصحف
بارى الرياح فأعطى وهي جارية * حتى اذا وقفت أعطى ولم يقف

(ابن شرف وأجاد)

لمختلفي الحاجات جمع ببابه * فهذا له فن وهذا له فن
فللخامل العليا وللمعدم الغنى * وللمذنب العتبى وللخائف الامن

(وقال يمدح علي بن أبي الرجال الكاتب وأجاد)

جاور عليا ولا تحفل بحادثة * اذا ادرعت فلا تسأل عن الاسل

سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد * ملء المسامع والافواه والمقل

(المهلب بن الزبير وأجاد)

ومن عجب ان السيوف لديهم * تحيض دماء والسيوف ذكور
واعجب من ذا انها فى اكفهم * تؤجج نارا والاكف بحور

(الواوا الدمشقى يمدح سيف الدولة بن حمدان)

من قاس جدواك بالغمام فما * انصف فى الحكم بين شكلين
أنت اذا جدت ضاحك أبدا * وهو اذا جاد دامع العين

(أبو بكر بن اللبانة وأجاد)

أراشوا جناحى ثم بلوه بالندى * فلم أستطع من أرضهم طيرانا

(أبو الطيب المتنبى)

هم المحسنون الكر فى حومة الوغى * وأحسن منهم كرهم فى المكارم
ولولا احتقار الاسد شبهتها بهم * ولكنها معدودة فى البهائم

قلت قول بديع الزمان أبدع فى هذا المعنى وأكثر فوائد (وهو)

وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا * لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت * والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

(السرى الموصلى)

نسب أضاء عموده فى رفعة * كالبدر فيه ترفع وضياء
وشمائل شهد العداة بفضلها * والفضل ما شهدت به الاعداء

(أبو الفتح كشاجم)

ياسيد العرف اسرارا واعلانا * ومتبع البر والاحسان احسانا
اقلع سحابك قد غرقتنى مننا * ما أدمن الغيث الا كان طوفانا

(وأحسن منه قول ابن نباتة السعدى)

ان كنت ترغب فى بذل النوال لنا * فاخلق لنا رغبة أولا فلا تنل
لم يبق جودك لى شيأ أؤمله * تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

(واختصره أبو العلاء فى بيت واحد وأجاد)

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

(ولله در القائل)

فتى دفع ابخل الزمان بجوده * ولا طيب الا دفعك الضد بالضد

(السلامى يمدح عضد الدولة وقد تقدم بما قاله على من تقدم واعجز والله من تأخر)

اليك طوى عرض البسيطة جاعل * قصار المطايا ان يلوح لها قصر
وبشرت آمالى بملك هو الورى * ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر

(وقد) أخذ القاضى ناصح الدين الارجانى هذا المعنى وسبكه فى قوله

ياسائلى عنه لما أطلت أمدحه * هذا هو الرجل العارى من العار

لو زرته لرأيت الناس في رجل * والدهر في ساعة والارض في دار

(فالارجاني أخذ) المعنى بكماله ولكنه قصر عن رشاقة بيت السلامي وطلاوته (وقد) استعمل أبو الطيب المتنبي أيضا هذا المعنى ولكن لم يكمله حيث قال

هي الغرض الاقصى ورؤيتك المنى * ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق

(وكان عضد الدولة يقول) اذا رأيت السلامي في مجلسي ظننت ان عطارد اقد نزل من الفلك ووقف بين يدي (أبو الحسن البديهي وأجاد)

عممت الورى بالبر حتى كأنما * تردعليهم من لهاك غصوب

وعرفتهم طرق الثناء فكلهم * على طبقات شاعر وخطيب

رأى المزن ما تعطي فضم على الاسى * فؤادا كأن البرق فيه لهيب

وكم لاح برق وابتسمت اشائم * فكنت صدوق الوعد وهو كذوب

(أبو الفتح البستي وأجاد)

مدحتك فالتامت فلا تدلم يقر * بأمثالها صيد الملوك الاعاظم

لانك بحر والمعالي لآلئ * وطبعي غواص وشعري ناظم

(وقال وأجاد أيضا)

لا تظنن بي وبرك حي * ان شكري كشكر غيري موات

انا أرض وراحتاك سماء * والايادي وبل وشكري نبات

(مهيار الديلمي وأجاد)

واذا الاباء ألم قال لك انتقم * قالت خلائقك الكرام لك احلم

شرع من المجد انفردت بدينه * وفضيلة لسواك لم تتقدم

حتى لقد ودالبرىء بأنه * ادلى اليك بفضل جاه المجرم

(واعجبني من حماسة أبي تمام قول القائل الى الغاية)

لمست بكفي كفه ابتغي الغنى * ولم أدر ان الجود من كفه يعدي

فلا انا منه ما أفاد ذوو الغنى * أفدت وأعداني فأتلفت ما عندي

(قلت) واعجبني أيضا من حماسة أبي تمام قول الفرزدق حين قال الشامي لهشام بن عبد الملك عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم وقد دخل الحرم من هذا الذي أعظمه الناس وفرجوا له عن استلام الحجر الاسود فقال لا أدري (فقال) الفرزدق لله دره أنا أعرفه فقال الشامي من هذا يا أبا فراس (فقال الفرزدق)

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقي النقي الطاهر العلم

اذا رأته قريش قال قائلهم * الى مكارم هذا ينتهي الكرم

يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

ما قال لاقط الا في تشهده * لولا التشهد كانت لاؤه نعم

أي القبائل ليست في رقابهم * لا ولية هذا أوله نعم

بكفه خيزران ريحه عبق * بكف أروع في عرنينه شمم
يغضي حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يبتسم

(الارجاني يمدح المسترشد بالله)

ملك يقود جنودا من ملائكة * في طاعة الله لا يعصون ما أمرا
قوم اذا غرسوا بين الضلوع قنا * عادت ذوابل من هام العدا ثمرا

(وقال مثله وأجاد)

وأريتهم أعجاز يوم حفيظة * لم يبق صدق الضرب فيهم مطعنا
زرع الطعان فنبلت في ساعة * من هامهم وشعورهم سمر القنا

(ومن غرائب القاضي الفاضل هنا)

الله جارك والآجال كاشرة * من القواضب في عضل الثنيات
وقد تداعت بها الابطال واعترفت * والطعن بينهم مثل التحيات
وقد تهادت سيوف الهند اذ خضبت * كالشرب حين تهادى بالزجاجات

(ومن بديع غريبه قوله)

أهذه سير في المجد أو سور * وهذه أنجم في السعد أم غرر
وأنمل أم بحار والسيوف لها * موج وافرندها في لجها درر
وأنت في الارض أم فوق السماء وفي * يمينك البحر أم في وجهك القمر
يقبل البدر ترباً أنت واطئه * فللتراب عليه ذلك الاثر
(منها) نأى به الملك حتى قيل ذا ملك * دنا به الجود حتى قيل ذا بشر
في كل يوم لنا من مجده عجب * وكل ليل لنا من ذكره سمر
نظرت في نجمه فالسعد طالعه * لا ينقضي وعلى أعدائه سفر
أبا الفوارس والآباء مشفقة * وهم بنوك ولا تبقي ولا تذر
وأنت في جيش رأي لا غبار له * ترمي العداة بقوس ماله وتر
سقاك الله دنيانا فاخصبها * والعدل يفعل ما لا يفعل المطر
لما استقلت ستور الملك لاح لنا * ملك به الجود عين والثنا أثر
نال السماء باطراف القنا فبدت * من النصول عليها أنجم زهر

(منها)

لا يحدث النصر في اعطافهم مرحا * حتى كأنهم بالنصر ما شعروا
قلت السابق الى هذا المعنى كعب بن زهير في قصيدته النبوية (وهو قوله)
لا يفرحون اذا نالت رماحهم * قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا
(ولكن) تفضيل الفاضل والله أعلم فاضل (ومن قصيدة الفاضل قوله)
ترى غرائب من أفعال مجدهم * بردها الفكر لو لم يشهد النظر
(ومثله في بديع الغريب قوله)

www.dorat-ghawas.com

أهذا كفه أم غيث غوث * ولا بلغ السحاب ولا كرامه
وهذا بره أم لمع برق * ومن للبرق فينا بالاقامه
وهذا الجيش أم صرف الليالي * ولا سبقت جوار يهارجامه
وهذا الزهر ام عبد لديه * يصرف عن عزيمته زمامه
وهذا نصل غمدام هلال * اذا أمسى كنون أو قلامه
وهذا الترب أم خد لثيم * فآثار الشفاه عليه شامه
وهذا الدر منثور ولكن * أروني غير أقلامي نظامه
وهذي روضة تندى وسطري * بها غصن وقافيتي حمامه
وهذا الكأس روق من بنانى * وذكرك كان من مسك ختامه

(ومثله في الحسن قوله)

المضرمون لنار الحرب ليس لها * الا الرماح واضلاع العدا حطب
والشاربون كؤس الموت مترعة * وللاسنة في حافاتها حبب

(وقال من مديح قصيدة طائية وأجاد)

أما الثريا فنعل تحت أخمصه * وكل قافية قالت لذلك طا

(ومثله في الحسن قوله)

يقول ولو ان الليالي خصومه * ويمضي ولو ان النجوم مطالبه
وقد خفقت راياته فكأنها * أنامل في عمر العدو تحاسبه

(ومن غريب تخلص ابن هاني في مدائحه قوله)

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر * وأمدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر
أبني العوالي السمهرية والسيو * ف المشرفية والعديد الاكثر
من منكم الملك المطاع كأنه * تحت السوابغ تبع في حمير

(قيل) انه لما تجاهل في هذا البيت عن معرفته ترجل الجيش بكماله تعظيما للممدوح اذ هو ملكهم وهذه القصيدة سارت بمحاسنها الركبان منها

في فتية صدأ الدروع عبيرهم * وخلوقهم علق النجيع الاحمر
وتظل تسبح في الدماء قبابهم * فكأنهن سفائن في أبحر
حي من الاعراب الا انهم * يردون ماء الامن غير مكدر
لي منهم سيف اذا جردته * يوما ضربت به رقاب الاعصر
فغمامه من رحمة وعراصه * من جنة ويمينه من كوثر

(و يعجبني من هذا الباب قول ابن النبيه)

ملك زمام الزمان في يده * فاختلفت كاختلاف ألوانه
بيضاء يوم انطلاق أنعمه * حمراء يوم اعتقال مرانه

(ومثله

www.dorat-ghawas.com

(ومثله في الحسن قوله)

حملت أناملها السيوف فلم تزل * شكر المُلك سجدا أو ركعا
حلت فلا برحت مكانا لم يزل * من در أفواه الملوك مرصعا

(ومثله قوله)

سل عن مواقف بأسه لما التقت * يوم الهياج كتائب بكتائب
لمعت أسنته على أعلامها * فكأنها شهب ذوات ذوائب
تهوى الملوك الى التثام ترابه * فثغورهم كالدر بين ترائب

(وقال وأجاد)

ملك اذا ضاق الزمان بأهله * بخلا توسع في المكارم وانفسح
تكبو السحائب اذ تجاري كفه * فالغيث في جنباتها عرق رشح
وتكلف الأسد الهصور بعدله * في القفر أن يرعى الغزال اذا سنح
كم من خطيب ذاكر غيراسمه * لما تخنع قال منبره تنح
ذكر واسواه فنبهوا عن فضله * بيت الكريم دليله كلب نبح

(وقال) صحت له كيمياء المجد اذ سبكت * يمناه للبذل اكسيرا من الذهب

(ومن بديع شيخ شيوخ حماة هنا قوله)

اذا اعتقل السمر العوالي عاقه * بها العس عن كل الحلي ولماء
وأفنى العداضربا وطعنا كأنما * تردده فيهم تجلجل فأفاء

(ومن لطائف ابن قلاقس هنا قوله)

ملك اذا ركع الحسام بكفه * لم يلتفت الا الى رأس ساجد
شيم تقسمت المكارم فاغتدت * فرح الولي ورغم أنف الحاسد
غصب الكواكب وصفها فحدوده * في صورة المريخ ظرف عطارد
ذو العضب والعذب اللذين تكملا * قطع الوريد ووصل ري الوارد
ركبوا الجياد الجرد واعتقلوا القنا * فكأنهم أسد سطت بأساود

(ومن ذلك قوله)

يا فارس الاسلام حين ترجلت * فرسانه وتجادلت عن نصره
والصارم الذكر الذي اقتضت به * من خلف ستر النقع عذرة بكره

(وقال) من القوم ما غير الظبا لبيوتهم * أساس ولا غير الذوابل أركان
اذا جردوا بيض السيوف فمالها * سوى أرؤس الصيد البهاليل أجفان
ولست ترى في محكم الذكر سورة * تقوم مقام الحمد والكل قرآن
فلله منهم واحد بين قومه * وهم بين أحياء القبائل وحدان

(ومن لطائف ابن سناء الملك هنا قوله)

يا فالق الصبح من سيف براحته * أنت الذي فلق الهامات بالفلق

www.dorat-ghawas.com

فكم تركت بها كفا بلا عضد * وقد توسدها رأسا بلا عنق

(وقال) فأتى بأنواع فكر فيه مبتكر * لكن معاليه تأتينا بأجناس
فلق تراب مواطيه بأعيننا * وتحسد الرجل فيه قمة الراس
كانما الكف فيه مثل مصحفه * والثم فيها كاعشار وأخماس

(وقال من بعض مدائحه فى القاضى الفاضل)

فى الناس جود ولكن جود راحته * أربى عليهم وليس البحر كالنهر
تصنعوا وأتت طبعا مواهبه * تعطل البدو أحلى من حلى الحضر
والدهر مذ اليه كف مفتقر * لحد للدهر منه لحظ محتقر
ذاك الاجل وان يحك الورى شبها * فالمسك كالطين فى الالوان والصور
فى كفه قلم ان شئت أوقدر * يصرف الخلق بين النفع والضرر
منه الطروس حدود والسطور بها * مثل السوالف والطارات كالطرر

(ومنها) حبى صحيح وغيرى حبه كذب * انى جهينة فاسألنى عن الخبر

(وقال) تفنن فى اعطائه لعفاته * فلو سألوه المجد أعطاهم المجدا
ولا عيب أيضا فى مآثر بيته * سوى انها تروى بألسنة الاعدا
أقول لهذا الدهر ته واستطل به * فحسبك فخرا أن تكون له عبدا

(وقال) أخو فتكات لا تزال سيوفه * تخط سطورا النصر فى جبهة الكمى
فقد أرسلت حتفا الى كل كافر * كما أرسلت فتحا الى كل مسلم
وأصبح يعدى السيف تصميم عزمه * فمن ذاك سمى بالحسام المصمم
وأسهمه فى صدر كل مدرع * فما الدرع منها غير برد مسهم

(منها) رأيتك بحرا أطبق الارض مده * فلم يبق عندى رخصة فى التيمم
فخذها وقد جاءتك من متأخر * مجيد وليس الفضل للمتقدم

(وقال) وخاض بهم فى البر بحرا من الردى * طرائقه سود وأمواجه حمر
فاقرب شئ بعد رؤيته الغنى * وأبعد شئ بعد رؤيته الفقر
ولا عيب فى انعامه غير انه * يعلم منه كيف يستعبد الحر
جرى الناس فى آثاره فتعثروا * ومن قبلهم ريح الجنائب والقطر

(ومن المدائح المخمسة لابن النبيه فى الاشرف)

امام جيشك أنى سار أربعة * نصل ونصر وآراء ورايات
وتحت غيل القنا فرسان معركة * لها ثبات وفى الهيجاء وثبات
أهلة فى سماء من مغافرها * لها النرائك أفلاك وهالات

(منها) صفائح هى اذ ذب الفرند بها * صحائف كتبت فيها المنيات
ان مس شمس الضحى من لمعها رمد * كحلنها بالعجاج الاعوجيات
أين المفر لسرب الروم من أسد * ضاوله من رماح الخط غابات

www.dorat-ghawas.com

دمياط طور ونار الحرب موقدة * وأنت موسى وهذا اليوم ميقات
ألق العصا تتلقف كل ماصنعوا * ولا تخف ماحبال القوم حيات
أصبتهم بسهام الحرب من حلب * وللمكايد من بعد اصابات
فطهر الله ذاك الثغر من قلح * أصابه وانجلت تلك الثنيات
فمن ثغر دمياط و برزخها * فتح له تفتح السبع السموات
يوم على الروم تمشي ريحه سحبا * أمطارهن مصيبات مصيبات
تخال البحر ذاك اليوم من دمهم * والموج ترقصه فيها المسرات

(ومما نسجته على هذا المنوال الذي يعجز الحريري طرحه قولي من قصيدة بديعة غريبة متمدحت بها المقر الاشرف السيفي تمربغا الافضلي ولعمري ان رواة الركبان سارت بحديث محاسنها

ان أبرقت في سما الهيجاء صوارمه * رأيت غيث دما الابطال قد مطرا
فمن رأى منهم برقا يلوح له * يظنه سيفه الماضي قد اشتهرا
له مطالعة في الحرب حين يرى * دم العدا فوق طرس الارض قد سطرا
ان أرسل القوم انشاقي رسائله * سجعات ضرب بها الهامات قد نثرا
كتابه السيف والخطي له قلم * والرسل أسهم حتف توضح الخبرا
ان كان قد نظم الاعدا مكيدتهم * فقل لهم انه من قبلهم شعرا
لانه بديع السيف لف لنا * شملا ولكن لارقاب العدا نشرا
وخط من فوق ألواح الصدور لهم * باما من الخوف في أحشائهم وقرا
وصار يكتب بالهندي و يعجم بالـ * ـخطي فعل شجاع قد قرا ودرى
تراه بالرمح بدرا حاملا غصنا * و بالتريكة غصنا حاملا قمرا
ان حن عود لضرب مال سامعه * والخيل يرقصها ان حرك الوترا
كانما الهام احداق أضربها * سهدوأسيافه في الحرب طيب كرى
وعندما اعتقل الخطار قيل لهم * ولوا فما ترى خطاره خطرا
ياأيها الملك الممدوح والبطل الـ * ـمسعود في الحرب ياجبرا لمن كسرا
أذكرتنا لعلي في وقائعه * وفي الفتوحات قد أذكرتنا عمرا
بالامس في حصن سيواس تجمعت الاحزاب * تحولك لما ان أتوا زمرا
فاذكروا سليمانا وقد نفروا * كالنمل من خوفهم يا آية الشعرا
جاؤا بعين ليقفوا منكم أثرا * لما تركت لهم عينا ولا أثرا
وعندما أعربوا عن رفع مبتدا * في الحرب صيرتهم بين الورى خبرا
صدمتهم بجنان لو صدمت به * صدر الصباح عقيب الليل ماسفرا
وكم علوت بنهد فوق صدر فتى * كلمه بلسان السيف مختصرا
وحين أوكبت بالشهباء جمعت السفراء * شوقا عساها بالشام ترى

وقد دخلت حماة نهي قد حميت * يا برد قلبي بعزم قط ما فترا
وقد تحسر عاصيها وخر لكم * طوعاً وساق الجواري نحوكم وجرى
ومذ سعدت بحمص يوم وقعتها * تجنبت أعداك حتى ركبهم نفرا
تركتهم لسيوف الهند أضحية * لما غدوا لك يا ليث الوغى بقرا
وفي طواف وداع الروح يوم وغى * صيرت كل شجاع يلثم الحجرا
غزوتهم في ربيع قد تلونت الكثبان فيه ولكن ربعهم صفرا

(وقلت من قصيد)

له راحة في السلم تقطر بالندى * ونيرانها في موقف الحرب ما تصلى
امام محاريب يبلغ ضربه * وان ركعت أسيافه تسجد القتلى
وكم عقدوا للحرب عقداً وأوثقوا * عراه فأبدى نقضه عند ما حلا
وكم رمدت عين الغزالة في الوغى * فصير من نقع اخيادلها كحلا
وكم حلم الاقران خوفاً بذكره * فأوجب من فيض الدماء لهم غسلا
أقام فروض الحرب مذ سن سيفه * فوانسب منها الخمس لما بها صلى
وأعجب من ذا ان عدل قناته * غدا اليوم في تجريحه شاهداً عدلا
فلو احربه لما شواهم بناره * وأكادهم من داخل الصدر قد سلا
وكم مال للتذبيح أبيض سيفه * بأحمر من قاني دمائهم وما كلا
وكم مر عيش القوم مذ سكب الدما * وأسيافه من ذلك السكب قد حلى
أقام لنا سوق القتال مسعرا * فما ارخص الاسرى وما أكثر القتلى
وجلى ظلام النقع صبح سيوفه * وعظم قدراً في الحروب وقد جلا
لحا الله حرباً لم يكن قلب جيشها * وعين شجاع لا يكون لها مقلا
له فرس كالنجم في اثر مارد * كأن هلال الافق صار لها نعلا
اذا ما علا من فوق افلاك ظهرها * تقل انبدر التم في أفقه حلا
سرى مثلاً في الشرق والغرب ذكره * وعلاه قدراً من له المثل الاعلى
فيا ملكاً يهوى الحروب ولم يهم * بقد ولا خد ولا مقلة كحلا
نصبت على هام انسماك مخيما * مديداً ورب العرش قد أسبغ الظلا

(ولما خذل الله عصابة الفرنج بساحل طرابلس المحروسة على يد المقر الاشرف الكافلي السيفي دمرداش الخاصكي سنة تسع وثمانمائة كتبت الى ابوابه العالية من حماة المحروسة)

قرأت نهار الحرب في سورة النصر * وأعداك تتلو في التغابن والحشر
اذا جاء نصر الله والفتح زلزلت * عداك برعد الخوف يا مالك العصر
بنو الاصفر اسودت وجوه لبوسهم * وفي أسود البحر ارتدوا بالدما الحمر
نثرت رقاب القوم مع نظم شملنا * بحق لقد ابدعت في النظم والنثر
وفي قطع كالليل لما أتوا أتت * سيوفك في ظلمائه سورة الفجر

بسطهم

www.dorat-ghawas.com

بسطتهم في البحر ثم كسرتهم * نعم أنت عين الدهر في البسط والكسر
وسكنتهم بالسيف في كل ساحل * فلم يقربوا من بعدها ساحل البحر
وطارت بهم غربانهم منك خيفة * وهل لغراب قدرة بلقا النسر
ومذ عربدوا في السكر في حانة الوغى * أذقتهم بالحد عاقبة السكر
وكم كسروا أنيابهم فتلقفت * سيوفك مثل اللسن من داخل الثغر
وهيجتهم خوفا بصدق عزائم * كأنك في الهيجاء نوع من السحر
وأزعجتهم لما شققت صدورهم * وأزعجت ردا لعجزهم على الصدر
وصح الهنا من أهل مصر بكسرهم * كما استبشروا من نيلهم ساعة الكسر
وأمنتنا بالشام من بعد خوفنا * وجاء الهنا من حيث ندري ولا ندري
وطيبة طاب العيش فيها لأهلها * وهب نسيم القرب من ذلك القبر
وحصن حماة أنت أنت حميته * بعزمة ليث لم يخف سطوة الدهر
رددت ملوك الارض عنه مخيفة * تقول وحق العصر انا لفي خسر
أطماعك عاصيها ولكن لهم عصى * فسائلهم ما رد الا من النهر
وكم صمموا في أخذها وتجاسروا * وامنعتهم ان يقربوا طرف الجسر
وعندك لما زاد جمعهم غدت * زيادته في الحرب كالواو في عمرو
وكم قائل لولا أشاهد في الوغى * فعائلهما كان صدقها فكري
تجر العدا جهرا لخفض رؤسها * سيوفك حتى خلتها احرف الجر
وهذي قسي الحرب امسى ركوعها * لديك ولم تبرح ملازمة الوتر
وتهتز اغصان القنا بك فرحة * فهل راجعت أيامها في ربا الزهر
أبا لهب يكني سنانك في الوغى * وتبت يدا الاعداء منه الى الحشر
به ترجم الاقران قبل قرانه * فقل لبني لهب كذا صنعة الزجر
سنان منير يا حبذا الصبح انبدا * طويل لسان وهو مع انه يجري

(ومن المخترعات الغريبة أيضا قولي من قصيدة امتدحت بها مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله من غيث الرحمة ثراه)

يا حامي الحرمين والاقصى ومن * لولاه لم يسمر بمكة سامر
والله ان الله نحوك ناظر * هذا وما في العالمين مناظر
فرج على اللمعون نظم عسكرا * وأطاعه في النظم بحر وافر
فابنت منه زحافه في وقفة * يا من بأحوال الوقائع شاعر
وجميع هاتيك البغاة بأسرهم * دارت عليهم من سطاك دوائر
وعلى ظهور الخيل ماتوا خيفة * فكأنها تيك السروج مقابر

(ومن غريبها أيضا قولي) .

واذا مددت يراع رمحك ماله * الاقسلوب الدارعين محابر

وذعال خيلك كالعيون ومالها * الا جماجم من قتلت محاجر
وكتبت بالهندي فيهم اسطرا * وصدورهم تحت الدروع مساطر
(منها) واذا سفرت بأفق موكبك الذي * عما حواه ملك قيصر قاصر
قلنا الاقمار السماء وقد بدت * هذا هو البدر المكمل سافر
(منها) والله بعدك لست أمدح في الورى * ملكا ولا ملكا ولا أنا شاعر
لكن ختامي ختم مدحك انه * مسك تضوع منه نشر عاطر
لازلت في مصر عزيزا حاكما * والشأم واديها بعدلك زاهر
(وكتب صاحب الاندلس الى صاحب تونس قصيدة دالية يحمس فيها واستنجده بها على خلاص سبتة من الفرنج ومطلعها)
حماة الهدى سبقا وان بعد المدى * فقد سألتكم نصرها ملة الهدى
(وورد) قاصد صاحب تونس يسأل العبد الجواب عن هذه القصيدة (فكتبت)
أجابكم عزم سبقنا به الندى * واسيافنا والله كذبت الصدى
(ومن بديع الغريب قولي منها)
اذا ماتثنى السمهري بقده * عليهم تراه صير الجمع مفردا
وسال عذار السيف فوق خدودهم * فأظهر بعد الشيب خدا موردا
وكم زرد قد فك فوق مسيله * الى أن رأيناه عذارا مزردا
وأظهر اعرابا لنا بيمينه * بليغا فقلنا لم يكن ذا مهندا
وقد هاج بحر الآل والخيل موجه * واسكنه بالشهب قد صار مزبدا
(منها) وصم الحصى كالشمع تحت نعالها * وقد أعرضت عمن أتاها مفندا
(ومن بديع الغريب في مدائحي المؤيدية قولي)
وما تأخرت عن قوم طغوا وبغوا * الا ومنك اليهم سارت الهمم
هامت بسيفك أرواح العدا فاذا * جردته حن منهم نحوه قودم
وفارقت كل روح جسم صاحبها * كأنما سيفها من جسمه ألم
(ومن الغريب الذي يجب تأمله قول أبي الطيب المتنبي من قصيدة)
له أيادالي سابقة * اعدمنها ولا اعددها
(منها في المدح المحمس الغريب)
تبكي على الانصل الغمود اذا * أنذرها أنه يجردها
لعلمه انها تصير دما * وانه في الرقاب يغمدها
(ومن بديع الغريب قوله من غيرها)
يعطيك مبتدئا فان أعجلته * يعطيك معتذرا كمن قد أجرما
نصر الفعال على المطال كأنما * خال السؤال على النوال محرما
(ومن المرقص في هذا الباب قوله)

www.dorat-ghawas.com

باذا الذي يهب الكثير وعنده * أني عليه باخذه أتصدق
أمطر علي سحاب جودك ثرة * وانظر الي برحمة لا أغرق
(وقال من غيرها)
يفنى الكلام ولا يحيط بفضلكم * أيحيط ما يفنى بما لا ينفد
(ومن بديع الغريب قوله)
تخرج عن حقن الدماء كأنه * يرى قتل نفس ترك رأس على جسم
(منها وأجاد)
وتمنا بأن تعطى فلم تجد لنا * خلناك قد أعطيت من قوة الوهم
(ومنها) وأطمعتني في نيل ما لا أناله * بما نلت حتى صرت أطمع في النجم
(وقال من قصيدة)
وظنوني مدحتهم قديما * وأنت بما مدحتهم مرادي
(قلت) هذا المعنى سبقه اليه أبو تمام وهو أسمح واقعد في التركيب (وهو)
وان جرت الالفاظ يوما بمدحة * لغيرك انسانا فأنت مرادي
(وقال أبو الطيب من قصيدة)
محبك حيثما اتجهت ركابي * وضيفك حيث كنت من البلاد
قلت هذا البيت ركبت عليه من قصيدة ابي تمام بيتا قصدرتهما في بعض ترسلاتي فسارت بمحاسنهما الركبان وعدوهما من المرقص والمطرب (والبيت)
وما سافرت في الآفاق الا * ومن جدواك راحلتي وزادي
(و يعجبني قوله من قصيدة)
وهبك سمحت حتى لا جوادا * فكيف علوت حتى لا رفيعا
(وقال من قصيدة)
قوم بلوغ الغلام عندهم * طعن نحور الكماة لا الحلم
كأنما يولد الندى معهم * لا صغر عاذر ولا هرم
اذا تولوا عداوة كشفوا * وان تولوا صنيعة كتموا
تظن من فقدك اعتدادهم * انهم انعموا وما علموا
(وقال في حسن ختامها وأجاد)
أعيذكم من صروف دهركم * فانه في الكرام متهم
(وقال من غيرها وأجاد)
عمرا العدو اذا لاقاه في رهج * أقل من عمر ما يحوى اذا وهبا
وكلما لقي الدينار صاحبه * في ملكه افترقا من قبل يصطحبا
(ومن مديحها المخمس قوله وأجاد)
مبرقعي خيلهم بالبيض متخذي * هام الكماة على أرماحهم عذبا

www.dorat-ghawas.com

(منها) مكارم لك فت العالمين بها * من يستطيع لامر فائت طلبا

(وقال من قصيد)

تلذله المروءة وهي تؤذي * ومن يعشق يلذله الغرام
تعلقها هوى قيس لليلى * وواصلها فليس به سقام
يروع ركانة ويذوب ظرفا * فما تدري أشيخ أم غلام
أقامت في الرقاب له أياد * هي الاطواق والناس الحمام
اذا عد الكرام فتلك عجل * كما الانواء حين تعد عام
ولو يممهم في الحشر تجدو * لاعطوك الذي صلوا وصاموا

(ويعجبني قوله في ختامها)

لقد حسنت بك الايام حتى * كأنك في فم الدهر ابتسام

(وقال من قصيد)

فيا عجبا مني أحاول نعته * وقد فنيت فيه القراطيس والصحف

(ولقد أجاد في حسن ختامها بقوله)

وذنبي تقصيري وما جئت مادحا * بذنبي ولكن جئت أسأل ان تعفو

(ويعجبني قوله من غيرها)

وأقسم لولا ان في كل شعرة * له ضيغما قلنا له أنت ضيغم
بجل عن التشبيه لا الكف لجة * ولا هو ضرغام ولا الرأي مخذم
سخى العطايا لو رأى نوم عينه * من اللوم آل انها لا تنوم

(ولقد أجاد في حسن ختامها بقوله)

فعش لو فدى المملوك ربا بنفسه * من الموت لم تفقد في الارض مسلم

(وقال من غيرها وأجاد)

وربعا يضاحك الغيث فيه * زهر الشكر في رياض المعالي
نفحتنا منه الصبا بنسيم * رد روحا في ميت الآمال

(وقال من غيرها)

يكاد من طاعة الحمام له * يقتل من لا دنا له أجل
يكاد من صحة العزيمة ما * يفعل قبل الفعال ينفعل
تعرف في عينه حقائقه * كأنه بالذكاء مكتحل
اغرأ عداؤه اذا سلموا * بالهرب استكثروا الذي فعلوا
يقبلهم وجه كل سابحة * أربعها قبل طرفها تصل
والخيل تبكي جلودها عرقا * بأدمع ما تسحها المقل

(منها وأجاد الى الغاية)

انك من معشر اذا وهبوا * ما دون أعمارهم فقد بخلوا

www.dorat-ghawas.com

قلوبهم في مضاء ما امتشقوا * قامتهم في تمام ما اعتقلوا

(و يعجبني قوله من قصيد)

وقالوا هل يبلغك الثريا * فقلت نعم اذا شاء استفالا

(وقال وأجاد)

أعطى الزمان سخاءه فسخا به * ولقد يكون به الزمان بخيلا

(منها وأجاد)

رقت مضارب فهن كأنما * يبدين من عشق الرقاب نحولا

قصرت مخافته الخطا فكأنما * ركب الكمي جواده مشكولا

(وقال من غيرها وأجاد)

خير أعضائنا الرؤس ولكن * فضلتها بقصدك الاقدام

(ولقد تلطف ماشاء حيث قال منها)

قد لعمري أقصرت عنك وللوفد ازدحام وللعطايا ازدحام

خفت ان صرت في يمينك ان تأ * خذني في هباتك الاقوام

(و يعجبني قوله من غيرها)

أفعاله نسب لو لم يقل معها * جدي الخصيب عرفنا العرق بالغصن

(وقال من غيرها وأجاد)

أثني عليك ولو تشاء لقلت لي * قصرت فالامساك عني نائل

(وقال من غيرها)

ليس التعجب من مواهب ماله * بل من سلامتها الى أوقاتها

عجبا له حفظ العنان بانمل * ماحفظها الاشياء من عاداتها

لو مر يركض في سطور كتابة * أحصى بحافر مهره ميماتها

(منها) أعيا زوالك عن محل نلته * لا تخرج الاقمار عن هالاتها

(وله من غيرها وأجاد)

ومازلت حتى قادني الشوق نحوه * يسايرني في كل ركب له ذكر

وأستكبر الاخبار قبل لقائه * فلما التقينا صغر الخبر الخبر

(منها وأجاد)

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله * ولكن لشعري فيك من نفسه شعر

(وقال من غيرها وأجاد)

وحق له ان يسبق الناس جالسا * و يدرك مالم يدركوا غير طالب

ويحذى عرانين الملوك وانها * لمن قدميه في أجل المراتب

(السيفيات منها قوله من قصيدة)

أتحسب بيض الهند اصلك أصلها * وانك منها ساء ماتتوهم

www.dorat-ghawas.com

اذا نحن سميناك خلنا سيوفنا * من التيه في أغمادها تتبسم

(وقال من قصيدة)

وكم رجال بلا أرض لكثرتهم * تركت أرضهم جمعا بلا رجل

(وقال من قصيدة)

وهل يشينك وقت كنت فارسه * وكان غيرك فيه العاجز الضرع

من كان فوق محل الشمس موضعه * فليس يرفعه شيء ولا يضع

(ويعجبني قوله من قصيدة)

له من كريم الطبع في الحرب منتض * ومن عادة الاحسان والصفح غامد

ولما رأيت الناس دون محله * تيقنت أن الدهر للناس ناقد

(ومن بديع الغريب قوله منها وأجاد)

نهبت من الاعمار ما لو حويته * لهنئت الدنيا بأنك خالد

فأنت حسام الملك والله ضارب * وأنت لواء الدين والله عاقد

(وقال يخاطب سيف الدولة ارتجالا)

ان هذا الشعر في الشعر ملك * سار فهو والشمس والدنيا فلك

عدل الرحمن فيه بيننا * فقضى باللفظ لي والحمد لك

(وقال من قصيدة وأجاد)

أسير الى أقطاعه في ثيابه * على طرفه من داره بحسامه

(وقال من غيرها وأجاد)

ألفت اليك دماء الروم طاعتها * فلو دعوت بلا ضرب أجاب دم

(وقال من قصيدة وأجاد)

وقفت وما في الموت شك لواقف * كأنك في جفن الردى وهو نائم

(منها) اذا كان ما تنويه فعلا مضارعا * مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم

(ومن بديع الغريب قوله في الكافوريات)

قواصد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا

فجاءت بنا انسان عين زمانه * وخلت بياضا خلفها ومآقيا

(منها وأجاد) اذا كسب الناس المعالي بالندى * فانك تعطي في نداك المعاليا

(منها وأجاد) فقد يهب الجيش الذي جاء غازيا * لسائلك الفرد الذي جاء عافيا

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب * يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا

(وقال من غيرها وأجاد)

كأن كل سؤال في مسامعه * قميص يوسف في أجفان يعقوب

اذا غزته أعاديه بمسألة * فقد غزته بجيش غير مغلوب

(ويعجبني قوله من غيرها)

www.dorat-ghawas.com

القاتل السيف في جسم القتيل به * وللسيوف كما للناس آجال

(ومن مرقص الغريب ومطربه قوله من قصيد)

تجاوز قدر المدح حتى كأنه * بأحسن ما يثنى عليه يعاب

(و يعجبني قوله من قصيد في ابن العميد)

ما سمعنا بمن أحب العطايا * فاشتهى ان يكون فيها فؤاده

(وقال أبو الطيب في بعض قصائده)

كأن الهام في الهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد

وقد صغت الاسنة من هموم * فما يخطرن الا في فؤاد

(قلت) كنت أظن هذا المعنى من اختراعات المتنبي وأميل كل وقت الى تأمل غريبه ثم تتبعته فوجدته قد أخذه من مواضع منها قول مهلهل

الطاعن الطعنة النجلاء تحسبها * يوماً أناخ بجفن العين يخفيها

بل هم من هموم النفس صيغته * فليس ينفك يجري في مجاريها

(و يعجبني قول ابن الساعاتي)

من معشر و يجل قدر علائه * عن ان يقال لمثله من معشر

بيض الوجوه كأن زرق رماحهم * سر يحل سواد قلب العسكر

(وقال ابن عبدون وأجاد)

كأن عداه في الهيجا ذنوب * وصارمه دعاء مستجاب

(ومما يجب تأمله من غريب أبي تمام قوله في مديح المعتصم من قصيدة)

ان كان بين ليالي الدهر من رحم * موصولة أو ذمام غير منقضب

فبين أيامك اللاتي نصرت بها * و بين أيام بدر أقرب النسب

(وقال من غيرها في أبي دلف)

اذا افتخرت يوماً تميم بقوسها * وزادت على ما وطدت من مناقب

فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم * عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

محاسن من مجد متى تقرنوا بها * محاسن أقوام تكن كالمعايب

مكارم لجت في علو كأنها * تحاول ثأرا عند بعض الكواكب

(وقال من قصيد)

ولقد أتيتك صاديا فكرعت من * شيم ألذ من الزلال البارد

فهدت لا سمعك منزلا ومحله * في الشعر بين شوارد وشواهد

فهو المراح لكل معنى غازب * وهو العقال لكل بيت شارد

(وقال من غيرها يمدح المأمون)

في دولة لحظ الزمان شعاعها * فارتد منقلبا بعيني أرمد

من كان مولده تقدم قبلها * أو بعدها فكأنه لم يولد

الله يشهد ان هديك للرضا * فينا ويلعن كل من لم يشهد

(ويعجبني قوله منها)

مازال يمتحن العلا ويروضها * حتى أتته بكيمياء السودد

(وقال من غيرها وأجاد)

من أبيض لبياض وجهك ضامن * حيث الوجوه مشوبة بسواد

قد كان مضربه بجالد متنه * لولم تسكنه بيوم جلاد

(وظريف قوله من قصيد)

ومن شك ان البأس والجود فيهم * كمن شك في أن الفصاحة في نجد

(وتلطف منها بقوله)

انخت الى ساحاتهم وركابهم * ركابي وأضحى في ديارهم وفدى

فلم أغش بابا انكرتني كلابه * ولم أتشبث بالوسيلة من بعد

فاصبحت لا ذل السؤال أصابني * ولا قدحت في خاطرى لوعة الرد

فلو كان ما يعطيه غيثا لامطرت * سحائبه من غير برق ولا رعد

يريد الناظم هنا ان ممدوحه لا يتقدم وعد العطا انه كما يتقدم البرق والرعد الغيث (وقال من مديح أحمد بن المعتصم)

اقدام عمرو في سماحة حاتم * في حلم أحنف في ذكاء اياس

لا تنكروا ضربي له من دونه * مثلا شرودا في الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس

(قلت) هذا الاعتذار من أبي تمام عن البيت الأول يعلم التأدب بين سلوك الأدب في مدائح الخلفاء وعظماء الملوك فسقى الله تعالى ثراه على حسن أدبه (وقال من قصيدة في مدح المعتصم)

هو البحر من أي النواحي أتيته * فلجته المعروف والجود ساحله

تعود بسط الكف حتى لو انه * ثناها لقبض لم تطعه أنامله

(والثالث تقدم لكن حلاوته هنا غير مكروه)

ولو لم يكن في كفه غير روحه * لجاد بها فليتق الله سائله

(ويعجبني قوله من قصيد)

بسط الرجاء لنا برغم نوائب * كثرت بهن مصارع الآمال

(وله من قصيدة في مديح المعتصم)

قد أترعت منه الجوانح رهبة * بطلت لديها سورة الابطال

لولم يزاحفهم لزاحفهم له * ما في صدورهم من الاوجال

(منها وأجاد الى الغاية)

خلط الشجاعة بالحياء فأصبحا * كالحسن شيب لمغرم بدلال

(ومنها) يوم أضاء به الزمان وفتحت * فيه الاسنة زهرة الآمال

(ومنها)

www.dorat-ghawas.com

(ومنها) ما كان ذاك الهول أجمع عنده * مع صبره الا طروق خيال

(وقال من غيرها وأجاد)

تخذوا الحديد من الحديد معاقلا * سكانها الارواح والاجسام

مسترسلين الى الحتوف كأنما * بين الحتوف وبينهم أرحام

(وقال من غيرها)

شافهت أسباب الغنى بجهده * حتى ظننت بأنها تتكلم

(وقال من غيرها)

اذا سيفه أضحى على الهام حاكما * غدا العفو منه وهو في السيف حاكم

(و يعجبني قوله من غيرها)

يكاد نداه يتركه عديما * اذا عادت يداه على عديم

تراه يذب عن شرف المعالي * فتحسبه يدافع عن حريم

(ابن قلاقس)

ان تردع لم حالهم عن يقين * فالقهم يوم نائل أو قتال

تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال

حكموا سائليهم في نداهم * حكم أسيافهم على الاقيال

(وقال أبو نواس في المأمون)

اذا نحن أثنينا عليك بصالح * فأنت كما نثني وفوق الذي نثني

وان جرت الالفاظ يوما بمدحة * لغيرك انسانا فأنت الذي نعني

(قلت) هذا المعنى أهل الشيخ جمال الدين بن نباتة غربه في مدح الملك المؤيد صاحب حماة المحروسة فجاء ابدع واغرب وأبلغ (حيث قال)

من مخبر الملك المؤيد انني * لولاه ما سميت نفسي شاعرا

وحلفت لم أمدح سواه لرغبة * لكني جربت فيه الخاطرا

(ومن غريب المدح الذي يجب تأهيله لابي العلاء التنوخي)

أفاد المرهفات ضياء عزم * فسار على جواهرها صقالا

وأبصرت الذوابل منه عدلا * فأصبح في عواملها اعتدالا

(منها) اذا خفقت لغرتها الثريا * توقت من اسنتها اغتيالا

(منها وأجاد)

اذا ما الغيم لم يمطر بلادا * فان له على يده اتكالا

ولو ان الرياح تهب غربا * وقلت لها هلا هبت شمالا

وأقسم لو غضبت على ثبير * لازمع عن محلته ارتحالا

فان عشقت صوارمك الهوادي * فما عدمت بمن تهوى اتصالا

(منها وأجاد الى الغاية)

غراراه لسانا مشرفي * يقول غرائب الموت ارتجالا
يذيب الرعب منه كل عضب * فلولا الغمد يمسكه لسالا

(و يعجبني قوله من غيرها)

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط في الخصر

(منها وأجاد)

وقاسم الجود في عال ومنخفض * كقسمة الغيث بين النبت والشجر
ولو تقدم في عصر مضى نزلت * في وصفه معجزات الآي والسور

(وقال وهو أجل من أقول له هنا وأجاد)

يقبل الرمح من حب الطعان به * كأنما هو مجموع من اللعس

(منها) قسمنا الامور فلما نال رتبته * من السعادة سلمناو لم نقس

(وقال من غيرها وأجاد)

أتى وخاف من ارتحال ثنائه * على قيد لفظه بكتابه
كالم كنظم العقد يحسن تحته * معناه حسن الماء تحت حبابه
ردت لطافته وحدة ذهنه * وحش اللغات أوانسا بخطابه
والنحل يجني المر من نور الربا * فيصير شهدا في طريق رضابه

(منها وأجاد)

يامن له قلم حكى في فعله * أيم الفلا لولا سواد لعابه
عرفت حدودك اذ نطقت نطالما * نطق القطا فأبان عن أنسابه
وهززت أعطاف الملوك بمنطق * رد المسن الى اقتبال شبابه

(و يعجبني قوله في تقريظ قصيدة)

أبدفع معجزات الرسل قوم * وفيك وفي بديهتك اعتبار
وشعرك لو مدحت به الثريا * لصار لها على الشمس افتخار
كأن بيوته الشهب السواري * فكل قصيدة فلك مدار

(ومن بديع تخلصه في المدائح قوله)

يتهللون طلاقة وكأنهم * يهل منهم النجيع الاحمر
من كل من لولا تسعر بأسه * لاخضر في يمنى يديه الاسمر

(ومن الغريب الذي يجب تأهيله قول السري الرفاء من قصيد في مديح سيف الدولة)

و يجهل نشره نذر الاعادي * فيبعثه جنوبا أو شمالا
ولم ينذرهم مقة ولكن * ترفع ان يصيبهم اغتيالا

(منها وأجاد)

وخيل كالوعول اذا تراءت * رأيت قرونها السمر الطوالا

(وقال في سيف الدولة من غيرها)

امضى من القدر المحتوم صارمه * الى النفوس وامضى منه حامله
اذا رمى بلدا منه بجائحة * جرت أعاليه وارتجت أسافله

(وقال من غيرها)

يأسو جراح الزمان مقتدرا * وليس يأسو الزمان ما جرحا
تجرى المقادير فى الانام بما * أثبت فى بطن مهرق ومحا
يريك ما اهتز فى أنامله * مهندا بالغمام متشحا
رقت حواشى كلامه وذكت * فلو تنسمت طرسه نفحا

(وقال من غيرها)

نسب أضاء عموده فى رفعة * كالصبح فيه ترفع وضياء
وشمائل شهد العدو بفضلها * والفضل ما شهدت به الاعداء
فاذا عبست فصارم ومنية * واذا ابتسمت فموعد وعطاء

(وقال من غيرها)

قوله فى مواطن الحكم كهل * وبداه فى عنفوان الشباب

(منها وأجاد)

بخميس كأنما جيب الافق وقد ثار نقعه بضباب
وكأن اللواء فى الجو لما * باشرته الصبا جناحا عقاب

(وقال من غيرها) .

ثنى المديح اليه عطفه فثنى * أعطافه منه فى وشى وديباج
أغر ما احتكمت عيناه فى نشب * الا تحكم فيه الآمل الراجى

(وقال من غيرها)

فى فتية رجحوا احلاما ان خطرت * سمر العوالى أضحى كلهم هوجا
اذا علا الامر من أعدائهم جعلوا * بيض السيوف على أعدائه درجا

(واخترت من يتيمة الدهر قول اسمعيل بن أحمد الشاشى)

أنا المقيم واشعارى على سفر * كادت تؤلف أعلاما على السبل
سارت شوارد أوصاف الوزير بها * سير الجنوب بصوت العارض الهطل
ما بعده لشذور القول مدخر * فى مقلة الريم أعلى بغية الكحل
وما به حاجة فى أن أنظمه * فالشمس تكبر عن حلى وعن حلل
لكنه ملك هامت عزائمه * بالجود فهو يروم البذل بالجدل
ما قال لا قط مذ حلت تمائمه * بخلا به فوجدنا الجود فى البخل
ومن يقود الاسود السود بالوعل * ومن يصيد البزاة الشهب بالحجل
ومن يهم فلا يغزو سوى ملك * ولا يفرق غير المال فى النفل
ومن يبيت من الايام فى جذل * ان لم يبت والليالى منه فى وجل

(ومن غريب بديع الزمان)

أيا ملكا أدنى مناقبه العلا * وأيسر ما فيه السماحة والبذل
هو البدر الا انه البحر زاخر * سوى انه الضرغام لكنه الوبل
محاسن يبديها العيان كما ترى * وان نحن حدثنا بها دافع العقل

(ومن بديع الغريب قول ابن قلاقس في الحافظ السلفي)

كالبحر والكاف ان أنصفت زائدة * فيه فلا تحسبنها كاف تشبيه

(قلت) قد تقدم تصدير هذا الكتاب بالاغزال المحمسة وثنينا ذلك بالمدائح التي غالبها مخمس وقد تعين ان نعززهما بثالث من الحماسة الخالصة بحيث يعزز رأس مال البارع في صناعتي النظم والنثر وبالله المستعان (فالذي وقع عليه الاختيار من حماسة أبي تمام قول قريط بن أنيف)

قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم * طاروا اليه زرافات ووحدانا

(قلت شتان بين قوم قريط و بين قوم القائل)

فان تلك أعدائي على تناصروا * فما هو الا من تخاذل اخواني

(وقال جعفر بن علبة الحارثي)

لهم صدر سيفي يوم بطحاء سحبل * ولي منه ما ضمت عليه الانامل

(وقال أيضا)

نقاسمهم أسيافنا شر قسمة * ففينا غواشيها وفيهم صدورها

(وقال بعض بني قيس)

اذا الكماة تنحوا ان ينالهم * حد الظباة وصلناها بأيدينا

(وقال عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي وتروى للسموءل بن عاديا اليهودي)

تعيرنا أنا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياه مثلنا * شباب تسامى للعلى وكهول
وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل

(منها وأجاد)

وانا لقوم ما نرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد حتف أنفه * ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد السيوف نفوسنا * وليست على غير الحديد تسيل

(منها) ونكران شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول
اذا سيد منا خلا قام سيد * قؤول لما قال الكرام فعول
وما أخمدت نار لنا دون طارق * ولا ذمنا في النازلين نزيل
وأيامنا مشهورة في عدونا * لها غرر معلومة وحجول
وأسيافنا في كل شرق ومغرب * بها من قراع الدارعين فلول

معودة ان لاتسيل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل

(وقال الشميدر الحارثي)

بني عمنا لاتذكروا الشعر بعدما * دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

فلسنا كمن كنتم تصيبون سلة * فيقبل ضيما أو يحكم قاضيا

ولكن حكم السيف فينا مسلط * فنرضى اذا ما أصبح السيف راضيا

وقد ساءني ما جرت الحرب بيننا * بني عمنا لو كان أمرا مدانيا

فان قلتم انا ظلمنا فلم نكن * ظلمنا ولكنا اسأنا التقاضيا

(وقال وداك بن ثميل المازني)

اذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم * باية حرب أم باى مكان

(وقال قيس بن زهير العبسي)

شفيت النفس من حمل بن بدر * وسيفي من حذيفة قد شفاني

فان أك قد بردت بهم غليلي * فلم أقطع بهم الا بناني

(وقال يحيي بن منصور الحنفي)

فلما نات عنا العشيرة كلها * انخنا فحالفنا السيوف على الدهر

فما اسلمتنا عند يوم كريهة * ولا نحن أغضينا الجفون على وتر

(وقال أنيف بن الحكم النبهاني من ابيات)

اذا نحن سرنا نحو شرق ومغرب * تحرك يقظان التراب ونائمه

(وقال زاهد التميمي وأجاد من أبيات الزعفران)

فطعنته والخيل في رهج الوغى * نجلاء تنضح مثل لون الجادى

فكانما كانت مدى من حتفه * لما انثنيت له على ميعاد

(وقال بعتر بن لقيط الاسدى)

أماحكيم فالتمست دماغه * ومقيل هامته بحد المنصل

واذا حملت على الكريهة لم أقل * بعد الكريهة ليتني لم أفعل

(وقال معبد بن علقمة من أبيات)

فقل لزهير ان شتمت سراتنا * فلسنا بشتامين للمتشتم

ونحمل أيدينا ويحلم رأينا * ونشتم بالافعال لا بالتكلم

(قلت) هذا الذي وقع عليه الاختيار من حماسة أبي تمام ويقال ان أحمس بيت قالته العرب

(قول عنترة)

اذ يتقون بي الاسنة لم أخم * عنها ولو اني تضايق مقدمي

(وقيل بل قول قيس بن الخطيم)

واني لدى الحرب العوان موكل * باقدام نفس ما اريد بقاءها

(وقيل بل قول عامر بن الطفيل)

أقول لنفس لا يجاد بمثلها * أقلي مراحا انني غير مدبر

(وقيل بل قول عباس بن مرداس)

أشد على الكتيبة لا أبالي * احتفي كان فيها أم سواها

(قلت بل أحسن من الجميع قول من قال وهو أبو الطيب)

وإذا لم يكن من الموت بد * فمن العجز أن تكون جبانا

(أقول ومن حماسات أبي الطيب المتنبي التي أحرز بها قصبات السبق في هذا الميدان قوله)

وخضرة ثوب العيش في الخضرة التي * أرتك احمرار الموت في مدرج النمل

أمط عنك تشبيهي بما وكأنما * فما أحد فوقي وما أحد مثلي

(وقال من غيرها)

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي * وبنفسي فخرت لا بجدودي

ان أكن معجبا فعجب عجيب * لم يجد فوق نفسه من مزيد

أنا ترب الندى ورب القوافي * وسمام العدا وغيظ الحسود

أنا في أمة تداركها الله * غريب كصالح في ثمود

(وقال من غيرها وأجاد)

يسابق سبقي منايا العباد * اليوم كأنهما في رهان

(وقال من أبيات)

أمثلي تأخذ النكبات منه * ويجزع من ملاقات الحمام

ولو برز الزمان الي شخصا * لخضب شعر مفرقه حسامي

اذا امتلأت عيون الخيل مني * فويل في التيقظ والمنام

(وقال وأجاد الى الغاية)

حقرتني كأني لست أنطق قومها * وأطعنهم والشهب في صورة الدهم

يحاذرني حتفي كأني حتفه * وتنكزني الافعى فيقتلها سمي

طوال الردينيات يقصفها دمي * وبيض السريجيات يقطعها لحمي

برتني السرى بري المدى فرددنني * أخف على المركوب من نفسي جرمي

كأني دحوت الارض من خبرتي بها * كأن بنا الاسكندر السد من عزمي

(ويعجبني قوله من غيرها)

ذل من يغبط الذليل بعيش * رب عيش أخف منه الحمام

كل حلم يأتي بغير اقتدار * حجة لاجئ اليها اللئام

من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت ايلام

(وقال وأجاد)

واني لمن قوم كأن نفوسنا * بها أنف ان تسكن اللحم والعظما

فلا عبرت بي ساعة لا تعزني * ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

(وقال

(وقال من غيرها)

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ * كأنهم من طول ما التثموا مرد
وطعن كأن الطعن لا طعن عنده * وضرب كأن النار من حره برد
اذا شئت حفت بي على كل سابح * رجال كأن الموت في فمها شهد

(وقال من غيرها)

اذا قدمت على الاهوال شيعني * قلب اذا شئت ان يسلاكم خانا
أبدو فيسجد من بالسوء يذكرني * ولا اعاتبه صفحا واهوانا

(وقال من غيرها)

ولا بد من يوم أغر محجل * يطول استماعي بعده للنوادب
يهون على مثلي اذا رام حاجة * وقوع العوالي دونها والقواضب
كثير حياة المرء مثل قليلها * يزول وباقي عيشه مثل ذاهب
اليك فاني لست ممن اذا اتقى * عضاض الافاعي نام فوق العقارب
الى لعمري قصد كل عجيبة * كأني عجيب في عيون العجائب
باي بلاد لم أجر ذوائبي * وأي مكان لم تطأه ركائبي

(وقال من غيرها)

اذا غامرت في شرف مروم * فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير * كطعم الموت في أمر عظيم
يرى الجبناء ان العجز عقل * وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكل شجاعة في المرء تغني * ولا مثل الشجاعة في الحكيم
وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الآذان منه * على قدر القرائح والفهوم

(وقال من غيرها)

رماني الدهر بالارزاء حتى * فؤادي في غشاء من نبال
فصرت اذا أصابتني سهام * تكسرت النصال على النصال
وهان فما ابالي بالرزايا * لاني ما انتفعت بان ابالي

(وقال من غيرها)

وجاهل مده في جهله ضحكي * حتى أتته يد فراسة وفم
اذا رأيت نيوب الليث بارزة * فلا تظنن ان الليث مبتسم
(منها) ومرهف سرت بين الجحفلين به * حتى ضربت وموج الموت ملتطم
فالخيل والليل والبيداء تعرفني * والسيف والرمح والقرطاس والقلم

(وقال من غيرها وأجاد)

الرأي قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهي المحل الثاني

فاذا هما اجتمعا لنفس مرة * بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه * بالرأي قبل تطاعن الاقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم * أدنى الى شرف من الانسان
ولما تفاضلت النفوس ودبرت * أيدي الكماة عوالي المران

(ويعجبني من مخمسات أبي العلاء وفخره قوله)

تعد ذنوبي عند قوم كثيرة * ولا ذنب لي الا العلا والفواضل
وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم * باخفاء شمس ضوءها متكامل
يهم الليالي بعض ما أنا مضمر * ويثقل رضوى دون ما أنا حامل
واني وان كنت الاخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الاوائل
وأغدو ولو أن الصباح صوارم * وأسري ولو أن الظلام جحافل

(قلت) وتلاعب أبو العلاء بهذا المعنى فزاده حسنا حيث قال

وكأن حبك فال حظك في السرى * فالطم بايدي العيس وجه السبسب
واهجم على جنح الدجا ولو أنه * أسد يصول من الهلال بمخلب

(وتلطف الارجاني هنا حيث قال)

سحبت ذيل الدجا حتى طرقتهم * بسحرة وقميص الليل أطمار
وزرتهم وسنان الرمح من بعد * الى بالقبلة الزرقاء نظار

(قلت) والذي أعده هنا من المرقص قول ابن خفاجة

لقد جبت دون الحي كل تنوفة * يحوم بها نسر السماء على وكر
وخضت ظلام الليل يسود فحمه * ودست عرين الليث ينظر عن جمر
وجئت ديار الحي والليل مطرق * يشيم ثوب الافق بالانجم الزهر
أشيم بها برق الحديد وربما * عثرت باطراف المثقفة السمر
فلم أتلق الاصعدة فوق لامة * فقلت قضيب قد أطل على نهر
ولا شهب الاغرة فوق أشقر * فقلت حباب يستدير على خمر
فسرت وقلب البرق يخفق غيرة * هناك وعين الشمس تنظر عن شزر

(وقال الشريف البياضي وأجاد)

وانا اذا الارواح ذابت مخافة * فتحنا بأشطان الرماح ركاياها
متى ما أردنا أن يراق حديدنا * خلقنا بحد المشرفية أفواها

(انتهى) ما وقع الاختيار عليه من الحماسة للعرب وغيرهم وغالب الحماسة عبارة عن الفخر بالشجاعة والفروسية واقتحام صدور المعامع فاذا كان الامر مبنيا على ذلك تعين ان نورد هنا ما يلائمه من أنواع السلاح وأصائل الخيل واذا كان السيف أصدق أنباء تعين تقديمه (ولله در القائل)

كأن على افرنده موج لجة * تقاصر في حفاته وتطول

حسام غذاه الروح حتى كأنه * من الله في قبض النفوس رسول

(وقال الناشي وأجاد)

ذو مدمع من غير ما مستعبر * وتبسم من ثغره متوالي

ويريك من لألائه متوقدا * حتى المنون به على الآجال

(وقال وجيه الدين الذروي فأغرب)

سكران من شربه خمر الدماء فان * حياه نور الطلا غنى له هزجا

(القاضي الفاضل)

تمد الى الاعداء منها معاصما * فترجع من ماء الطلا بأساور

(وقال من غيرها)

ولرب هاتفة دعتهم للوغى * جعلوا صرير المرهفات صداها

هي في بحار يديه أمواج ترى * ونفوس من قتلته من غرقاها

(ابن قلاقس وأجاد)

أسهرتهم وشهرتها لهجوعهم * مذ احرمت في راحتيك حرام

وكلاهما جفن منعت قراره * لكن ذا عضب وذاك منام

(ابن سناء الملك)

تنسك بالاسلام لكن رأيته * يحل له في الشرع ان يشرب الدما

فكم سل لما سل من بطن غمده * لما انه من ضربه خلقت فما

(مجير الدين بن تميم)

لما نبت من الصوارم أعوجا * يجري القضاء بنهره المتموج

جبت الفقار وما حملت أوانيا * للماء من ثقتي بنهر الاعوج

(الشيخ جمال الدين بن نباتة)

وصارم كعباب الموج ملتطم * يكاد يغرق رائيه ويحترق

لما غدا جدولا يسقي المنون به * أضحى يشف على حافاته العلق

(الشيخ برهان الدين القيراطي)

قوم مناديلهم بيض فكم مسحت * رقاب أعدائهم تلك المناديل

(وقلت) وسيف له في الحرب حسن تغزل * اذا ما رآني قد علوت على نهد

فكم خد خد في وجوه قبائل * فبان احمرار الورد في ذلك الخد

وكم مال قد في الوغى ميل معجب * فعانقه عند التمايل بالقد

وكم أعجموا ألفاظهم وتفضموا * فكلمهم ذاك المهند بالهندي

(قلت) قد أوردنا ما وقع الاختيار عليه ووجب تأهيله من غريب النظم في السيف (وقد) تعين ايراد ما حلا في الذوق ووجب تأهيله من غريب النظم في الرمح (قال ابن نباتة السعدي وأجاد)

وولوا عليها يقدمون رماحنا * وتقدمها أعناقهم والمناكب

خلقنا باطراف القنا لظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب
(و يعجبنى قول القاضى الفاضل من قصيد)
أمنصل الرمح الطويل بكوكب * من ذا يطاعن وا اسمها السنان
(ومثله فى الحسن قول ابن سناء الملك)
ملوك يحوزون الغنائم عنوة * بسمر العوالى أو ببيض القواضب
رماح بايديهم طوال كأنما * أرادوا بها أن تقطف درالكواكب
(ابن قلاقس)
وقد كحلت بأميال العوالى * أساة الحرب احداق الدروع
(القاضى الفاضل)
طواعن اسرار القلوب نواظر * كأنك قد فصلتها بنواظر
(ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب من قصيد)
وبكل أزرق ان شكت ألحاظه * موت العيون فبالهجاجة يكحل
متأود اعطافه فى نشأة * مما يعل من الدماء وينهل
عجباله ان الضجيع بطرفه * رمد ولا يخفى عليه مقتل
(مجير الدين بن تميم وأجاد)
لو كنت تشهدنى وقد حمى الوغى * فى موقف ما الموت فيه بمعزل
لترى أنابيب القناة على يدى * تجرى دما من تحت ظل القسطل
(ابن شرف القيروانى وأجاد)
وقد وخطت أرماحهم مفرق الدجا * فبان باطراف الأسنة شائبا
(قلت) برسم كافل الشأم المحروسة وهو المقر الأشرف المرحومى العلائى الطنبغا الجوبانى تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه لاعيان الفضلاء بدمشق المحروسة وغيرهم من الفضلاء المتأدبين بالبلاد الشامية أن ينظموا أبياتا تكتب على أسنة الرماح وتكون عدة الابيات أربعة فنظم المقر المرحومى القفى بن الشهيد رحمه الله تعالى روحه ونور ضريحه آمين
اذا الغبار علا فى الجو عثيره * فالحلم ابجوما الشمس أنوار
هذا سنانى نجم يستضاء به * كأنه علم فى رأسه نار
والسيف ان نام ملء الجفن فى علق * فانى بارز للحرب خطار
ان الرماح لاغصان وليس لها * سوى النجوم على العيدان أزهار
(ونظم الرئيس شمس الدين المزين وأجاد)
أنا أسمر والراية البيضاء لى * لا للسيوف وسل من الشجعان
لم يحل لى عيش الغداة لاننى * نوديت يوم الجمع بالمران
واذا تعانقت الكماة بجحفل * كلمهم فيه بكل لسان
فتخالهم غنما تساق الى الردى * وهو المعظم سطوة الجوبان

(ونظم

(ونظم مولانا قاضي القضاة صدر الدين بن الآدمي سقى الله تعالى ثراه وكان اذ ذاك في مبادى العمر والعنفوان)

النصر مقرون بضرب أسنة * لمعانها كوميض برق يشرق
سبكت لتسبك كل خصم مارد * وتطرقت لمعاند يتطرق
زرق تفوق البيض في الهيجاء اذ * يحمر من دمها العدو الازرق
ينفضن يوم الحرب كل كتيبة * تحت الغبار فنصرهن محقق

(ونظم المقر المرحومي الاميني وهو اذ ذاك مباشر التوقيع بحمص المحروسة)

عروس سناني حين تجلى على العدا * وتظهر تبدي ما اهم من بواطن
وقد صيغ من هم فبين صدورهم * مجال له رحب فسيح المواطن
سيلقون يوم الجمع غبنا لموتهم * بطعني ويوم الجمع يوم التغابن
وان شهدوا بالجودي وعدلوا * فاني قد بينت فيهم مطاعني

(وقلت في ذلك العصر المبارك)

أنا رمح ورامح الافق يخشى * من سموي اليه يوم الطعان
واذا أنكر واعدالة قدي * يوم حكم جرحتهم بلساني
وسناني كالبرق بل صارمنه * قلب سيف البروق في خفقان
ومحله للردين ينسب لكن * صاح لما علاه بالسناني

(قلت) ومن الغريب الذي يجب تاهيله هنا من بديع النظم في القوس قول الشيخ بدر الدين ابن الصاحب رحمه الله تعالى ملغزا

لله مملوك اذا * ما قام في الشغل اعترض
لكنه في ساعة * محصل لك الغرض

وأحسن منه قول الشهاب الاعزازي

ما عجوز كبيرة بلغت عمرا طويلا وتقنيها الرجال
قد علا جسمها اصفرار ولم تشك سقاما ولا عراها هزال
ولها في البنين سهم وقسم * وبنوها كبار قدر نبال

ومن الغايات التي لا تدرك لغز قاضي القضاة صدر الدين بن الآدمي سقى الله ثراه في الكشتوان

ما رفيق وصاحب لك تلقا * ه معينا على بلوغ المرام
هو للعين واضح وجلي * وتراه في غاية الابهام

(وقلت في القوس)

قوسي اذا جذبته بطربني * بحسن عوده وتحريك الوتر
ونجم ذاك السهم ان فوقته * يرى له في طارة البدر أثر

(قلت) وقد آن ان نطلق العنان في هذه الحلبة بما وقع لفحول الشعراء وفرسان الادب في وصف الخيول المسومة من المعاني الغريبة فسابق الفحول في هذا المضمار امرؤ القيس

www.dorat-ghawas.com

حيث قال فى معلقته

وقد أغتدى والطير فى وكناتها * بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

(قلت) وبالنسبة الى ذوقى ان يحيى بن مجير أحرز قصبات السبق فى مجرى هذه السوابق على فرسان الشعر من العرب ولم يترك للفحول مجالا بقوله

له مشية الخيل العتاق كأنها * نشاوى تهادت تطلب العزف والقصفا
عرائس أغناها الحجول عن الحلى * فلم تبغ خلخالا ولا التمست وقفا
لمن يقق كالطرس تحسب أنه * وان جردوه فى ملاءته التفا
وأبلق أعطى الليل نصف اهابه * وغار عليه الصبح فاحتبس النصفا
وورد تغشى جلده شفق الدجا * فاذ حازه دلى له الذيل والعرفا
وأشقر مد الراح صرفا أديمه * وأصفر لم يسمح به جلده صرفا
وأشهب نقى الاديم مدنر * عليه خطوط غير مفهمة حرفا
كما خط الزاهى بمهرق كاتب * فجر عليه ذيله وهو ما جفا
وقد كان فى البيداء يألف سربه * فربته مهرا وهى تحسبه خشفا

(ومما يجب تأهيله من غريب ابن المعتز هنا قوله)

ومحجل غير اليمين كأنه * متبختر يمشى بكم مسبل

(ومثله فى الحسن قول القاضى الفاضل)

لها غرر يستضحك النصر وجهها * فتفهم منها العين معنى ابتشار

(ومن الغايات التى لا تدرك هنا قول ابن نباتة السعدى)

يختال منه على أغر محجل * ماء الدياجى قطرة من مائه
فكأنما لطم الصباح جبينه * فاقتص منه فخاض فى أحشائه

(قلت) لمح ابن حجاج هنا تلميحا أقول ان السحر نوع منه (وهو قوله)

غضبت سعاد وقد رأتنى قابضا * أيرى فقلت لها مقالة ماخر
بالله الا ما لطمت جبينه * حتى يصدق فيك قول الشاعر

(نور الدين على بن سعيد المغربى فى جواد أصفر)

وعسجدى اللون أعددته * لساعة تظلم أنوارها
كأنه فى رهج شمعة * مصفرة غرته نارها

(مجير الدين بن تميم فى كميت)

وطرفا يفوق البرق لونا وسرعة * وكالصخر اذ يهوى وكالماء اذ يجرى
تبدى بعرف أسود فوق أحمر * فقل فى دخان تحته لهب الجمر

(وقال وأجاد)

هنيتها يا مالكى مهرة * جميلة الخلق بوصف جميل

www.dorat-ghawas.com

مؤخرها او العنق قد أوثقا * قلب الاعادى فى العريض الطويل
قد أبدت من شفق حلة * تخبر ان أباها أصيل

(الشيخ جمال الدين بن نباتة فى أدهم وأجاد)

وأدهم اللون حندسى * فى جريه للورى عجائب
يقصر سعى الرياح عنه * فكل ما خلفه جنائب

(وقال فى فرس ورد)

ورد من العرب منسوب فلا قطعت * أيدى الحوادث من أنسابه شعره
اذا امتطى ظهره رامى السهام رمى * والسهم حذوا فلولا سبقه عقره
عجبت كيف يسمى سابحا وله * وثب لو البحر أرسى دونه طفره
لما ترفع عن ندب يسابقه * أضحى يسابق فى ميدانه نظره

(مجير الدين بن تميم وتلطف الى الغاية)

لله طرف بعد ما أنا واصف * من عدوه يذر اللسان كليلا
يعدو وأحمه فيثنى ناظرى * عنه بهدب جفونه مشكولا
وهو الذى ترك النسيم وقد جرى * معه يجر من الحياء ذيولا
وأعاده من فرط ما قد ناله * مضنى على فرش الرياض عليلا

(وتلطف أيضا الصاحب فخر الدين بن مكانس بقوله مضمنا ومكتفيا)

لنا فرس نلاقى منه رفقا * كرفق الوالدين اذا علمنا
تراناحين نركبه سكارى * نميل على جوانبه كأنا

(وقلت مضمنا)

وطرف كثير البرق فى خفقانه * اذا ما جرى من تحت حافره سبك
ويعجزنا عن لحقه فكأنه * بقايا يقين كاد يذهبه الشك

(ومما وقع من مجون الهجو فى الخيل قول لسان الدين بن الخطيب)

قال جوادى عندما * همزت همزا أعجزه
الى متى تهمزنى * ويل لكل همزه

(ناصر الدين بن النقيب وتلطف الى الغاية بقوله)

نفقت لى رأس من الخيل كانت * تسبق البرق والرياح الزعازع
وابتلى الله فى المشاعر أخرى * بشقاق لها عن المشى مانع
فاذا قيل كم بقى لك رأس * قلت رأس لكن بغير أكارع

(وتلطف الشيخ جمال الدين بن نباتة بقوله)

لهفى على فرسى الذى * أضحى تهر المقلتين
يكبو وأملك رقه * فعثر فى الحالتين

(ومثله فى اللطف قول شرف الدين بن الحلاوى)

جاء غلامي وشكا * أمر كميتي وبكى
وقال لي لا شك بل * ذونك قد تشبكا
قد سقته اليوم لما * مشى ولا تحركا
فقلت من غيظي له * مجاوبا لما حكى
ابن الحلاوي أنا * فلا تكن معلكا
لو انه مسير * لما غدا مشبكا

(قلت واستطردت فحول الادب بهذه المعاني الى غايات بديعة وسبكوها في قوالب مختلفة الاغراض (كقول الشيخ جلال الدين بن الزملكاني)

وفي حلبة الخدمن أدهمي * خيول تجول ولا تركب
فسبق الكميت بها بين * ولكن تقدمه الاشهب

(ومنها قول القائل)

وحياة من أمست الى حياته * أشهى لدى من اتصال حياتي
ماسافرت لحظات طرفي نحوكم * الاعلى خيل من العبرات

(و يعجبني قول الشيخ جمال الدين بن نباتة)

ياواصف الخيل بالكميت وبالنهد أرحني من طول وسواسي
لو كنت تحت الدجا تشاهدني * لاستحسنت مقلتاك أفراسي
لانهد الامن صدر غانية * ولا كميتا الامن الكاس

(وتطفل الصاحب فخر الدين بن مكانس على هذه المائدة حيث قال في موشحه)

تقول لحظي من بني سنان * ينبيك عن مقاتل الفرسان
فالهه عن موقف الطعان * وان ذكرت الخيل في الميدان
فاشرب كميتا واعل فوق نهد

(ومنه قول الشيخ بدر الدين بن الدماميني)

قم بنا نركب طرف اللهو سبقا للمدام
واثن ياصاح عناني * لكميت ولجام

(وقال وأجاد)

ويوم كستة غرة الشمس بهجة * كما ذهبته بالعشي لتجتلي
ركضت به في حلبة اللهو سابقا * فيالك من يوم أغر محجل

(و يعجبني قول القائل)

ولما اجتمعنا والسلو جليسنا * على اننا نسلو الهوى ونحول
وخيل غرام قد أتتنا مغيرة * فلم ندر الا والسلو قتيل

(و بيت بديعيتي في الاستطراد)

واستطردوا اخيل صبري عنهم فكبت * وقصرت كاليابنا بوصلهم

www.dorat-ghawas.com

(قلت) عن لى وقد انتهت الغاية بعد وصف جياد الخيل الى ماوقع من مجون الهجو وقاذمها ان استطرد الى ماوقع من الغريب فى مدح الحمير الاهلية وذمها (قيل) كان خالد بن صفوان والفضل بن عيسى يختاران ركوب الحمير على ركوب البراذين (فأما) خالد فلقيه بعض الاشراف بالبصرة على حمار فقال ماهذا فقال عير يحمل الرجل و يمنعني أن أكون جبارا فى الارض وان أكون من المسرفين (وأما) الفضل بن عيسى فانه سئل عن ركوب الحمار (فقال) انه أقل الدواب مؤنة وأكثرها معونة واخفضها مهوى وأقربها مرتقى (ونظمت هذا المعنى مضمنا فقلت)

تربع وتم فى ظهور الحمير * ولاتخش من هبطة عاليه
وكن فى مكان اذا ما وقعت * تقوم ورجلاك فى عافيه

(والذى) يؤيد قولى وقول الفضل بن عيسى فى قوله واخفضها مهوى (قول مجير الدين بن تميم)

سمعت انك ياخلى وخالصتى * وقعت عن جمل أوسرت فى عجل
وأزعج الناس لما ان وقعت وكم * قد أزعج الناس قدما وقعة الجمل

(وقال الحكيم بن دانيال مماجنا فى هجوه مضمنا)

ولقد ركبت من الحمير مكمدا * بكرا مطيا للعران مصاحبا
رجلاى فى جنبيه منذ ركبته * لن يفترا فغدوت أمشى راكبا

(وقلت) كأن حمارى شدة ادرمت مشيه * بأمراس كتان الى صم جندل
ومن فوقه رجلاى تمشى بسرعة * فلم يخترك الابسنة أرجل

(وللشيخ برهان الدين القيراطى)

تراه أولا فى الا كل سبقا * وعند السير باقى فى الاخير
وكم وضعوا اسكرجة بفيه * وما منعته عن طحن الشعير

(وللسراج الوراق)

ومن رآنى والحمار مركبى * وزرقتى للروم عرق قد ضرب
قال وقد أبصر وجهى مقبلا * لافارس الخيل ولا وجه العرب

(وقال أيضا)

قالوا وقد ضاعت جميع مصالحى * لهموم نفس ليت لا حملتها
قد كان عندك يا فلان صريمة * فاجبتهم بعت الحمار وبعتها

(الحكيم بن دانيال وتلطف)

ماعاينت عيناى فى عطلتى * أقل من حظى ومن بختى
قد بعت عبدى وحمارى معا * وصرت لافوقى ولاتحتى

(ومثله فى اللطف قول أبى الحسين الجزار)

كم من جهول رآنى * أمشى لاطلب رزقا
فقال لى صرت تمشى * وكل ماش ملقى
فقلت مات حمارى * تعيش أنت وتبقى

www.dorat-ghawas.com

(وألطف منه قول من كتب اليه)

مات حمار الاديب قلت لهم * مضى وقد فات منه ما فاتا

من مات في عزه استراح ومن * خلف مثل الاديب ما ماتا

(الشيخ بدر الدين بن الصاحب)

بالله يا بدر زرني * وعد محبا سقيما

واكتم محبتك واركب * من الظلام بهيما

(الصاحب فخر الدين بن مكانس)

لله أشكو ما جرى * وهو بشكواي عليم

ان بهيما كان لي * فضاع في الليل البهيم

(قلت) تلاعب الناس في تورية البهيم كثيرا ولكن رأيت قاضي القضاة صدر الدين بن الآدمي نور الله ضريحه قد سبكها في أحسن القوالب بقوله

قلت وليلى لونه حالك * ودجنه في سيره كالسقيم

واعجبا للصبح في أشقر * ما آن ان يلحق هذا البهيم

(وقالت) العرب الحمار عار منكر الصوت لا ترقأ به الدماء ولا تمهر به النساء وعدوا من مساوى الآداب ان يجرى ذكره في مجلس قوم أولى مروءة (ومن العرب) من لا يركب الحمار ولو بلغت به الرحلة الجهد واذا انتهت الغاية الى الذم فتعين ان نورد نبذة من غريب الهجو والمرجو من كرم الله تعالى ان أورد في كتابي هذا من كل فن غريبه حتى تصدق تسميته بتأهيل الغريب (وقيل ان أهجى بيت قالته العرب قول الطرماح)

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت

(وقيل بل قول حسان بن ثابت)

لا عيب في القوم من طول ومن قصر * جسم البغال واحلام العصافير

(وقيل بل قول الاعشى)

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم * وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

(وقال الاصمعي بل قول الاخطل)

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم * قالوا لامهم بولي على النار

فتحبس البول شحا ان تجود به * لما تبول لهم الا بمقدار

(أبو نواس وتلطف بقوله)

هجا أهجوك لا أدرى * لساني فيك لا يجرى

اذا فكرت في عرضك أشفقت على شعرى

(وقال يهجو أشجع السلمي)

أيها المدعي سليما شفاها * لست منها ولا قلامة ظفر

انما أنت من سليم كواو * ألحقت في الهجاء ظلما بعمرو

(ويعجبني)

(ويعجبني قوله من قصيد)

وله في الماء أيضا * عمل أبدع ظرفا
مزجه العذب بماء السبر كي يزداد ضعفا
فهو لا يسقيك منه * مثل ما يشرب صرفا

(وقال يهجو الخطيب)

خبز الخطيب معلق بالكوكب * يحمى بكل مثقف ومشطب
جعل الطعام على بنيه محرما * قوتا وحل له لمن لم يسغب
فاذا هم نظروا الرغيف تطربوا * طرب الصيام الى أذان المغرب

(وقال أيضا)

أتانا بخبز له حامض * كمثل الدراهم في خلقته
اذا ما تنفست عند الخوان * تطاير في البيت من خفته

(وظريف قوله)

وقد آليت لا أهجو دعيا * ولو بلغت مروءته السماء

(وأظرف منه قول القائل)

استبق ود أبي المقا * تل حين تأكل من طعامه
سيان كسر رغيفه * أو كسر عظم من عظامه

(ومن غريب ابن الرومي هنا قوله)

خوان عيسى من نصف ترمسة * وصحفة من فلقتي عدسه
من ذرة ذرة جرادته * تخفى على العين فهي ملتمسه
لو نخلت بالحرير لانسربت * من خلل النسج غير محتبسه
اذا افترست الرغيف بان له * كأن ليثا هناك مفترسه

(الشريف ابن الهبارية)

قل للوزير ولا تفزعك هيبته * وان تعاظم واستعلى بمنصبه
لولا ابنة الشيخ ما استوزرت ثانية * فاشكر حرا صرت مولانا الوزير به

(عبد الصمد بن المعذل)

أتاني بيت صديق * واثق برشيق
ليس لي أكل سوى لحمي وشرب غير ريقي

(ويعجبني قول الحاج علي بن مقاتل في خطيب الدهشة)

ابن الظهير أضافني * طول الحديث وشرب ماء
لا عدت أتبع أعرجا * لو كان يعرج للسماء

(جحظة البرمكي)

ثلاثة في حارة واحده * سوق المعالي بينهم كاسده

قد حفظوا القرآن من حرصهم * عليه الا سورة المائده

(وقال آخر وأجاد)

يقتر يحيى على نفسه * وليس بباق ولا خالد
ولو كان يستطيع من بخله * تنفس من منخر واحد

(وقال آخر في ابخر وأجاد)

أرسل اسحق الى قطه * بلقمة من فمه الابخر
فبادر القط الى رميها * يحسبها من بعض ما قد خرى

(أبو الحسين بن الفكيك)

ووعدتني حتى حسبتك صادقا * فجعلت من طمع اجيئ وأذهب
فاذا حضرت أنا وأنت بمجلس * قالوا مسيلمة وهذا أشعب

(وظريف قول القائل)

شعر عبد السلام فيه ردىء * ومحال وساقط وبديع
فهو مثل الزمان فيه مصيف * وخريف وشتوة وربيع

(بعضهم في شاعر ضرير)

بشر المجرمين في درك النا * ر اذا جاء مالك بالضرير
ثم مرهم يستنشدوه فان انـ * ـشد لم يحرقوا بنار السعير
وليكن ما يقوله نصف بيت * فلئن تم جاء بالزمهرير

(أبو محمد السلمي في طفيلي)

لو طبخت قدر بمطمورة * بالشأم أو أقصى بلاد الثغور
وأنت بالصين لوافيتها * يا عالم الغيب بما في القدور

(الصابئ وأجاد)

أيها النابح الذي يتصدى * بقبيح من قوله لجوابي
لا تؤمل انى أقول لك اخسأ * لست أحظو بها لكل الكلاب

(عبد المحسن الصوري)

زففت الى نبهان من عفو فكرتي * عروسا غدا بطن الكتاب لها خدرا
فقبلها عشرا وهام بحبها * فلما ذكرت المهر طلقها عشرا

(وقال أيضا وأجاد)

وأخ مسه نزولي بقرح * مثل ما مسني من الجوع قرح
بت ضيفا له كما حكم الدهـ * ـر وفي حكمه على الحر قبح
قال لي اذ نزلت وهو من السكـ * ـرة بالهم طافح ليس يصحو
لم تغربت قلت قال رسول الله * والقول منه نصح ونجح
سافروا تغنموا فقال وقد قا * ل تمام الحديث صوموا تصحوا

(ومن لطائف ابن حجاج قوله)

وذى همة فى حضيض الكنيف * وقرنين فى فلك المشترى
دخلت عليه انتصاف النهار * على غفلة حين لم يشعر
وبين يديه رغيفان مع * سكرجة كان فيا مرى
فلما قعدت نسافسوه * فلم تخط عطسته امنخرى
وأقبل يضرط فى اثرها * فقلت أقوم والاخرى

(وقال أيضا)

لى صديق جنى على مرارا فاكثرا
ثم لما عتبته * غسل البول بالخرا

(الصاحب بن عباد)

انظر الى وجه أبى زيد * أوحش من حبس ومن قيد
وحوشه ترتع فى ثوبه * وظفره يركب للصيد

(أبو أحمد الكاتب فى ابنه)

انى وأحمد بعدما جربته * وبلوت فى خلواته أخلاقه
كمعيد شك فى خراه شمه * وأراد تحقيق اليقين فذاقه

(الهجاء وتلطف)

يكذب الكذبة جهلا * ثم ينساها قريبا
كن ذكورا يا أبا جعـ * ـفر اذا كنت كذوبا

(وقال أيضا)

يا سائلى عن أحمد عهدى به * رطب العجان وكفه كالجلمد
كالاقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى

(أبو حفص المطوعى)

انظر الى وجه صديق لنا * كيف محا الشرك به النقشا
قد كتب الدهر على خده * بالشعر والليل اذا يغشى

(ابن لنك فى أبى رياش)

قل للوضيع أبى رياش لاتبل * نه كل تيه بالولاية والعمل
ما ازددت حين وليت الاخسة * والكلب أنجس ما يكون اذا اغتسل

(بعض المغاربة فى طبيب)

قل للوبا أنت وابن زهر * قد جزتما الحد والنهايه
ترفقا بالورى قليلا * فى واحد منكما كفايه

(آخر فى المعنى)

ان أبا الخير على نفسه * يخف فى كفته الفاضل
عليله المسكين من شؤمه * فى بحر هلك ماله ساحل

ثلاثة تدخل في دفعة * طلعته والنعش والغاسل

(ابن منير في المغني)

تطيب برأي الصبي والمره * ولا تقرّ بن بني سكره
ففي كل دار لهم مأتم * وفي كل أرض لهم مقبره

(وقال آخر)

أقول لنعمان وقد ساق طبه * نفوساً نفيسات الى باطن الارض
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر أهون من بعض

(وقال آخر)

ومطرب سوء بلبنانه * ترغمه آخذ بالنفس
يقول اقترح سيدي ما تريد * فقلت اقترحت عليك الخرس

(جحظة البرمكي)

ومغن بارد النغمة مختل اليدين
ما رآه أحد في * دار قوم مرتين

(آخر)

كنت في مجلس فقال مغن * كم ترى بيننا وبين الشتاء
فشربت البساط مني اليه * قلت هذا المقدار قبل الغناء
واذا ما هممت ان تتغنى * آذن الصيف كله بانقضاء

(وأغرب منه قول الآخر)

انك ان اصغيت يوماً الى * ألحانه تلك المقادير
خلت في الخلق أمراً جالسا * يعرك اذناب السنانير

(واغرب منه قول الآخر)

انك لو تسمع ألحانه * تلك اللواتي ليس يعدوها
خلت من داخل حلقومه * موسوساً يخنق معتوها

(وقال آخر)

قلت اذ غنى عراقا * ليتنا في اصفهان

(وقال المصيصي الخياط)

واذا تربع لا تربع بعدها * وغدا يحرك عوده متقاعسا
فكأن جرذان المدينة كلها * في عوده يقرضن خبزاً يابسا

(وقال آخر في مغن بالرباب)

لا تبعثوا بسوى المهذب جعفر * فالشيخ في كل الامور مهذب
طوراً يغني بالرباب وتارة * تأتي على يده الرباب وزينب

(شمس الدين محمد الواسطي يهجو عواداً وزامراً)

شبهت ذا العواد والزامر اذ * ضاقت علينا بهما المناهج
بعقرب يضرب وهو ساكت * وأرقم ينفخ وهو خارج

(الصنوبري

(الصنوبرى يهجو زامرة سوداء)

فكأنما المزمار في اشداقها * غرمول عير في حياء أتان
وترى أناملها على مزمارها * كخنافس دبت على ثعبان

(وقال السراج الحمار فيها)

ولرب زامرة تهيج بزمرها * ريح البطون فليتها لم تزمر
شبهت أغلها على ضرباتها * وقبيح مبسمها الشنيع الابخر
بخنافس قصدت كنيفا واغتدت * تسعى اليه على خيار الشنبر

(ويعجبنى من هجو أبى نواس قوله)

قولا لابراهيم قولا جهرا * غلبتنى زندقة وكفرا
ان قلت ما تشرب قال خمرا * أو قلت ما تنكح قال دبرا
أو قلت ما تترك قال برا * أو قلت ما تقول قال شرا

(وقال) ألوم عباسا على فعله * كأن عباسا من الناس
وانما العباس فى قومه * كالثوم بين الورد والآس

(وقال) أمات الله من جوع رقاشا * فلولا الجوع ما ماتت رقاش
ولو أشممت موتاهم رغيفا * وقد سكنوا قبورهم لعاشوا

(ومن غريب هجو المتنبى قوله فى كافور)

أمينا واخلافا وغدرا وخسة * وجبنا أشخصا لحت لى أم مخازيا
تظن ابتساماتى رجاء وغبطة * وما أنا الا ضاحك من رجائيا
وتعجبنى رجلاك فى النعل اننى * رأيتك ذا نعل اذا كنت حافيا
وانك لا تدرى ألونك أسود * من الجهل أم قد صار أبيض صافيا
ويذكرنى تخطيط كعبك شقه * ومشيك فى ثوب من الزيت عاريا
ولولا فضول الناس جئتك مادحا * بما كنت فى سرى به لك هاجيا
فاصبحت مسرورا بما أنا منشد * وان كان بالانشاد هجوك غاليا
ومثلك يؤتى من بلاد بعيدة * ليضحك ربات الحداد البواكيا

(قلت) ما وقفت فى هذا الباب على اغرب من هذه المعانى ولا أبدع (وقال من غيرها)

من أية الطرق يأتى نحوك الكرم * أين المحاجم يا كافور والجلم
لا شئ أقبح من فحل له ذكر * تقوده أمة ليست لها رحم

(وقال من غيرها)

أما فى هذه الدنيا كريم * تزول به عن القلب الهموم
أما فى هذه الدنيا مكان * يسر باهله الجار المقيم
تشابهت البهائم والعبدا * علينا والموالى والصميم
وما أدرى أذا داء حديث * أصاب الناس أم داء قديم

حصلت بأرض مصر على عبيد * كأن الحر بينهم يتيم
كأن الأسود اللابى فيهم * غراب حوله رخم وبوم
أخذت بمدحه فرأيت لهوا * مقالى للأحيمق يا حليم
ولما أن هجوت رأيت عيا * مقالى لابن آوى يا لئيم
فهل من عاذر فى ذا وهذا * فمدفوع الى السقم السقيم
اذا أتت الاساءة من وضيع * ولم ألم المسىء فمن ألوم

(وقال من قصيدة مطولة كلها غرر)

يا ساقيى أخمر فى كؤوسكما * أم فى كؤوسكما هم وتسهيد
أصخرة أنا مالى لا تغيرنى * هذى المدام ولا هذى الأغاريد
ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها * انى بما أنا باك منه محسود
انى نزلت بكذابين ضيفهم * عن القرى وعن الترحال محدود
جود الرجال من الأيدى وجودهم * من اللسان فلا كانوا ولا الجود
ما يقبض الموت نفسا من نفوسهم * الا وفى يده من نتنها عود
من كل رخو وكاء البطن منفتق * لا فى الرجال ولا النسوان معدود
أكلما اغتال عبد السوء سيده * أو خانه فله فى مصر تمهيد
صار الخصى امام الآبقين بها * فالحر مستعبد والعبد معبود
نامت نواطير مصر عن ثعالبها * فقد بشمن وما تفنى العناقيد
العبد ليس لحر صالح بأخ * لو أنه فى ثياب الحر مولود
لا تشترى العبد الا والعصا معه * ان العبيد لانجاس مناكيد
ما كنت أحسبنى أحيا الى زمن * يسىء بى فيه كلب وهو محمود
ولا توهمت أن الناس قد فقدوا * وان مثل أبى البيضاء موجود
جوعان يأكل من زادى ويمسكنى * لكى يقال عظيم القدر مقصود
من علم الأسود المخصى مكرمة * أقومه البيض أم آباؤه الصيد
أم اذنه فى يد النخاس دامية * أم قدره وهو بالفلسين مردود
وذاك أن فحول البيض عاجزة * عن الجميل فكيف الخصية السود

(وسأله أشراف الكوفة ان يهجو ضبة بن يزيد فقال أبياتا منها)

وما عليك من العا * ران أمك قحبه
وما يشق على الكلب ان يكون ابن كلبه
ما ضرها من أتاها * وانما ضر صلبه
ولم ينكها ولكن * عجانها ناك زبه
يلوم ضبة قوم * ولا يلومون قلبه
وقلبه يتشهى * ويلزم الجسم ذنبه

لو أبصر الجذع ايرا * أحب فى الجذع صلبه
يا أطيب الناس نفسا * وألين الناس ركبه
وأخبث الناس أصلا * فى أخبث الارض تربه
وارخص الناس أما * تبيع ألفا بحبه
لكل الايور سهام * لمريم وهى جعبه

(منها)

وكنت تفخر تيها * فصرت تضرط رهبه
وان بعدنا قليلا * حملت رمحا وحربه
ان أوحشتك المعالى * فانها دار غربه
وآنستك المخازى * فانها لك نسبه
وان عرفت مرادى * تكشفت عنك كربه
وان جهلت مرادى * فانه بك أشبه

(ومن المبالغة فى الهجو قول القائل)

على حالة لو ان فى القوم حاتما * على جوده اضن بالماء حاتم

(قلت) هذا البيت من شواهد التسهيل وجرحا تم بدل من الضمير (ومثله فى المبالغة قول القائل)

قوم اذا صفع النعال قفيهم * شكت النعال بأى ذنب تصفع

(ومن المبالغات البديعة قول أبى نواس فى هجو الدنيا)

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

(قال) المأمون لو وصفت الدنيا نفسها بشئ لما عدت قول أبى نواس (وقال آخر فى هجو أصحابه وأجاد)

واخوان تخذتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادى
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن من ودادى

(وقال آخر وأجاد)

وكنت أخى باخاء الزمان * فلما انقضى صرت حربا عوانا
وكنت أعدك للنائبات * فها أنا أطلب منك الامانا

(وقال المعتمد بن عباد)

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم * وطول اختبارى صاحبا بعد صاحب
فلم ترنى الايام خلا تسرنى * مباديه الا ساءنى فى العواقب
ولا قلت أرجوه لدفع ملمة * من الدهر الا كان احدى النوائب

(قيل) ان الشيخ صدر الدين بن الوكيل رحمه الله تعالى كان فى أواخر الصحبة يستخيل على أصحابه فنظم فيه بعض أهل العصر (يقول)

وداد ابن الوكيل له شبيه * بلباد بن جاق فى المسالك

فأوله حلي ثم طيب * وآخره زجاج مع لوالك
(وهذا يشبه قول الآخر في شريف)
يا مشبه الكشك أجدادا مطهرة * ويستحيل الى داء وتخليط
ما أنت الا كباناس فأوله * عذب وآخره يدعى بقلوط
(قال) جالينوس الكشك له أبوان كريمان ولكنهما انجبا لئيما (ومن اللطائف البديعة قول محاسن الشواء في هجو صديق له)
لنا صديق له خلال * تعرب عن أصله الاخس
أضحت له مثل حيث كف * وددت لو انها كأمس
(ومن لطائف الهجوات قول الفارسي)
ان شئت ان تعرف عن صحة * دار التي تعزى لعبدونه
فامش فان ابرك أبصرته * قام فان الباب من دونه
(ومن المبالغة في الهجو قول ابن الهبارية)
يا واسطيين تقوا انني * بهجوكم بين الورى مولع
ما فيكم كلكم واحد * يعطي ولا واحدة تمنع
(وقال أبو الطيب في ذم الزمان)
وما الدهر أهل ان تؤمل عنده * حياة وان تشتاق فيه الى النسل
(ولمح أبو العلاء هذا المعنى فقال)
بنت من الدنيا ولا بنت لي * فيها ولا عرس ولا أخت
(وقال صالح بن صالح وأجاد الى الغاية)
وما الدهر في حال السكون بساكن * ولكنه مستجمع لوثوب
(وقال أبو العلاء المعري)
جربت دهري وأهليه فما تركت * لي التجارب في ود امرئ غرضا
(ومن بديع الهجو وغريبه قول عبد الحكم خطيب مصر في العماد بن جبريل عند كسر يده)
ان العماد بن جبريل أخي علم * له يدا صبحت مذمومة الاثر
تأخر القطع عنها وهي سارقة * فجاءها الكسر يستقصي عن الخبر
(محمد بن زيد الواسطي في نفطويه النحوي)
من سره أن لا يرى فاسقا * فليجتهد أن لا يرى نفطويه
أحرقه الله بنصف اسمه * وصير الباقي صراخا عليه
(اسامة بن منقذ في ابن طليب المصري عند حريق داره)
انظر الى الايام كيف تسوقنا * قسرا الى الاقدار بالاقدار
ما اوقد ابن طليب قط بداره * نارا وكان خرابها بالنار

(ومما)

(ومما) يناسب هذه الواقعة ان الوجيه بن صورة المصرى كان له بمصر دار موصوفة بالحسن احترقت فقال (نشو الملك المعروف بابن المنجم)

أقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها مارج يتضرم
كذا كل مال أصله من نهاوش * فعما قليل فى نهابر يعدم
وما هو الا كافر طال عمره * فجاءته لما استبطأته جهنم

(والبيت) الثانى مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم من أصاب مالا من نهاوش أذهبه الله فى نهابر والنهاوش الحرام والنهابر المهالك (والشئ بالشئ يذكر فنظم أبو الحسين الجزار فى بعض أدباء مصر وكان شيخا كبيرا ظهر عليه جرب فالتطخ بالكبريت بيتين وهما)

أيها السيد الاديب دعاء * من محب خال من التنكيت
أنت شيخ وقد قربت من النا * ر فكيف ادّهنت بالكبريت

(وقال فى زوجة أبيه)

تزوج الشيخ أبى شيخة * ليس لها عقل ولا ذهن
لو برزت صورتها فى الدجا * ما جسرت تبصرها الجن
كأنها فى فرشها رمة * وشعرها من حولها قطن
وقائل قال ما سنها * فقلت ما فى فمها سن

(وقال فيها وقد مات أبوه)

أذابت كلى الشيخ تلك العجوز * وأردته أنفاسها المرديه
وقد كان أوصى لها بالصداق * لها فى مصيبته تعزيه
لانى ما خلت ان القتيل يوصى لقاتله بالديه

(السراج الوراق)

قيل لى عند ما هجوت قطيما * بقواف عن ثلبه لا تنام
ما الذى بينه وبين القوافى * قلت يا قوم نقطة والسلام

(وقال فى هجو بخيل وأجاد)

وضنين بماله ظن أنى * جئته قاصدا فأعرض عنى
قلت هبنى اسأت فاعف فقال * زدت عندى ذنبا بقولك هبنى

(ويعجبنى قول ابن قلاقس من قصيد)

أسكرتهم بكئوس المدح مترعة * ولم أنل منهم الا العرابيدا
سمعت بالجود مفقودا فهل أحد * يقول لى قد وجدت الجود موجودا

(مسلم بن الوليد وأجاد)

أما الهجاء فدق عرضك دونه * والمدح عنك اذا علمت جليل
فاذهب فأنت طليق عرضك انه * شئ عززت به وأنت ذليل

(آخر وأجاد)

www.dorat-ghawas.com

لئن كانت الدنيا أفادتك ثروة * فأصبحت منها بعد عسر أخا يسر
لقد كشف الاثراء منك خلائقا * من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

(آخر) لا تهولنك السوابغ والبيض لمن تحتها قلوب العذارى

(آخر) لعمر أبيك ما نسب المعلى * الى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت * وصوح نبتها رعي الهشيم

(آخر) وما ينفع الاصل من هاشم * اذا كانت النفس من باهله

(آخر) ولولا الضرورة لم آته * وعند الضرورة تأتي الكنيفا

(ابن الرومي وأجاد)

معشر اشبهوا القرود ولكن * خالفوها في خفة الارواح

(اعرابي وأجاد في بخيل اسمه صباح)

قد قلت لما رأيت الموت يطلبني * يا ليتني درهم في كف صباح

(ونظر بعضهم قول القائل في الفضل)

ما رأينا جبلا كالفضل يمشي في الفضاء
نظر العين اليه * يكحل العين بداء
رب قد أعطيتناه * وهو من شر عطاء
عاريا رب خذه * في قميص ورداء

(أبو تمام وأجاد)

رجا أن تحميه خساسة قدره * ولم يدر أن الليث يفترس الكلبا

(وقال من غيرها وأجاد)

يا أكرم الناس وعدا حشوه خلف * وأكثر الناس قولا كله كذب

(وقال من غيرها)

امرأته نفذت عليه أمورها * حتى ظننا انه امرأتها
متناوم ان زارها اخوانها * متيقظ ان زارها اخواتها

ومن بديع الاستطرادات في الهجو قول البحتري من قصيد في وصف فرس)

كالهيكل المبني الا انه * في الحسن جاء كصورة في هيكل
ملك العيون فان بدا أعطينه * نظر المحب الى الحبيب المقبل
ما ان يعاف قذى ولو أوردته * يوما خلائق حمدويه الاحول

(ومن قول أحمد البلاذري في رثاء أبي تمام)

أمسى حبيب رهن قبر موحش * لم تدفع الاقدار عنه بكيد
لم يحمه لما تناهى عمره * أدب ولم يسلم بقوة أيد
قد كنت أرجو أن تنالك رحمة * لكن خشيت قرابة ابن حميد

(ومنه قول الحسن على اللقمي وأجاد)

www.dorat-ghawas.com

جاسرت أجيالا كان فخورها * وجنات نجم ذى الحياء البارد
والشوك يفعل فى ثيابى مثل ما * فعل الهجاء بعرض عبد الواحد

(ومنه قول أبى محمد الزيلدم وهو من الغايات)

وليل كوجه البرقعيدى ظلمة * وبرد اغانيه وطول قرونه
قطعت ونومى عن جفونى مشرد * كعقل سليمان بن فهد ودينه
بذى أولق فيه اعوجاج كانه * أبو جابر فى خبطه وجنونه
الى ان بدا ضوء الصباح كانه * سنا وجه قرواش وضوء جبينه

(انظر) أيها المتأمل الى قوة استطراده من وصف حاله مع الليل الى هجاء الثلاثة ومدح قرواش سبحان المانح (ومنه)

اذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه * فليس به بأس وان كان من جرم

(ومنه) وشادن بالدلال عاتبنى * ومنيتى من تدلل العاتب
فكان ردى عليه من خجلى * أبرد من شعر خالد الكاتب

(ومنه قول ابن المعتز)

ولقد شربت مدامة كرخية * مع ماجد طلق اليدين حميد
علت بماء بارد فكأنما * علت ببرد قصيدة ابن حميد

(قلت) والغريب فى هذا الباب الاستطراد من الهجو الى الهجو وهو كقول جرير فى هجو أم الفرزدق وهو نوع من بديع يدل على قوة الناظم وسعة حولانه

لها برص بأسفل اسكتيها * كعنفقة الفرزدق حين شابا

(ومنه قول السرى الرفاء)

لنا روضة بالدار صيغ لزهرها * قلائد من حلى الندى وشنوف
يمر لنا فيها اذا ما تنسمت * نسيم كعقل الخالدى ضعيف

(قلت) وأظرف ما رأيت من هذا النوع قول أبى حجلة الحلبى (حكى) انه كتب رقعة الى بعض الحكام (وقيل) انه قاضى القضاة كمال الدين بن الزملكانى يسأله فيها شيئا فوقع له بخبز قيل ان قدره رطلان فتوجه ابن حجلة يوما الى بستان يرتاض فيه فقيل انه بستان قاضى القضاة المشار اليه (فكتب على بعض حيطانه)

لله بستان حللنا دوحه * فى جنة قد فتحت أبوابها
والبان تحسبه سنانيرا رأت * قاضى القضاة فنفشت أذنابها

(قيل) ان الشيخ بدر الدين بن مالك أملى عليهما كراسة فى البديع أود الوقوف عليها (ومن) استطرادات ابن حجاج فى الهجو على طريقته التى لم ينسج على منوالها غيره فان الشيخ جمال الدين بن نباتة قال فى خطبة كتابه المسمى بتلطيف المزاج من شعر ابن حجاج (وبعد) فانى رأيت نتائج أفكار الشعراء ذرية بعضها من بعض وأمم أشعارهم تبعث جميعها فى صعيد واحد من الارض الا أشعار الأديب الفريد أبى عبد الله الحسين بن الحجاج رحمه الله تعالى فانها

www.dorat-ghawas.com

أمة غريبة تبعث وحدها وذرية عجيبة تبلغ باتفاق اللهو واللعب رشدها ولم يحط خاطر أحد بمثلها خبرا ولا استطاع على معارضة شهدها صبرا (انتهى) قول الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى واستطرادا بابن الحجاج الموعود بذكره (قوله يخاطب ممدوحه)

تفديك أمي وأبي * وابني وان كان صبي
يا من اليه حيثما * وجهته منقلبي
يا من مديح غيره * عندي عزيز المطلب
لحية من يشنا الذي * حال رضا أو غضب
من عين من يطلبها * بالليل في استي تختبي
وأمه أم الشكو * ك في استها والريب
ذات حر أوسع من * شارعه باب اللعب
وشعرة غليظة * ذات نبات أشيب
قد شاب منها بعضها * وبعضها لم يشب
تنتف منها طاقة * بشدة وتعب
كأنما شكلتها * من لحية ابن الحلبي

(ومنه قوله من قصيد)

حتى متى أفديك يا سيتي * بندق قطن استك برفشتي
قالت بهذا الاير واستعبرت * وكان قد نام على بختي
قلت نعم هذا على ما به * قد ضرط الان لحن أنت
هذا اذا قام استوى طوله * بطول ساقيك اذا قمت
فلو رأيته على بيضه * مثل أبي منصور في الدست
خريت بالطول على عارضي * صاحب ديواني أو بلت

(ومنه قوله من قصيدة)

فقلت احبابها * أحسنت لي منعت بك
أحسنت يا أوسع من * فتوح مولانا الملك

(ومن لطائف الهجويات الخارجة عن الفحش قول أبي نواس)

قال لي يوما سليما * ن وبعض القول أشنع
قال صفني وعليا * أينا أنقى وأرفع
قلت اني ان أقل ما * فيكما بالحق تجزع
قال كلا قلت مهلا * قال قل لي قلت فاسمع
قال صفه قلت يعطي * قال صفني قلت تمنع

(جعفر بن شمس الخلافة وأجاد)

مدحتك ألسنة الانام مخافة * وتشاهرت لك بالثناء الاحسن

أترى الزمان مؤخراً فى مدتى * حتى أعيش الى انطلاق الالسن

(وقال بعض المتأخرين فى هجو زكى الدين ابن أبى الاصبع وأنا أستغفر الله من ايراده)

عبد العظيم الزكى بن أبى الا * صبع رب القريض والخطب
يزعم انى بالهجو اثلبه * تغضبا منه ساعة الغضب
لكنى والطلاق يلزمنى * ما ملت فيه يوماً الى الكذب
نكت امه واختيه وخالته * ونكت قدماً أخاه وهو صبى
ولست فيما أتيت مبتدعا * قد كان هذا فى سالف الحقب
ناك أبى أمه وجدته * وعمتيه لله در أبى
ونحن فى بيته على دعة * النيك ما بيننا الى الركب

(ومن غريب الهجو والتشبيه العقم قول القائل فى أحدب)

قصرت أخادعه وغاب قذاله * فكأنه مترقب ان يصفعا
وكأنه قد ذاق أول صفعة * وأحس ثانية لها فتجمعا

(بدر الدين حسن بن النقيب)

قالوا رأينا العلق ينفق مسرفا * والعلق لا شئ لديه ولا معه
فأجبتهم انفاقه من جحره * قالوا صدقت لذاك ينفق من سعه

(ومنه قوله)

ومنكرش أضحى يحلق سفله * لعساه لا يشكى اليه و يشكر
و يقص لحيته فان ناديته * لباك وهو محلق ومقصر

(القاضى السعيد بن سناء الملك)

وخلصنى من يدى عشقه * ظلام على خده حندسة
كنست فؤادى من حبه * ولحيته كانت المكنسه

(ابن عنين وأجاد)

شكا ابن المؤيد من عزله * وذم الزمان وأبدى السفه
فقلت له لا تذم الزمان * فتظلم أيامه المنصفه
ولا تعجبن اذا ما صرفت * فلا عدل فيك ولا معرفه

(ومنه قول القائل)

ورقيع أراد أن يعرف النحو بزى العيار لا المستنفى
قال لى لست تعرف النحو مثلى * قلت سلنى عنه أجب فى الوقت
قال ما المبتدا وما الخبر المجرور بين فقلت ذقنك فى استى

(وقال ابن الرومى)

ان تطل لحية عليك وتعرض * فالمخالى معلوقة للحمير
علق الله فى عذاريك مخلا * ة ولكنها بغير شعير

لو رأى مثلها النبي لاجرى * في لحى الناس سنة التقصير

(ويعجبني قول القائل)

اذا عرضت للفتى لحية * وطالت وصارت الى سرته

فنقصان عقل الفتى عندنا * بمقدار ما زاد في لحيته

(الشيخ برهان الدين القيراطي)

أصبحت يا ابن الصائغ الحنفي في * فعل القبائح أوحد الازمان

في مصر رأى أبي حنيفة تدعي * جهلا وأنت معرة النعمان

(ولله در القائل في ابليس)

عجبت من ابليس في نخوته * وخبث ما أظهر من نيته

تاه على آدم في سجدة * وصار قوادا لذريته

(قلت) في هذا القدر كفاية وتعين تقصير لسان القلم عن التطاول الى ثلب اعراض هذه الامة المرحومة وقد علم الله تعالى ان العبد لم يقصد فيما أورده ثلبا بل جل القصد اثبات ما وقع من الغريب في كل فن من فنون الادب وان كانت غرر المدائح قد تقدمت وجبت بها ظلمات الهجو وهنا نحب أن نبرز ما سهونا عن ابرازه من معان أشرقت في أفق كل فكر نير تجلو بها ظلمات تلك الظلمات (فمن المنقول) عن القاسم المكي بأبي دلف انه جمع بين طرفي الكرم والشجاعة وولي دمشق في خلافة المعتصم (قيل) انه لحق قوما من الاكراد قطعوا الطريق فطعن فارسا فنفذت الطعنة الى فارس آخر ردفيه فقتلهما (فقال بكر بن النطاح)

قالوا وينظم فارسين بطعنة * يوم الهياج ولا تراه كليلا

لا تعجبوا فلو ان طول قناته * ميل اذا نظم الفوارس ميلا

(وقيل فيه أيضا)

تمشي المنايا الى غيري فاكرهها * فكيف أمشي اليها بارز الكتف

ظننت أن نزال القرن من خلقي * او ان قلبي في جنبي أبي دلف

(وقال فيه أبو تمام)

يا طالبا للكيمياء وعلمها * مدح ابن عيسى الكيمياء الاعظم

لو لم يكن في الارض الا درهم * ومدحته لاتاك ذا الدرهم

(ودخل بعض الشعراء فأنشده)

أبا دلف ان المكارم لم تزل * مغلغلة تشكو الى الله حلها

فبشرها منه بميلاد قاسم * فارسل جبريلا اليها فحلها

(فأمر له) بمال فقال الخازن لم يكن هذا القدر بيت المال فأمر له بضعفه فقال هذا غير ممكن فأمر له بضعفه فلما حمل اليه المال (قال أبو دلف)

أتعجب ان رأيت علي دينا * وان ذهب الطريف مع التلاد

وما وجبت علي زكاة مال * وهل تجب الزكاة على جواد

www.dorat-ghawas.com

(ونقل) قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في تاريخه ان يحيى البلاذري المؤرخ قال كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء فقال لست أقبل الا ممن يقول مثل قول البحتري في المتوكل فلو أن مشتاقا تكلف فوق ما * في وسعه لسعى اليك المنبر

(قال) البلاذري فرجعت الى داري وأتيته وقلت قد قلت فيك أحسن مما قاله البحتري (فقال هات فأنشدته)

ولو ان برد المصطفى اذ لبسته * يظن لظن البرد انك صاحبه

وقال وقد أعطيته ولبسته * نعم هذه اعطافه ومناكبه

(فقال) له المستعين ارجع الى منزلك وافعل ما آمرك به فرجع فبعث اليه بسبعة آلاف دينار وقال اذخر هذه للحوادث ولك الجراية والكفاية مادمت حيا (قلت ومن المدائح الرائقة في حال الحشمة)

أهدى لمجلسه الكريم وانما * أهدى له ماحزت من نعمائه

كالبحر يمطره السحاب وماله * فضل عليه لانه من مائه

(ومثله قول بعضهم في يحيى بن خالد بن برمك)

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكنني عبد ليحيى بن خالد

فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثني من والد بعد والد

(وأما حاتم فقد استغنى عن المدح بقوله)

أوقد فان الليل ليل قر * والريح يا موقد ريح صر

عسى يرى نارك من يمر * ان جلبت ضيفا فأنت حر

(حكى) صاحب العقد ان اعرابيا سأل الحكم بن حنطب فأعطاه خمسمائة دينار فبكى الاعرابي فقال له لعلك استقللت ما أعطيناك فقال لا والله ولكني أبكي لما تأكل الارض منك (ثم أنشده)

فكأن آدم حين حان وفاته * أوصاك وهو يجود بالحوباء

ببنيه ان ترعاهم فرعيتهم * وكفيت آدم عيلة الابناء

(قال) بعض طلبة المبرد خرجت من مجلس المبرد وما فررت بخربة فاذا شيخ قد خرج منها وفي يده حجر فهم ان يرميني به فتسترت بالمحبرة والدفتر فقال من أين أقبلت قلت من مجلس المبرد قال بل البادرثم قال ما الذي أنشدكم اليوم (قلت أنشدنا)

أعار الغيث نائله * اذا ما ماؤه نفدا

وان أسد شكا جبنا * أعار فؤاده الاسدا

(فقال) أخطأ قائل هذا الشعر قلت كيف قال ألا تعلم انه اذا أعار الغيث نائله بقي بلا نائل واذا أعار الاسد فؤاده بقي بلا فؤاد فقلت كيف كان يقول (فأنشد)

علم الغيث الندى من يده * مذ رعاه علم البأس الاسد

فاذا الغيث مقر بالندى * واذا الليث مقر بالجلد

(قال) فكتبتهما وانصرفت ثم بعد أيام قليلة خرج علي وكاد يرميني فتسترت منه فضحك وقال مرحبا بالشيخ فقلت ويلك انك من مجلس المبرد قلت نعم قال ما أنشدكم اليوم (قلت أنشدنا)

www.dorat-ghawas.com

ان السماحة والمروءة والندى * قبر بمرو على الطريق الواضح
فاذا مررت بقبره فاعقر له * كوم الجياد وكل طرف سابح

(فقال) أخطأ قائل هذا الشعر قلت كيف قال ويحك لو نحر ابل خراسان لما أثر في حقه قلت فكيف كان يقول (فأنشد)

اخلائي ان يكن لكما عقر الى جنب قبره فاعقراني
وانضحا من دمي عليه فقد كا * ن دمي من نداه لو تعلمان

(فلما) عدت الى المبرد قصصت عليه القصة فقال أتعرفه قلت لا قال ذا الشاعر الكاتب تأخذه السوداء في أيام الباذنجان (أبو نواس وأجاد الى الغاية)

قد قلت للعباس معتذرا * من ضعف شكريه ومعترفا
أنت امرؤ أوليتني نعما * أوهت قوى شكري فقد ضعفا
لا تسدين الى عارفة * حتى أقوم بشكر ما سلفا

(السري الرفاء وأجاد)

ولي في راحتيك غدير نعمى * صفا متناه فاطرد الحباب
فظل لا يمازجه هجير * وشمس لا يكدرها ضباب
وأيام حسن لدى حتى * تساوى الشيب فيها والشباب

(غيره وأجاد)

كم أبا جعفر وكم لك عندي * من يد أطلقت يدي ولساني
ظاهر حسنها علي وجاءت * تتهادى في حلة الكتمان

(غيره وأجاد)

زاد معروفك عندي عظما * انه عندك مستور ضعيف

(السري الموصلي وأجاد)

ألبستني نعما رأيت بها الدجا * صبحا وكنت أرى الصباح بهيما
فغدوت يحسدني الصديق وقبلها * قد كان يلقاني العدو رحيما

(البحتري وأجاد)

لطفت رأيك في بري وتكرمتي * ان الكريم على العلياء يحتال

(وقال وأجاد أيضا)

أعدت يداه يدي فشرد جوده * بخلي فأفقرني كما أغناني
ووثقت بالخلف الجميل معجلا * منه فأعطيت الذي أعطاني

(ابن الرومي)

ان كان اورق أقوام فانكم * مفضلون بتنوير وإثمار
كانما الناس في الدنيا بظلكم * قد خيموا بين جنات وأنهار

(البحتري وأجاد)

أرى الدّ يعيني المكتسي رونق الغنى * بآلائك اللاتي يعددها الشكر
ويعجبني فقري اليك ولم يكن * ليعجبني لولا محبتك الفقر

(وله) لقيت به عضب الزمان فقلّه * وقد يثلم العضب المهند بالعضب

(وله وأجاد) ويرجعني اليك وان تناءت * دياري عنك تجربة الرجال

(غيره وأجاد)

ملوك يعدون الرماح مخاصرا * اذا رعزعوها والدروع غلائلا

(أبو تمام) قوم ترى أرماحهم يوم الوغى * مشغوفة بمواطن الكتمان

(المتنبي يدعو لممدوحه وأجاد)

ولازالت سيوفك مشرقات * ولادانيت بالشمس الغروبا
لتصبح آمنا فيك الرزايا * كما أنا آمن فيك العيوبا

(وله) وهذا دعاء لو سكت كفيته * لأني سألت الله فيك وقد فعل

(ابن الرومي وأجاد)

أعاذك انس المجد من كل وحشة * فانك في هذا الانام غريب
وتاب اليك الدهر من كل سيئ * وجاءك يسترضيك وهو منيب

(غيره) لازالت الدنيا له منزلا * يأوي به والدهر له عمرا

(غيره) أراني الله وجهك كل يوم * صباحا للتيمن والسرور
وأمتع ناظري بصحيفتيه * لاقرأ الحسن من تلك السطور

(خلف الكاتب)

ولانحن الى الف ولا وطن * اذا سلمت ولانأسو على أحد

(البحتري) بقاؤك فينا نعمة الله عندنا * فنحن بأوفى شكره نستديمها

(غيره وأجاد) ولازال يلقاك الحسود وطرفه * عليل وفي طي الضمير غليل

(ويعجبني من التغالي في حشمة المداح قول القائل)

واسكنه السماء لها بروج الّتي فيها له الاربوع
فان له مجرتها طريق * وبين يديه أنجمها شموع
وألوية الفضائل خافقات * تحملها له البرق اللموع
وما انجم الثريا غير نعل * ومن خيط الصباح له شسوع
يقومها الظلام اذا تمشى * لان الله الدجا عبد مطيع

(ومن زخارف المتأخرين قول الشيخ سراج الدين الوراق)

اشتهي أن أراك في كل وقت * والليالي تشاء ما لا أشاء
والقوافي اليك حنت حنيني * فتأمل فهمزها ورقاء
ولها لذة بتكرار مدحي * لك حتى ابيح لي الابطاء

(ومن اللطائف قوله من أبيات)

www.dorat-ghawas.com

ومضاف للشعراني ورا * ق وناهيك مخبر الاملياء
ورف راؤ بنوها على الفتسح لحن لي منه بكسر الراء
و يمينا الولابها علم الدين وحدوي يمينه البيضاء
كان هدا السراج أعوزه الزيت وأودى به الى الانطفاء

(وقال من قصيدة وأجاد)

قدمت لنار بها في جمادى * وقلب الشيء شأن الاولياء
ولم نرتب ل مولانا وايا * تقدم قبل وسمى السماء

(وقال يمدح ضياء الدين القشاني)

أمولانا ضياء الدين دم لي * وعش فبقاء مولانا بقائي
فلولا أنت ما اغنيت شيأ * وما يغني السراج بلا ضياء

(وقال من مدح قصيدة)

وأقررت بالعين عيني التي * أتاها نداك بلا حاجب
واصبحت أحتاج في صرفه * الى كاتب والى حاسب
يقول وقد جئته صيرف * لقد جئت بالعجب العاجب
ووقفت على مطلب قلت لا * فقال مدحت أبا طالب

(وقال في من أهدى له تفصيلة)

دامت عطايا الامير سابقة * من كل راج وآمل أمله
ولا عدمنا حياته أبدا * ولا تفاصيله ولا جمله

(السلامي في عضد الدولة وأجاد)

يشبهه المداح في البأس والندى * بمن لو رآه كان أصغر خادم
ففي جيشه خمسون ألفا كعنتر * وأمضى وفي خزانه ألف حاتم

(ومن زخارف أبي الحسين الجزار قوله من قصيدة)

فكم رامت السحب تحكي نداه * فلاح من البرق فيه الخجل

(ومن مرقصه قوله)

يعطي عطاء محسن * بابه عذر مذنب

(وقال) تركت حسودي مغضبا بصنائع * منحت بها لا قدر الله أن يرضى
وأوليتني ما است أشكر بعضه * على ان شكري قد طبق الارضا

(ومن غريب القاضي السعيد بن سناء الملك قوله من قصيدة)

عذرت عاذلي مدحي في مناقبه * اذ كان يدخل بين المسك والعبق

(وقال من غيرها)

ولقد سموت وما سموت بواهب * حاشا مواهب كفه ان تشكرا

(ومنها وهي في مديح الفاضل)

جعلت براعته الكلام للفظه * عبدا وابكنا نراه محررا
وسقى الندى من راحتيه براعة * فلذاك أزهر بالبيان وأثمرا

(وقال من غيرها وأجاد)

يقل له ان البسيطة داره * وان نجوم الافق فيها اصحابه

(منها في الفاضل أيضا)

و يفرس ألباب الرجال كلامه * فما هو الا الليث والطرس غابه

(وقال من غيرها وأجاد)

تخر له الاملاك ذلا وانما * تعز اذا خرت لديه من الذل
وأنفسهم عارية منه عندهم * متى ما اراد استرجعتها ايدا القتل
أعاديه من عماله في بلادهم * يصرفهم بين الولاية والعزل
(منها) اذا كنت من قتلاك تملأ سبلها * فكيف يسير الجيش منها بلا سبل
وما خالفتك الجرد قط وانها * لتلحق من عاديته وهي في الشكل
(وقال) ود العدا أن يكونوا من رعيته * ليأخذوا الامن تعويضا من الحذر

(وقال من غيرها في مديح الفاضل)

اني رأيت الشمس ثم رأيتها * ماذا علي اذا هويت الاحسنا
وسألت من أي المعادن ثغرها * فوجدت من عبد الرحيم المعدنا
أبصرت جوهر ثغرها وكلامه * فعلمت حقا ان هذا من هنا
ذاك الكلام من الكمال بموقع * لا يدرك الساعي اليه سوى العنا
يدنو من الافهام الا انها * تلقاه أبعد ما يكون اذا دنا

(وقال فيه من غيرها وأجاد)

وقصر البحر عنه وهو مكتئب * أما تراه بكفي موجه التطما
وبات السحب مذجارته باكية * أما ترى الدمع من أجفانها انسجما
قضى له الله مذ أجرى له قلما * بالسعد منه وقد أجرى به القلما
فخرا لدهر غدا عبد الرحيم به * بالامر والنهي يبدي الحكم والحكما
كسا هو بك نورا من جلالته * يلقى الحسود فيكسو ناظريه عمى
يغضي حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم اجلالا اذا ابتسما
(منها) يا أيها الفاضل الصديق منطقه * اني عتبقك والمقصود قد فهما
أعدت للعبد لما جئت عائده * روحا وأهلكت من حساده أمما
تركتهم لي حسادا على سقمي * وكم تمنوا لي الادواء والسقما
نقلت ما بي اليهم ثم قلت لهم * لا تسلموا ان هذا العبد قد سلما
ان كان يمللك من ينتاب ناديه * بخلا فانك قد أهلكتني كرما

(وقال من غيرها فيه وأجاد)

www.dorat-ghawas.com

كأنما السكف منه مثل محبرة * والليل فيها كاعشار واخماس
اذا أردت ترى الاقدار جارية * فانظر له قلما من فوق قرطاس
يسامر الفكر معنى ما يحيط به * يا حسنه سمرا في ليل انفاس

(وقال فيه من غيرها وأجاد)

تصنعوا وأنت طبعا مواهبه * تعطل البدو أحلى من حلى الحضر
والدهر مد اليه كف مفتقر * لما لدهر منه لحظ محتقر
ذال الاجل وان تحكي الورى شبها * فانه المسك في الالوان والصور
في كفه قلم ان شئت أو قدر * يصرف الخلق بين النفع والضرر
هذي المكارم لا قعبان من لبن * فقع لجنبك يا شانيه أو فطر
اكفف ايادي لك عني انني رجل * أخاف منها على نفسي من البطر
حبي صحيح وغيري حبه كذب * انى جهينة فاسألني عن الخبر
وخاطري ان يوفق مع بلادته * فالماء ينبع أحيانا من الحجر

(وقال من مديح الفاضل)

لولا اعتقادي للشريعة مخلصا * ما قلت ان كلامه مخلوق

(وقال من مدح الملك العزيز)

واذا وصلت الى السحائب قبله * فاعلم بأنك ما انتفعت بها الصدى

(ومن غريب شعره الفاضل نور الله ضريحه)

اذا جاد قلت الدهر فيها مخلد * وان جد قلت المرء ليس مخلدا

(وقال من غيرها وزينته أجل من أن يقال له أجاد)

واذا رشت بالايادي جناحي * لمعاني العلاء مما أصيد

(وتلاعب بالمعنى فقال)

يا مالكي أنت رشي بالندى * لكنني ما أربى الطيران

(وقال سقى الله من غيث الرحمة ثراه)

ركبنا ركابا من كرائم خيله * تؤم سحابا من سماء سماحه
فقل لليالي الخطب طولي او اقصري * فانا على وعد السرى من صباحه

(وقال) ذكروا الخيول فأثبتت نظراتهم * غررا عليها قد وسمن جباها
ولرب هاتفة دعتهم للوغى * جعلوا صليل المرهفات صداها

(وقال من غيرها)

يا من اذا ما المال جاز بأرضه * يصفر حوف فراقه ان يذهبا

(وقال سقى الله ثراه)

سأنصف أصناف القوافي بمدحه * فان القوافي في علاه غياري

(وقال) هذي البدايات قد نالت السماء بها * فما تظن العدا عند النهايات

الله

www.dorat-ghawas.com

الله جارك والآجال كاشرة * من القواضب عن مثل الثنيات
وقد تهادت سيوف الهند اذ خضبت * كالشرب حين تهادت بالزجاجات

(وقال) يمشون من أضيافهم وسيوفهم * ووحوشهم والطير بين عيال

(وقال) لم يبق فى أيامه من فتنة * للناس الا فتنة بجمال
تسمى الرماح قنا فأما بعد ما * صارت بكفك فالرماح عوال

(وقال سقى الله ثراه)

قالوا جرى قلمى فى غير مدحكم * لا والذى علم الانسان بالقلم
وما خلوت بذكراكم وكان معى * ثان يثلث ذكراكم سوى الكرم

(وقال سقى الله ثراه)

غنينا عن التشبيب قدام مدحه * فاذهل وصف الليث عن يصف الرشا

(وقال) الكتب تشكره عنا ولا عجب * ما تشكر السحب الا بالبساتين

(وقال) وجوه رياسة لهم وجوه * وسر الجود فى تلك الاسره
تفانوا فى سبيل المجد لكن * لهم ذكر أطال الله عمره

(وقال) أسرعت فى جود فلست بمبطئ * وصدقت فى شكر فلست بمبطل
ومدحت أهل البيت منكم بالذى * شهد الرجال بأن ذاك البيت لى
وهى السعادة فى السماك فلو نشا * لطعنت منها رامحا بالاعزل

(وقال) فقل لطغاة الكفر سعوا سيوفكم * وصوغوا باثمان لهن خلاخلا

(وقال) يقبل الارض ثغر السحب عندهم * والريق فطرته والانجم الشنب
مكارم مذ طمى فى الارض زاخرها * على الورى أقلعت من خوفها السحب
البرق فى وجنتيها لمعه خجل * والرعد فى حاقتيها صوته صخب
ليس السحاب الذى أمطاره نطف * مثل السحاب الذى أمطاره ذهب

(وقال) أسيدنا ان جئت فى الدهر آخرا * فقد جاء عيد الفطر فى آخر الشهر
وتم لى التمثيل فيما ذكرته * فقد جاء عيد النحر فى آخر العشر

(ومن غريب الشيخ جمال الدين بن نباتة هنا قوله)

لنا ملك قد قاسمتنا هباته * فنثر العطا منه ونظم الثنا منا
يذكرنا أخبار معن بجوده * فننشى له لفظا وينشى لنا معنى

(وقال) لاعدمنا لابن الاثير يراعا * جاريا للعفاة بالارزاق
كلما ماس فى المهارق كالغصن * رأينا الندى على الاوراق

(وقال يهنى محتسبا)

تهن بها حسبة أدركت * بأيام فضلك ما ترتقب
فانك من أسرة تصطفى * وترزق من حيث لا تحتسب

(وقال رحمه الله وأجاد الى الغاية)

www.dorat-ghawas.com

يارب امدد بالغنى بدسيدى * فى يومه يهب الجزيل وفى غده
فالبحر يسعى خادما فى بابه * والسحب جارية تصب على يده

(وقال أيضا وأجاد)

قد سالك يا ابن المحسنى بجودا * بأقلامه أو جاندا بمكارمه
فخاتم عند الجود فى بطن كفه * ويا قوت عند الخط فى فص خاتمه

(وكتب الى القاضى شمس الدين الهيتمى وأجاد)

شكر الله أياديك التى * أنعشت حالى بشمسى الهبات
أنت بالمعروف قد أحييتنى * وكذا الشمس حياة للنبات

(ومن غريب الشيخ زين الدين بن الوردى فى مدح شيخه شيخ الاسلام قاضى القضاة شرف الدين بن البارزى)

جننبنى وأخى تكاليف القضا * وكفيتنا مرضين مختلفين
ياحى عالم دهرنا أحييتنا * فلك التصرف فى دم الاخوين

(ومنه قوله)

ياآل بيت النبى من بذلت * فى حبكم روحه فما غبنا
من جاء من بيته يسائلكم * قولوا له البيت والحديث لنا

(للشيخ برهان الدين القيراطى)

أوصافكم تسرى أحاديثها * مسرى نجوم الزهر فى الافق
كأحاديث الندى فيكم * تسندها الركبان من طرق

(الشيخ ابراهيم المعمار)

أيابدر المحاسن خرت جودا * وفضلا شاع بين العالمين
وكنت من الكرام فخرت حظا * فصرت من الكرام الكاتبين

(وقال)

لابن فضل الله فضل * عمر الفضل ووفى
كيف لا وهو على * علم السر وأخفى

(الصاحب فخر الدين بن مكانس)

جناب فخر الدين كهف الورى * دامت له النعماء لا تنقضى
فهو الشريف الحسن المرتضى * وخلفه ذاك الشريف الرضى

(وقال يمدح الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه)

يا ابن عم الرسول ان أناسا * قد تولوك بالسعادة فازوا
أنت للعلم فى الحقيقة باب * ياامام وماسواك مجاز

(الشيخ بدر الدين الدمامينى فى الشهاب الفارقى وأجاد)

قل للذى أضحى يعظم حاتما * ويقول ليس لجوده من لاحق
ان قسته بسماح أهل زماننا * أخطأ قياسك مع وجود الفارق

(الشيخ

(الشيخ بدر الدين البشتكي وأجاد)

وقاس الورى بالنيل نائلك الذي * حلا وصفا والنيل يبدو مرنقا
فقلت وهل يقاس من خلقه الوفا * بمن بالوفا في العام يوما تخلقا

(قلت) ومن غريب الاتفاق البديعي ان كسر النيل المبارك يكون في شهر مسرى وبعد مسرى بأيام يكون الكسر النيروزي فاتفق اني تمثلت لدى المواقف الشريفة المؤيدية يوم كسر النيل المبارك وقد بلغ المسامع الشريفة في ذلك اليوم المبارك ان نوروز وصل الى غزة محاربا

(فانشدت مرتجلا ومورياً بحكاية الحال)

أيا ملكا بالله صار مؤيدا * ومنتصبا في ملكه نصب تمييز
كسرت بمسرى نيل مصر وتنقضي * وحقك بعد الكسر أيام نوروز

(وكتبت الى الامير مرجان الخازندار وقد رسم باعدام من عنده اتفاقا في ذلك)

خازن دار المؤيد انتظمت * له سموت العلى باركان
تلقاه عند العطاء مبتسما * فانظر الى لؤلؤ ومرجان

(وكتبت الى قاضي القضاة شمس الدين الاخناى)

أيا سيد قاضي القضاة بمدحكم * ليالي سطوري أقمرت في سما طرسي
وبشرت قلبي بالمعالي لانني * وصلت بأقوالي الى مطلع الشمس

(وكتبت الى المقر المرحومي الشهابي الصفدي)

كاتب سر الشام جاءت طبيعة * اليك تحلى رغم الذي لك يحسد
ونجل ابن فضل الله أحمد ان يكن * تولى حميدا أنت والله أحمد

(وكتبت الى الشيخ شرف الدين الانطاكي شيخ الشام المحروس)

ياشرف الدين الذي بذكره * تشرفت بين الورى أشعاري
لكم تفاصيل علوم نسجها * محبر وهو طراز الزاري
فقل لمن رام يحوك مثلها * ما أنت هذا الطرح يا ابياري

(باب المراثي)

قال عبدة بن الطبيب

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

(وقال متمم بن نويرة يرثي أخاه مالكا)

لقد لامني عند القبور على البكا * رفيقي لتذراف الدموع السوافك
وقال اتبكي كل قبر رأيته * لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقلت له ان الاسى يبعث الاسى * دعوني فهذا كله قبر مالك

(وقال رجل من خثعم وأجاد)

خلت الديار فسدت غير مسود * ومن الشقاء تفردي بالسودد

(وقال محمد بن بشر الخارجي)

www.dorat-ghawas.com

نعم الفتى فجعت به اخوانه * يوم البقيع حوادث الايام
سهل الفناء اذا حللت ببابه * طلق اليدين مؤدب الخدام
واذا رأيت صديقه وشقيقه * لم تدر أيهما اخو الارحام

(وقال الاشجع بن عمرو السلمى)

مضى ابن سعيد حين لم يبق مشرق * ولا مغرب الا له فيه مادح
وما كنت أدرى ما فواضل كفه * على الناس حتى غيبته الصفائح
فاصبح فى لحد من الارض ميتا * وكانت به حيا تضيق الصحاصح
سأبكيك ما فاضت دموعى فان نفض * فحسبك منى ما تكن الجوانح
فما أنا من رزء وان جل جازع * ولا بسرور بعد موتك فارح
كأن لم يمت حى سواك ولم تقم * على أحد الا عليك النوائح
لئن حسنت فيك المراثى وذكرها * لقد حسنت من قبل فيك المدائح

(قلت) حزن هذا العربى على من رثاه استعبد له رقة ليس لها فى سوق الرقيق نظير (يحيى بن زياد الحارثى)

دفعنا بك الايام حتى اذا أتت * تريدك لم نسطع لها عنك مدفعا

(ابن المقفع)

رزئنا أبا عمرو ولا حى مثله * فلله ريب الحادثات بمن تقع
فان تك قد فارقتنا وتركتنا * ذوى خلة ما فى انسداد لها طمع
فقد جر نفعا فقدنا لك اننا * أمنا على كل الرزايا من الجزع

(الشمردل بن شريك)

ولولا الاسى ما عشت فى الناس ساعة * ولكن اذا ما شئت جاوبنى مثلى

(وقال آخر) الا فليمت من شاء بعدك انما * عليك من الاقدار كان حذارنا
(وقال آخر) اذا ما امرؤ أثنى بآلاء ميت * فلا يبعد الله الوليد بن أدهما
فما كان مفراحا اذا الخير مسه * ولا كان منانا اذا هو أنعما
ونادى مناد أول الليل باسمه * اذا جحر الليل البخيل المذمما
لعمرك ما وارى التراب فعاله * ولكنه وارى ثيابا واعظما

(الحسين بن مطير الاسدى)

ألما على معن وقولا لقبره * سقتك الغوادى مربعا ثم مربعا
فيا قبر معن أنت أول حفرة * من الارض خطت للسماحة مضجعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا
كأنا خلقنا للنوى وكأنما * حرام على الايام ان نتجمعا

(وقال أشجع بن عمرو السلمى وأجاد)

أنعى فتى الجود الى الجود * ما مثل من أنعى بموجود

www.dorat-ghawas.com

أذهب فتى مص الثرى بعده * بقية الماء من العود
وانثلم المجد به ثلمة * جانبها ليس بمسدود
فالآن تخشى عثرات الندى * وصولة البخل على الجود

(التيمي في منصور بن زياد وأجاد الى الغاية)

أوفى عليك للهفة من خائف * يبغي جوارك حين ليس مجير
أما القبور فانهن أوانس * بجوار قبرك والديار قبور
عمت فواضله فعم مصابه * فالناس فيه كلهم مأجور
يثني عليك لسان من لم توله * خيرا لأنك بالثناء جدير
ردت صنائعه إليه حياته * فكأنه من نشرها منشور
والناس مأتمهم عليه واحد * في كل دار رنة وزفير
عجبا لأربع أذرع في خمسة * في جوفها جبل أشم كبير

(النابغة الجعدي)

فتى كان فيه ما يسر صديقه * على أن فيه ما يسوء الأعاديا
فتى كملت أخلاقه غير أنه * جواد فما يبقي من المال باقيا

(منصور النميري)

فان تك أفنته الليالي واوشكت * فان له ذكرا سيفني اللياليا

(دريد بن الصمة يرثي أخاه)

وقالوا ألا تبكي أخاك وقد أرى * مكان البكا لكن جبلت على الصبر
أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه * فطيب تراب القبر دل على القبر

(آخر) اذا ما دعوت الصبر بعدك والبكا * أجاب البكا طوعا ولم يجب الصبر
فان ينقطع منك الرجاء فانه * سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر

(ابن المعتز) قد استوى الناس ومات الكمال * وقال صرف الدهر أين الرجال
هذا أبو القاسم في نعشه * قوموا انظروا كيف تزول الجبال

(ومن الغايات في هذا الباب قصيدة القاضي وهو أبو يعلى في مخلص الدولة بن منقذ وقد اخترت منها) لقد دفن الأقوام أروع لم تكن * بمدفونة طول الزمان فضائله
بحر على الوادي فتثني رماله * عليه وبالنادي فتبكي أرامله
سرى نعشه فوق الرقاب وطالما * سرى جوده فوق الركاب ونائله
أفاض عيون الناس حتى كأنما * عيونهم مما تفيض أنامله
فيا عجبا من يحي لا تشتكي بسائل * على ماجد لم يعرف الشح سائله
مجالسه في روضة ظلها الندى * ولكنه في المجدمات مساجله
جرت تحته العلياء ملء فروجها * الى غاية طالت على من يطاوله
صفوح عن الجاني وصفحة سيفه * اذا هي لم تقتله فالصفح قاتله

فلا رحلت عنه نوازل رحمة * ضحاه بها موصولة وأصائله
وروّى ثراه منهل العفو في غد * فقد دروت العافين أمس مناهله

(واخترت من قصيدة مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة رحمه الله تعالى قوله)

مضى معن بن زائدة وأبقى * مكارم لن تبيد ولن تنالا
فان يعلو البلاد به خشوع * فقد كانت تطول به اختيالا
وكان الناس كلهم لمعن * الى ان زار حفرته عيالا

(وقال فيه الحسن بن مطير وهي من أبيات الحماسة)

ألما على معن وقولا لقبره * سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
فيا قبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا
ويا قبر معن أنت أول حفرة * من الارض خطت للمكارم مضجعا
كأنا خلقنا للنوى وكأنما * حرام على الايام أن نتجمعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى * وأصبح عرنين المكارم أجدعا

(البحتري يرثي كافي الكفاة)

مضى من اذا ما أعوز البذل واحتا * أصبنا جميعا من يديه وفيه
ثوى الجود والكافي معا في حفيرة * ليأنس كل منهما بأخيه

(آخر يرثي القاضي الباقلاني)

انظر الى جبل تمشي الرجال به * وانظر الى القبر ما يحوي من الصلف
وانظر الى صارم الاسلام مغتمدا * وانظر الى درة الاسلام في الصدف

(ابن العلاف يرثي المبرد وأجاد)

ذهب المبرد وانقضت أيامه * وليذهبن اثر المبرد ثعلب
فتزودوا من ثعلب فبكاس ما * شرب المبرد عن قليل يشرب
وأرى لكم ان تكتبوا أنفاسه * ان كانت الانفاس مما تكتب

(جحظة البرمكي يرثي ابن دريد)

فقدت لابن دريد كل فائدة * لما غدا ثالث الاحجار والترب
وكنت أبكي لفقد الجود منفردا * فصرت أبكي لفقد الجود والادب

(آخر وأجاد)

والصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

(قلت) ومما يشعر بقرينة الذوق ان الناظم المجيد يريد الرثاء من براعة استهلاله من غير تصريح قال التهامي في قصيدته التي سارت بها الركبان في رثاء ولده (وهي)

حكم المنية في البرية جار * ما هذه الدنيا بدار قرار
ومكلف الايام ضد طباعها * متطلب في الماء جذوة نار

www.dorat-ghawas.com

طبعت على كدر وأنت تريدها * صفوا من الاقذاء والاكدار
وإذا رجوت المستحيل فانما * تبني الرجاء على شفير هار
فالعيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سار

ما أعلم أحدا استهل في المراثي بأحسن من هذه البراعات البديعة (منها) يشير الى موت ولده وهو من المعاني المستغربة

جاورت أعدائي وجاور ربه * شتان بين جواره وجواري

(وقصيدة أبي تمام أيضا في أبي نصر بن حميد من المختارات في هذا الباب وقد اخترت منها)

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر * فليس لعين لم تفض ماءها عذر
وما كان الا مال من قل ماله * وذخرا مرئ امسى وليس له ذخر
وما كان يدري مجتدي جود كفه * اذا ما استهلت انه خلق العسر
فتى دهره شطران فيما ينوبه * ففي بأسه شطر وفي جوده شطر
فتى مات بين الطعن والضرب ميتة * تقوم مقام النصر اذ فاته النصر
وما مات حتى مات مضرب سيفه * من الضرب واعتلت عليه القنا السمر
غدا غدوة والحمد نسج رداءه * فلم ينصرف الا وأكفانه الاجر
تردى ثياب الموت حمرا فما أتى * لها الليل الا وهي من سندس خضر
كأن بني نبهان يوم وفاته * نجوم سماء خر من بينها البدر
وأنى لهم صبر عليه وما مضى * الى الموت حتى استشهدا هو والصبر
فتى كان عذب الروح لا من غضاضة * ولكن كبرا أن يقال به كبر
فتى سلبته الخيل وهو حمى لها * وبزته نار الحرب وهو لها جمر
اذا شجرات العرف جذت أصولها * ففي أي عود يوجد الورق النضر
وكيف احتمالي للسحاب صنيعة * باسقائها قبرا وفي لحده البحر
مضى طاهر الاثواب لم تبق روضة * غداة ثوى الا اشتهت انها قبر
عليك سلام الله وقفا فانني * رأيت الكريم الحر ليس له عمر

(ومن شعر أبي نواس يرثي الامين وأجاد)

وكنت عليه أحذر الموت وحده * فلم يبق لي شيء عليه أحاذر

(مثله قول ابراهيم الصولي يرثي ابنه)

أنت السواد لمقلة * تبكي عليك وناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

(ومثله قول مطيع بن اياس)

فاذهب بمن شئت اذ ذهبت به * ما بعد يحيى في الرزء من ألم

(مسلم) بن الوليد في يزيد بن مزيد وقيل ان البيت الثاني أبلغ شيء قيل في المراثي البديعة

سلكت بك العرب السبيل الى العلى * حتى اذا سبق الردى بك حاروا
فاذهب كما ذهبت غوادي مزنة * أثنى عليها السهل والاوعار

www.dorat-ghawas.com

(حكى) عن الشهاب محمود سقى الله من غيث الرحمة ثراه انه دخل على قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان نور الله ضريحه يعوده فى المرض الذى توفى فيه الى رحمة الله تعالى فأنشده رثاء فى نقيب الاشراف ببغداد (وهو)

قد قلت للملك المولى غسله * هلا اطاع وكنت من نصحائه
جنبه ماءك ثم غسله بما * أذرت عيون المجد عند بكائه
وأزل مجاميع الحنوط ونحها * عنه وحنطه بطيب ثنائه
ومر الملائكة الكرام بحمله * شرفا ألست تراهم بازائه
لا توه أعناق الرجال بحمله * يكفى الذى حملوه من نعمائه

(قال) الشهاب محمود فلما خرجت من عنده اختلج فى صدرى انه أحق الناس بهذا الرثاء البديع فاتفق انه توفى الى رحمة الله تعالى فى ذلك الاسبوع (قلت) ولكن بالنسبة الى ما ألهمنى الله من الذوق ان هذا الرثاء نسيج وحده وواسطة عقده لم ينسج متأدب على منواله ولا سمحت قريحة بمثاله وأنا بالاشواق الى معرفة الناظم رحمه الله تعالى (قلت) ومن المراثى التى لم ينسج أيضا على منوالها رثاء أبى الحسن محمد بن عمر بن يعقوب الانبارى فى أبى طاهر محمد بن محمد بن بقية الملقب نصير الدولة وزير عز الدولة بن بويه لما قتل عز الدولة وملك عضد الدولة بغداد فصلبه (فقال ابن الانبارى)

علو فى الحياة وفى الممات * لحق أنت احدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا * وفود نداك أيام الصلات
كأنك قائم فيهم خطيبا * وكلهم قيام للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفاء * كمدكهما اليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الارض عن ان * يضم علاك من بعد الممات
اصاروا الجو قبرك واستنابوا * عن الاكفان ثوب السافيات
لعظمك فى النفوس تبيت ترعى * بحراس وحفاظ ثقات
وتشعل عندك النيران ليلا * كذلك كنت أيام الحياة
ركبت مطية من قبل زيد * علاها فى السنين الماضيات
وتلك فضيلة فيها تأس * تباعد عنك تعيير العداة
ولم أر قبل جذعك قط جذعا * تمكن من عناق المكرمات
أسأت الى النوائب فاستثارت * فأنت قتيل ثار النائبات
وكنت تجير من صرف الليالى * فعاد مطالبا لك بالترات
ولو انى قدرت على قيام * بفرضك والحقوق الواجبات
ملأت الارض من نظم القوافى * ونحت بها خلاف النائحات
ولكنى أصبر عنك نفسى * مخافة ان أعد من الجناة
ومالك تربة فأقول تسقى * لانك نصب هطل الهاطلات
عليك تحية الرحمن تترى * برحمات غواد رائحات

(ولم)

(ولم يزل) ابن بقية مصلوبا الى ان توفي عضد الدولة فأنزل عن الخشبة ودفن في موضعه (فقال فيه ابن الانباري صاحب المرثية المذكورة)

لم يلحقوا بك عارا اذ صلبت لهم * لكنهم غلطوا فاسترجعوا ندما
وأيقنوا انهم في فعلهم غلطوا * وأيقنوا أنهم ذموا من سودد علما
فاسترجعوك ووارَوا منك طود علا * بدفنه دفنوا الافضال والكرما
لئن بليت لما يبلى نداك ولا * ينسى وكم هالك ينسى اذا قدما
تقاسم الناس حسن الذكر فيك كما * تركت مالك بين الناس مقتسما

(قال) الحافظ ابن عساكر لما صنع ابن الانباري المرثية الاولى كتبها ورماها في شوارع بغداد فتداولها الناس الى ان وصل الخبر الى عضد الدولة (فلما) أنشدت بين يديه تمنى ان يكون هو المصلوب دونه (فقال) علي بهذا الرجل وطلبه سنة كاملة واتصل الخبر بالصاحب ابن عباد وهو بالري فكتب له الامان (فلما) سمع ابن الانباري بذلك قصد حضرته فقال له أنت القائل هذه الابيات قال نعم قال أنشدنيها من فيك (فلما أنشد)

ولم أر قبل جذعك قط جذعا * تمكن من عناق المكرمات

(قام) اليه الصاحب وعانقه وقبل فاه وانفذه الى عضد الدولة (فلما) مثل بين يديه قال له ما الذي حملك على مرثية عدوي فقال حقوق سلفت وأياد مضت فجاش الحزن في قلبي فرثيته فقال بحضرتك شيء في الشمع والشموع تزهر بين يديه (فأنشد ارتجالا)

كأن الشموع وقد أظهرت * من النار في كل رأس سنانا
أصابع أعدائك الخائفين * تضرع تطلب منك الامانا

(فلما) سمعها خلع عليه وأعطاه فرسا وبدرة انتهى كلام الحافظ ابن عساكر (قلت) قوله في الابيات ونلت مطية من قبل زيد * علاها في السنين الماضيات
(هذا) زيد هو أبو الحسين زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم وكان قد ظهر في أيام هشام بن عبد الملك ودعا الى نفسه فبعث اليه يوسف بن عمر الثقفي والي العراقين يومئذ جيشا فرماه رجل منهم بسهم فأصابه فمات وصلب بأرض الكوفة ونقل رأسه الى البلاد وهو صاحب المشهد الذي بين مصر وبركة قارون بالقرب من جامع طولون يقال ان رأسه مدفون به والله تعالى أعلم (وقد) أجمع الناس ان هذه القصيدة غريبة في بابها (ومن الغريب أيضا في مصلوب)

كأنه عاشق قد مد ساعده * يوم الفراق الى توديع مرتحل
أو قائم من نعاس فيه لوثته * مواصل لتمطيه من الكسل

(ومن غريب ما قيل في مصلوب)

ومد على صليب الصلب منه * يمينا لا تطول الى الشمال
ونكس رأسه لعتاب قلب * دعاه الى الغواية والضلال

(قلت) ومن الغريب في هذا الباب نوع الافتنان وهو الجمع بين الرثاء والمدح في البيت الواحد (لكن) ذلك انه لما مات القادر بأمر الله جلس ابنه القائم بأمر الله فأول من بايعه

www.dorat-ghawas.com

الشريف أبو القاسم المرتضى (وأنشده)

فان مامضى جبل وانقضى * فمنك لنا جبل قد رسا
وان مافجعنا ببدر التمام * فقد بقيت منه شمس الضحى
فكم حزن في محل السرور * وكم ضحك في خلال البكا

(ولما) مات الرشيد والفضل مستمر على وزارته كتب اليه أبونواس يعزيه في الرشيد ويهنئه بولاية الامين

تعز أبا العباس عن خير هالك * بأكرم حي كان أو هو كائن
حوادث أيام تدور صروفها * لهن مساو مرة ومحاسن
وفي الحي بالميت الذي غيب الثرى * فلا أنت مغبون ولا الموت غابن

(ولما) مات أبو الامير جلال الدولة بن مرداس صاحب حلب وهو جلال الدين محمود بن نصر واستقر ولده جلال الدين المشار اليه أنشده ابن حيوس قصيدة (اخترت منها)

صبرنا على حكم الزمان الذي سطا * على انه لولاك لم يكن الصبر
غزانا ببؤسى لا يماثلها الاسى * تقارن نعمى لا يقوم لها الشكر
وانجز لي رب السموات وعده الكريم بان العسر يتبعه اليسر

(والذي) أقوله ان الشيخ جمال الدين بن نباتة سقى الله تعالى من غيث الرحمة ثراه هو نبات هذا البستان وفارس هذا الميدان وان كان متأخرا فقد أحرز قصبات السبق على من تقدمه من الفحول في هذه الحلبة بقوله معزيا في وفاة الملك المؤيد صاحب حماة المحروسة ومهنئا بولاية ولده الملك الافضل

هناء محا ذاك العزاء المقدما * فما عبس المحزون حتى تبسما
ثغور ابتسام في ثغور مدامع * شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما
ترد مجاري الدمع والبشر واضح * كوابل غيث في ضحى الشمس قد هما

(واخترت من قصيدته التي رثى بها الملك المؤيد قوله)

ما للندي لا يلبي صوت داعيه * أظن ان ابن شادي قام ناعيه
ما للرجاء قد اسودت مذاهبه * ما للزمان قد اسودت نواحيه
واروعتا الصباح من رزيته * أظن ان صباح الحشر ثانيه
واحسرتاه لنظمي في مدائحه * كيف استحال لنظمي في مراثيه
أبكيه بالدر من جفني ومن كلمي * والبحر أحسن ما بالدر أبكيه
أروي بدمعي ثرى ملك له شيم * قد كان يذكرها الصادي فترويه
أذيل ماء جفوني بعده أسفا * لماء وجهي الذي قد كان يحميه
ليت الحمام حبا الايام موهبة * فكان يفني بني الدنيا ويبقيه
اعزز علي بان ألقي عوارفه * ملء الزمان واني لا ألاقيه
أعزز علي بان تبلى شمائله * تحت التراب وما تبلى أياديه
لهفي وهل نافعي لهفي على ملك * بات الغمام على الآفاق يبكيه

لهفي

لهفي عليه لجود كان يحجبه * فيه الملام كأن اللوم يغريه
ما حلف ابن علي من ذخائره * الا ثنا أضحت الدنيا تواليه
كان المديح له عرس بدولته * فأحسن الله للشعر العزا فيه
أفي المؤيد تبر الدمع من بصرى * وتلك عادته في التبر يفنيه
هذي المنازل والدنيا معطلة * كأنها اللفظ خال من معانيه
مهنا بجنان الخلد يدخلها * ونحن نصلى بنار من تنائيه
(وقال فيه) الا في سبيل الله نصل عزائم * وعلم غدا في باطن الترب مغمدا
على الرغم مما ان خبا منه رونق * وجاوبنا من حول تربته الصدى
(وقال في ولده الافضل)
مضى الأفضل المرجو للفضل والندى * وصحت على رغم العفاة وفاته
وماماتت اذ ماتت بحزن نساؤه * وماتت بأحزان البلاد حماته
(ومثله على طريق التورية قول الصاحب بن عباد في رثاء كثير بن أحمد الوزير)
يقولون قد أودى كثير بن أحمد * وذلك رزء في الانام جليل
فقلت دعوني والعلا نبكه معا * لمثل كثير في الزمان قليل
(ومثله قول الشيخ جمال الدين بن نباتة في ولده)
يا لهف قلبي على عبد الرحيم ويا * حزني عليه ويا شجوي ويادائي
في شهر كانون واراه الحمام لقد * أحرقتني بالنار يا كانون احشائي
(وقال في رثاء طفل له) بدا وفي حاله توارى * فيالها طلعة شريقه
جوهرة ما عملت الا * دموع عيني لها عقيقه
(ومثله في رثاء ولد له لم يكمل له الحول)
يا راحلا من بعد ما أقبلت * مخايل الخير من جوه
لم تستكمل حولا وأورثتني * ضعفا فلا حول ولا قوه
(ومثله قوله) قالوا ألان قد جفت أفكاره * نظم القريض فما يكاد يجيبه
هيهات نظم الشعر منه بعدما * سكن التراب وليده وحبيبه
(ومثله قولي في رثاء مولانا المقر الاشرف القاضوي الناصري محمد بن البارزي الجهني
الشافعي صاحب دوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية نور الله تعالى ضريحه)
لفقدك يا ابن البارزي تهدمت * بيوت المعالي ما لها من مشيد
وما خلب الاكباد حزن مبرح * كحزن أبي بكر لفقد محمد

﴿باب الفخر﴾

(قال الاصمعي أفخر بيت قالته العرب قول امرئ القيس)
ما ينكر الناس منا حين نملكهم * كانوا عبيدا وكنا نحن أربابا
(وقال الاحوص) اني اذا خفي الكرام وجدتني * كالشمس لا تخفى بكل مكان
(وقال امرؤ القيس) وشمائلي ما قد علمت وما * نبحت كلابك طارقا مثلي

(عنترة) وإذا شربت فإنني مستهلك * مالي وعرضي وافر لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى * وكما علمت شمائلي وتكرمي

(ويعجبني في الفخر قول القائل)

إذا نحن سرنا بين شرق ومغرب * تحرك يقظان التراب ونائمه

(الطرماح) لقد زادني حبا لنفسي أنني * بغيض إلى كل امرئ غير طائل
وأني شقي باللئام ولن ترى * شقيا بهم إلا كريم الشمائل

(أبو هفان وأجاد)

أبونا أب لو كان للناس كلهم * أبا واحدا أغناهم بالمناقب

(الأمير أبو فراس)

تهون علينا في المعالي نفوسنا * ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر

(بعض آل حمدان وأجاد)

أغمام ما يدريك ما أفعالنا * والخيل تحت النقع كالأشباح
تطفو على لجج الدماء كأنها * صور الفوارس في كؤوس الراح

(المتوكل الليثي)

لسنا وإن أحسابنا كرمت * يوما على الأحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا * تبني ونفعل مثل ما فعلوا

(إسحق بن إبراهيم الموصلي)

عطست بأنفي شامخا وتناولت * يداي الثريا قاعدا غير قائم

(القاضي الجرجاني)

يقولون لي فيك انقباض وإنما * رأوا رجلا عن جانب الذل أحجما
إذا قيل هذا مشرب قلت قد أرى * ولكن نفس الحر تحتمل الظما

(وغاية الغايات في هذا الباب قول عبد المطلب)

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة * ولو تسلت أسلناها على الأسل
لا ينزل المجد إلا في منازلنا * كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

(قلت) قد عن لي أن أحبس عنان القلم عن الاستطراد في ميادين الفخر وأقتصر هنا على قصيدة القاضي السعيد هبة الله بن سناء الملك فإنها وإن تأخر عصر ناظمها فقد سبقت إلى كل غاية ولم ترفع لعرابة عند مجدها راية (وهي)

سواي يخاف الدهر أو يرهب الردى * وغيري يهوى أن يكون مخلدا
ولكنني لا أرهب الدهر إن سطا * ولا أحذر الموت الزؤام إذا عدا
ولو مد نحوي حادث الدهر طرفه * لحدثت نفسي أن أمد له يدا
توقد عزمي يترك الماء جمرة * وحلية حلمي تترك السيف مبردا
وفرط احتقاري للأنام لأنني * أرى كل عار من حلى سؤددي سدى
وأظمأ إن أبدى لي الماء منة * ولو كان لي نهر المجرة موردا

www.dorat-ghawas.com

ولو كان ادراك الهدى بتذلل * رأيت الهدى ان لا اميل الى الهدى
وقدما بغيري أصبح الدهر أشيبا * وبي بل بفضلي أصبح الدهر أمردا
وانك عبدي يا زمان وانني * على الكره مني ان أرى لك سيدا
وما أنا راض انني واطئ الثرى * ولي همة لا ترتضي الافق مقعدا
ولو علمت زهر النجوم مكانتي * لخرت جميعا نحو وجهي سجدا
أرى الخلق دوني اذ أراني فوقهم * ذكاء وعلما واعتلاء وسوددا
وبذل نوال زاد حتى لقد غدا * من الغيظ منه ساكن البحر مزبدا
ولي قلم في أنمل قد هززته * فما ضرني ان لا أهز المهندا
اذا صال فوق الطرس وقع صريره * فان صليل المشرفي له صدى

(باب الغزل)

(قلت) هذا النوع أعني الغزل ملأ بكثرته الدواوين والمجاميع وأفعم أفواه الرواة وضاق عنه فضاء الاحصاء ورأيت لطف هذا التأليف وحشمته لم يحمل ثقل عقادة تركيب ولا سفالة لفظ ولا حوشي لغة فتمثلت هنا (بقول القائل)

ميلوا الى سهل الكلام فانه * من خاف مال الى الطريق الاوعر

(وما) خفي ان المتأخر يحتاج الى صحة ذوق وصفاء ذهن ودقيق فهم وصحة تمييز وحسن هذا الذوق انما هو أمر الهامي ليس مما يكتسب ولكن يخرج من صدر من أدبه ربه فتأدب فاذا اختار شيأ أورده نزه الناس في حدائق وروده وكان نعم الواسطة فيما أحكمه من نظم عقوده

لما كل دار أقفرت دارة الحمى * ولا كل بيضاء الترائب زينب

(وجل) القصد هنا تأهيل الغريب وتقديم ما علا نسبه في النسيب

من كل معنى يكاد الميت يفهمه * حسنا ويعبده القرطاس والقلم

(ومذهبي) في هذا التأليف اني اذا تخيرت بيتا سبق ناظمه الى معناه فلوجهين (أحدهما) وهو الاقوى انه رشحه وأزال عقادته وسبكه في أحسن من قالبه الاول واحكم ترتيبه (والثاني) هو والله أعلم ان تكون الواردة قد اتفقت لهما كما جرى لامرئ القيس ولطرفة بن العبد في البيت الذي في مطلعيهما (وهو قول امرئ القيس)

وقوفا بها صحبي على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجمل

(وقال طرفة)

وقوفا بها صحبي على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

(فلما) تنافسا في ذلك أحضر طرفة بن العبد خطوط أهل بلده في أي يوم نظم البيت فكان ليوم الذي نظما فيه واحدا (وقد) يقع مثل ذلك في البيت الواحد والوجه الاول سماه علماء البديع حسن الاتباع وقالوا هو ان يأتي الناظم بمعنى اخترعه غيره فيحسن اتباعه فيه بحيث يختصه بوجه من الزيادة التي توجب للمتأخر استحقاق معنى المتقدم باختصار حشو أو محروزن أو عذوبة لفظ أو تمكين قافية أو تتميم نقص أو تحلية من البديع توجب الاستحقاق

www.dorat-ghawas.com

(وقد) تعين ان نقيم لهذه الدعوة شاهدا انثبت به عند قضاة الادب الحجة (قال جرير)

اذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا

(وقال أبو نواس)

وليس لله بمستنكر * ان يجمع العالم في واحد

فزاد أبو نواس على جرير بادات حسنة منها اقصر الوزن وحسن السبك واخراج كلامه من الظن الى اليقين وأيضا ان ذكر العالم أعم من ذكر الناس في بيت جرير

يقول مصححه من على مولاه اعتمد أحمد البيومي بن المرحوم حسن عبد الصمد

ان أعلى ما تزينت به كتب الأدباء وأغلى ما جرت به جياد البراعة في مضمار الالباء حمد من جلل الفصحاء بحلل المجد وجعل مراتب البلغاء في فلك السعد والصلاة والسلام على من أصبح به برد البلاغة موشى وبديع الكلام بحلى فصاحته مغشى وعلى آله وصحبه وعترته وحزبه (وبعد) فقد تم طبع هذا الجزء الشريف المشتمل على حلو النوادر ولذائذ الكلام اللطيف أسفر عن كتاب ثمرات الاوراق الذي حلا في الاذواق السليمة وراق تتشنف المسامع بدرر فرائده وتحلى الافكار بغرر فوائده وتنجذب اليه خواطر الجهابذه وتنشرح به صدور التلامذه يفوق بحسنه كل مؤلف ويروق برونقه على كل مصنف فان استوفيت اقتطاف ثمرات هذه المعاني فنزه طرفك في ذيلها الاول وهو الثاني تتكشف عنك الغمه وتستفيد فوائد جمه وما أحلى ما ختمت به من كتاب تأهيل الغريب الآتي من كل فن مطرب بعجيب ما رأيت أكثر منه في فصاحة الالفاظ وتمكن القوافي ولا أكثر تناسبا على كثرة ما في الاشعار من التباين والتنافي ولا أملك للقلوب والاسماع ولا أجمع للاغراب والابداع يزداد حسنا على التكرير والترديد ويطرب عند قراءته المبتدئ والمعيد فيالله اذ حوى هذا السفر نفائس كتب أربعه بلطائف الادب ومحاسنه مترعه يتنافس في اقتنائها المحصلون ويتباهى بتحصيل فوائدها الراغبون ترتع النبلاء في بساتين رياضها وترتوي من زلال غدرانها وحياضها ولا غرو فان جامع حوزتها من تفتخر به الامصار وتبتهج به الاقطار فضله غير منكور ومهارة علمه أمرها مشهور الامام العالم الهمام علامة الاعلام حجة العرب وترجمان الادب قاضي قضاة البلاغة فيما جل وخفي تقي الدين أبو بكر بن حجة الحنفي منشئ دواوين الانشاء بممالك الاسلام بوأه الله دار السلام بسلام وكان طبعه الناضر ووضعه الانيق الظاهر بالمطبعة الوهبية العامره التي هي بالمحاسن ظاهره وقد طلع بدر تمامه وفاح مسك ختامه في أواسط جمادى الاولى سنة ١٣٠٠ ثلثمائة وألف من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف صلى الله عليه وعلى كل منتم اليه

www.dorat-ghawas.com